المُعلمُ صانعُ الأجيال!

(لم يمر زمان على المعلم صانع الأجيال مثل هذا الزمان!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

المعلم الضحية

(أعطى تلاميذه كل ما عنده على مدى عقدين ، ثم تأمل صورته فوجد الشيب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ، ووجد التجاعيد قد غزت وجهه! فأدرك أنه ضحية عمله الشاق وإخلاصه المتفاني. ولست أعلم عصراً أهين فيه المعلم ونيلت كرامته مثل هذا العصر! ولأني معلم فأنا أدرى بالأحداث!)

بـــذلتَ الكثيـــر ، وخضـــتَ الصـــعابْ ... وضـــاع مـــع البـــذل رَيْـــعُ الشـــبابْ

تســـابق شَـــيْبك مستبســـلاً ... وبعـــدُ تعـــاني أســـى الاغتـــراب

ويجـــرح عزمَـــك فـــرط الجـــوى ... وتُزجـــي الكـــروبُ إليـــك العـــذاب

ويقتلـــك الغـــم ممـــا تـــرى ... وقـــد لفـــظ الجيـــلُ نـــورَ الكِتـــاب

ويطعنـــك الهـــمّ فـــي مَقتـــلٍ ... وآمالـــك اليـــومَ مثـــلُ الســـراب

تفانيـــتَ حتـــى طـــواك العنـــا ... وأضـــنى إبـــاءكَ غـــدرُ الصـــحاب

لمـــن عـــاملوك جلبـــتَ الهنـــا ... وهـــم قـــد رمَـــوْك بـــأعتى الحِـــراب

لكـــل امـــرئ مـــنهمُ غايـــة ... ســـعى نحوهـــا ، وتناســـى الحِســـاب

وضـــحّى بـــدينٍ وعـــرضٍ ، ولـــم ... يفكّـــر- ولـــو لحظـــة – فـــي العِقـــاب

وبـــاع الصـــداقة ، لـــم يقتـــرفْ ... وضـــل - علـــى الـــدرب - كـــل الصـــواب

وأنـــت بـــدينك مستمســـكٌ ... تُجابـــه بـــالحق مكـــرَ الـــذئاب

وتُهـــدي العلـــوم لمـــن رامهـــا ... وفـــي الحـــق تعلـــن فصـــل الخطـــاب

وإن كنـــت وحـــدك فـــي فتنـــةٍ ... تـــذيق الحلـــيم لظـــى الارتيـــاب

معلمنـــا: الصـــبرُ بُحبوحـــة ... فبالصـــبر قطعـــاً يهـــون المُصـــاب

وعنـــد المليـــك جميـــلُ الجـــزا ... وإن الجنـــان لـــنعمَ الثـــواب!

فـــإن ضـــاع جهـــدُك عنـــد الـــورى ... فعنـــد المُهـــيمن حســـنُ المـــآب

المودع الكريم

(إنه لمن دواعي سروري أن أنشد هذه القصيدة التي تحمل عنوان: (المودع الكريم) وذلك في حفل الخريجين للعام الدراسي 2012- 2013 م. وأهنئ الطلاب وأولياء أمورهم الكرام ، وبارك الله ربي في مدرستنا الوطنية وفي معلميها جميعاً ، وجعلها قلعة للعلم والتعليم والتربية والأخلاق مدى الأيام.)

ربـــــــاه أنلنـــــــا عزتنـــــــا وامنحنـــــا الحكمـــــة يـــــا مـــــولى

وانفـــــــع بأســـــــاتذةٍ بـــــــذلوا واجعلهـــــم – بالبـــــذل - الأعلـــــى

وأعـــــز الطـــــلاب جميعـــــاً وقِهـــم – فـــي عيشـــهمُ - والجهـــلا

وأعـــــز بهـــــم دينـــــك دومـــــاً ليبيتـــــوا – بجنانـــــك - أولـــــى

كما وأهنئ الأبناء الكرام خريجي الصف التاسع ، وأتمنى لهم مستقبلاً حافلاً بالنجاح والتوفيق. وأعددتُ لهم هذه المرة قصيدة عذبة تناسب تفوّقهم وتتناغم معه ، وكنت قد أنشدتها على مخلع البحر البسيط. ويعود السبب في اختيار هذا البحر أنني استمعت إلى أحد النقاد يقطع بأن قصيدة (مسافر زاده الخيالُ * والعطر والسحر والخيالُ) ، لا يمكن لشاعر أن يُحاكيها اليوم! لا في معانيها ولا في وزنها! فتعجبتُ في نفسي وقلتُ: إن لغتنا العربية لا تزال لغة محفوظة بحفظ الله لها ، عظيمة المعاني والمباني ، تزداد جمالاً واختيالاً على سائر لغات الدنيا. وربما يكون لهذا الصنف من النقاد الحق! لأننا نجد كثيرا من المتشاعرين أو المستشعرين الذين راق للواحد منهم أن يتهم اللغة العربية بالجمود وراح يهاجم العروض والقوافي! يقول الأستاذ علي العبادي عن المستشعرين المعاصرين ما نصه: (إن الكثير ممن يكتبون الشعر في هذه الأيام ، لا يعرفون شيئاً عن الشعر ، سوى أنه كلمات مرصوصة وأبيات مكسورة خالية من المعاني ويجد هؤلاء مع الأسف من يستمع إليهم ، يتبجحون بشعرهم المقزز ، وكأن الشعر الذي تلقيناه عن الشعراء القدامى أو المعاصرين من كبار الشعراء لا يهمهم في شيء. فبحور الشعر وتفاعيله التي بنى العرب عليها أشعارهم ، أمور قد انقرضت وذهبت مع أهلها إلى غير رجعة ، وبعملهم هذا يصرون على جهلهم وتأخرهم وإسفافهم. والشعر العربي فنٌ من أرقى الفنون نفتخر به ، وأول ما يستدعي النظر في الشعر العربي الأصيل ، ترابط أجزائه وصوره الفنية والموسيقى التي تنبعث من أبيات القصيدة ، فتخلب الأسماع. وما كل شعر موزون يخلب الأسماع ، فهناك شعراء يكتبون الشعر في أوزانه المعروفة ، فيأتون به سمجاً بارداً ، ثقيلاً على السمع. وهناك شعراء يكتبون الشعر مقْويّاً ، فتتأذى الأذن منه ، ولا يغْفر لهم النقّاد ما ارتكبوا من خطأ).هـ. وقررت أن أحاكي النص مودعاً أبنائي طلاب المدرسة الوطنية ، فكتبت:)

مُـــــــودّعٌ يصـــــــحبُ الأمـــــــاني وينشـــــــرُ الفـــــــرْحَ والتهـــــــاني

ويبـــــــذلُ الســـــــعدَ مســـــــتعيناً برقـــــــة البشْـــــــر والأغـــــــاني

ويغمـــــــرُ الجمـــــــعَ بالتحايـــــــا تزينهـــــــا لمعـــــــة الجُمـــــــان

مـــــــردّداً رقيـــــــة تُنجّـــــــي مـــــــن الأذى يُـــــــروِّع الأمـــــــاني

مُقـــــــدّماً عـــــــذر مســـــــتكين لســـــــادةٍ أخلصـــــــوا التفـــــــاني

مُشـــــــنفاً أذن مَـــــــن تلقـــــــى بـــــــأحرفٍ غضـــــــةٍ حـــــــواني

ولهجـــــــةٍ عذبـــــــة الســـــــجايا معســـــــولة الوقـــــــع والمعـــــــاني

مُرَطبـــــــاً خـــــــاطراً كســـــــيراً مِـــــــن الـــــــذي كـــــــم يُـــــــرى يُعـــــــاني!

وناصـــــــحاً للـــــــذين حـــــــادوا عـــــــن التســـــــامي مـــــــدى الزمـــــــان

لعـــــــل شـــــــهماً يُجيـــــــب نصـــــــحاً مُعطـــــــرَ الـــــــنص والبيـــــــان

مُـــــــودّعٌ جـــــــاد بالعطايـــــــا ولـــــــم يكـــــــن قـــــــط بالأنـــــــاني

تعلـــــــم الخيـــــــرَ مـــــــن أنـــــــاس رووه للخلـــــــق عـــــــن فـــــــلان

وجانـــــــبَ الهـــــــزلَ والتـــــــردي وفاصـــــــلَ الطـــــــيشَ والغـــــــواني

واســـــــتهجنَ الزيـــــــفَ والتـــــــدني بفعلـــــــه العَـــــــفِ واللســـــــان

وداعيـــــــاً للهُـــــــدى البرايـــــــا مُرَغبـــــــاً فـــــــي ســـــــنا الجنـــــــان

وراضـــــــياً بالمليـــــــك ربـــــــاً مُطبقـــــــاً شِـــــــرعة القـــــــران

مؤديـــــــاً فرضـــــــه بعـــــــزم مستشـــــــعراً فيـــــــهِ بالأمـــــــاني

مســـــــتظهراً نـــــــص كـــــــل علـــــــم إذ لا يـــــــرى الغِـــــــش فـــــــي (اللجـــــــان)

وراســـــــماً بعـــــــده طريقـــــــاً كالفلـــــــك ترنـــــــو إلـــــــى المـــــــواني

مُـــــــودّعٌ يعشـــــــقُ التحّـــــــدي ويـــــــرفضُ العـــــــيشَ فـــــــي الهـــــــوان

مســـــــتقبلاً أمـــــــره شـــــــجاعاً ولـــــــيس - فـــــــي الســـــــعي - بالجبـــــــان

يتـــــــوقُ - للنصـــــــر - مســـــــتميتاً بـــــــالرُمح والســـــــهم والســـــــنان

مُضـــــــحّياً بالـــــــذي لديـــــــهِ حتـــــــى يَحِيـــــــقَ بـــــــالروْى الـــــــدواني

مُـــــــراهنٌ ذا علـــــــى التمـــــــادي وكفـــــــــــه زانهـــــــــا اليمـــــــــاني

وكـــــم ينـــــاغي طيـــــوفَ غيـــــب مُستصـــــــــــحباً دَفقـــــــــة الحنـــــــان

مُحققـــــــاً كـــــــل مـــــــا تمنـــــــى مُحـــــــــــاولاً دائـــــــــمَ المِـــــــــران

ولـــــــو بعيـــــــداً عـــــــن النـــــــدامى والـــــــــدار ، والأهـــــــــل ، والمكـــــــان

يـــــــا رب أحســـــــنْ إليـــــــه دومـــــــاً مـــــــــا قـــــــــد شـــــــــدا رافـــــــعُ الأذان

يـــــــا رب جنبـــــــه كـــــــل ســـــــوءٍ يُعيقـــــــــــه عـــــــــن ذرى الأمـــــــــاني

المتفوقون

(طلب مني الأستاذ / محمد سعد عبد الدايم ، معلم اللغة العربية بعض أبيات تلقى على مسامع جموع الحاضرين والحاضرات ، في حفل تكريم المتفوقين والمتفوقات من طلاب وطالبات (المدرسة الوطنية) بعجمان حيث أعمل فيها معلماً للغة الإنجليزية. واعتذرتُ في بادئ الأمر لأنني لستُ صانع شعر ، أكتب حسب الطلب! وبعد إلحاح من الأستاذ ، وجدتني أشدو بهذه الأبيات لا على سبيل التكلف ، فلستُ من المتكلفين ، وإنما هو مجرد إحساس تجاه الأبناء والبنات من الطلاب المبدعين المتميزين المتفوقين ، حيث إنني أدرس وأعلم بعضهم ، وصدق الأستاذ أبو معاذ وهو يبين أسرار التفوق عندما يقول: (لا مِراء في أن كل شخص علي وجه الأرض يحب النجاح ، كما يحب أن يكون متفوقاً على أقرانه وزملائه فيها. وهذه سُنه الله في خلقه. وليس النجاح فقط في الحصول علي درجات تامة في الاختبارات والحصول علي الشهرة العريضة...الخ. بل إن النجاح الحقيقي هو شعور ذاتي داخلي بتحقيق ما يصبو إليه الإنسان من خير ، وزيادة الثقة بالنفس وتنمية القدرات الذاتية الكامنة. إن أشقى الأشقياء ، وأتعس التعساء هو الذي حرم نفسه من كافه الخيارات المتوفرة له للنجاح في هذه الحياة ، ولا بد من توفر المواهب والإمكانات لتحقيق المزيد من الأحلام والطموحات والآمال الواسعة العريضة. وإن الثروة الذاتية التي حباك الله تعالى بها في شخصيتك ، وعقلك ، وفكرك ، وطاقتك ، ومواهبك الخاصة هي خير رصيد يمكن استغلاله والإفادة منه لتحقيق أعلى مستويات النجاح التي تريدها في حياتك. ولا غرو أن "الثقافة" العامة ، أو التعليم الرصين هو أحد الأرصدة الكبيرة التي يمكن أن تسخّرها للنجاح في الحياة بشكل عام).هـ.)

تفوقـــوا ، وأحـــرزوا العلـــوَ والنجـــاحْ ... وحققـــوا الســـموَ والرقـــيَ والفـــلاحْ

غـــداً تـــرونهم يُجَمِّلـــون عيشـــهم ... ويـــأكلون قـــوتهم بمكســـب مُبـــاح

فـــذا مهنـــدسٌ يُشـــيّدُ الصـــروحَ فـــي ... مِهادنـــا ، ويبعـــث الحيـــاة فـــي البطـــاح

وذا يُعـــالجُ المـــريضَ مِـــن ســـقامه ... بطبـــه وعلمـــه نـــودّعُ الجـــراح

وذاك عـــالمٌ يبلـــغ الـــورى الهُـــدى ... وبيـــنهم يُغلـــبُ القـــرائنَ الصِـــحاح

وذا معلـــمٌ لـــه العلـــومُ زللـــتْ ... وقَلِـــدتْ – بشـــرحه - الجـــواهرَ المِـــلاح

وذاك - فـــي صـــناعة الحيـــاة - جهبـــذ ... ومـــا عليـــه - إن صـــفتْ لغيـــره - جُنـــاح

وذاك - فـــي زراعـــة الثمـــار - مُبـــدعٌ ... ورغـــم غرقـــدِ الظـــروفِ يـــزرعُ الأقـــاح

وذاك الاقتصـــــادُ فنـــــه وشـــــغله ... ورأيُـــه - لحـــلّ مُشـــكلاتنا - صُـــراح

وذاك منشـــــدٌ نشـــــيدُه تـــــرنمٌ ... يُزيـــلُ - مِـــن قلوبنـــا - لـــواعج النـــواح

وذاك قـــــارئٌ يعـــــي كتـــــابَ ربّـــــه ... ويقـــرأ الكتـــابَ فـــي الغـــدوُ والـــرواح

وذاك كاتـــــبٌ لـــــه صـــــدىً وفكـــــرة ... شـــريفة عفيفـــة لهـــا التقـــى وشـــاح

وذاك شـــــاعرٌ قريضـــــه ســـــفينة ... تســـيرُ لا كمـــا تشـــا ، وتشـــتهي الريـــاح

وذا مـــــؤرخ ، وسِـــــفرُه ســـــبائكٌ ... ونصّـــــه مُحقـــــقٌ مُـــــدققٌ بَـــــواح

وذا مناضـــــلٌ يصـــــون مجـــــد أمـــــةٍ ... بروحـــــه ، ولـــــو علـــــى أسِـــــنة الرمـــــاح

وذا محاســـــبٌ مـــــنظمٌ ومنصـــــفٌ ... حســـابُه اســـتمى فلـــيس ينصِـــب القِـــداح

وذاك فـــــارسٌ ، حِصـــــانه طـــــوى الفـــــلا ... ومَـــن سِـــواه ينبـــــري ليكبـــحَ الجمـــاح

وللضـــباح - فـــي النِـــزال - وقعُـــه الـــذي ... يُزلـــزل العِـــدا فمـــن ســـيُخرسُ الضـــباح؟

وذاك رائـــدُ الفضـــاء فـــي الســـما اعتلـــى ... ســـفينة الفضـــاء طـــائراً بـــلا جَنـــاح

وخلـــف كـــل مُبـــدع مُعلـــم مضـــى ... يُضـــاعف الجهـــود حِســـبة ويبعـــث الكفـــاح

ويســـــهرُ الليـــاليَ الحوالـــكَ الـــدجى ... يُحضِّـــر الـــدروسَ مُجهـــداً إلـــى الصـــباح

وشـــــرحُه قلائـــــدُ الجُمـــــان أشـــــرقتْ ... وجـــــده مزخـــــرفٌ برقـــــة المِـــــزاح

وجـــــدّه مشـــــرّفٌ مبـــــاركُ العطـــــا ... يحثنـــــا جميعنـــــا لكيـــــل الامتـــــداح

وعزمُـــــه يقـــــودُه لـــــذروة العُـــــلا ... وبالصـــمود تزدهـــي مطـــامحُ الصـــلاح

وبـــــارك الإلـــــهُ مَـــــن يَدلـــــه ... دلالـــة وفـــي المَضـــا لـــه خُطـــىً فِســـاح

وعِـــزة النفـــوس تشـــحذ المضـــا ... إذ تنشـــدُ الرُقـــيّ فـــي مَـــدارج النجـــاح

علـــى المليـــك لـــن أزكـــيَ الأنـــامَ ، لا ... ومَقصـــدي مِـــن النفـــاق والريـــا قَـــراح

وبـــــارك المليـــــكُ للجميـــــع ســـــعيَهم ... وأســـعدَ الجميـــعَ فـــي جِنانـــه الفِســـاح

المدرسة الثكلى!

(كانت هذه المدرسة سعيدة وهانئة بإدارتها التربوية الحكيمة ، وهيئتها التدريسية المدرّبة المتطورة المخلصة الوفية ، وطلابها وطالباتها. فتخرّج الأجيال ، وقد أهدتها العلم النافع والنصائح الغالية والمنهج القويم الذي يؤهلهم لأن يكونوا مسلمين مؤمنين قائمين بأمر الدين والدنيا معاً. ثم ابتليت هذه المدرسة بإدارة فاشلة لا تجيد من الإدارة أبجديتها ، ولا تواكب التطور ولا تحترم التعليم ولا تعترف بالمعلم ، بل قامت بهدم ما بنته الإدارة السابقة انتصاراً للهوى ليس إلا. وصدق أرسطو إذ يقول محتقراً الظلم والظالمين: (الظلم من طبع النفوس البشرية ، وإنما يصدها عن ذلك أحد علتين: إما علة دينية لخوف معاد ، أو علة دنيوية لخوف سيف). وهذا هو الذي حدث لهذه الإدارة الفاشلة المتغطرسة ، أمنت السيف لثقة من عينها فيها ، وتجرّأت على الله لانعدام الوازع الديني في قلوب أصحابها. ويوماً ما ستندم هذه الإدارة ولا شك ، ذلك أنه مادام هناك ظالم فلا بد من وجود مظلوم ، ومن ينصر المظلوم إذا دعا رافعاً كفيه إلى السماء إلا الذي في السماء الله رب العالمين؟ وللحارث بن أسد المحاسبي كلمة في هذا الشأن نذكرها: (الظالم نادمٌ ، وإن مدحه الناس! والمظلوم سالم ، وإن ذمه الناس ، والقانع غني وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملك). إن على الظالم أن يعلم أن المظلوم يوم يدعو فهو موعود بالنصر من الله تعالى: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين). ويقول ولي الدين يكن الفيلسوف المسلم المحترم: (من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم ، واستبداد النفس على العقل). إنني أسأل كل مدير مدرسة أو أي مدير: ألست تمد يدك آخر الشهر لتتقاضى راتبك؟ والجواب بالطبع: بلى! وأعود فأسأل: ألست ومن تحت يدك من الموظفين أجَراء عند أصحاب العمل؟ والجواب: بلى! إذن لماذا التجاوز ونسيان النفس والبطش بالناس واعتبارهم عبيداً لا كرامة لهم ولا حقوق ولا احترام؟ إن المدير الناجح الموفق هو من يُقِيم إدارته على الحق والعدل والخلق واحترام الآخرين. وليست الإدارة أبداً بتصفية الحسابات على عادة الظالمين. ويوم أن يفترض أي مدير أنه يرزق ويمنع فليُفق إلى رشده وصوابه قبل فوات الأوان ولات ساعة مندم! وبحكم عملي كمدرس للغة الإنجليزية على مدى عقدين ونصف ، تعاملت مع ستة مدراء ، وألفيت الحكمة والعدل في أقلهم. إذ الوظيفة قد تصرف صاحبها عن الحق ، فبدلاً من أن يستخدمها في طاعة الله والتمكين لدينه في الأرض ، إذا به يستخدمها في إذلال الناس من حوله واسترقاقهم ، وكأنهم عبيد عند أبيه قد ورثهم إرثاً! ومن صحيح ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذم الظلم والظالمين ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة). عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتقوا دعوة المظلوم) (وإن كانت من كافر ، فإنه ليس لها حجاب دون الله). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه". وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفره الله: فالشرك ، قال الله: {إن الشرك لظلم عظيم}. وإذن فالظلم ظلمان: ظلم العبد لنفسه وهذا يغفره الله بالاستغفار والتوبة النصوح والندم ولزوم الصالحات! وظلم العبد لغيره من العباد وهذا لا يغفره الله لا بالاستغفار ولا بالندم ولا بالتوبة النصوح! عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أيها الناس اتقوا الظلم ، فإن

الظلم ظلمات يوم القيامة). وعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اثنتان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين". روى مسلم ، في الجامع الصحيح ، عن أبي ذر الغفاري قال: قال النَّبيّ - عليه الصَّلاة والسَّلام - فيما يرويه عن الله عزَّ وجلَّ: (يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا ، فلا تظَّالموا ، يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه ، فاستهدوني أَهْدِكم ، يا عبادي كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه ، فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه ، فاستكسوني أكْسُكُم ، يا عبادي إنَّكم تُخطئون بالليلِ والنَّهارِ ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا ، فاستغفروني أغفرُ لكم ، يا عبادي إنَّكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنْسَكم وجِنَّكم ، كانوا على أتقى قلبِ رجلِ واحدٍ منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخركم وإنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم ، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني ، فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ ، يا عبادي إنَّما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثمَّ أوفِّيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمدِ اللهَ ، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَه). أما المدرسة التي هي موضوع قصيدتنا فليس المهم اسمها ولا وصفها ولا مكانها ولا زمانها. هي مدرسة منكوبة ككل مدرسة تبتلى بمن يسيئ التصرف فيولي عليها إدارة فاشلة جاهلة متغطرسة ، ليس لها من مسمى الادارة إلا التسمي فقط. وهنا تكون الكارثة ويصبح الجاهل عالماً ويمسي العالم جاهلاً ، إذ يوسد الأمر إلى غير أهله. فتخيلت هذه المدرسة إنسانة حزينة دامعة على عزيز غال فقدته فرحتُ أعزيها. وأبكي معها على حالها الماضي السعيد وحالها الحاضر التعيس!)

صغتُ دمعي - يا غادتي - أشعارا ... في مُصاب يستنطقُ الأحجارا

هزني من أعماق نفسي وذاتي ... فانتحبتُ أستهجنُ الدّيَّارا

مُشهراً سيفَ الثأر ممن تحدّى ... أهلَ ودّي ، والصفوة الأخيارا

مُعلناً أني لن أهادنَ وغداً ... فرَّق الجمعَ ، ثم عنا توارى

آخذاً بالثأر انتصاراً لقوم ... عجزوا عن أن يُدركوا ذا الثارا

ذائداً عن حق يُعاني التجني ... جاعلاً إنصافَ النشامى شِعارا

إيه يا ثكلى ، جابهي كل ظلمٍ ... واستجيشي الآهاتِ والأشعارا

وامنحيني مِن ذكرياتكِ قِسطاً ... واذكري عهداً كنتِ فيه منارا

واسرُدي الأحداثَ التي أمتعتنا ... صدّقيني إن قلتُ ليست تُبارى

إن طيف الماضي عزيز علينا ... حيث أمست أنسامُه تِذكارا

مَعقـــلٌ أنـــتِ - للعلـــوم - حصـــينٌ ... مَجـــدُه كـــم يســـتلفتُ الأنظـــارا!

فيـــه – يـــا كـــم - تخرّجـــتْ أجيـــال! ... أكبـــرتْ إســـهاماته إكبـــارا

لـــيس شـــيء كـــالعلم يُعْلـــي البرايـــا ... فـــاز مَـــن - فـــي درب الـــتعلم - ســـارا

واســـألي عـــن صِـــيتٍ وسَـــمتٍ أصـــيل ... واســـتعيدي الأنبـــاءَ والآثـــارا

واســـتميحي التـــاريخ عـــذراً ، كفانـــا ... كـــل شـــهم يســـتظهرُ الأخبـــارا

بـــين شـــتى المـــدارس ازددتِ خيـــراً ... والعلـــومُ تســـتجلبُ الأنـــوارا

مـــا الشـــهاداتُ إن تـــدنى ذووهـــا؟ ... مـــا البيـــوتُ إن عافـــتِ الـــزوّارا؟

إن (عجمـــانَ) قلـــدتكِ التحايـــا ... طيبـــاتٍ جـــادت بهـــن افتخـــارا

أنـــت صـــرحٌ للعلـــم شـــعّ ضـــياءً ... فـــي الـــدياجي يهـــدي جميـــعَ الحيـــارى

وأهـــالي (عجمـــانَ) تُطريـــكِ حُبـــاً ... واحترامـــاً وعـــزة واقتـــدارا

ونبـــوغ الطـــلاب أزكـــى دليـــل ... ولهـــذا نستبشـــرُ استبشـــارا

والمُربّـــون أدركـــوا مـــا علـــيهم ... فأصـــرّوا ، واســـتعذبوا الإصـــرارا

أن يجـــودوا بـــالعلم يســـحقُ جهـــلاً ... ثـــم هـــم منـــه اســـتكثروا اســـتكثارا

والأســـاليبُ - بـــين الأيـــادي - تحـــدّثْ ... كـــل فـــذٍ - فـــي الـــدرس - يهـــوى ابتكـــارا

خبـــرة - فـــي التـــدريس - تشـــمخ زهـــواً ... واطـــلاعٌ يســـتروحُ الأفكـــارا

وانطـــلاقٌ نحـــو الجديـــد احتســـاباً ... بـــاذلين الأمـــوالَ والأســـفارا

قـــانعين بالراتـــب المتـــدني ... حـــافظين العيـــوبَ والأســـرارا

عـــازمين أنْ لا يُخِلـــوا بشـــرطٍ ... بـــل رأوْا فـــي الإخـــلال بالشـــرط عـــارا

بـــاذلين مـــا قلِـــدوا مِـــن ســـجايا ... كـــي يُبيـــدوا الآفـــاتِ والأخطـــارا

قاصـــدين الجبّـــار فـــي كـــل أمـــر ... كيـــف يَخـــزى مَـــن يقصـــدُ الجبـــارا؟

مســـتهينين بـــالبلاءات تـــؤذي ... كـــل شـــهم يرجـــو العُـــلا والفخـــارا

ناصـــحين الطـــلابَ دون مَـــلال ... صـــانعين الأعـــلام والثـــوارا

كلهم يبني - في الصغار - المعالي ... كي يعيشوا - بين الورى - أبرارا

والمُديرُ أخ لهم مستنيرٌ ... إنه - بالعلم الرصين - استنارا

خصّهم - بالإرشاد - في كل حين ... حازماً في إرشاده أمرارا

ثم جاءت إدارة لا تبالي ... بالغت - في تهريجها - استكبارا

كشّرتْ - عن ناب العداوة - عمداً ... ثم هدّتْ - بالترّهات - الدارا

أمعنتْ - بالتغرير - ينشد غِراً ... والأباطيلُ تعجبُ الأغرارا

شمّرتْ - عن ساق التعنت - بطشاً ... والتعدي كم يأسرُ الأشرارا!

ثم أبدتْ حِرصاً يُداريه كيدٌ ... حاملاً سيفاً قاصلاً بتارا

والقرارتُ لا تساوي ترابا ... بل أزاغت - عن شوفها - الأبصارا

واستهانت بالناس دون اكتراثٍ ... واستبدّتْ ، لم تتق القهّارا

واستجارتْ منها الضمائرُ لمّا ... أسفرتْ - عن تضليلها - إسفارا

واستحلتْ عِرض الموحّد جهراً ... يا ترى هودٌ أهلها أم نصارى؟

وأضرّتْ بالناس ظلماً وبغياً ... ثم أمسى أربابُها فجّارا

ضحكوا إذ أنات قوم تعالت ... بل تسلوْا ، واستصحبوا الأكبارا

أي دين هذا؟ وأية ناس؟ ... إنما النفسُ تمقتُ الغدارا

هل مديرٌ مَن قلبه فاض حِقداً ... واختيالاً على الورى ، واغترارا؟

هل مديرٌ مَن يعتلي الزهرَ فلكاً ... مُبحراً - في بحر الهوى - إبحارا؟

هل مديرٌ من يلبث العُجْبَ ثوباً ... وعن التقوى يُغلقُ الأزرارا؟

هل مديرٌ من ليس يرحمُ هلكى ... زادَهم تدريسُ الصغار انكسارا؟

هل مديرٌ من لا يباركُ جهداً ... مِن أناس لاكوا العنا والمَرارا؟

هل مديرٌ من - في التشفي - يغالي ... مُوقداً - فيمن يرتجيه - النارا؟

أيهـــا الخِـــب كـــم كـــذبت علينـــا! أنـــت مـــرذولٌ ، لســـت ترعـــى الـــذمارا

غـــرّك الشـــيطانُ اللعـــينُ طـــويلاً ثـــم يومـــاً تجنـــي الشـــقا والخســـارا

فـــأراك الـــنفسَ الوضـــيعة فضـــلى يشـــتهيها الرجـــالُ قبـــل العـــذارى!

ذات يـــوم تكـــون ـ للـــدود ـ طعمـــاً فـــارحم الـــنفسَ ، واخـــشَ هـــذا الـــدمارا

واســـتمعْ لـــي: إن الإدارة عِلـــمٌ لـــمَ أنهيـــت الملتقـــى والحـــوارا؟

اكســـب النـــاسَ ، لا تكـــن مســـتغلاً إنمـــا الاســـتغلالُ يزجـــي البـــوارا

لـــم تـــدم للغيـــر الإدارة ، فاعقـــلْ! مـــا استشـــيروا ، لـــم يُســـألوا الاختيـــارا

منصـــبٌ أضـــحى مِحنـــة وابـــتلاءً والســـعيدُ مَـــن جـــاوز الإختبـــارا

كـــم نصـــحتُ ، والغِـــر لـــم يســـتمع لـــي رغـــم أنـــي ناصـــحته إســـرارا

والضـــحايا توليـــه حِنقـــاً وغيظـــاً لـــيس هـــذا يريـــد أن يُستشـــارا

تســـتجيرُ مِـــن شـــر عبـــدٍ مُبيـــر والمليـــكُ أولـــى بـــأن يُســـتجارا

رب ســـلمْ ممـــن تجنـــوْا علينـــا دون حـــق ، وألحقـــوا الأضـــرارا

واغفـــر الـــذنبَ ، نحـــن أهـــل المعاصـــي فـــاز عبـــدٌ يســـتغفرُ الغفـــارا

كـــم وقعنـــا فـــي عِـــرض مَـــن ظلمونـــا فطفقنـــا نســـترحمُ الســـتارا

وانتصِـــرْ للمظلـــوم ، يـــا رب واثـــأرْ إن فينـــا ـ لشـــرعِكِ ـ الأنصـــارا

المدرسة الوطنية

(ليس من عادتي أبداً التكلف في الكتابة والتصنع في صياغة الشعر! وإن كانت هذه عادة وسمت الشعراء في القديم والحديث ، إلا أنني لست من هذه النوعية التي تصوغ الشعر أنى شاءت وأينما شاءت وبأي كلمات شاءت وبأي إيقاعات شاءت! بل الشعر عندي شعور وإحساس وعاطفة تتحرك في خلجات النفس ، ثم تخرج في صورة ألفاظ وكلمات لها أوزان وقوافٍ بطريقة معينة! وكما يقول الشاعر الفلسطيني أحمد الحاج أحمد في وصف الشعر: (إن الشعر لا يكون إلا في الوجود اللغوي ، وهو فعل تعبيري لغوي ، أما في الوجود العياني فيكون شعوراً ، لكن بوسعنا القول: إنه يبدأ شعوراً خالصاً ، يسعى إلى الإفصاح والكشف عن نفسه ، فيتحول إلى القول والرمز المتفق عليه ، ليصبح فعلاً لغوياً مؤسساً على الفعل العياني. ولما كان الفعلان منتوجين لفعل السياق ، فإن الشعر يبدأ في السياق الكوني وينتهي ويضيع فيه. والشاعر ينتج شعراً منسجماً مع النظام اللغوي التعبيري ، ولا يخرج عنه إلا في محطات التغيير المتباعدة زمنياً. لذا لن ألتفت إلى الشكل وتقنياته بوصفه معياراً يحدد شعرية النص ، فهذا أمر متغير كما دلّ تاريخ التعبير الشعري ، وسوف أنسب هذا المتغير إلى التقويم الاجتماعي ومعايير الإجادة المتغيرة أيضاً).هـ. ولمّا طلب مني الأستاذ أبو بكر سليمان معلم اللغة العربية بالمدرسة الوطنية بعجمان عام 2009م أن أصُوغ نشيداً للمدرسة الوطنية التي أعمل فيها معه ، أنشدتُه استجابة لأبي بكر فهو أخ عزيز!)

إن المدرسة الوطنية ... تنبضُ تعليماً وحمية

وتربّي النشأ ، وترشده ... ليُصحّح - بالصدق - النية

ويُعيد الأمجاد طواها ... جوفُ الصفحات المَطوية

ولينشر في الدنيا عِلماً ... يبعث - في الناس - الحيوية

(عجمانُ) تحيّي صفوتها ... أصحابَ الأخلاق الحية

هيئة تدريس صالحة ... تعطي - للمهنة - قدسية

مازالت تمنحُ طلبتها ... قِيماً - بالتقوى - مطلبه

وفقها الله ، وأيّدها ... عاشت راضية مرضية

وأعز الشيخة (فاطمة) ... تلك الهادية المَهدية

راعية العلم ومَن علموا ... بهباتٍ ليستْ مَنسية

حملٌ بين الذؤبان
(الأستاذ عبد الكريم)

(إنه ليُفترض فيمن يُدير مؤسسة أو مصنعاً أو منشأة أن يكون حكيماً واعياً. وتزداد حِكمته ووَعيه إن كان يدير مدرسة! كما يجب عليه أنْ لا يغلّب جانب الأهواء والانتصار لحظ النفس طرفة عين. وإنه عندما تكون المسألة خاصة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف تصبح أكثر حساسية وعُمقاً. وواقعتنا هذه المُرة تتناول مُعَلماً أراد أن يُصلح فأفسد جزئياً. حيث إنه خيّر طلابه في إحدى الحصص الفراغية بين أن يسألوه فيجيب على أسئلتهم أو يسألهم هو فيجيبون عن أسئلته! فاختاروا أن يسألوه. وبما أنهم في الصف التاسع فقد جاوزوا الحُلم وجرى عليهمُ القلم. فكان المعلم صريحاً معهم في مسائل تتعلق بالزواج وممارسات المراهقة مستغلاً في ذلك تعطشهم للمعرفة ، ولم يكن يدري أنهم خبثاءُ الطوايا وفاسدو النوايا. وإنما سألوه ليُوقعوه في شِراك قد نصبوها وفخاخ قد أعدّوها ونيران قد أضرموها! بينما راح الأستاذ ينفتح معهم شيئاً فشيئاً حتى أسفوا الحديث فجاراهم في هذا الإسفاف ولم يزجرهم ، بل استمر الأمر على ذلك إلى أن تم لهم ما أرادوا. وانقلب للمعلم ظهرُ المِجَن ، ولم يشفعْ له 32 دقيقة كان قد التزم فيها بالآية والحديث والحكمة ، وكأنه لم يكن في الحصة إلا الدقائق الخمس الأخيرة التي فيها الإسفاف. وبدلاً من أن يدافع المدير عن معلمه ويبين حسن نيته ، فتح النار على نفسه وعلى المعلم وعلى المدرسة وعلى الطلاب! فنجا الجميع واحترق المعلم في أتون الفتنة الضارية التي أوقد نارها وأضرم سعيرها حمقُ مدير الغفلة! فشكا المعلم أمره إلى الله تعالى ، وفوّض أمرَه إليه. وتم إنهاء عقد المعلم من أجل إرضاءً لوالد أحد الطلاب الذي كان من أجهل الناس ، ولا أكون مبالغاً إن قلت: كان أجهل من الدواب ، حيث إنه جمع بين الأمر ونقيضه! إذ كيف لأستاذ في الجامعة أن يكون بهذا التفكير وبهذه الانتقامية الغبية! ولقد كنتُ حاضراً وجادلته فألفيته لا يصلح أن يرعى تيوساً في مزرعة فضلاً عن يُعلم أبناء في الجامعة! ولكنه استغل الموقف أسوأ استغلال ، ولم يتريث في الأمور. فكان المعلم بين ذؤبان لا ترحم: طلاب أوقعوه واستدرجوه ، وإدارة غير حكيمة أدانته زوراً وبُهتاناً ، ووالد أحد الطلاب هدده وتوعده ، إضافة إلى بعض أولياء أمور طلاب تشفوا بالإنابة وحاربوا المعلم بالوكالة! وأشهد بالله أن هذا المعلم مظلوم ولا شك! وأسأل الله أن يُعوّضه وينتقم ممن ظلموه عاجلاً غير آجل! إنّ كل ظالم له نهاية وله حساب! أما المظلوم فلو تأمل في موعود الله: (لأنصرنك ولو بعد حين) لهدأت نفسه ، وانبسط خاطره ، وانشرح صدره ؛ وانفتحت أساريره ، لأن الله تعالى لن يُضيعه ، ولو توجّه إلى الله شاكياً فسينتقم له من ظالمه ولو بعد حين: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). هكذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ بن جبل: (...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). [متفق عليه]. وليُعلم أن المظلوم دعوته مستجابة! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده". (حسّنه الألباني). وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحْمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب: لأنصرنك ولو بعد حين) ، [أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني]. ورواية أخرى للحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ). رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ -: (ثَلاَثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ). رواه الترمذي. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ). رواه أحمد. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ). رواه أحمد. وروى ابن المبارك عن رياح بن عبيدة ، قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ، فقال عمر: مهلاً يا رياح! إنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضلُ عليه! وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ). رواه البخاري. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار}. [رواه مسلم]. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه! قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: {أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} وهو ظالم. ودعوة المظلوم تصعد إلى السماء كالشرار: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار" [صححه الألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً: فعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال:" دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه". [أخرجه أحمد وغيره ، وحسنه ابن حجر والألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كان كَافِراً فإنه ليس دُونَهَا حِجَابٌ". (صححه الألباني). ومن هنا يجب الحذر من دعوة المظلوم ، فإنها وصية النبي لأصحابه - وهم أبعد الناس عن الظلم -: (يا معاذ...واتق دعوة المظلوم). [متفق عليه]. (يا علي اتق دعوة المظلوم...). [أخرجه ابن حبان بإسناد حسن]. "ولنتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويّهم على ضعيفهم ، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه ، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء ، وهذه سُنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويُعيدها كما بدأها" (ابن القيم). واحذر عداوةَ مَن ينام وطرْفه باكٍ يقلب وجهه في السماء يرمي سهاماً ما لها غرضٌ سوى الأحشاء منك..." (ابن القيم). ومن هنا تأثرتْ بالموقف ، وشرعتُ في الكتابة عنه! ووقع تفكيري وأنا أحاول أن أتخيل كيف أبدأ وعلى أي بحر وعلى أي قافية! واستقرّ الرأي على محاكاة شوقي في انتصاره للمعلم! ذلك أنني أحاول هنا أن أبيّن الحق ، وأكشف عَوار إدارة لا تستحيي بالمرة ، وأدافع عن المعلم اليوم كما دافع عنه شوقي بالأمس في ثلاثينيات القرن المنصرم! ولشوقي الفضل بعد الله ، ولي شرف المحاولة والمعارضة ، وأجري على الله. هذا ولقد أيدت رؤية شوقي وتبنيتها في قصيدة: (جاز المعلم وفه التبجيلا!) 111 بيتاً! وتأتي قصيدتنا: (حمل بين الذؤبان) لمناسبةٍ خاصةٍ عندما كانت هذه التمثيلية المكشوفة والمؤامرة الدنيئة والمسرحية الهزلية التي حِيكت للأستاذ الحبيب عبد الكريم علي رجب أحد كرام أهل (ظفر) في مدرسته التي جمعتنا معاً في دار غربتنا! ولما كانت الإدارة ضعيفة هشة مهترئة

حاقدة جاهلة سفيهة تم للآباء والأمهات المغرضين ما أرادوا! والأصل أن يقوم تحقيق عادل ومنصف يستهدف بيان الحق! أما أن يتحكم الآباء والأمهات في القضايا المصيرية للمدرسة فهذا طيش ونزق يتورع عنه أي مدير يفقه ألف باء الإدارة! وعموماً مثل هذه النوع من الإدارات لا يعمر طويلاً! لأن تغول الآباء والأمهات سوف يلحقه ويزاحمه ويقصيه عن منصبه يوماً ما! عندما تحمستُ للأستاذ عبد الكريم كانت هذه القصيدة ترجمة لهذا الحماس! وأسأل الله أن يجند قلمنا للحق ويؤيده بالحق!)

اهـــجُ المعلـــمَ كـــي يُـــرى مَـــذلولا ... واضـــربْ دُفوفـــك ، واســـبكِ التطبـــيلا

أضـــحى المعلـــم مُســـخة لخُثالـــةٍ ... هـــي فـــي احتبـــاك الإفـــكِ أكـــذبُ قِـــيلا

ولقـــد تزيـــد علـــى الكُذيبـــة كِذبـــة ... والكِـــذبُ أخبـــثَ عـــادة ومُيـــولا

هـــان المعلـــمُ فـــي زمـــان جهالـــةٍ ... فمضـــى يُصـــارعُ مُغرضـــاً وجهـــولا؟

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف ســـاءت حالـــه ... حتـــى بكـــى دَوْراً لـــه مغفـــولا؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف كابـــد ثاويـــاً ... فـــي النـــاس يـــدأبُ لاهثـــاً ومُجـــيلا؟

بـــين التلاميـــذ الألـــى لـــم يرحمـــوا ... حـــال المعلـــم مُـــذ غـــدا مَـــذلولا

وإدارة لمّـــــا تـــــؤدِ حُقوقـــــه ... كـــلا ، ولـــم تجـــز الجميـــلَ جَمـــيلا

فـــي حِصـــةٍ تاهـــت معـــالمُ دَربهـــا ... ولكـــل مَـــن حضـــروا بصـــائرُ حُـــولى

لـــم تتخـــذ لغـــة الحـــوار سَـــجيّة ... بـــل كـــل غِـــر أشـــهر التـــدجيلا

مِـــن كـــل تلميـــذٍ بضـــاعته الهـــوى ... فـــي الكيـــد أشـــهرَ حُمقـــه الضِـــليلا

وتعقبـــوا الأســـتاذ فـــي أقوالـــه ... كـــلٌ يُحَضـــر – فـــي المتاهـــة - سُـــولا

خبثـــتْ نوايـــاهم ، وأخفـــق ســـعيُهم ... إذ بيّتـــوا – عنـــد الجـــدال - ذحـــولا

نصـــبوا الشِـــباك ، ولـــم يُراعـــوا حُرمـــة ... والمكـــرُ أمســـى فاضـــحاً مَـــرذولا

وتظـــاهروا بـــالعلم يُضـــفي هالـــة ... قدســـية تســـتعجلُ المجهـــولا

أمـــا المعلـــم فـــانبرى لجـــدالهم ... وتـــلا – علـــى طلابـــه - التنـــزيلا

ســـاق الأدلـــة مثـــل شـــمس أشـــرقتْ ... ويحـــوز سَـــبقاً مَـــن يســـوق دلـــيلا

ومضـــى يـــزوّدُهم بـــوافر عِلمـــه ... ويُزيـــلُ – بعـــد بيانـــه - التجهـــيلا

مـــا انفـــك يُثـــري بعـــضَ معلومـــاتهم ... ليكـــون إثـــراءُ الخبيـــر بـــديلا

لـــم يـــألُ جهـــداً فـــي النصـــيحة ســـاقها ... حتـــى ترشّـــد أنفســـاً وعُقـــولا

هـــو مـــا أراد ســـوى البيـــان لســـائل ... كـــيلا ينـــاظر لا هثـــاً ومُجـــيلا

هـــو مـــا أراد ســـوى التبسّـــط مازحـــاً ... بعبـــارةٍ مـــا جُمّلـــتْ تجمـــيلا

حـــوتِ النكـــاتِ لكـــي تســـليَ خـــاطراً ... وتفيـــدَ مُعتكِـــرَ المِـــزاج جَهـــولا

لـــم يَـــذْر أن الدارســـين ثعالـــبٌ ... إذ أشـــعلوا – للعائـــدات - فتـــيلا

مكـــروا بأســـتاذٍ تعمّـــد نصـــحَهم ... واســـتدرجوه ، ونـــاولوه وُحـــولا

فانســـاق يَحسِـــبُهم ضـــحايا بيئـــةٍ ... عـــدلتْ عـــن الحـــق المبـــين عُـــدولا

فرمـــى بـــدلو فـــي النقـــاش علـــى المَـــلا ... ليكـــون مـــا هـــم أمّلـــوا تـــأميلا

نصـــبوا الشِـــباك ، فعرقلـــوا أســـتاذهم ... فاحتـــار فـــي أفعـــالهم مَـــذهولا

هـــو مـــا توقـــع أنهـــم خـــدمُ العِـــدا ... وكبيـــرُهم أمســـى الفتـــى المَـــرذولا

بـــك يـــا (ابـــنَ طرشـــان) غزتنـــا فتنـــة ... وأبـــوك عنهـــا أصـــبحَ المَســـؤولا

والنـــذلُ (أرشـــد) والشـــقية أمـــه ... إذ أوّلا مـــا قلتـــه تـــأويلا

طعنـــاك عـــن قصـــدٍ بأخبـــثِ خنجـــر ... و(الـــدلو) مـــدّ يـــد الوشـــاية طـــولى

و(عـــلاءُ) جـــاملهم ليخـــرج ســـالماً ... عجبـــاً لنـــذل يُـــتقنُ التمثـــيلا

بـــئس الإدارة أســـندت لحفالـــةٍ ... مَـــردتْ علـــى حبْـــك الخـــداع طـــويلا!

فغـــدا المعلـــمُ بـــين أخبـــثِ جَوقـــةٍ ... لـــم تتبـــعْ هـــدي الرســـول ســـبيلا

أفتـــتْ بـــلا علـــم ، وضـــلتْ ، واعتـــدتْ ... ويـــدُ التجـــاوز فـــي التخـــرّص طـــولى

وتوشّـــحتْ بالشـــائعات فلـــم تجـــدْ ... للمُعضـــلات المُوبقـــات حُلـــولا

بـــين الـــذئاب غـــدوت يـــا (عبـــد الكريـــ ... ـــم) تشـــفياً ، وتُـــرى عـــدمتَ بـــديلا

ظلمـــوك إذ أخـــذوا القـــرارَ تعنتـــاً ... وشـــفى كبيـــرُ المعتـــدين غلـــيلا

وانصـــــاعَ للتهديـــــد ينصـــــرُ بـــــاطلاً بنذالـــةٍ ، هـــي - فـــي القيـــاس - الأولـــى

لـــم يســـأل الشـــهداء ، لـــم يَســـتفتهم لمّـــا يســـلْ أهـــل المَشـــاهد سُـــولا

لـــم يتخـــذ لغـــة التفـــاهم مَنهجـــاً حتـــى يُحَصّـــلَ حقـــه تحصـــيلا

لمّـــا يكـــنْ فيمـــا أراد مُوفقـــاً إذ غلّـــبَ التســـفيه والتجهـــيلا

(عبـــدَ الكـــريم) رحلـــت تســـبقك المُنـــى وعســـى تحقـــق – فـــي الـــدنا - المَـــأمولا

ورعـــاك ربُ النـــاس خيـــرَ رعايـــةٍ وجـــزاك خيـــراً يـــا صـــديقُ جـــزيلا

حامل المِسك

(اعتاد أن يشفع أجرَ كل حصةٍ لأبنائه بقِنينة عطر. الأمرُ الذي لم نعتد عليه من أغلب أولياء الأمور الذين نصل لنصف حقنا منهم بالكاد. وأردةُ أن أرد تحية المسك شِعراً ، واحترتُ فيم أكتب؟ هل في جمال التصرف أم في عذوبة العطر أم في أناقة القِنينة؟ ولي حق في حيرتي ، لأنه اعتاد أن ينتقي العطور النادرة التي لا نجدها في السوق! وعلمتُ ذلك عندما انتهت الحصص ، وأردتُ شراء الأنواع ذاتها فلم أجد! وعلمت أنه كان يخلط العطور ويُهَجّنها مما جعلها نادرة! لذا استقرّ الرأي على جعل حامل المسك على حدّ تعبير النبي – صلى الله عليه وسلم – في تشبيه الجليس الصالح ، أو باذل العطر على حدّ تعبيري كمعلم اعتاد أن يأخذ الأجر مشفوعاً بالعطر من الرجل! واستقرّ الرأي على جعله مثلاً يُقتدى به وأسوة يُحتذي بها في الناس. وخاصة مَن يأكلون حقوق المعلم أو يُماطلون في الدفع. أقول: مادام المعلمُ قد بذل وأعطى ، فلينل حقه بكل أريحية ورضا! وتلك قيم إسلامية غابت للأسف عن عالمنا! وحول ترسيخ مفهوم القيم الإسلامية الأصيلة ووصف السبيل لإعادتها واقعاً يتجسد يقول الأستاذ سعد عبد الله الحميد وتحت عنوان: (قيم إسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ما نصه: (إن الإسلام دينٌ شامل لكل مجالات الحياة ، ودين صالح لكل زمان ومكان ، ولم يكتسب ديننا الحنيف هاتين الصفتين الرئيسيتين ، إلا بسبب وجود المرونة بين ما هو ثابت في هذا الدين ، وما هو متغير بتغير الأحوال والأزمان ، وبسبب وجود ما هو كليات عامة ، وضعها القرآن والسنة في تعاملات معينة في مجال من المجالات ، وبين دقائق وتفصيلات دقيقة لمجال آخر. لقد شرع الإسلام من الشعائر التعبدية ما يطهِّر روح الفرد وروح الجماعة المسلمة ، ومن التشريعات الاجتماعية ما ينظم روابط المجتمع ، ويشد بنيانه ، ويقعِّد القواعد للعَلاقات بين أفراده ومن التشريعات الدولية ما ينظم علاقة دولة الإسلام بغيرها من الأمم إلى جانب التشريعات التي تحلل وتحرِّم ألوانًا من المآكل والمشارب ، والمعاملات والأنكحة ، أو ألوانًا من المسالك والأعمال ، ورغَّب بالعلم وفضَّل العلماء على غيرهم ، ولم يحارب اختراعًا نافعًا ، أو وسيلة مفيدة ، فهو منهج حياة شامل متفرد ، أودع الله فيه من الأحكام والأصول والخصائص ما يكفل السعادة والطمأنينة والحياة الطيبة للفرد وللأسرة وللمجتمع وللعالم كله ، لو التزم الناس بمنهجه واهتدَوا بهُدَاه. لا شك أن التصور الذي يحمله الإنسان، ونظام القيم الذي يرتبط به يترك أثره في سلوكه سلبًا أو إيجابًا ، وينعكس ذلك الأثر - بطبيعة الحال - على سير المجتمع وبناء الحضارة برمته ، وللقيم الإسلامية آثار في بناء الشخصية وبناء المجتمع ، وأول هذه الآثار هو تقوية صلة الإنسان المسلم بالله - عز وجل - إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن ، في كل حركاته وسكناته فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقارًا ، ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه يستشعر الخشية والخوف منه ، في نفس الوقت الذي يتوجه إليه بالرجاء ، كما تبدو أهمية القيم الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع واضحة ؛ لأنها تمثل ركنًا أساسيًّا في تكوين العلاقات بين الناس ، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم ، إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافًا تنظم سلوك الفرد والجماعة).هـ. وعلى كلام الأستاذ سعد الحميد يمكن لهذه القيم أن تعود للواقع! وشكر المعلم من شكر الله تعالى! وهذه ثقافة يجب أن نتحلى بها: أن نشكر للمعلم! وتحت عنوان: (شكر الناس) يقول الدكتور خالد النجار ما نصه: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: (مَن لا يَشكُر الناس، لا يَشكُر الله). كم فرَّقتنا النَّعرات المُنتِنة ، وجمَّعنا الإسلام ، وكم وعَدُونا في ظلّ الليبرالية والقوميَّة والبعثيَّة والعَلمانية ، بالرخاء والوَحدة ، والأمن والاستقرار والرِّفعة ، فإذا الأمر سَرابٌ محض ، وإذا التجربة المريرة تُثبِت أنَّهم شتَّتونا أكثرَ ممَّا جمَّعونا ، وأخَافونا أكثرَ ممَّا أمَّنونا ، وأذلُّونا أكثرَ ممَّا أعزُّونا ، وإذا قول الله الحق يَعلُو

على كلِّ هذا الرُّكام ، وإذا خير الهَدي هَدي خير الأنام ، وأَعطر التاريخ تاريخ السلف الكرام ، وإذا بصوت الضمير يقول: حين شقائي حين جهِلتُ طريق إلهي ، حين تَركتُ سيرةَ أَجدادي وآبائي ، حين تَصوَّرت الدنيا حِسِّي وغذائي وكسائي. (مَن لا يَشكُر الناسَ ، لا يَشكُر الله) ، قال القاضي: "وهذا إمَّا لأنَّ شكْره تعالى ، إنَّما يَتمُّ بمطاوعته وامتثال أمره وأنَّ ممَّا أمَر به شُكْر الناس الذين هم وسائط في إيصال نِعَم الله إليه ، فمن لم يُطاوعه فيه لم يكن مُؤدِّيًا شكْر نِعَمه ، أو لأنَّ مَن أخَلَّ بشكْر من أَسدى نِعمة من الناس ، مع ما يرى من حرْصه على حبِّ الثناء والشكر على النَّعماء ، وتأذِّيه بالإعراض والكُفران - كان أوْلَى بأنْ يَتهاون في شكْر من يَستوي عنده الشكْر والكفران". وفي رواية لهذا الحديث: (أَشْكرُ الناس لله ، أَشكرُهم للناس). قال المناوي: "أشكرُ الناس لله تعالى أي: مِن أكثرهم شكرًا له ، (أشكرهم للناس) ؛ لأنَّه - سبحانه - جعَل للنِّعم وسائطَ منهم ، وأوجَب شكْرَ من جعَله سببًا لإفاضتها كالأنبياء والصحابة والعلماء ، فزيادة العبد في شكرهم ، زيادة في شكْر ربِّه ؛ إذ هو المُنعِم في الحقيقة ، فشكْرهم شكْره ، ونِعَم الله منها بغير واسِطة كأصلِ خِلقته ، ومنها بواسطة ، وهي ما على أيدي الناس ، فتَتقيَّد بشكْرِهم ومكافأتِهم ؛ ففي الحقيقة قد شَكَر المُنعِم بإيجاد أصل النعمة ، ثم بتسخير الوسائط).هـ.)

يـــا حامـــلَ المِســـك عنـــا مِســـكك ارتحـــلا ... والجســـمُ حَـــنّ لـــه ، والثـــوبُ عنـــه خـــلا

وحِـــرتُ بـــين حوانيـــتٍ بـــه امـــتلأتْ ... فلـــم أجـــدْه ، فهـــل عـــافَ الحِمـــى وقـــلا؟

أم أن صـــــانعه أولاك بـــــالبيع لـــــم ... يقصـــدْ ســـواك ، وعـــن عطـــا الهُـــواة ســـلا؟

الجـــودُ بـــالعطر يُغـــري أنـــفَ عاشـــقه ... وللشـــذى عَبـــقٌ – للمُشـــتهين - حَـــلا

مازلـــت تُتحفنـــا بالأعطيـــات سَـــمتْ ... وذِكرُهـــا يبعـــث التـــوقيرَ والأمـــلا

سَـــننت سُـــنة النفـــوسُ تعشـــقها ... وســـوف تُصـــبحُ - فـــي حياتنـــا - مـــثلا

واختـــرت قِنينـــة تختـــالُ مائســـة ... ويـــحَ الـــدلال قـــلا المَـــلالَ والخـــزلا!

والغلـــقُ أحكِـــمَ ، والأناقـــة اجتمعـــتْ ... والشـــكلُ يســـبي النهـــى يُـــودي بمـــن عقـــلا

لـــولا الحيـــاءُ طلبنـــا منـــك ثالثـــة ... لكـــنّ عِـــزة نفســـي تعشـــقُ الخجـــلا

والعطـــرُ فـــاق عطـــورَ الأرض قاطبـــة ... هـــي النفـــافُ ، وهـــذا أصـــبحَ الهَلـــلا

وكنـــتُ أعطِيـــتُ مَـــن حـــولي ليـــدّهنوا ... والكـــل أثنـــى ، وفـــي أمداحـــه ارتجـــلا

يـــا ليـــت كـــل ذوي الطـــلاب يتخـــذو ... ن الجُـــودَ قاعـــدة ، إنـــي اكتفيـــتُ بـــلا!

متـــى يُحسّـــون بـــالمجهود نبذلـــه ... حتـــى يكفـــوا الأذى والشـــحّ والجَـــدلا

يـــؤخرون عـــن الأســـتاذ أجْرتـــه ... كأنـــه لـــم يكـــن يومـــاً بهـــا عمـــلا

والـــــبعضُ ينكرُهـــــا عمـــــداً ليأكلهـــــا ... لا طـــابَ للســـارق المُحتـــال مـــا أكـــلا!

أيســـــتحل حرامـــــاً نهبُـــــهُ جُـــــرُمٌ؟ ... هـــل ابتغـــى - بـــالحلال الطيّـــب - البَـــدَلا؟

أمســـى المعلـــم مهضـــومَ الحقـــوق بمـــا ... يـــأتون مِـــن حِيَـــل تســـتوجب الـــزعلا

ألـــم يُـــدَرّسْ – بـــإخلاص - مناهجـــه ... مـــن بعـــد مـــا اســـتبعد الخمـــولَ والكســـلا؟

ألـــم يُنـــقّ - مِـــن الإرجـــاف - حِصّـــته ... كـــي يمحـــوَ العجـــز والتهويـــلَ والفشـــلا؟!

ألـــم يقـــدّم - إلـــى الأولاد - مـــا جهلـــوا؟ ... أكـــان يفعـــل هـــذا الشـــئ إن جهـــلا؟

ألـــم يُعِـــنهم علـــى عـــويص مســـألةٍ ... حتـــى رأوْا حَلهـــا - فـــي لحظـــةٍ - سَـــهُلا؟

ألـــم يكـــن ناصـــحاً طابـــت نصـــائحُه ... بهـــا أزاحَ الأذى ، والشـــيْن ، والخلـــلا؟

ألـــم يكـــن ناشـــراً أحلـــى بضـــاعته ... بـــالعلم - عـــن زهـــرة الحيـــاة - قـــد شُـــغلا؟

ألـــم يواظـــبْ - علـــى الـــدروس - مُحتســـباً؟ ... أم كـــان - بـــاللهو عبـــرَ الـــدرس - مُحـــتفلا؟

ألـــم يُفـــدْهم بمـــا أمـــلاه مِـــن زبـــدٍ ... والعَـــرض أذهـــبَ ضـــيقَ الـــنفس والمَلـــلا؟

ألـــم يُعِـــرْهم - مـــن العلـــوم - أشـــرفها ... حتـــى غـــدا جمعُهـــم - بـــالعِلم - مُشـــتملا؟

ولـــم يضـــنّ علـــى شِـــبل بعارفـــةٍ ... وإن يكـــن خطـــأ ، واللهِ مـــا انفعـــلا!

بـــل عـــالجَ الأمـــرَ مُنصـــاعاً لحِكمتـــه ... والرُشـــدُ عمـــا ارتـــأى الأســـتاذ مـــا ارتحـــلا

أبعـــد هـــذا تعوقـــون انطلاقتـــه ... بهضْـــم حـــق علـــى أيـــديكمُ سُـــحِلا؟

مِـــن حامـــل المِســـك هيـــا اســـتلهموا عِبـــراً ... ولا تحيكـــوا لنـــا الأســـبابَ والعِلـــلا

أعطـــاكمُ الله رزقـــاً واســـعاً غـــدِقاً ... وذا المعلـــم - بـــالتعليم - مـــا بخـــلا

فنـــاولوه حُقوقـــاً تُســـتحَقّ لـــه ... ســـيُخلف الله دينـــاراً - لـــه - بُـــذِلا!

حييِّ المعلم ، جازه التبجيلا!

(في تاريخ الأدب العربي ألقابٌ ومُسمّيات أُطْلِقَتْ على بعض مجموعات من القصائد الشعرية تعلقت بالحال ، أو المكانِ ، أو الزمان ، أو المناسبة ، أو الحدث. ففي العصر الجاهلي كانت المعلقات ، والطوْليات والحَوْليات ، والاعتذاريات. وفي العصر الأموي النقائض والهاشميات والنزاريات. وفي العصر العباسي كانت السيفيات والروميات والكافوريات واللزوميات. وفي العصر الذي سمي بعصر الدول كانت الثغريات ، وأيضًا الحِطينيات والقدسيات. وفي عصرنا الحديث كانت النوادر من بعض الشعراء سواء في جمال القصيدة أو طولها أو أهميتها أو صداها. مما حدا بكثير من الشعراء الآخرين أن يعارضوها ، أو ينسجوا على منوالها. ومن ذلك قصيدة الشاعر أحمد شوقي: (قم للمعلم) تلك التي كان لها صدىً كبير في زمانها وفي وقتنا الحاضر. ولعل مقدمة هذه القصيدة لا تتسع لمناقشة حال المعلم في الماضي والحاضر! إن آيات العلم في الكتاب العزيز تجاوزت الثمانمائة آية ، هذا فضلاً عن الآيات التي شملت الدعوة إلى العلم وإن لم تستعمل لفظه مثل مادة عرف وبان ورأى وغيرها ، وهي في أكثرها تعني العلم بأنواعه وفروعه من تكريم له وتمجيد لفضله وحض على اقتناصه وتكريم لأهله وتعظيم لعلم الله سبحانه خالق كل شيء. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وَيُرْوَى عَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لا يَعْلَمَ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأَنِيسُ في الوَحْدةِ ، والصاحِبُ في الخَلْوَةِ ، والدّلِيل على الدِّين ، والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والوَزِيرُ عِندَ الأخِلاء ، والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ ، وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَامًا ، فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً هُدَاةً ، يُقْتَدَى بهم ، أَدِلّةً لِلْخَيرِ ، تُقْتَفَى آثارُهمْ ، وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ ، وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفِرُ ، حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ ، وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ ، والسَّماءُ وَنُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ الظُلَمِ ، وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنَازلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام ، به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ ، وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُعداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ)هـ. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس. ومن احترام المعلم أن: تبدأه بالسلام والتلطف في مناداته وعدم رفع الصوت عليه وتبجيله والإنصات إليه. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال ولا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ، مادام يحفظ أمر الله ، ولا تجلسن أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إليها. وقال أبو معاوية الضرير: استدعاني الرشيد إليه ليسمع مني الحديث ، فما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم على سيّدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يديّ ، فصب الماء عليّ وأنا لا أراه ، ثم قال يا أبا معاوية: أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصب عليك أميرُ المؤمنين. قال: أبو معاوية فدعوت له. فقال: إنما أردت تعظيم العلم. كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب

ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد ، وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة. ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين! قال: بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه ولياً عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة! فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة ، فاعتذر الكسائي ، فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ، ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). وسئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية. ومن علمني حرفاً صرت له عبداً. فاحترام المعلم دليل على حسن التربية وأصالة الخلق الطيب. ألا وإن أعظم طرق الجنة: العبادة والجهاد والدعوة إلى الله. وجماعها العلم. فإن تعلمه جهاد. وتعليمه دعوة. والمرء فيما بين التعلم والتعليم متعبدٌ لله. ثم إنه لا يكون جهاد إلا بعلم. لا بالسيف ولا بالقلم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين. فخاطبه بالنبوة إذِ النبوةُ أعلى درجات العلم. وكذلك الدعوة. لا تكون إلا بعلم. ولا تكون إلا على علم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة. فمن لا يعلم ، كيف يدعو؟! بل إلى أي شيء يدعو؟! والعبادة لا تختلف عن ذلك. وانظر وتفكر في قول الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم). فإنه – سبحانه – لما أمرهم بالعبادة عرّفهم بالمعبود. ومعرفة المعبود تكون بالتعرف على آثاره ونعمه وعظيم منته على عابديه. ثم ختم الآية بقوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون). لأنكم إن فعلتم ذلك صرتم كمن لا يعلم. إذ إن عدم الانتفاع بمادة العلم هو عين الجهل. ثم إن العبادة مفتقرة – أشد الافتقار – إلى العلم من جهتين: جهةِ العلم بالمعبود. وجهةِ كيفية العبادة. فإذا فقدتِ العبادة العلمَ بالمعبود أفضت – في الغالب – إلى الشرك. وإذا فقدتِ العلم بكيفية العبادة أفضت – في الغالب – إلى البدعة. وكِلا الأمرين مفسدٌ للعبادة من أصلها. فالعلم جامع لكل خير. مانع من كل شر. ولا يكون هذا إلا إذا كان محصوراً بحدين: الإخلاصِ في أوله. والتوفيق في آخرِه. وفي الأخير أقول: العلم نور والجهل ظلام).هـ. يقول الشيخ محمد خير الطرشان تحت عنوان: (المعلم ومكانته في الدين) ما نصه: (يقول عليه الصلاة والسلام: إن الله عز وجل لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً. رواه أحمد. يرفض عليه الصلاة والسلام منهج الشدة والقسوة والعنف ، ويدْعُو إلى منهج التعليم ، وهو منهجٌ له علاقةٌ بالسلوك وتزكية النفس أولاً. ولما كان العلم منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أشار القرآن الكريم إلى مكانة المعلمين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإلى دَورهم في نقل هذه الرسالة وتعليمها إلى الناس أجمعين من خلال منهجين: منهجٌ قائمٌ على التعليم ، ومنهجٌ آخرٌ قائمٌ على التزكية. يقول سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ). نلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى

قدّم التعليم على التزكية. وفي آية أخرى قدّم الله سبحانه وتعالى التزكية على التعليم في معرض امتنانه على هذه الأمة بأن أرسل لهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ). التزكية هي: منهجُ سلوكٍ نفسي وخُلقي على كل إنسان أن يتحلى به ، سواء كان معلماً أو متعلماً. ومهمة المُسلّكين ، والمربين ، والأنبياء ، والمعلمين ، والمدرّسين ، هي الجمعُ بين الأسلوبين معاً! أي أن يكونوا معلمين ومزكّين في الوقت نفسه ؛ بأن يحرصوا على نقل المعلومة إلى طلابهم والارتقاء بهم من مرحلة الجهل إلى مرحلة العلم ، ثم الانتقال بسلوك الطلاب إلى مستوىً أرقى مما كانوا عليه فيما مضى ، وهذا يُشعِر كل المربين والمعلمين بالمسؤولية العظمى والأمانة الكبرى التي حمّلهم إياها ربنا سبحانه وتعالى. ولقد حمّل اللهُ تعالى الإنسانَ الأمانة ، وعندما يُذكَر مصطلح الأمانة يتخيل كثير من الناس أنه ينحصر في مبلغٍ من المال يأخذه الإنسان ويكون وديعةً عنده ، أو قرض أخذهُ من زميل له أو صديق أو أخ فأصبح ديناً في حقه فهو أمانة. لكن هذا المفهوم مفهوم قاصر وخاطئ ، الأمانة هي: كل أمرٍ يُطالَب به الإنسان أمام الله وأمام العباد ، فلله تعالى علينا أمانات كثيرة وأولها الفرائض: الصلاة أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة والحج أمانة. والواجبات الأخرى التي فرضها الله علينا سبحانه وتعالى أمانة: كصلة الأرحام ، وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران ، وإكرام الضيف أمانة. هناك أمانات أخرى تتعلق بالسلوكيات التي يتعامل الناس بها فيما بينهم: كالإخلاص في المودة والصحبة والعلاقة. والتعليم أمانة عظمى ، وهو من أعظم أنواع الأمانات ، فالمعلم مؤتمن على تقديم العلم النافع لطلابه وأبنائه وتلامذته. نحن كآباء نرى أو نسمع من أبنائنا في المدارس إهمالَ كثيرٍ من المعلمين وتقصيرهم وعدم إعطائهم حق هذه المهنة. أين هو المعلم الذي يُهمل مادته وتدريسه من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه؟! أين هو من تعليمه للأعراب الجفاة الغلاظ الذين كانوا يأتون إليه من أطراف البادية ، فيقول أحدهم أيكم محمد؟ بكل غلظة وكل فظاظة ، لا يحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأدب بين يديه ، ومع ذلك يقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول له: علمني دين الله الذي أُنزل عليك ، فيجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه وبين يديه ، ويدنيه منه ، ويقربه إليه ثم يعلمه دين الله سبحانه وتعالى دون ملل أو تكبر أو ضجر منه. وإذن فمهنة التعليم والتدريس أمانة عظمى. وعلى هذا فإنك أيها المعلم قد ارتقيت منزلةً ذات شأن عظيم عندما أصبحت معلماً ومربياً ، وغدوت في القمة ، فحاول أن لا تكون من المقصرين أو المهملين في هذه المهمة العظيمة التي هي شرف كبير ، إذ به نلت درجة العلم ، وبلغت مصاف العلماء ، وأصبحت في منزلة كبيرة. والإسلام يحثنا على ضرورة تعلم الإنسان وارتقائه بنفسه وحرصه على أن يكون قدوة لطلابه إن كان مدرساً ، وشيء طبيعي أن يكون المعلم قدوة لطلابه ؛ لأنه حقيقةً في مقام الأب الروحي للطلاب ، فإذا كان الطلاب يرون آباءهم في البيت ساعات محدودة ، فإنهم يرون أساتذتهم في المدرسة ساعات أطول مما يرون آباءهم ، سواء كان هذا المتعلّم في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية ، أو حتى في الجامعية يتكون من خلال أفكار أساتذته ومعلميه ومربيه ومشايخه ، ويتأثر بهم ، ويتقلب على الطريقة التي ينقله إليها أساتذته ومعلموه).هـ. ومن هذا المنطلق راح أحمد شوقي يعلي من شأن المعلم في قصيدته المشهورة: (قم للمعلم). ونسج على منواله كثير من الشعراء من أهل زمانه من الذين يحترمون العلم والتعليم ويعتبرون المعلم صاحب رسالة لا وظيفة! وعلى النقيض من ذلك هناك

المدرسة الطوقانية التي تخالف عن ذلك! وهذي قصيدة حافظ إبراهيم في المعلم – نوردها هنا على سبيل المثال - وهي غاية في الإتقان والسبك مثل شوقي تماماً:-

حَيّـــاكُمُ اللهُ أَحْيُـــوا العِلْـــمَ والأَدَبـــا إنْ تَنْشُـــرُوا العِلْـــمَ يَنْشُـــرْ فـــيكُم العَرَبـــا

ولا حَيـــــاة لكـــــمْ إلاّ بجامِعَـــــةٍ تكـــونُ أمَّـــا لطَـــلاّبِ العُـــلاَ وأبَـــا

تَبْنِـــي الرِّجـــالَ ، وتَبنِـــي كـــلَّ شـــاهِقَة مِـــنَ المَعـــالِي ، وتَبْنِـــي العِـــزَّ والغَلَبـــا

ضَـــعُوا القُلُـــوبَ أَساســـاً لا أقـــولُ لكـــمْ ضَـــعُوا النّضـــارَ فـــإنّي أَصْـــغِرُ الـــذّهَبا

وابْنُـــوا بأَكْبَـــادِكُمْ سُـــوراً لهـــا وَدَعُـــوا قيـــلَ العَـــدُوِّ فـــإنّي أَعْـــرِفُ السَّـــببَا

ويختتم حافظ قصيدته في العلم والتعليم وواجبات المعلم بهذه الوصية الجميلة الخالدة التي تذكرنا بالتضمين القرآني البديع من إقراض الله قرضاً حسناً ليضاعفه الله أضعافاً كثيرة عنده سبحانه ، فيقول:

إن تُقرِضـــوا اللهَ فـــي أوطـــانِكُم فَلَكُـــم أَجـــرُ المُجاهِـــدِ طـــوبى لِلّـــذي اِكتَتَبـــا!

وهذا شاعر يحمل على طوقان ويلومه على هجومه على شوقي ويخالف النظرية الطوقانية فيقول:

طوقـــان يبكـــي والسعـــادة حولـــه هـــوِّنْ عليـــك ، فلـــيس ذا تحلـــيلا

العلـــم نـــورٌ ، والمعلـــم شمعـــةَ والحِمـــل فـــي التعليـــم جـــدّ ثقيـــلا

أخطـــأت يـــا طوقـــان فيمـــا قلتـــه شـــوقي أميـــرٌ لـــن يكـــون كســـولا

لـــو جـــرّب التعلـــيم شوقـــي ساعـــة لقضـــى الحيـــاة معلمـــاً ودليـــلا

واختـــار أن يبقـــى وجـــرّ رفاقـــه وتحولـــوا عـــن شغلهـــم تحويـــلا

ويختتم الشاعر قصيدته في الرد على طوقان بهذ التحذير الجميل الخالد الذي يجعلنا نحترم وجهة نظره من إنصاف الحق والوقوف بجانب المعلم المفترى عليه ليضاعف الله الأجر عنده ، فيقول:

عـــذراً فـــإني لـــن أكـــون بجانـــب (الطـــ ـــوقان) أيضـــاً لـــن أخـــون مُيـــولا!

وأما الشاعر عادل عبد الوهاب عبد الماجد فلقد رد على الشاعر إبراهيم طوقان في اعتراضه على شوقي رداً يلقي بالائمة على المحيطين بالمعلم والمسؤولين عنه وعن تردي أحواله فيقول:

العلـــــم لـــــيس بظـــــالم أو مـــــذنب إن لـــــم تجـــــد فـــــي طالبيـــــه نبـــــيلا

النـــــابغون النـــــابهون بعلمهـــــم تلقـــــاهمُ بـــــين الأنـــــام قلـــــيلا

يـــــا صـــــاحبي طلابنـــــا نجُـــــبٌ فـــــلا تحتـــــاج فـــــي تدريســـــهم تطـــــويلا

فـــإذا رميـــت الـــنص فـــي جـــو الســـما فهمـــــوه حتـــــى يصـــــرعوه قتـــــيلا

أمـــــا اللغـــــات فســـــيبويه إمـــــامُهم ورفاقـــــه أهـــــل القـــــرون الأولـــــى

ويختتم عادل عبد الوهاب عبد الماجد قصيدته في الرد على طوقان بهذا الثناء الجميل الطيب الذي يرغب ويزين مهنة التدريس والتعليم مثنياً على شوقي ، وجاعلاً تتمة بيته من شوقي ، فيقول:

يـــا مـــن يريـــد الافتخـــار وجدتـــه (كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا)!

ويحسن أن نلقي هنا نبذة عن الشاعر إبراهيم طوقان لنتعرف على قصيدته التي صارت مأوى وملاذ ومرجع كل من يريد النيل من المعلم والتعليم. وُلدَ الشاعرُ إبراهيمُ عبد الفتاح طوقان في قضاءِ نابلس بفلسطين سنة 1905م ، وهو ابن لعائلة طوقان الثرية. تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية في نابلس ، وكانت هذه المدرسة تنهج نهجاً حديثاً مغايراً لما كانت عليه المدارس في أثناء الحكم التركي ؛ وذلك بفضل أساتذتها الذين درسوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالنهضة الأدبية والشعرية الحديثة. ثم أكملَ دراسَتَه الثانوية بمدرسة المطران في الكلية الإنجليزية في القدس عام 1919م ، حيث قضى فيها أربعة أعوام ، وتتلمذ على يد نخلة زريق الذي كان له أثر كبير في اللغة العربية والشعر القديم على إبراهيم طوقان. بعدها التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1923م ، ومكث فيها ست سنوات ، نال فيها شهادة الجامعة في الآداب عام 1929م. ثم عاد ليدرّس في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس. وانتقل للتدريس في الجامعة الأمريكية وعَمِلَ مدرساً للغة العربية في العامين (1931 – 1933م) ثم عاد بعدها إلى فلسطين. وفي العام 1936م تسلم القسم العربي في إذاعة القدس وعُين مُديراً للبرامجِ العربية ، وأقيل من عمله من قبل سلطات الانتداب عام 1940م. ثم انتقل إلى العراق وعملَ مدرساً في مدرسة دار المعلمين ثم عاجله المرض فعاد مريضاً إلى وطنه. كان إبراهيم مهزول الجسم ، ضعيفاً منذ صغره ، نَمَت معه ثلاث علل حتى قضت عليه ، اشتدت عليه وطأة المرض حيث توفي في مساء يوم الجمعة 2 أيار عام1941م. وهو في سن الشباب لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره. نشر شعره في الصحف والمجلات العربية ، وقد نُشر ديوانه بعد وفاته تحت عنوان: ديوان إبراهيم طوقان. وأنا متأكد من أن طوقان لو عاش ليري المدرستين: المؤيدة والمعارضة له في الحمل على شوقي لرجع! وأضرب على ذلك أمثله فهذه قصيدة محمد محمود مرسي التي ينتصر فيها لطوقان فيقول المطلع:

دَرَّ الأَمِيـــــرُ وَمَـــــا دَرَى بِزَمانِـنَـــــا قَـــــمْ لِلْمُعَلِّـــــمِ وَفِّـــــهِ التَّبْـــــجِيلا

وَيَـــــزِيدُ دَرْدَرَةَ الْقَوَافِـــــي قَوْلَـــــهُ كَـــــادَ الْمُعَـــــلِّمُ أَنْ يَكُـــــونَ رَسُـــــولا

كَمُـــلَ المُبَـــدِّلُ يَـــا أَمِـــيرُ أَسُوقَـــهَا عَلَّـــي أُفَـــنِّدُ عَنْـــهُ مَـــا قَـــدْ قِيـــلا

فِـــي عَصْـــرِنَا دَعْـــنِي أَذِيـــعُ بِحَقِّـــهِ قَـــوْلًا يُـــرَاوِحُ فِـــي السَّـــمَا سِجِّـــيلا

قُـــمْ لِلمُعَـــلِّمِ وَفِّـــهِ التَّبْـــجِيلا كَـــادَ المعلـــمُ أن يُحَطـــمَ جـــيلا!

ويختتم مرسي قصيدته في تأييد طوقان مستغلاً جشع بعض المعلمين المعاصرين وطمعهم وممارساتهم التي تتنافى بالقطع ومهنة التربية والتعليم السامية فيقول:-

رَحِـــمَ الْعَلِـــيمُ زمَـــانَ عِلْـــمٍ كَانَـــتِ الـــ أَعْـــلامُ فِـــيهِ مُعَـــلِّمِينَ وَجِـــيلا!

روي عن الإمام أبو يوسف القاضي ، أنه توفي والده وهو صغير ، فربته أمه فحرصاً منها على مصلحة ابنها ، أدخلته عند خياط حتى يتعلم الخياطة ، ويحصل كل يوم على دانق (ريال واحد) ، وكان يذهب كل صباح إلى الخياط في الكوفة ، ورأى مجموعة من الطلاب قد تحلقوا عند أبي حنيفة ، فأعجب الإمام يوسف بالإمام أبي حنيفة ، فجلس في مجلسه ، ولم يذهب للخياط ، واستمر يومين على هذه الحالة ، فذهب الخياط لأمه فاشتكى من ابنها ، وقال لها بأنه سيقطع رزقه ، فذهبت له فوجدته في مجلس الإمام أبي حنيفة فأخذت الولد من أذنه لتخرجه ، فقال أبا حنيفة: يا امرأة إني أرى في ابنك عقلاً – ذكاء – فدعيه يطلب العلم فسيأتي عليه يوم يأكل الفالوذج بدهن الفستق (نوع من الحلوى) ، وهذه أكلة لا يأكلها سوى الخلفاء في ذاك الزمان ، فردت عليه: إنك شيخ خرف ، دع ابني هذا يكسب دانق كل يوم. وفي الغد رجع الإمام يوسف لمجلس الإمام أبي حنيفة ولم يذهب للخياط ، فسأل الإمام أبو حنيفة الإمام أبا يوسف: كم يعطيك الخياط؟ فقال: يعطيني دانقا كل يوم. قال له: أنا أعطيك ثلاثين درهماً. فكان من أنجب تلاميذ أبي حنيفة هو والشيبانى. فلما جاء زمن هارون الرشيد ، عُين أبو يوسف قاضي القضاة ، وجلس مرة مع الرشيد على مائدة الطعام ، فقدم له الرشيد مجموعة من الأطعمة ، ومنها الفالوذج بدهن الفستق ، فتحدرت من عيني أبي يوسف دمعتان ، فسأله الرشيد عن المناسبة ، فقص عليه قصته ، فقال الرشيد: رحم الله أبا حنيفة ، كان ينظر بعين عقله ، لا بعين رأسه ، حقاً إن العلم ليرفع صاحبه في الدنيا والآخرة. وقال الإمام أبو يوسف: لو كنت كما أرادت أمي ، لكنت خياطاً ، لكن شاء الله لي أن أكون عالماً أجالس الخلفاء ، وآكل على موائدهم. ولقد لعب عنصر الوقت والزمن دوراً كبيراً في حياة الأمام أبي يوسف! يقول المثل العربي: الوقت معلم من لا معلم له. ويقول المثل الصيني: من يجاملني هو عدوي ومن يلومني هو معلمي. ويقول سقراط: ماذا تريدونني أن أعلمه؟ إنه لا يحبني. ويقول أيضاً: ينبغي للعالم أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض. ويقول ابن القيم: علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعمتك وخوفاً من سطوتك وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. ويقول غوته: ليس أسوأ من معلم لا يَعْرِف سوى ما يجب أن يعرفه تلاميذه. ويقول الحسن البصري: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. ويقول يوليوس قيصر: الاختبار هو معلم كل الأشياء. ويقول أفلوطين: الاختبار معلم أخرس. ويقول غيروزيز: الوضوح هو فضيلة المعلمين. ويقول شيشرون: المعرفة فن و لكن التعليم فن آخر قائم بذاته. ويقول شبنجلر: من معلمي تعلمت

الكثير ومن زملائي تعلمت أكثر ومن تلاميذي تعلمت أكثر وأكثر. ويقول المثل العربي: وكم من تلميذ فاق أستاذه! ويقول ليوناردو دافنشي: من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً تافهاً. ويقول فيلوكسين ألستيري: إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة. ودائما كنتُ أردد ولا أزال: تعطيك الجامعة مفاتيح العلوم ، فانطلق وافتح خزائن العلم لتتعلم ، ولا تظنن يوماً أن الجامعة أعطتك العلم كله! ويقول أحمد أمين: المعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. ويقول فيصل الأول: لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً. ويقول المثل العربي: من علمني حرفاً كنت له عبداً. وتقول الأستاذة منى أحمد حول احترام المعلم وأنه واجب ينبغي تعليمه للأبناء ما نصه: (هل تعلم أنه حينما طالب القضاة في ألمانيا بأن تتم مساواتهم في الرواتب بالمعلمين ، ردت عليهم المستشارة أنجيلا ميركل مستنكرة بقولها الشهير:كيف أساويكم بمن علموكم؟! ولكن في عالمنا العربي حدثْ ولا حرج عن الانتهاك المادي والمعنوي لحقوق المعلمين من قبل جميع المحيطين بهم ، وثافية الأثافي أن علاقة الاحترام بين التلميذ وأستاذه أصبحت هي الأخرى يشوبها كثير من الخلل لتأخذ منحى غير الذي تعودنا عليه. فما تربينا عليه كان ببساطة شديدة يجسد بيت الشعر الشوقي: (قم للمعلم وفه التبجيلا ** كاد المعلم أن يكون رسولا). فحينما كنا نقف في الطرقات ونرى أحد معلمينا ، كنا نفضل الاختباء ، ليس خوفا ولكن ربما رهبة واحتراماً ، أما الآن فالصورة أصبحت مغايرة ، فانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ناهيك عن الدروس الخصوصية التي قللت كثيراً من هيبة المعلم ومكانته أمام تلاميذه ، الذين يتصورون أن قيمة معلمهم تقاس بقدر ما يأخذه منهم نهاية كل شهر).هـ. ثم تنطلق في نصيحتها لكل أب مرب فتقول: (قم بتسليم ابنك بعض الورود ليعطيها لمعلميه ، وعرفه أن هذه هي صورة بسيطة للتعبير عن امتنانك لأنه سوف يقوم بمجهود كبير خلال العام ليساعدك على عملية التعلم ، وأعلمه أن الورود للجميع حتى للمعلمين ممن لا يستسيغهم الابن لسبب أو لآخر ، فجميعهم دون استثناء يستحقون التقدير. احكِ لابنك عن المهام الكثيرة التي يقوم بها المعلم ومدى تعبه من أجل توصيل المعلومات وتعليم الأبناء (ليس شرطا أن يكون هذا الكلام بمناسبة أو لسبب معين). اجعله يعي مشقة مهنة التعليم وادخل معه في حوار حول المهنة وتبعاتها ، وكمّ المشقة التي يتحملها المعلم لا لشيء سوى الثواب وقيمة المهنة التي يعشقها الكثيرون. قم بذكر مميزات وجدْتَها في المعلم أو المعلمة واذكرها أمام الابن (كأن تكون المعلمة دقيقة في ملاحظتها ـ كأن تكون قد تصرفت في موقف محدد بصورة جيدة). اسأل ابنك ما هي الأمور التي سوف يغيرها لو كان في محل المعلم الذي يشتكي منه ، واطلب منه تخيل أن يكون مدرساً لفصل بحجم فصله ، وذكره بحجم التحدي وحجم الاختلاف الناجم عن اختلاف التلاميذ وشخصياتهم مع ضرورة الالتزام ، أمام إدارة المدرسة ، بالانتهاء من تدريس المنهج المحدد في الوقت المحدد ، وكذلك ضرورة استيعاب النسبة الكبرى من التلاميذ. ما زال علينا كآباء أن نرسخ لدى أبنائنا قيمة التعليم التي لا تتجزأ عنها قيمة المعلم. فكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض. ولا تسخر أبداً في أي وقت من الأوقات من أي معلم أمام الابن ، لأنه سوف يقلدك وسوف يعتبر الأمر عاديّاً وما يبدأ اليوم بصورة سخرية سوف يصل غداً للاستهزاء وسوف يتحول التعامل اللفظي الخفي للعلن ومن بعده من القول إلى الفعل المعبر عن عدم احترامه لمعلمه. ولا تعط لابنك الفرصة أبداً ليقيم معلمه بشكل غير لائق أو أن يتحدث عنه دون احترام ، بل اجعله يفهم أن احترام المعلم خط أحمر ، وإذا كانت له ملاحظات معتبرة فليتم التناقش حولها في سبيل الوصول إلى حل. (وأبرز مثال على ذلك عندما يأتي الابن ويشتكي

من أن المعلم لا يعدل بين الطلبة أو يفضل الأذكياء ، قل له إن هذا الأمر خطأ ، وعلينا أن نعين المعلم على ملاحظة الأمر كأن يتحدث على انفراد مع المعلم ويحكي له كيف يشعر عندما يشعره بأنه ليس بمثل مستوى زملائه. ولا تعتبر تصرفاً خطأ قام به المعلم ـ أنه صواب ـ خوفاً من أن يقلل انتقادك من هيبة الابن لمعلمه! ولكن اشرح الأمر بهدوء ، فكلنا بشر والمعلم بشر ، والبشر يخطىء ويصيب ، وخطأ المعلم ليس نهاية العالم ، وشاركه أفكاراً بتحويل الموقف من سلبي إلى إيجابي)هـ. وأنا والحمد لله يا أستاذة منى لم أتلق الوردة خلال فترة تعليمي للغة الإنجليزية التي تجاوزت العقدين إلا من طالب واحد يدعى (فهد صديق أحمد نور العطار العوضي) في الصف الثامن الأمريكي ، وذلك في اليوم العالمي للمعلم! ولقد أهديت هدايا كثيرة من الطلاب ومن ذويهم ، ولكني أخص بالذكر الوردة الحمراء التي ذكرت! والأصل أن احترام المعلم واجب أخلاقي وتربوي وجزء من كلمة أحد مدراء المدارس يقول فيها: (لطالما طالبنا المعلم بضرورة تطوير حسه المهني والأخلاقي من أجل تعامل راق مع طلابه ، وأوصاه الخبراء بضرورة أن يتبنى استراتيجية اللين والرفق والصبر مع التلاميذ ، ولا يميز بينهم في التعامل بتفضيل بعضهم على بعض وأن يتقرب منهم ويجتهد في معرفة ما تعترضهم من مشاكل في دراستهم ، والعمل جاهداً على حلها ومساعدتهم في تحقيق تحصيل دراسي جيد وجميل! والآن جاء دورك أيها الطالب المحترم ، في مطالبتك بمهمة جميلة تسديها لنفسك أولا قبل أن تسديها لمعلمك وهي الاحترام ، ففي احترام الآخرين عموماً احترام للذات وللنفس ، والاحترام يشيع المحبة ويشيع الاهتمام ، وبه تسود الأخلاقيات الحميدة ، فمن حسن خلقك أيها الطالب أن تحترم معلمك ، ليس تفضلاً منك ، بل واجب أخلاقي أولاً وقبل كل شيء). وتقول الأستاذة مروة محمود إلياس تحت عنوان الاحترام المتبادل بين الطالب والمعلم يطور العملية التعليمية: (العلاقة التى تبنى على الاحترام بين الطالب والمعلم في المدرسة تحسن من نفسية كل منهما وتساعدهما على تطوير العملية التعليمية بكل عام وعلى الحياة الدراسية بشكل خاص لكل منهما). وأما الدكتور محمد منصور استشارى الطب النفسى وعلاج الإدمان فيقول: (إن بناء العلاقة في مجتمعاتنا بين الطالب والمعلم على أساس من الثقة والاحترام المتبادل يمنع تطاول الطالب على معلمه ، ويكن به كل احترام يظهر في تصرفاته ، وكذلك احترام المعلم للطالب والصبر عليه وتقديم المعلومة له بشكل أكثر سلاسة ، فيه احترام لقدراته الذهنية ، يؤثر بالإيجاب على نفسية كل منهما. ألا وإن تبادل الاحترام يضفي جواً من الألفة في علاقة الطالب والمعلم فيتلاشى الضغط النفسي الواقع على كل منهما طوال اليوم الدراسي والذي بسببه تسوء العلاقة بينهما ويتناقص مستوى الطالب ويشعر المعلم بعدم القدرة على توصيل المعلومة بشكل جيد لكل الطلاب. فيا أيها المعلم أقم علاقة ود بينك وبين الطالب حتى يسود الهدوء النفسى ويتمكن كلٌ منكما من التخلص من كل ما يقف حائلاً أمام تطور العملية التعليمية ، فالعلاقة بين الطالب والمعلم هي حجر الأساس في العملية التعليمية بالكامل).هـ. وفي جزء من خطبة للأستاذ قاسم أحمد الصامطي يقول: (رسالتي إلى كل معلم ومعلمة: أنتم تقومون بأعقد وأعظم مهمة ، إنها صناعة الإنسان ، وصياغة فكره ، وتهذيب نفسه ، وتطهير قلبه ، وتقويم فكره ، وتهذيب سلوكه. مسألة بها مفتاح التغيير في المجتمعات ، وفي سائر جوانب الحياة. إلى المعلمين والمعلمات: حتى يُدْرك من هم؟ وما هي مكانتهم؟ فنقول: أنتم المرفوعون المأجورون المرفوعون رتبة ، المأجورون ثواباً. والحقيقة أنه في الآونة الأخيرة كثرت الهجمات والاعتداءات على رجال التعليم من طرف التلاميذ! ففي كل يوم نسمع حادثة جديدة ، حتى وصل

الأمر إلى إزهاق الأنفس ، إلى قتل المعلمين. ورسالتي إلى كل معلم ومعلمة: أنتم تقومون بأعقد وأعظم مهمة ، إنها صناعة الإنسان ، وصياغة فكره ، وتهذيب نفسه ، وتطهير قلبه ، وتقويم فكره ، وتهذيب سلوكه. فأنتم من بين معاشر أهل الإيمان مخصوصون بدرجة ومنزلة خاصة بالعلم. ثم استمعوا إلى حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من جملة أحاديث وافرة: من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً. فكل كلمة ومعرفة وهدي تغرسه في القلوب والعقول والنفوس ، فيما ينبني عليه من عمل ، وما يؤثر من بعده من توجيه ؛ مسجل لك في صحيفة الأعمال ، فضلاً من الله - سبحانه وتعالى - ، ومنة وكرماً ، وحثاً وحضاً وتشجيعاً وتحفيزاً. وأنتم كذلك الوارثون المورثون ، أنتم أربابها وأصحابها ، وأنتم أعظم المنتفعين بها بعد انقطاع الحياة: العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. هكذا قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم -. وأما بعد انقطاع الحياة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. ولئن كان هذا الحديث فيه قسم مباشر لأهل العلم ، في العلم الذي ينتفع به ، فإن أهل العلم قد قالوا: إن لهم في الحقيقة حظاً وافراً من ذلك كله ، فإن الصدقة التي يبقى أجرها ، إنما مبعثها التعليم على فضلها ، والإرشاد إلى أجرها ، فمن كان له ذلك العلم والتعليم ، فهو شريك فيما ينبني عليه من الصدقات والأوقاف والوصايا ، والولد الصالح إنما هو ثمرة في غالب الأحوال لذلك العلم والتربية والتزكية فإن أهل العلم حينئذ يكونون قد أخذوا بهذه الأمور كلها ، فما أعظم ما يخلفون وراءهم مما يعظم أجرهم ، ويصل أعمالهم بفضل الله - سبحانه وتعالى -. أيها المباركون: لقد سمعتم قبل أيام عن معلم يُقتل على يد أحد طلابه ، وآخر يعتدي على معلمه بالفأس ، وآخر.. وآخر.. اعتداءات لا تعد ولا تحصى ، لكن من ينصف هذا المعلم؟ إلى متى هذا التهاون في مكانة وحقوق المعلمين؟ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. إني لفي حالة أستشعر معها الحزن والكآبة للحال التي آل إليها وضع المعلم. فالمعلم - يا إخوتي – يُنتهر ، والمعلم - يا إخوتي – مُحتَقر ، والمعلم - يا إخوتي - مُسلَّطٌ عليه ، والمعلم - يا إخوتي - خاضعٌ لاستجواب هذا واستجواب ذاك ، والمعلم - يا إخوتي - لا يستطيع أن يأخذ حريته في تعليم الخير الذي يراه ، المعلم اليوم أصبح أداة لا أقول: رخيصة ولكنها مُسترخصة! المعلم اليوم لم يعد يُقَدّر ، المعلم اليوم لم يعد صاحب شرف في نظر كثير من الناس ، أين مكانة المعلم؟ لم يكن آباؤنا يقدمون على إهانة معلمينا ، لا أمامنا ، ولا من وراء أظهرنا ، اليوم أصبح بعض الآباء يستمتعون بإهانة معلمي أبنائهم على مرأى ومسمع منهم ، داخل المدرسة ، وربما داخل الفصل ، وهو ما لم يكن ممكناً تصديقه من قبل ، ولا حتى في عالم الخيال! كيف نطلب من التلميذ احترام معلمه ، بينما يكون قد رأى أباه ، وهو يكيل له شتى أنواع السباب والشتائم أمامه؟ ثمة من يقول: إن منظومة التعليم هي التي خلقت هذا الجو ؛ حينما أخذت تقلد أساليب واستراتيجيات الثقافة الغربية ، داخل منظومتها التعليمية قبل الآن ، فلا هي أتقنتها على النحو الغربي ، ولا استطاعت العودة إلى أسلوبها الشرقي الأصيل ؛ فتفلتت أزِمَّةُ الأمور من بين يديها ومن خلفها ومن فوقها ومن تحتها ؛ الأمر الذي فقدت معه ثقافتها الأصلية ، فقرارات تعسفية ضد المعلمين ، وهضم لحقوقهم ، ولا يستطيع المعلم أن يناقش أو يتكلم أو يطالب بحقه ، إلا عندما يطرح أرضاً. ليس هنالك عقوبات رادعة للطلاب الذين يعتدون على

معلميهم ، وآخرها من العقوبات التي أقرت فصل الطالب شهرين ثم العودة ، هل هذه هي عقوبة الاعتداء على المعلمين؟ هل يعقل أن يهان المعلم الذي يحمل أسمى مهنة ، وهي مهنة الأنبياء والرسل وعلى أتفه الأسباب ، وأمام الملأ: يا قوم إن من علمني حرفا أخلصت له وداً؟! إن المعلم يبدأ عمله من الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، أي قبل أي موظف آخر سواء أكان في القطاع العام أو القطاع الخاص ، كثير من الناس يرى أن التعليم والتدريس من أسهل المهن! لا – والله - التدريس من أصعب المهن ؛ لأن التخاطب مع الناس أو الطلاب والعقول والفروق الفردية من قبل المعلم فيها من الصعوبة والمشقة الشيء الكثير ، والذين في الميدان التعليمي يعرفون معنى هذا الكلام ، بمعنى لو أعطينا مثالاً بسيطاً وطلبنا من أحد أولياء الأمور التصرف مع أولاده ، وإن كان عددهم ثلاثة فقط لصعب عليه السيطرة عليهم ، فما بالك بالمعلم الذي تحت يديه من عشرين إلى ثلاثين طالباً! ألا يستحق هذا المعلم الاهتمام بمشاكله ، وإرجاع هيبته وكرامته ، التي كانت محفوظة له في السابق؟! ولم نسمع من آبائنا عن معلم يهان ، أو حطت من كرامته ، في زماننا كنا ومازلنا نُكن للمعلم كل تقدير واحترام ، وكان لنا خير أب وأخ ، ولكن في هذا الوقت كل ما يأتي من قرارات تكون دائماً ضد المعلم لماذا؟ أيها المباركون: نحن بحاجة إلى إعادة النظر في تعاملنا مع الآخرين ، وبالأخص في تعاملنا مع المعلمين ، مع المربين الناصحين ممن يضيئون لأولادنا طريق العلم والمعرفة والتربية ، ممن يخرجون الأجيال النافعة. وإن علينا إظهار قيمة المعلم في المجتمع ، وكذلك وسائل الإعلام وذلك بإظهار مكانة المعلم واحترامه. فالمعلم جدير بالاحترام ، جدير بالإكرام ، وإن تعجب فعجب قولهم في المجالس العامة فحينما يتكلم الناس اليوم عن المعلم ، عن راتبه وكثرته ، وعن إجازته وطولها. ولو حشر هؤلاء يوماً واحداً في مدرسة من المدارس لضاقوا ذرعاً ، ولابتغوا طريقاً للخروج مما هم فيه ، مع واقع الطلاب اليوم ، وسوء احترامهم. إذاً نحن الأساس في تجرئة أولادنا على معلميهم ، وانتقاصهم وتصويرهم أنهم ماديون نفعيون ، فهل نعي ذلك وندرك خطورة الواقع المأساوي الذي تعايشه مدارسنا اليوم من ضعف هيبة المعلم ، وقلة احترامه وتقديره من فئة من الطلاب ، فإلى الله المشتكى؟! ولا يمكن لنا من صناعة المستقبل ، وزراعة وغرس الأجيال القادمة ، إذا لم يقدر ويحترم المعلم).هـ. ويقول الأستاذ ماجد عبد القادر ما نصه: (كان احترام المعلم وتوقيره ، بل والخشية منه ، قبل عقود ليست بالبعيدة ، ظاهرة بارزة ، فهيبته لا تعدلها هيبة ويحظى بأقصى درجات الاحترام. ولكن للزمن قوانينه ، ومن الطبيعي أن يكون معلم الأمس مختلفاً عن معلم هذه الأيام ، كما أن الاستجابة للتقدم التقني والعلمي تفرض تحدياتها وتلزم بوجود طرائق جديدة في التعليم ونمط جديد من التعامل بين المعلم والطالب).هـ. ويقول التربوي حمد عويد: (في الزمان الأول كان الطالب لا يستطيع النظر إلى معلمه احتراماً وتبجيلاً ، وذلك على عكس ما نلحظه اليوم من عدم مبالاة الطلاب بالمعلمين ، بل وربما يضايق الطالب أستاذه إذا ما سار في طريق ، أو يمارس عادة التدخين أمامه بلا احترام. ويضيف عويد: لا نرى اليوم من يكرم المعلم ، بالرغم من أن المعلم (كاد أن يكون رسولاً) ، كما قال الشاعر شوقي ، ويتابع قائلاً: إننا نسمع بتكريم الشعراء والفنانين ، ولكننا لم نر يوماً أن هناك معلماً تم تكريمه من قبل دائرة أو منظمة ، على الرغم من انه لولا المعلم لما أصبح الشاعر شاعراً ولا الضابط ضابطاً ولا المهندس مهندساً ، فهو من علم أجيالاً بكاملها وأنار دروبهم).هـ. ويقول عضو مجلس محافظة صلاح الدين ، مزاحم مصطفى وهو تربوي سابق: (كنا أيام التلمذة حين نصادف أساتذتنا في الطريق ، نطرق رؤوسنا في الأرض خجلاً

واحتراماً ، حتى أننا نظل مشغولين في البحث عن طريق آخر غير الذي يسلكه المعلم ، على العكس من طلاب اليوم الذين لا يأبهون للمعلم كثيراً ، حتى إن قسماً منهم قد لا يكن للمعلم الاحترام الذي كنا نكنه له أيام زمان. ويلفت مصطفى إلى أن الجيل الجديد لا يتنازل عن شيء من حقوقه ، فمهما حاولنا ، فلن نتمكن من فرض الاحترام لأي شخص ، ناهيك عن المعلم ، ما لم يقتنع هذا الجيل بأحقية هذا الشخص في الاحترام ، وإذن فالمعلم عليه أن يقنع الطالب بوجوب احترامه ، عندئذ سيجد الطالب رهن إشارته وطوع أمره).هـ. ويقول الناشط في المجتمع المدني رائد خطاب الجبوري: (كان المعلم قديماً ، يمثل عُملة نادرة ، ومن هنا كان تقدير الجميع له ولثقافته التي لم تأت من فراغ ، وكان أهل الطالب يسهمون في تكوين شخصية المعلم أمام أولادهم بزرع الرهبة منهم ، كي يواظبوا على دراستهم ، لذلك نجد أن جيل الأمس يخاف من معلمه ويحسب له ألف حساب).هـ. وأما المعلمة سُهى عبد المنعم شهاب فتقول: (إنه بالرغم من أن احترام الطالب لمعلمه واجب عليه ، إلا أنني أرى أن أهم شيء يقدمه الطلاب لمعلميهم ، هو تفوقهم في دراستهم ووصولهم إلى أعلى مراتب العلم ، وحينذاك نشعر أن جهودنا لم تضع سدىً ، واستطعنا أن نرقى بهم وبوطننا إلى أعلى مراحل التقدم العلمي والحضاري).هـ. فيما يقول مدير تربية محافظة صلاح الدين محسن برزان: (إن وقفة قصيرة حيال دور المعلم في المجتمع تجعلنا ندرك ضخامة الدور الذي يقوم به وعظم المسؤولية التي تقع على كاهله ، فالمعلمون هم بناة المجتمع ، وهم يعملون على إنارة العقول ، وبناء جيل يحمل اسم البلد ، ويرتقي به إلى أعلى درجات العلم).هـ. ويقول الأستاذ عبد الله محمود: (عندما كنت تلميذاً في المدرسة كنت أرى المعلمين فيها كأنهم خلية نحل ، وكان هناك انضباط عال واحترام كبير بينهم ، مما ينعكس علينا كطلاب ، ولكن عندما ذهبت إلى إحدى مدارس المدينة لتسجيل ولدي ، وجدت المعلمين منشغلين بهواتفهم الجوالة ، بينما طلاب المدرسة يسرحون ويمرحون ، فتعجبت من منظر هذه المدارس في زماننا هذا ، مقارنة بمدارسنا سابقاً).هـ. ويعترف مدير مدرسة الحارة الجديدة الابتدائية في تكريت حيدر الطائي بوجود فوضى قائلاً: (نعم هناك فوضى في بعض المدارس ، وهذا يعود لمدير المدرسة ، فإذا كان مدير المدرسة قد فرض شخصيته فيها ، فإن المدرسة سوف تجدها منضبطة ، كإدارتها ، وعندما كنا جنوداً في الجيش ، تعلمنا أن الوحدة بآمرها ، وأنا أقول إن المدرسة بمديرها ، لأنه هو من يفرض احترامه لدى طلابه).هـ. وتسلط الناشطة شاهه دحام الجبوري الضوء على جانب آخر من الموضوع قائلة: (ربما تكون المدرسة عاملاً مكملاً لتربية الطالب ، لكنها لا تقوم بتربيته من الأساس ، فعلى الوالدين أن يحسنوا بناء هذا الأساس لأنه إذا لم يحترم الطالب والديه في المنزل ، فلا نتوقع أن يحترم المعلم. وإذا كان الطلاب الصغار هذه الأيام يشاهدون أفلام الأكشن على التلفاز وغرف الدردشة على الإنترنت ، ويشاركون في شريط الرسائل في القنوات الفضائية ، ويتعلمون أحدث الأساليب في المعاكسات من المسلسلات التركية والأفلام الغربية ، فإن هذا يعني أن كل هذه التقنيات الجديدة تختلف جذرياً في تأثيرها عن أيام السبعينات. وفي مقابل هذا ماذا نجد من أساليب تربوية حديثة في مدارسنا؟ لا شيء تقريباً! فما زالت مدارسنا تتبع النهج نفسه الذي كان فيه طلبة أيام زمان لا تتوفر لديهم كل هذه الوسائل ، وكان همهم الوحيد الكتاب والمدرسة والنجاح والتفوق ، لكي يحصل على وظيفة يصرف على عائلته منها).هـ. وأما ليث محمد سلمان من جيل المعلمين الشباب فيقول: (إن المعلمين ينبغي أن يكونوا أكثر مرونة مع الطلاب ، وأن ينزلوا إلى مستواهم ويحاولوا التعامل معهم كأصدقاء

، ويصححوا أخطاء الطالب بصورة مناسبة دونما تجريح. ونحن نعيش في زمن انقلبت فيه القيم ، ولهذا نجد أن هناك مجموعة من المدرسين الذين دخلوا هذا المجال مجبرين لا مختارين ، ما أدى إلى أن نرى عينات منهم لا تصلح لهذه المهمة ، فمنهم من هو سليط اللسان ، ومنهم من يضرب الطلاب ضرباً مبرحاً ، ومنهم من يأخذ الرشاوى من طلبته).هـ. ويقول الإعلامي براء العيسى: (إن أغلب المعلمين لا يرغبون في تدريس طلاب المرحلة الابتدائية ، لأن المعلم فيها لا يتواصل مع الطالب بل يصرخ في وجهه ويضربه ، وإنني أعرف معلماً كان يمسك الطالب من أذنيه ويرفعه عالياً في الهواء حتى يكاد يلامس المروحة ، فهل يتوقع المعلم بعد ذلك أن يجد من الطالب احتراماً؟ الجواب لا ، فهو قد يخاف منه ولكنه حتماً لن يحترمه. إن السلوك المزاجي هنا ربما يكون له دور كبير في تصرفات المعلم مع طلابه ، وينعكس ذلك على تصرفاتهم معه).هـ. وتقول المعلمة المتقاعدة سهام محمود: (إن الفترة التي يتدرب فيها المعلم على أساليب التدريس غير كافية ، كما أنها علمياً من وجهة نظري غير جيدة ، فلماذا لا تكون هناك اختبارات إلزامية للمعلمين ، كي نتعرف على مستواهم الحقيقي في العملية التعليمية ، ومقدار استحقاقهم لمهنة المعلم).هـ. ويقول صنع الله إبراهيم: (دخل حكيم على حكيم في منزله وهو متوحد فقال له : أيها الحكيم. إنك لصبور على الوحدة. فقال: ما أنا وحدى فمعى جماعة من الحكماء والأدباء يخاطبونني وأخاطبهم وضرب بيده على مجموعة من الكتب بجانبه وقال: هذا جالينوس يحاضر ، وهذا بقراط يناظر ، وسقراط يعظ ، وأفلاطون يجادل ، وهذا داوود يعلم.).هـ. ويقول جون لوك: أسهل على المعلم أن يَأمُر من أن يُعَلِّم. ويقول سي إس لويس: مهمة المعلم الحديث ليست أن يُخلي الأدغال ويمهدها ، بل أن يروي الصحاري. ويقول عبد الله بن عبد الكريم السعدون: المعلم الناجح هو أهم أعمدة بناء التعليم الناجح. ويقول أيضاً: إن التعليم بنوعيه الكمي والكيفي ، هو الطريق إلى النهوض من مستنقع الجهل والتخلف ، والذي أهم عناصر نجاحه المعلم والمربي الناجح ، المحب لعمله ثم المنهج الذي يسهم في فتح العقول وشحذها لا برمجتها وتدجينها. ويقول الدكتور القرضاوي: إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هوالعمود الفقري في عملية التربية ، وهو الذي ينفخ فيها الروح ، ويُجري في عروقها دم الحياة ، مع أنه في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة من المنهج ، إلى الكتاب ، إلى الإدارة ، إلى الجو المدرسي ، إلى التوجيه أو التفتيش ، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة ، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم. ويقول الأستاذ محمد الغزالي: إن المعلم يترضاه تلامذته ، وليس هو الذي يترضى تلامذته. ويقول جبران خليل جبران: أيها المعلم ، سنكون خيوطًا في يديك وعلى نولك ، فلتنسجنا ثوباً إن أردت ، فسنكون قطعة في ثوب العلي المتعالي. ويقول علي الطنطاوي: (لا ، يا ولدي ، لا تحرص على هذه المهنة. اتركها إن استطعت فهي محنة لا مهنة. هي ممات بطيء لا حياة. إن المعلم هو الشهيد العفيف المجهول الذي يعيش ويموت ولا يدري به أحد ، ولا يذكره الناس إلا ليضحكوا على نوادره وحماقاته).هـ. ويقول الأستاذ أمين جلبي تحت عنوان: (المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم وأثرها التربوي) ما نصه: (إن المعلم هو عماد الأمة وعليه المعول على بناء جيل قوي في إيمانه ، قوي في جسمه ، قوي في شخصيته ، وإن مكانة المعلم في الإسلام أرفع مكانة ، إنها مهمة الأنبياء والرسل (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة). وهذا المعنى وضحه نبينا عليه الصلاة والسلام (ولكن بعثني معلماً ميسراً). رواه مسلم وأحمد. ووردت معلماً نكرة

لتعم كل أنواع وجنس التعليم ، يكفي للعلم تعظيماً وتشريفاً وحثاً عليه وعلى تأديته فضلاً عن التكليف به بأن نسبه الله لنفسه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم). بل إن منزلة التعليم مستمدة من قداسة مصدريته التي صبغه الله بها ، فالعلم هو الذي يقود حركة الأمم ويصوغ العقول والأفكار لذلك جاء الأمر الإلهي: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون). فالمعلم الناجح هو الذي يؤثر في الناس ويغير من مسارهم وفق ما أراد الله ، لذا نحتاج إلى المعلم الذي يمتلك القدرة على إحداث ذلك التغيير ذي شخصية قوية لأن الحق لا ينتصر لوحده ما لم تكن وراءه نفس قوية تأخذ به تذود عنه ، فمعلم القرآن يتبوأ منزلة في الإسلام هي أسمى مكانة. (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). رواه البخاري. وما ذلك إلا للدور المنوط به فلا يمكن للمعلم أن يملك أدوات التأثير وهو ضعيف وأدواته قديمة غير متجددة ، إن الزمن الذي نحن فيه يحتاج إلى الأدوات الفعالة لإحداث التغيير. والمعلم المربي مطلوب منه أن يفهم طلابه ويعطيهم الحافز الأخروي والإيماني حتى يقدروا على مواصلة المسير بنجاح ، كما أن المعلم مطلوب منه أن يواجه هذا الزخم الهائل من الملهيات والمشغلات التي تصرف أذهان الطلاب عن القرآن وعن معالي الأمور ، وبقدر ضخامة المهمة التي أسندت للمعلم بقدر الحاجة إلى أن يتصف بصفات مؤهلة لذلك العمل ، فحيث كان الحديث عن الصفات الفطرية التي جبل عليها نتوقع أن يحوز المعلم على أرفعها مكانة وشأناً ، فلا يمكن أن يكون في المربي صفات فطرية مُنفرة طبعاً ومُقززة عُرفاً ، وحيث كان الحديث عن الصفات المعرفية التي ينبغي أن يعرفها عن واقعه الذي يعيش فيه ، نتوقع أن يطلع المعلم على ثقافات متنوعة حتى يكبر في عين طلابه ، فلا يمكن للمربي المعلم أن يجهل أساسيات معرفية في عصره حتى لا يتحول إلى أضحوكة يتندر بها الناس ، وحيث كان الحديث عن الصفات التربوية نتوقع أن يتصدر لها المعلم الناجح معرفة ودراسة وممارسة لأنها هي الميدان الحقيقي لعمله حتى يمكنه أن يدعو على بصيرة وعلى فهم نفسيات من يخاطب (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) ، وحتى يكون قدوة حسنة على أرفع مستوى ليقبل التلاميذ عليه برغبة وشوق واحترام (إن التناقض بين الكلام والعمل يهدم كيان الشخصية). فالمعلم يُعلم بعمله أضعاف أضعاف ما يعلم بعلمه ، فإذا خالف عمل المعلم ما يقول انهارت شخصيته في أعين طلابه ، وأساء المعلم إلى نفسه ولما يدعو ولدينه ، لذا ينبغي للمعلم (إذا وعد أن يوفى ، وإذا أوصاهم بشيء أن يبدأ بنفسه ، فإن حدثهم عن الصدق فليصدق ، وإن حدثهم عن التواضع فليتواضع ، وإن نصحهم بالهمة والعزيمة والجد والنشاط فليكن هو مثال ذلك ، شعلة تتوقد حركة واضطراباً). وقبل كل شيء ينبغي أن يطبق ما يقول حتى يقبل عند الله ، فالإيمان قول وعمل ، وأخيراً ينبغي للمعلم أن يقرأ ويسمع ويناقش ذوي الخبرة الواسعة ومن هم في الميدان العملي حتى يرتقي بشخصيته علماً وفهماً وتعليماً وتربيةً).هـ. والحقيقة أنه إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. وإذا اعتمد الإنسان على نفسه يسد حاجته وإذا نظر إلى من عمل واجتهد ونفع نفسه وأهله فإنه يصبح قدوة لأبنائه فيحذون حذوه لأن أفضل معلم للأبناء هو الوالد والمعلم. والوضوح هو فضيلة المعلمين. فمن معلمي تعلمت الكثير ومن زملائي تعلمت أكثر ومن تلاميذي تعلمت أكثر وأكثر. إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة. وصدق من قال: مهمة المعلم الحديث ليست أن يُخلي الأدغال ويمهدها ، بل أن يروي الصحاري. وإذن فالمعلم الممتاز هو ذلك الذي لا يقتصر على إيصال المعارف إلى أذهان تلاميذه ، بل يضع لهم الخطط للدراسة بحيث يمكنهم أن يستغنوا عنه وأن يُعَلِّمُوا أنفسهم مستقلين مدى حياتهم. والمعلم الناجح هو

أهم أعمدة بناء التعليم الناجح. والتكنولوجيا هي مجرد أداة فيما يخص تحفيز الأطفال وجعلهم يعملون معاً فإن المعلم هو الأهم. على المعلم ، والمرشد ، والمفكر. أن لا يقتصر على دلالة الناس على ما عليهم أن يفعلوه ، بل عليه قبل ذلك أن يقنعهم بأهمية ذلك ، ويقنعهم بخطورة تركه ، وخطورة التخلي عنه. وفي إجابة له عن سؤال من أحد المعلمين يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (المعلم في مدرسته مؤتمَن ، ومسئول على ما أؤتمن عليه ، مِن نصح الطلاب ، وتوجيههم ، والأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم ونفعهم ، كما جاء في حديث عن عَبْد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). رواه البخاري ومسلم).هـ. وفي تحقيق صحفي حول هيبة المعلم واحترامه أجراه مع عدد من التربويين وأولياء أمور الطلاب الأستاذ أحمد الشايع جاء في بعض فقراته ما نصه: (بعض المعلمين يفرض هيبته ومحبته على طلابه بثقافته وسلوكياته وحسن إدارته. ولا يختلف اثنان على أهمية المعلم ودوره في العملية التعليمية والتربوية ، وأنَّه النقطة الأولى التي ينطلق من خلالها الأجيال نحو المستقبل في جميع الأمم ، ومهما اختلفت الظروف أو تبدّلت إلاَّ أنَّه يبقى للمعلم دور كبير ومؤثر على مسيرة هذه الأجيال ، تربوياً وتعليمياً واجتماعياً ، لذا فمن الضروري احترام المعلم وتقديره وإعطائه الصلاحيات التي تساعده على أداء مهمته في تقديم جيل متعلم مثقف متحل بأفضل القيم والمبادئ التي ستكون عوناً له ـ بعد الله ـ في إكمال مسيرة حياته بثقة وثبات. وأكَّد مختصون أنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، مُضيفين أنَّ هيبته لا تتحقَّق باستخدام العصا ، موضحين أنَّ فرض الهيبة يتطلَّب توفّر عدد من الشروط في المعلم ، ومنها أن يكون من خريجي كليات التربية حتى يكون مدركاً لقواعد التربية السليمة ومدى دوره في توجيه وإعداد وتقويم طلابه ، وإنْ لا يكن كذلك فليُجر له امتحان قاس في السلوكيات التربوية ليُعلم مدى إلمامه بها! إلى جانب إدراكه أنَّ الضرب والعنف من شأنهما خلق جيل معقد كاره لذاته ومجتمعه ومحيطه ، وكذلك النظر إلى هذه المهنة على أنَّها رسالة وليست وظيفة ، داعين إلى توفير حياة كريمة للمعلم ؛ لكي يتخلَّص من الأعباء والضغوط الواقعة عليه ، مُشيرين إلى أنَّ ضياع هيبة المعلم يعود إلى عدد من الأسباب ، ومن بينها بيئة العمل ، والأسرة ، والمعلم نفسه ، إلى جانب بعض الطلاب ممَّن لا يرغبون في التعليم ، وكذلك بعض وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. وقال د. عبد الله بن حميد وكيل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها: إنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، وهذا هو ما كان عليه المعلمون في الماضي ، وذلك قبل حوالي (50) عاماً مضت ، حيث كان المعلم – آنذاك ـ يفرض احترامه وهيبته ومحبته في قلوب طلابه بالقدوة الحسنة وغزارة العلم وسعة الثقافة وبُعد النظر. وأشار إلى أنَّ المعلم كان حينها هو الأب الثاني للطالب في تعليمه وتربيته وحنوّه وحرصه عليه ، فكان الطالب يحترم معلمه ويهابه ويتعامل معه بأدب وتقدير ، كما كان المعلم يفيض على الطالب من علمه الغزير وسلوكه المستقيم ونظافة ملبسه وطيب رائحته وعاطفته الأبوية ، في ظل وجود ثقة متبادلة بين المعلم ووالد الطالب ، ممَّا ساهم في تخريج جيل نادر من المعلمين التربويين والإداريين ، موضحاً أنَّ من أسباب ضياع هيبة المعلم الضعف العلمي عند البعض وقلَّة ثقافتهم. وأضاف أنَّ من بين الأسباب أيضاً رداءة خط بعض المعلمين ، ممَّا يعكس أثره السلبي في نفس الطالب ، إلى جانب ممارسة البعض

بعض السلوكيات السلبية ، كتعاطي التدخين ، ممَّا يجعل منه قدوةً سيئةً لطلابه ، وكذلك عدم اهتمام البعض بأداء الصلوات المفروضة في أوقاتها ، إضافةً إلى انصراف البعض عن القراءة في الكتب العلمية والاطلاع على ما يتصل بتخصصه العلمي وتنمية ثقافته واقتصاره على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. وأوضح د.عبدالعزيز العسيري عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة نجران أنَّ هيبة المعلم لا تعني استخدام العصا من أجل تحقيق الهيبة والوقار والاحترام ، ففي العقود الماضية كانت هيبة المعلم محفوظة لا يجوز لأحد الاقتراب منها أو التقليل من شأنها ، ودعا إلى توفير حياة كريمة للمعلم لكي يتخلَّص من الأعباء والضغوط المادية الواقعة عليه ، مُضيفاً أنَّ تزايدها يزيد من احتقان وغضب المعلم ، ومن ثمَّ قد يلجأ إلى استخدام العنف مع الطلاب كوسيلة للتنفيس عن هذه الضغوط ، مُشدِّداً على ضرورة التزام المعلم بمبدأ الثواب والعقاب بعيداً عن العقاب البدني والعنف في التعامل مع الطلاب ، مؤكداً أنَّ هيبة المعلم أمام طلابه تُعدّ أمراً بديهياً لا نقاش فيه ، مُشيراً إلى أنَّها فطرية وليست مكتسبة. وأكد د. عسيري الأحوس مساعد مدير التعليم بمحافظة صبيا أنَّ من أهم الأسباب التي أدت إلى فقدان المعلم هيبته ، عدم استطاعته صنع حدود بينه وبين طلابه ، كما أنَّ دخول أشخاص غير مؤهلين لممارسة هذه المهنة ساهم بشكل كبير في الإساءة لصورة المعلم وللعملية التعليمية برمتها ، مُضيفاً أنَّ التشويه الإعلامي للمعلم كان ولا يزال له دور كبير في تقديم صورة غير مقبولة لدى أفراد المجتمع. وبيَّن أنَّ ذلك كان من خلال تضخيم بعض السلوكيات ؛ بهدف جذب القارئ دون الحفاظ على حقوق المعلمين والمعلمات ، مشيراً إلى أنَّ طالب اليوم ليس كطالب الأمس، موضحاً أنَّ الطالب كان ينظر إلى التعليم على أنَّه المخرج الوحيد لمستقبله في الحياة ، وكان مثابراً مجتهداً يسعى جاهداً للحصول على أعلى الدرجات العلمية ، مُشدِّداً على أهمية دور المجتمع والأبوين في غرس نظرة الاحترام للمعلم في نفس الطالب. ولفت الأستاذ أحمد حداد إلى أنَّ أهم سبب في ضياع هيبة المعلم يعود للمعلم نفسه ، خصوصاً من حيث القدوة الحسنة ونقص المادة المعرفية والتربوية والعلاقة بين المعلم والطالب ، كما أنَّ للأسرة دوراُ في التقليل من شأن المعلمين أمام الأبناء وتعميم حالات فردية من المعلمين على الجميع ، إلى جانب أنَّ حقوق المعلمين قد أغفلتْ ، ولوّح له باستخدام العقوبات وتجاهل المُحفِّزات ، في الوقت الذي يلعب فيه الإعلام ووسائل التواصل الحديثة دوراً واضحاً في تصيّد أخطاء بعض المعلمين وتضخيمها. وأشار إلى أنَّ إعادة هيبة المعلم تتطلَّب أن يكون المعلم على أساس تربوي متين ، إلى جانب إعداده بالشكل المطلوب ، وكذلك غرس حب واحترام المعلمين من قبل الأسرة في أبنائهم ، إضافةً إلى مكافأة المتميز منهم ومحاسبة المقصر وتوفير المدربين القادرين على تأهيل المعلمين. وأوضح أحمد آل فرحان ، المستشار التعليمي بتعليمية منطقة عسير ، أنَّ على المعلم الذي يريد أن تعود له شخصيته الاجتماعية والتعليمية أن يضع نصب عينيه ثلاثة أمور أساسية ، * القدوة التربوية التي ينبثق منها حزمة من القيم والمبادئ الدينية والاجتماعية ، * القناعة الأكيدة بتأدية رسالته العلمية والمعرفية والانتماء لها كرسالة وواجب ديني واجتماعي بعيداً عن قولبتها كوظيفة أو عمل انخرط في مجاله دون قناعة ، * تطوير ذاته بالبحث والتجريب والاطلاع. ورأى أحمد معافا ، مدير إدارة الجودة بتعليم منطقة عسير ، أنَّه ليس من المنطق التسليم بعبارة أنَّ المعلم فقد هيبته ، وتحديداً في المرحلة الابتدائية ، مُضيفاً أنَّ الأمر يحتاج إلى دراسة علمية تحدد بالفعل صحة ذلك من عدمه ، مُضيفاً: بما أنَّنا نُقرّ بذلك في هذه المرحلة الدراسية ، فمن باب أولى وجودها في

المرحلتين المتوسطة والثانوية ، موضحاً أن هناك ثلاثة جوانب يجب أن تتكامل لتحفظ للمعلم هيبته. وأضاف أنَّ هذه الجوانب تنطلق من المعلم ذاته ودوره في بناء شخصيته أمام طلابه ، ثمَّ من النظام القائم ، وأخيراً من المجتمع ودوره في هذا الأمر ، موضحاً أنَّ غياب أحد هذه الجوانب وضعفه يؤثر بشكل واضح على هيبة المعلم ومكانته. وأكَّد حسن آل هيازع ، مدير مدرسة ابتدائية بمدينة أبها ، أنَّ ضياع هيبة المعلم – للأسف - يعود لبعض أولياء أمور الطلاب ممَّن تأثروا سلباً بما يحيط به ، وبالتالي أصبح المعلم هو الشماعة لأخطاء المنزل ، إلى جانب دور بعض وسائل الإعلام وامتهانها لوظيفة المعلم ، بحيث أصبح إظهار المعلم في البرامج بشكل ساخر ؛ ممَّا أثَّر على هيبة المعلم بشكلٍ سلبي ، داعياً وسائل الإعلام إلى تحري الصدق فيما ينقلونه عن المعلم ، مُشدِّداً على ضرورة أخذ جميع الآراء قبل نشر أيّ موضوع ؛ لكي تتضح الصورة الحقيقية للمتلقّي. وقال د. توفيق السويلم ، مدير دار الخليج للبحوث والاستشارات الاقتصادية: إنَّ الراصد لواقع التعامل مع المعلم يجد أنَّه يختلف حسب طبيعة وثقافة المتعاملين معه ، فمن لديهم وعي وإدراك بأهمية المعلم نجد أنَّهم ينزلونه المكانة التي يستحقها من التوقير والاحترام ، أمَّا من يفتقدون إلى الوعي والثقافة فنجد أنَّهم يتعاملون معه بشيء من عدم الاحترام والتوقير ، كما أنَّ هناك العديد من المتغيرات التي طرأت على هذا الواقع فتسببت في مجموعة من المظاهر السلبية. وإنَّ من بين هذه المظاهر السلبية ، ظاهرة ضياع هيبة المعلم في العديد من المراحل التعليمية ، ومنها المرحلة الابتدائية ، مُضيفاً أنَّ من أهم أسباب ذلك قلَّة الوعي لدى العديد من أفراد المجتمع بأهمية التعليم ودوره في التنشئة السوية نتيجة لتوفر سبل الحياة المترفة ، وبالتالي تولَّد لديهم إحساس بأنَّ التعليم ما هو إلاَّ تحصيل حاصل ، وكذلك هناك الأسرة المتفككة التي لا تُنتج إلاَّ طلاباً غير أسوياء ، مع ضعف التربية والمتابعة في المنزل. وأضاف أنَّ بعض وسائل الإعلام تحط من قدر التعليم والمعلم على حساب كم الأخبار إلى جانب تعميم الحالات الفردية كظاهرة تُعمَّم على الجميع بلا استثناء ، مُشيراً إلى أنَّ من أهم الأسباب أيضاً قد يكون ما هو راجع إلى عدم حصول المعلم على القدر الكافي من التدريب والتأهيل التربوي الذي يساعده على التعامل مع مثل هذه السلوكيات السلبية داعياً إلى تقديم برامج تأهيلية وتدريبية للمعلمين تساعدهم على التعامل مع مثل هذه الحالات وكيفية تجنبها حتى لا تضيع هيبتهم؟).هـ. وما أحلى هذا الكلام ، وخاصة أنه يصدر من قوم تربويين لهم في التربية والتعليم الباع الطويل وقصب السبق والقدح المعلى! ويقول الأستاذ منصور بسيم الذويب معلقاً على كتاب نقشه الكاتب (محمد عبد الجبار العزاوي) عنوانه: (مسائل في التربية والثقافة والتعليم) ما نصه: (من الجميل والمُطَمْئِن معاً ، ان نجد كتاباً لأستاذٍ متمرسٍ ، يُدَرِّسُ لأهم مؤسسة تربوية تعليمية ، تُخَرِّجُ معلماً يكون للأجيال شمعة تضيء لها طريقها وتمدها بأسباب المنعة والاستعصاء على الغفلة والجهل ويرسم لها طريق التقدم والازدهار ، والأجمل من ذلك أن نلمس بأن دافع هذا الأستاذ ليس الرغبة في تأكيد ذاته والحصول على مجده الشخصي ، إلا بقدر ما تتطلبه النفس ، مما لا يمكن دفعه أو نكرانه ، أو التحايل عليه فلكل منا نوازعه وحبه لذاته. وَحَسَنٌ أن نجد الرغبة في تأكيد ذواتنا تسير بتوازن معقول جنباً الى جنب مع ما يتطلبه الواجب وصون الأمانة ، خصوصاً إن أجبرنا نفوسنا لأن تسلك سبلاً وفجاجاً لا يمكن أن يسلكها إلاّ قوي النفس وثابت العزم من النمط الذي يشعر بجسامة الأمانة ، وليس هنالك من أريب واع مشفق ، يفوق في إشفاقه من يُدَرِّس لمعلمي المستقبل ، لما يعلم من حجم المسؤولية التي يحمل الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه نشر في

وقت نحن في أمس الحاجة اليه ، ليشخِّص واقع التربية والتعليم ، هذا الواقع الذي ما زال دون المستوى المقبول ، ولا يمكن لمجتمع يشعر بقيمته أن يرضى به ، ولكن المجتمع ما زال يأمل أن يرصد أصحاب الاختصاص الأخطاء التي تشوب العملية التربوية والتعليمية حتى يتناولونها بالعلاج الناجع كالطبيب الحاذق تماماً ، ما يضفي الطمأنينة ويثلج صدور المخلصين إن أصحاب الاختصاص ممن عاصروا التدريس العلمي الرصين حسب ثوابته وأصوله الصحيحة في الماضي ما زالوا أحياء يعطون ، وما زالت علاقتهم وطيدةً بمجتمعهم الدراسي وهم خلاصة جهود عقود وعقود بذلها المخلصون ، فليس من الحكمة التفريط فيهم ، والخشية كل الخشية أن نخسرهم بالتقاعد أوبغيره ، لأنهم القبس الذي يضيءُ لأبنائنا طريقهم الذي يفضي الى درب مستنير ، وهم ينورون لمعلم المستقبل طريقه في مجتمع فاضل يدرك عِظَمَ مسؤوليته امام الله ، هذا المجتمع الذي لا يحفل إلاّ بالكفاءات المقرونة بالعلم الحقيقي الذي حُصِّلَ بسهر الليالي وبالدَّأَبِ والتصميم والاجتهاد. مهنة المعلم من المهن التي ليس من الإنصاف أن يستهان بها ويُنظر إليها على أنها من أدنى المهن التي يوصلها التعليم النظامي المنهجي ، من حيث معدل القبول في معاهد المعلمين والراتب والمكانة ، كما ومن الضرورة عدم التساهل في اختبار المتقدمين لهذه المهنة ، حتى لا نعود نشعر بأن هنالك من يعمل على الحط من مكانة المعلم واعتبار دوره من الأدوار الهامشية في المجتمع مقارنة بالطبيب والمهندس والمحامي ، وكل الراشدين يعلمون أن مهنة المعلم أعظم تأثيراً وأرفع شأناً وأهمية على الإطلاق ، وأن دوره من أخطر الأدوار. لكل ما تقدم كان كتاب الشاعر والقاص والتربوي (محمد عبد الجبار العزاوي) الموسوم (مسائل في التربية والثقافة والتعليم) الذي تضمن مقالات نشرها في مختلف المنابر الصحفية ، مع محاضرات ألقاها على تلامذته وتلميذاته في المدارس ومعاهد المعلمين والمعلمات ، كانت فيها أطروحات قيِّمة وخطيرة تمس الجانب التربوي والتعليمي ، بثها إلينا عبر كتابه الذي أجد أنه من الضرورة تعميمه ونشره في المجالات التربوية والتعليمية ليكون رافداً من روافد الإصلاح في بلدنا العزيز ، مستمد من واقع المؤسسات التربوية والتعليمية ، بل من أهمها ، وهي المعاهد التي تصنع المعلمين والمعلمات ، أهم حلقة من حلقات تقدم ورقي المجتمعات تَضمَّنَ الكتاب مواضيع شُخِّصَت فيها الأخطاء ثم اقترحت فيها العلاجات ، كان الكاتب يود أن تُختار العناصر المخلصة في شغل المواقع التربوية المهمة ، وقد تعرض في كتابه إلى مشكلة آلاف التلاميذ المتسربين من مدارسهم ، والى وجود الكثير من المباني المدرسية الخربة ، وإلى مئات المدرسين والمعلمين غير المؤهلين ، فضلاً عن إدارات المدارس والمعاهد غير المنتظمة ، وإلى تفشي ظاهرة المسكرات والمخدرات في بعض المدارس ، وطلب بأن تكافح هذه الأمراض قبل أن تنخر وتدمر مرافق التربية والتعليم ، وأن يتكاتف الجميع لتحمل المسؤولية بعيداً عن العواطف. ثم وجد الكاتب (العزاوي) أن من الصواب رفض أي دخيل غير تربوي مفروض من أية جهة كانت ، ونبه إلى ضرورة احترام المراجعين البسطاء عند مراجعتهم لدوائر التربية والتعليم ، وإلى الحاجة إلى تأهيل بعض المعلمين والمدرسين في الدورات التطويرية ، وإلى اعتماد أحدث المبتكرات والتقنيات في تقديم المادة العلمية في التلفاز التربوي ، أشار إلى كل ذلك تحت عنوان (معالجات آنية) وتحت عنوان (أنصفوا المعلم الذي كاد أن يكون رسولاً) كان الكاتب (العزاوي) ينظر بألم إلى حال المعلم الذي رأى كأنه كرة تتلقفها أرجل خفية ، تحاول طمس ما تبقى من معالمه النبيلة ، وتسائل لم هذهِ الحرب الطاحنة على المعلم الذي كان جهده سبباً في وصول أصحاب القرار إلى

مناصبهم التي هم فيها ، وأمل أن لا يعود هذا المعلم مرة أخرى بسبب حاجته المعاشية إلى بيع المسامير والمعلبات في البسطيات كما كان في السابق ، فالمعلم جدير بأن يكرم ويجزى بأحسن العطايا. ثم تحت عنوان (حملة الشهادات العليا بين وزارة التعليم العالي ووزارة التربية) رأى بأن من الأنسب سحب أصحاب الشهادات العليا من معاهد المعلمين والمعلمات وإلحاقهم بالجامعات ، لأن تلامذة معاهد المعلمين من خريجي الدراسة المتوسطة ، وهم ليسوا بحاجة إلى أساتذة يحملون شهادة الماجستير أو الدكتوراه ، أو يُعمل على فك ارتباط معاهد المعلمين من وزارة التربية وإلحاقها بوزارة التعليم العالي ، حينها سينقل حملة البكالوريوس إلى المدارس الثانوية ، وتحل بذلك معضلتين في آن واحد).هـ. ويقول الأستاذ الشادي الحجازي وتحت عنوان: (الراشد السديد بين المعلم والمستفيد) ما نصه: (عندما يكون المعلم في أوج العلم متمعمعاً في بحور المعرفة متجاوزاً كل التحديات والصعوبات تاركاً الجهل خلفه والعلم أمامه ، وطريقه الذي يسير عليه مزدهراً بشعاع النور والابتهال والعمل الصالح ، فتنبثق عن ذلك النتائج الإيجابية عليه وعلى المجتمع المحيط به فتكون هناك أمور أكثر ما تكون رائعة وبهيجة أهمها ما يلي: صفات القدوة أي المعلم وقوة إيمان وخشيته من الله وصدقه مع نفسه. * نظرة التعليم وطريقة وصول * المعلومة إلى المُستَقبَل أي (الطالب الصاغي). * ملاءمة الدروس للبيئة المحيطة بالمتلقي وجعل الحكمة أساساً لكل شيء. * إخلاص العمل لوجه الله تعالى. * الآداب الجميلة التي يتحلى بها المورث للخُلق ظاهراً وباطناً. ربما تكون هذه هي أهم الأسباب الرئيسية من دون حصر ولا اكتفاء بالأمور الجلية ، أريد أن أسرد هذه بالتفصيل بقصد الإفادة لا بقصد التطويل ، متبعاً طريقة القياس بين الطالب وبين من كانوا في هذا الجانب هم الأساس ، وهم الأصول وهم النبراس. صفات القدوة نبدأ بما قاله الإمام ابن القيم في كتابه القيم (الفوائد) للقلب ستة مَواطن لا سابع لها (ثلاثة سافلة وثلاثة عالية ، فالسافلة هي: دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له. فهذه مَواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها ، والثلاثة العالية هي: علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، فالقلوب جوالة في هذه المَوَاطن). أهـ. والذين يتقون الله ويعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا ، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة. وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخِستها والآخرة وإقبالها ودوامها ، واجتماع العلم والإيمان أفضل ما تكتسبه النفوس وتحصّله القلوب وينال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة ، وقد سئل أحد أهل العلم أيهما أكثر العلم أم الكلام ، فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر .أهـ. فينبغي على القدوة أن يكون علمه وعمله أكثر من كلامه فعندما يقل الكلام يكثر العمل وكذلك العكس وكلما زادت صفات المعلم الحسنه زاد وحسن توريثه لها وتزيد ثقة الطالب به. وتحسّن صورته عنده فيحصل المطلوب والمرجو من القدوة طريقة إيصال المعلومة إلى المستقبل إذا علم وأمن المُعلم بأن العلم هو نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس. فينبغي أن يحسّن صورة الخارج ويعمل على محاولة ترسيخها في نفس المُستَقبل والعمل على ذلك يتطلب من المعلم جهد وفير وعمل صادق مع النفس والغير ونستطيع ذكر بعض الأمور المساعدة في توصيل المعلومة منها ما يلي: 1 ـ معرفة حال وطريقة تفكير المُستمع ، فمن المعروف أنه لا يتفق اثنان في طريقة تفكير واحدة مثلاً ربما تكون نفسية أحد الأشخاص تفضل الترغيب على الترهيب يعني أنك إذا أتيته من جانب الترغيب في الشيء يحسن الاستماع والقبول والعمل بما قيل وتركيز تفكيرية على الأمر المرغب فيه

حتى يصل إليه ويحقق بذلك مناه وراحت نفسه. وأما إذا كانت نفسية الشخص تفضل الترهيب على الترغيب وتجد في الترهيب الأمر الفاصل في أمورها. وربما نفسية أخرى تفضل النصح والأخذ والرد وطريقة الإقناع والاقتناع على طريقة الفرض والإيجاب . فكل يؤتى من حيث يجد القبول ، وأظن بأن معرفة طريقة توصيل المعلومة أهم من توصيل المعلومة نفسها. اختيار وسيلة من الوسائل الحديثة والمحببة لكل شخص فربما شخص ليحب القراءة ولكن يحب الاستماع إلى الأشرطة والمحاضرات ، وعلى النقيض من يحبذ القراءة على الاستماع الكثير ، وعلى ذلك تقاس الأمور. 2- اختيار الشيء المناسب لفكره وكما قيل إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع ، وأيضاً انتهاز الفرص واللحظات وكما يقول ابن القيم في الفوائد: (إذا علقت شروس المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبة! فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها).أهـ. كما يعلم الجميع أن القاعدة في قبول الأعمال إخلاصها لوجه الله تعالى والتعليم يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى لأنه توريث للعلم والخُلق فينبغي أن يكون الموّرث مالكا للشيء وإلا كيف يتم تقسيم تركة من لا تركة له ، يقول الإمام ابن القيم في الفوائد: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت ، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص. فإن قلت وما الذي يسهّل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح! قلت: أما ذبح الطمع فيسّهله عليك يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله خزائنه لا يملكها غيره ، ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهّله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده ، كما قال ذلك الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم إن مدحي زين وذمي شين فقال: (ذاك الله عز وجل). ازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب).أهـ . قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}. فمن جعل الثناء نصب عينيه ذهب الإخلاص عنه دون أدنى شك! فالإخلاص والثناء كالماء والزيت لا يجتمعان إلا في لحظة تحريك قوي ثم يعود كل إلى أصله. ولذا فإنه يجب الحرص على نشر العلم بجميع الوسائل! وأن يبذله لمن طلبه بطلاقة وانشراح صدر مغتبطاً بنعمة الله عليه بالعلم والنور وتيسير من يرث علمه عنه! وليَحذر كل الحذر من كتمان العلم في حال يحتاج الناس فيها إلى بيانه أو يسأله عنه مسترشد! ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار). ثانياً: الصبر على أذى المتعلمين وسوء معاملتهم له لينال بذلك أجر الصابرين ويعودهم على الصبر واحتمال الأذى من الناس لكن مع ملاحظتهم بالتوجيه والإرشاد والتنبيه بحكمة على ما أساءوا به لئلا تضيع هيبته من نفوسهم فيضيع مجهوده في تعليمهم . ثالثاً: أن يمثل أمام الطلبة بما ينبغي أن يكون عليه من دين وخلق فإن المعلم أكبر قدوة لتلميذه وهو المرآة التي ينعكس عليها دين المعلم وخلقه. رابعاً: أن يسلك أقرب الطرق في إيصال العلم إلى تلاميذه ومنع ما يحول دون ذلك فيعتني ببيان العبارة وإيضاح الدلالة وغرس المحبة في قلوبهم ليتمكن من قيادتهم وإصغائهم لكلامه واستجابتهم لتوجيهه. وهناك أمور يجب أن يتحلى بها طالب العلم أي

المُستَقبِل لكي يصبح رجلاً ذا هدف في الحياة وفائدة في المجتمع بحيث تكون سني طلب العلم قد أجدت نفعاً وتكون الثمرة واضحة على الشجر ولكي تستوي الثمرة لا بد أن تصبر حتى يبدو صلاحها ولكي تكون مرغوبة عند الناس فكن أخي كهذه الثمرة وحاول أن يبدو صلاحك لتكون مرغوباً عند الناس ويجب أن تكافح من أجل طلب العلم ولكي تقدم على ذلك نقدم لك بعض الأمور المهمة: أولها: صدق العزيمة ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله قال تعالى: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}. فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل. فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه ، وأنه لا يختلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه ، فعزيمته القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره ، وهذا الصدق معنىً يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله. وكما أنه على المرء الاعتماد على نفسه في طلب العلم ومحاولة جعلها أن تكون صادقة مع نفسها والغير وأن لا تستمع إلى المثبطين وأهل إضعاف العزائم فهم والله ليسوا إلا حثالة من حثالات المجتمع وينبغي على طالب العلم مجاهدة أعدى أعدائه وهم إبليس وجنوده لعنة الله عليهم أجمعين. قال أحد العلماء رحمه الله تعالى: (عليك يا أخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين: أحدهما: أنه عدو مُضل مبين لا مطمع فيه بمصالحة واتقاء شره أبداً ، لأنه لا يرضيه ويقنعه إلا هلاكك أصلاً فلا وجه إذا للأمن هذا العدو والغفلة عنه. والخصلة الثانية: إنه مجبول على عداوتك ، ومنتصب لمحاربتك في الليل والنهار يرميك بسهامه وأنت غافل عنه ، ثم هوله مع جميع المؤمنين عامة ومع المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة ومعه عليك أعوان نفسك الأمارة بالسوء ، والهوى والدنيا! وهو فارغ وأنت مشغول وهو يراك وأنت لا تراه! وأنت تنساه وهو لا ينساك! فإذاً لا بد من محاربته وقهره وإلا فلا تأمن الفساد والهلاك والدمار. ومحاربته بالاستعاذة بالله والإكثار من الذكر). أهـ. الانتفاع بالعلم لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم إلا من عرف نفسه ، ووقف بها عند قدرها ، ولم يتجاوزه إلى ما ليس له ، ولم يتعد طوره ولم يقل هذا لي وتيقن أنه لله ومن الله وبالله ، فهو المانّ به ابتداء وإدامة بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه ، فتذله نعم الله عليه وتكسره كسرة من لا يرى لنفسه ولا فيها خيراً البتة ، وأن الخير الذي وصل إليه فهو لله به ومنه ، وهذا نتيجة علمين شريفين: علمه بربه وكماله وبره وغناه وجوده وإحسانه ورحمته. وينبغي على طالب العلم أن يقنع بطلب العلم وأن يصب كل طمع الدنيا في النظر إلى المعالي دائماً مادام طالباً للعلم. وكما قيل اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال. وكما أن المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونية صحيحة ، فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه ، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره. وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه ، فالنية تفرد له الطريق ، والهمة تفرد له المطلوب ، فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته ، وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى. وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقه غير موصلة إليه. فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه ولا يتم إلا بترك ثلاثة أشياء: الأول: العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس. الثاني: هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه وقطعها. الثالث: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين

تجريد التعليق بالمطلوب والفرق بينهما أن العوائق هي الحوادث الخارجية ، والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها ، وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والمنام والخلطة ، فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه ، والله المستعان. فهل التوفيق والخذلان سبب أم هما بمجرد المشيئة لا سبب لهما؟ فإذا سببهما أهلية المحل وعدمها ، فهو سبحانه خالق المحال متفاوتة في الاستعداد والقبول أعظم تفاوت ، فالجمادات لا تقبل ما يقبله الحيوان ، وكذلك النوعان منهما متفاوت في القبول. فالحيوان الناطق لا يقبل ما يقبله البهيم ، وهو متفاوت في القبول أعظم تفاوت. وكذلك الحيوان البهيم متفاوت في القبول ولكن ليس بين النوع الواحد من التفاوت كما بين النوع الإنساني. فإذا كان المحل قابلاً للنعمة بحيث يعرفها ، ويعرف قدرها وخطرها ، ويشكر النعم بها ، ويثنى عليه بها ، ويعظمه عليها ، ويعلم أنها من محض الجود وعين المنة ، من غير أن يكون هو مستحقاً لها ولا هي له ولا به ، وإنما هي لله وحده وبه وحده. فوحده بنعمته إخلاصاً ، وصرفها في محبته شكراً وشهدها من محض جوده منة ، وعرف قصوره وتقصيره في شكرها عجزاً وضعفاً وتفريطاً ، وعلم أنه إن أدامها عليه فذلك محض صدقته وفضله وإحسانه ، وإن سلبه إياها فهو أهل لذلك مستحق له. وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته ، وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم لقال: هذا لي ، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه كما قال الله حكاية عن قارون: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}. أي على علم علمه الله عندي استحق به ذلك واستوجبه واستأهله. قال الفراء: أي على فضل عندي أني كنت أهله ومستحقاً له إذا أعطيته. قال مقاتل: يقول على خير علمه الله عندي. وذكر عبد الله بن الحارث بن نوفل: سليمان بن داود فيما أوتي من الملك ، ثم قرأ قوله تعالى: ({قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}. ولم يقل هذا من كرامتي ، ثم ذكر قارون وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} يعني أن سليمان رأى ذلك من نفسه واستحقاقه. وكذلك قوله سبحانه: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}. أي أنا أهله وحقيق به فاختصاصي به كاختصاص المالك بملكه. ومما ينبغي أن يُعلم أن أسباب الخذلان مع بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها ، وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة. فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه عير قابلة له ، وخلق الشجر ، هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها ، وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك. وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده ، وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده ، وهو الحكيم العليم. ومن آداب طالب العلم: أولاً: بذل الجهد في إدراك العلم فإن العلم لا ينال براحة الجسم ، فيسلك جميع الطرق الموصلة إلى العلم. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة). ثانياً: البدء بالأهم فالأهم فيما يحتاج إليه من العلم في أمور دينه ودنياه فإن ذلك من الحكمة: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}. ثالثاً: التواضع في طلب العلم بحيث لا يستكبر عن تحصيل الفائدة من أي شخص كان ، فإن التواضع

للعلم رفعة والذل في طلبه عز ، وكم من شخص أقل منك في العلم من حيث الجملة وعنده علم مسألة ليس عندك منها علم. رابعاً: توقير المعلم واحترامه بما يليق به فإن المعلم الناصح بمنزلة الأب يغذي النفس والقلب بالعلم والإيمان فمن حقه أن يوقره المتعلم ويحترمه بما يليق من غير غلو ولا تقصير ويسأله سؤال المستلهم المسترشد لا سؤال المتحدي أو المستكبر وليتحمل من معلمه ما قد يحصل من جفاء وغلظة وانتهار لأنه ربما يكون متأثراً بأسباب خارجية فلا يتحمل من المتعلم ما يتحمله منه في حال الصف والسكون. خامساً: الحرص على المذاكرة والضبط وحفظ ما تعلمه في صدره أو كتابه فإن الإنسان عرضة للنسيان فإذا لم يحرص على ذلك نسي ما تعلمه وضاع منه ، فليعتن بحفظ كتبه من الضياع وصيانتها من الآفات فإنها ذخره في حياته ومرجعه عند حاجته).هـ. ويقول الأستاذ أحمد الشايع تحت عنوان: (هيبة المُعلّم ضايعة!) ما نصه: (بعض المعلمين يفرض هيبته ومحبته على طلابه بثقافته وسلوكياته وحسن إدارته. إنه لا يختلف اثنان على أهمية المعلم ودوره في العملية التعليمية والتربوية ، وأنَّه النقطة الأولى التي ينطلق من خلالها الأجيال نحو المستقبل في جميع الأمم ، ومهما اختلفت الظروف أو تبدّلت إلاَّ أنَّه يبقى للمعلم دور كبير ومؤثر على مسيرة هذه الأجيال ، تربوياً وتعليمياً واجتماعياً ، لذا فمن الضروري احترام المعلم وتقديره ، وإعطائه الصلاحيات التي تساعده على أداء مهمته في تقديم جيل متعلم مثقف متحل بأفضل القيم والمبادئ التي ستكون عوناً له ـ بعد الله ـ في إكمال مسيرة حياته بثقة وثبات. وأكَّد مختصون أنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، مُضيفين أنَّ هيبته لا تتحقَّق باستخدام العصا ، من أجل تحقيق الهيبة والوقار والاحترام ، موضحين أنَّ فرض الهيبة يتطلَّب توفّر ملكات ومقومات خاصة).هـ. ولقد قامت الأستاذة أماني سامي (جريدة الوطن) بإجراء تحقيق صحفي حول هيبة المعلم ، جاء في بعضه: (قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا». من منا لم يمر عليه هذا البيت الشعري الذي شدا به أمير الشعراء في مدح المعلم وإبراز مدى أهميته وتأثيره؟ إنه الشجرة المزهوة والناضجة التي تنتج أجيالاً مثمرة مبدعة قادرة على خدمة أوطانها ، ولهذا كان للمعلم على مر الزمان دورٌ رئيسي في بناء الأوطان واستثمار عقول أبنائنا وتوجيهها بما يخدم أمتنا ، فإذا وهن المعلم اهتز البنيان الأساسي للعملية التعليمية ، وبقوته يصبح التعليم مؤثرًا وفعالاً ويؤتي ثماره. ولأن المعلم والطالب هما الركيزتان الرئيستان داخل المجتمع التعليمي كان لا بد من فهم طبيعة هذه العلاقة بينهما خاصة أن تلك العلاقة طرأت عليها عدة تغييرات ربما بسبب تعاقب الأجيال واختلاف طبيعة الطلاب السيكولوجية أو لتطور التكنولوجيا الحديثة وما تحمله بين طياتها من مؤثرات. تُرى ، ماذا عن هذه التغييرات. هل هي سلبية أم إيجابية. وكيف تبدو مكانة المعلم اليوم بين طلابه مقارنة بما كانت عليه في السابق؟ وجريدة الوطن وعبر هذا التحقيق تسلط الأضواء على هذه العلاقة من خلال الانطباعات التي تباينت بين شخص وآخر حيث يرى البعض أن هيبة المعلم اليوم لم تعد كما كانت في سنوات خلت بعد أن تقلصت مكانته في قلوب الطلاب ، في حين يذهب البعض الآخر وخصوصاً من العاملين في الحقل التعليمي إلى أن مكانة المعلم لم تهتز وأنه ما زال وسيبقى موضع احترام وتقدير من قبل الجميع ، مع التأكيد على أن هيبة المعلم مبنية على الاحترام المتبادل بين الطالب والمعلم وأن المعلم يستطيع أن يزيح أي أسباب يمكن أن تعوق خلق المودة المشتركة ما بينه وبين الطالب).هـ. ويقول السيد يوسف العبد الله مدير مدرسة عبد الرحمن بن جاسم الثانوية المستقلة: (لا يخفى على أحد أن

هناك فرقاً واضحاً في العلاقات ما بين الطالب والمعلم في هذه الأيام مقارنة مع الماضي ، والعلاقة اليوم تميل إلى كونها علاقة غير رسمية مقارنة بالسابق ، فالمعلم اليوم لا يمثل دور الحاكم والجلاد كما في السابق بل العكس ، حيث تميل العلاقة إلى علاقة صداقة تفتقر إلى الحدود التي كانت معهودة سابقاً. وأعتقد أن العلاقة يجب أن تكون ضمن حدود معينة فيجب أن تحفظ كرامة المعلم ودوره ، وعلى الطالب أن يعرف حدوده في العلاقة مع معلمه ، هذا لا يعني أن يكون المعلم متسلطاً أو حاملاً سوطاً بل على العكس يجب أن يحفظ حدوده مع إبداء بعض الهيبة ونوع من الدلال والتعزيز. أما حول تأثير العلاقة على مسار حياة الطالب فإنه ما من شك أن مستقبل الطالب العلمي يتأثر كثيراً بالعلاقة ما بين الطالب والمعلم. فكلما أحب الطالب معلمه أبدى اهتماماً أكبر بالمادة والمواظبة والانضباط. وإن كره الطالب المعلم كره موضوعه وحاول شد انتباهه عن طريق المشاغبة والتأثير السلبي داخل الصف ، بذلك يتضح أن العلاقة لها بالغ الأثر على مستقبل الطالب العلمي ، وتتأثر هذه العلاقة بعلاقة الطالب بأهله حيث إن العلاقة بين الآباء والأبناء في كثير من الأحيان تفتقر إلى الحدود والاحترام الذي عهدناه وبذلك فإن هذه العلاقة تنعكس على علاقة المعلم بطالبه بالإضافة إلى ذلك فإن القانون يدعم الطالب ويحفظ حقه ، الأمر الذي استغل بشكل سلبي حتى أصبح المعلم غير قادر على إبداء الشدة ـ إذا كانت هناك حاجة ـ وإجبار الطالب على الانضباط).هـ. ومن جهته يقول خالد المهيزع صاحب ترخيص مدرسة حمزة بن عبد المطلب الإعدادية المستقلة بنين: (كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم في صدر الإسلام قائمة على الحب والوفاء والتكريم والتقدير والتوقير ، فالمعلم والد يؤدب بالحسنى ، ويهذب بالحكمة ، ويقسو حينما تجب القسوة ولكنها قسوة من يحب ويعطف ، قسوة من يريد لأبنائه الخير. وكان المتعلم ابناً مطيعاً باراً ، يرى في توقيره وإجلاله لأستاذه ومعلمه مظهراً من مظاهر الأدب وحسن الخلق ، يرى من أستاذه الأب المحب الذي يريد لأبنائه أرفع المنازل فيسلمه زمام نفسه يقوده حيث شاء ، يسمع كل ما يقول وينفذ له كل ما يريد. هذه العلاقة بين الأستاذ وتلميذه ظلت قوية ومتينة إلى عهد قريب ، ولو رجعنا إلى عهد أبعد وذهبنا نسترجع تاريخ أمتنا لوجدناه عاطراً بقصص الحب والوفاء المتبادل ، ولعل قصة أبناء المأمون مع شيخهم من أبلغ قصص الوفاء حيث تسابق الأميران إلى حذاء الشيخ ليقدماه إليه. أما اليوم فإن من الطلاب من ينسى حق معلميه ، ويسلك سلوكيات غير منضبطة داخل الفصل وخارجه ، ويتلفظ بألفاظ سيئة ، وهو لا يزال بين يديه ينهل من علمه مغموراً بفضله فكيف به إذا ما بعد عنه ، ومن هنا ينشأ النزاع وتصبح العلاقة بين المعلم والطالب متوترة وغير مستقرة. كما أن بعض المعلمين وهم قلة لا يؤدون حقوق تلاميذهم عليهم ، ولا يبذلون الجهد المطلوب في تعليمهم وتربيتهم ومعالجة مشكلاتهم. حقاً لقد ضعفت الرابطة بين المعلم وتلاميذه في عالمنا المعاصر ، وضعفت العلاقة بينهما ضعفاً ينذر بأخطر العواقب. إذ بدأ الطالب يسرف في الاعتزاز بشخصيته ، وقد يرفع صوته في وجه أستاذه أو يصرح أمامه في جرأة عجيبة بما لا يليق ومن الطلاب من يتجرأ على شتم أستاذه والاعتداء عليه ، وكم سمعنا من قصص تم فيها الاعتداء بالضرب على المعلم داخل المدرسة وذلك انتصاراً للطالب ، فأين هذا مما قاله أمير الشعراء (أحمد شوقي) في فضل المعلم: (قم للمعلم وفه التبجيلا * كاد المعلم أن يكون رسولا)؟ وأحياناً تتطور العلاقة بين المعلم وذوي الطالب لتأخذ شكل نزاع نتيجة سلوكيات خاطئة ، فلا بد لنا في الوقت الحاضر من التركيز على العلاقة بين المعلم والطالب وهذا الموضوع من الموضوعات التي يجب أن تأخذ طريقها إلى الاهتمام والعناية والرعاية والمعالجة السريعة. ولا

شك أن هذا العلاج يشترك في تقديمه أولياء الأمور من المسؤولين والمربين والآباء المدرسين والمثقفين من العلماء والأدباء حتى نستطيع أن نعود بهذه العلاقة الوثيقة والرابطة المتينة التي كانت تربط الطالب بمعلميه. وعلى الجانب الآخر فإن للمعلم رأيه).هـ. حيث تقول معجبة المري النائبة الأكاديمية بمدرسة عائشة الثانوية بنات ومعلمة مادة الأحياء سابقًا: (عندما تبنى العلاقة بين الطالب ومعلمه على أساس المودة والاحترام المتبادل فإن ذلك يؤدي إلى حرص الطالب على التعلم ومضاعفة المثابرة وحسن الإنصات لمعلمه الأمر الذي يجعله يحمل الذكريات الجميلة ويظل عقله مستحضرًا لمعلمه حتى بعد أن ينتقل الطالب لمرحلة أخرى جديدة. إن التعامل مع الطلاب يختلف حسب مراحلهم العمرية! فالتعامل مع طالب الابتدائي يختلف بالتأكيد عن الطالب في المرحلة الثانوية ، ولكن الأمر المشترك والذي يجمع ما بين تلك المراحل العمرية جميعها هو استخدام المعلم لسياسة الاحترام المتبادل مع الطلاب بعيدًا عن أسلوب التهميش أو القسوة وهو ما كنت استخدمه في تعاملي مع طالباتي بحيث وصلت العلاقة معهن لدرجة كبيرة من الثقة العالية. فمن الضروري أن يستخدم المعلم سياسة الطيبة يتخللها بعض من الحزم في التعامل مع طلابه ، ولهذا عندما يخترق الطالب القوانين الصفية يجب التعامل معه بصرامة حتى لا يبدر منه أي تصرف غير لائق قد يخل بسير العملية التعليمية. أيضاً لا بد للمعلم أن يستخدم الأساليب الحديثة في الشرح حتى يكسر حاجز الخوف والملل لدى الطلاب فالأساليب الحديثة تجذب الطلاب وترفع من نسب مشاركتهم بالصف الدراسي).هـ. وأما غادة خميس ـ معلمة اجتماعيات بمدرسة عائشة الثانوية بنات ـ فتقول: (إنني أعامل الفتيات كأني أمهن التي تريد مصلحتهن ، فأتقرب لهن بحيث لا يوجد ذلك الحاجز المخيف الذي يحد من التواصل بيني وبين الطالبات. فعلى المعلم أن يعي أن الأجيال تتغير فالطلاب الآن يختلفون كليًا عن الطلاب قديمًا ، فقديما كان الطالب يعتمد على المعلم في إيصال المعلومة أما الآن فأصبحت جميع السبل متاحة أمام الطلاب للحصول على المعلومة ، ولذا لا بد أن يتعامل المعلم مع الطالب بما يتطلبه هذا العصر وبحسب المعطيات على أرض الواقع حتى يشعر الطالب أن معلمه ملم وشامل لكل المعلومات ومواكب لركب التطور التكنولوجي).هـ. وفي سياق متصل يقول رائد مصطفى ، الخبير والمستشار التربوي بمجمع الفرقان الإعدادي الثانوي: (يتم عادة الربط بين الآثار التربوية وهيبة المعلم كشرط ضروري للوصول إلى نشاط ناجح ومثمر. ويؤدي غياب هذه الهيبة إلى انعدام العلاقات المتبادلة الصحيحة بين المعلم والتلاميذ ، وانعدام الشروط الطبيعية الملائمة للنشاط التعليمي والتربوي المنتج. لا بد من توضيح مفهوم الهيبة ، فالبعض يرى أنها تتجسد من خلال مهارات المعلم في إرغام التلاميذ على العمل والدراسة ، واستخدام سياسة الترهيب والتخويف وهو ما يؤدي إلى كره الطالب للمعلم وللمادة التي يشرحها هذا المعلم. ومن أسس بناء علاقة ناجحة بين الطالب والمعلم أن يدرك المعلم أن كل تلميذ إنسان يمتاز بخصائصه الفردية ورغباته ، وسماته العقلية وطباعه. ومن المفيد الإشارة إلى أن بعض التلاميذ يمتلكون خصائص تبعد المعلمين عنهم وتنفرهم منهم ، فهل بإمكان المعلم أن يحب هؤلاء التلاميذ؟ لنفترض وجود تلميذ في الصف لا ينتبه إلى الدرس ، ويخرق النظام ويسبب الفوضى باستمرار ، ولا ينجز واجباته البيتية بانتظام ، ومشاكس وبالطبع لا ترضي هذه الصفات المعلم ، وتنفره منه ، لكن ينبغي عليه إدراك أنه خلف هذه المظاهر الخارجية خصائص إيجابية كثيرة. فإذا ما حاول التعرف عليه جيدًا سيجد فيه صاحب عقل محب للاستطلاع ، وصاحب قلب مرهف ، ولديه قدرات عالية ، وذلك ما يجب التركيز عليه

وصولاً إلى العلاقة السليمة التي نبحث عنها جميعًا).هـ. ويقول سليمان حمد - طالب جامعي -: (إن العلاقة بين المعلم والطالب لم تعد كما كانت من قبل حيث يشوبها اليوم الكثير من التوتر ، وأصبحنا نرى بين الطلاب من يتطاول على معلمه وربما يتلفظ بألفاظ مرفوضة في حضرة المعلم. والمعلم أيضا يتحمل جزءًا من وجود مثل هذه التوترات في علاقته مع الطالب! فمرات كثيرة تكون أساليب المعلم غير تربوية في تعامله مع الطلاب ومن هنا تحدث مشاكل جمة يتحمل آثارها كلا الطرفين).هـ. أما شريفة العلي ، الطالبة بالمرحلة الثانوية ، فتقول: هناك بعض الطلاب يستغلون طيبة المعلم ويرونها سذاجة من وجهة نظرهم ، فرغم أن العديد من الطلاب يبحثون عن المعلم الطيب إلا أن طلابًا آخرين يستغلون هذه الطيبة في القيام بالعديد من السلوكيات السيئة تجاه المعلمين ، وتتمثل في إثارة الشغب أثناء الحصة الدراسية والقيام بأفعال غير مناسبة وغير تربوية وربما غير سوية أيضًا).هـ. ويتساءل راشد محمد عبد الله الطالب بالصف الثاني الثانوي: (لماذا تهدمت جسور المودة والثقة بين الطالب ومعلمه؟ ثم يجيب بالقول: هناك بعض الطلاب يشتكون مثلاً من معلم عصبي جدًا في تعامله معهم ويعتبرونه غير متفاهم ، ومعلم آخر يقولون إنه لا يصلنا شرحه ولا نفهم منه إطلاقًاً وقد لا يكون الطالب مصيبًا دائمًا في حكمه ولكن يجب أن تؤخذ مثل هذه الشكاوى والانطباعات بعين الاعتبار لا سيما عندما تكون سببًا في ضعف العلاقة بين الطالب ومعلمه. إن على المعلم في هذه الحالة أن يعيد بناء جسور الثقة بينه وبين طلابه وذلك بإشعارهم بالأمان والعطف وأن يرشدهم بالطرق التربوية ليتفاعل معه الطلاب دون تذمر. وهناك عدد من المعلمين الذين أثروا فيّ تأثيرًا كبيرًا وأخذوا بيدي إلى طريق النجاح والتفوق. وهؤلاء المعلمون لن أنساهم مهما حييت).هـ. وتقول فاطمة الحوسني - الطالبة بكلية الهندسة -: (إن من بين أسباب تراجع مكانة المعلم هو التطور التكنولوجي الهائل الذي اجتاح العالم بحيث قلص من دور المعلم وأصبحت المعلومة غير مقتصرة على المعلم فقط. وأضافت قائلة: بالرغم من أن الكثير من المعلمين أضحوا يركزون على التعنيف والقسوة لردع مشاغبة بعض الطلاب إلا أن هناك من لا ينصلح شأنه بهذه المعاملة ، وربما تكون النتيجة عكسية في بعض الأحيان بحيث تؤدي إلى العناد وعدم الانصياع لحديث المعلم).هـ. إن الإنسان يقف عاجزاً عن شكر هذه الآراء التربوية العظيمة! وإن كانت قد صدرت عن أساتذة أو طلاب. وأما عن التقنيات والأساليب فهي عوامل مساعدة فقط. يقول بيل غيتس: التكنولوجيا هي مجرد أداة. فيما يخص تحفيز الأطفال و جعلهم يعملون معاً فإن المعلم هو الأهم. ويقول إبراهيم الفقي: ينبغي ان تؤمن بأن كل فرد تقابله هو معلم للصبر. ويقول بيل جيتس: النجاح أحياناً معلم سئ ، إذ إنه يجعل الأذكياء يظنون أنهم لا يخسرون. ويقول راي ليفي: التجربة أفضل معلم للطفل ، وإذا لم تترك أطفالك يتعلمون منها صغاراً ، فسيتعلمون منها كباراً ، لكن تجاربهم ستكون عندها مهلكة. ويقول توماس كاروترس: المعلم هو الشخص الذي يجعلك لا تحتاج إليه تدريجياً. هذا ولا يمكن لأي مرب أو معلم أو داعية أن يكون ناجحاً أو فاعلاً ما لم يكن محبوباً من طلابه ومدعويه مهما حمل من علم. ولهذا يقول الله عز وجل لسيد البشرية في علاقته بالناس: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: على المعلم ، والمرشد ، والمفكر أن لا يقتصر على دلالة الناس على ما عليهم أن يفعلوه ، بل عليه قبل ذلك أن يقنعهم بأهمية ذلك ، ويقنعهم بخطورة تركه ، وخطورة التخلي عنه. ويقول عبد الله عبد الدائم: إن تعليم القراءة والكتابة ممل بعض الشئ ، فعلى المعلم أن يخفف هذا الملل باصطناعه طرقاً مشوقة. ويقول

سي إس لويس: مهمة المعلم أن يزرع الصحراء ، لا أن يقتلع الحشائش الضارة من الحقول. ويقول بوب تالبرت: المعلم الموهوب مكلف ، لكن المعلم السئ أكثر كلفة. ويقول أيضاً: يظهر المعلم عندما يكون التلميذ مستعداً. ويقول قاسم مسعد عليوة: سأقول لك قولاً قاله معلم في الأزمان الخوالي: البصيرة كالبصر يجب غضها عن مساوئ الناس. ويقول د. عبد الله بن راشد السنيدي: وتحت عنوان المعلم والمعلمة ودورهما في تربية الأجيال ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه). رواه الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. وقال صلى الله عليه وسلم: (معلم الخير تستغفر له الحيتان في البحر). وقال صلى الله عليه وسلم: (معلم الخير ومتعلمه فهما في الأجر سواء). ويقول أبو يوسف عن الإمام أبي حنيفة: (ما صليت إلا دعوت للإمام أبي حنيفة مع والدي). وعن شعبة بن الحجاج قال: (من علمني حرفاً كنت له عبداً). لذا يجب على عدم التشهير بعلمائنا في زلاتهم واحترامهم وتوقيرهم. وهذا الأدب قد جاء ما يدلل عليه من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه). والسلف كانوا يبالغون في احترام معلميهم وشيوخهم: وكان ابن عباس يذهب لزيد بن ثابت ويجلس عند بابه احتراماً له وتوقيراً ولا يطرق عليه الباب حتى يخرج ، فإذا خرج أمسك بذلول ناقته أو راكبه فيقول ثابت: (يا ابن عم رسول الله ، هل أمرتني فأتيتك؟) فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. والحقيقة أن المعلمين والمعلمات هم حماة الثغور ومربو الأجيال ، وسقاة الغرس ، وعُمّار المدارس المستحقون لشكر العباد ، والثواب من الله يوم المعاد. وهم من يقوم عليهم بناء الأجيال وهم المؤدون لرسالة العلم الناشرون لضيائه ، روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لقمان قال لابنه: يا بني ، عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء ، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر). والمعلمون والمعلمات حقهم وفضلهم عظيم. قال يحيى بن معاذ في فضل العلماء: (العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ، قيل وكيف ذلك؟ قال: لأن آبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا ، وهم يحفظونهم من نار الآخرة). واحترامهم مطلوب ، والتأدب معهم واجب ، ولا بد لكل طالبٍ وطالبة من الأدب إذا أراد التلقي عن معلمه ، قال الإمام محمد بن إبراهيم البوشنجي: (من أراد العلم والفقه بغير أدب ، فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله). ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى مثل وقدوة في تعاملهم مع معلمهم ومعلم البشرية الأول صلى الله عليه وسلم ، ومع أهل العلم من بعده ، (فقد كان شأنهم في تعظيمه وتوقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه ، وأجمل من وَصف شأنهم في ذلك عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل فدلك بها وجهه وجلده! وإذا أمرهم ابتدروا أمره! وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له). وقد وُصف جلوس الصحابة واستماعهم للنبي بوصف عجيب ، حيث قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير). يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجل

في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عينيّ منه). ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير. وأما عن نماذج تعامل الصحابة مع أهل العلم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: (أقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده قائلاً ، فأتوسد روائي على بابه ، تسفي الريح على وجهي حتى يخرج ، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لك؟ فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك ، قال: فيقول: هلا بعثت إليّ حتى آتيك ، فأقول: أنا أحق أن آتيك). ومنها أن سعيد بن المسيب كان يركع ركعتين ثم يجلس ، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فما يجترئ أحد منهم أن يسأله شيئاً ، إلا أن يبتدئهم بحديث ، أو يجيئه سائل فيستمعون. وبعد هذه النماذج التي يعجب المرء لما فيها من الخلق والأدب الجم ، نشيد بطلاب وطالبات اليوم أن يقتدوا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعاملهم مع معلميهم الذين فقدوا كثيراً من حسن الأدب والتعامل من طلابهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل. وقال طاووس بن كيسان رحمه الله: (من السنة أن يوقر أربعة: العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان ، والوالد). ومما يدل على احترام الطالب معلمه محبته وطاعته ، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ). وأولو الأمر هم الفقهاء والعلماء كما قال الضحاك رحمه الله تعالى ، فتكون طاعة المعلم في حدود طاعة الله وما أمر به سبحانه. ومنه التواضع للمعلم وحسن الخلق معه ، يقول الغزالي: (لا يدرك العلم إلا بالتواضع ، فعلى طالب العلم أن يكون متواضعاً). وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لخلف بن الأحمر: (لا أقعد إلا بين يديك! أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه). وعن أبي داوود سمع شعبة يقول: (أنا عبد لمن عنده حديثان). وما سبق إنما يدل على اهتمام سلفنا الصالح باحترام معلميهم وتوقيرهم والتواضع لهم والاعتراف بفضلهم وتعاملهم الصحيح معهم. ومنه تعظيم المعلم ، فعن معمر الزهري قال: كنت آتي عروة فأجلس ببابه ملياً ، ولو شئت أن أدخل ، دخلت ، فأرجع وما أدخل إعظاماً له. ومنه أن يضع الطالب للمعلم في نفسه هيبة ، وهذا مما يدل على احترامه له ومحبته وتوقيره. فقد كان من تمام احترام السلف لعلمائهم أنهم كانوا يهابونهم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما منعني منه إلا هيبته). وقال الربيع: (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له). ومنه أيضاً النظر للمعلم بعين الإجلال وهذا يؤدي بطالب العلم إلى الانتفاع العظيم من معلمته. ومنه أيضاً إلقاء السلام على المعلم. ومنه الرفق والتودد للمعلم وطلب رضاه. ومنه عدم اغترار الطالبة بنفسها وتوهمها أنها أعلم من معلمتها أو مثلها. فإن هذا تسويل من النفس وخدعة من الشيطان. قال الفراء: قال لي رجل: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟! فأعجبتني نفسي ، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني طائر يغرف بمنقاره من البحر. ومنه الصبر على غضب المعلم ، وقد قيل لسفيان بن عيينة: إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم ، يوشك أن يذهبوا أو يتركوك ، فقال للقائل: (هم حمقى إذا هم تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي). وإن مما يؤسف له ما يرى من حال الطلاب اليوم في التعامل مع معلميهم ، فغالب الطلاب إلا من رحم الله لا يتحقق فيه شيء مما ذكر سابقاً إلا

قليلاً. ولا يرى هذا ولا يعلمه إلا من يعايش الطلاب ويطلع على أحوالهم. فقد يمر المعلم بمجموعة من طلابه قد جلس في مكان ما في وقت الراحة ويكون ممن أفنى عمره في التعليم فلا ترى طالبا منهم وضع ما بيده من طعام أو شراب جانباً ولا من كان يضحك توقف ضحكه احتراماً وهيبة من معلمه. قال العلماء: (ينبغي لطالب العلم أن لا يجلس قريباً من معلمه عند الدرس ، بل ينبغي أن يكون بينه وبينه قدر قوس فإنه أقرب إلى التعظيم). ومنه أن لا يستند بحضرة معلمه إلى جدار. فإن هذا يشعر المعلم باستهتار الطالب به وبالدرس ، ويؤدي إلى كسل الطالب وقت الدرس. (حضر أولاد الخليفة المهدي عند شُرَيك ، فاستند إلى الحائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شُريك ، ثم عاد فعاد شريك بمثل ذلك. قال ابن الخليفة: تستخف بأولاد الخلفاء هذا الاستخفاف؟ قال: لا ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه). (ذكر الإمام السمعاني وغيره: أن مجلس الإمام أحمد كان يحضره خمسة آلاف ، قال الناقل: فكان خمسمائة يكتبون ، والباقي يستمدون من سمته وخلقه وأدبه. وقال أبو بكر المطوعي: حضرت مجلس أبي عبدالله وهو يقرئ أبناءه المسند اثنتي عشر سنة ، ولم أكن أكتب ، إنما أنظر إلى أدبه وخلقه). (قال ابن حزم رحمه الله: إذا حضرت مجلس العلم ، فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيدٍ علماً وأجراً ، لا حضور مستغن بما عندك ، طالباً عثرة تشنعها ، أو غريبة تشيعها ، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً). ومن ينظر إلى حال سلفنا في شدة إنصاتهم لمعلميهم يتعجب من حالهم ويتأسف لحالنا اليوم طلاباً وطالبات. فعن أحمد بن سنان أنه قال: كان عبدالرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ، ولا يُبرى قلم ، ولا يقوم أحد ، كأنما على رؤوسهم الطير ، أو كأنهم في الصلاة. وزاد عليه بلفظ آخر: فإذا رأى أحداً منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج. ومنه أن يحاول الطالب فهم واستيعاب كل ما يقوله المعلم مباشرة ولا يضطر معلمه إلى الإعادة مراراً وتكراراً. قال قتادة: (ما قلت لمحدث قط أعد علي ، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي). ومنه إذا سمع الطالب معلمه يحدث بقصة أو يقرأ شعراً وهو يعرفه فينبغي عليه عدم مقاطعة المعلم وإكمال ما يقوله عنه. وأن يصغي إليه كأنه لم يسمعه قط وهذا أدب مهم من آداب الاستماع. (قال الحسن البصري موجهاً ابنه: يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام ، ولا تقطع على أحد حديثاً ، وإن طال حتى يمسك). (كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس ، حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك ، أنت سيد الناس ، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد؟! فقال علي بن الحسين: العلم يبتغى ويؤتى ويطلب من حيث كان). وصدق الأستاذ كامل درويش عندما قال: (ما أشرقت في الكون حضارة إلا وكانت من ضياء معلم. نعلم جميعاً مدى أهمية الدور الذي يقوم به المعلم ، فسمو الرسالة التي يؤديها ، تتطلب منه شحذ أقصى طاقاته وقدراته ، لخلق جيل واع راشد له القدرة على إصلاح مجتمعه وأمته فيما بعد ، شاقة هي المهمة بلا شك والطريق لتحقيق هذه الغاية ليس بالأمر اليسير ، خاصة مع كثرة العقبات والتحديات التي يمر بها النظام التعليمي في عالمنا العربي ، ولكن هذا لا يمنع أن نعمل على تطوير أنفسنا كمدرسين سعياً لتعليم أفضل لأبنائنا).هـ. يقول الأستاذ أحمد أبو زيد وتحت عنوان: (التصنيف الدولي لمكانة المعلم) ما نصه: (يقول صني فاركي ، مؤسس ورئيس أمناء مؤسسة جواهر فاركي البريطانية غير الربحية: «يحق لي أن أفخر أن والداي كانا معلميْن ، وقد تحدثت مؤخرًا مع أمي وسألتها ما الذي حققتماه من عملكما كمعلمين؟ فحدثتني بإعجاب قائلة: «إن من يدرّسون الطلاب يحظون باحترام بالغ

باعتبارهم أكثر الناس ثقافة في المجتمع ، ومن ثم ، يلجأ إليهم الآخرون باعتبارهم مصدرًا للنصح والإرشاد ، والأكثر أهمية في هذا الأمر أنهم يطلقون شرارة الخيال لدى الأطفال الذين يمضون نحو تحقيق وإنجاز أشياء عظيمة لأنفسهم وللمجتمع». الزمن تغير للأسف ، ولم يعد المعلمون يحظون في كثير من البلدان بتلك المكانة الرفيعة التي اعتادوا التمتع بها ، ومن ثم كان لهذا الأمر آثار بالغة الضرر على الفرص الحياتية للأجيال القادمة. فإذا لم ينعم المعلمون بالاحترام في المجتمع ، فلن ينصت الطلاب لهم في الفصل ، ولن يدعم الآباء الرسائل القادمة من المدرسة ، وسيستمر الخريجون الموهوبون في هجر العمل في وظيفة التدريس. وبمرور الوقت ، سيؤدي هذا التراجع في احترام المعلمين إلى إضعاف التعليم والتدريس ، والإضرار بالفرص التعليمية للملايين ، وفي النهاية ستضعف المجتمعات في جميع أنحاء العالم. وقد دفعت كل الأسباب السابق ذكرها «مؤسسة جواهر فاركي » إلى إجراء أول دراسة مقارنة عن «مكانة المعلم حول العالم» لقياس مستوى احترام المعلمين في البلدان المختلفة. واستطلعت هذه الدراسة رأي ألف شخص من كلا الجنسين في إحدى وعشرين دولة هي: البرازيل ، الصين جمهورية التشيك ، مصر ، فنلندا ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، إيطاليا ، اليابان هولندا ، نيوزيلندا ، البرتغال ، تركيا ، سنغافورة ، كوريا الجنوبية ، أسبانيا ، سويسرا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تم اختيار هذه الدول بناءً على أدائهم وفق البرنامج الدولي لتقييم الطلاب Program for International Student Assessment (بيزا) ، والبرنامج الدولي لاتجاهات دراسة الرياضيات والعلوم Trends in International Mathematics and Science Study (تيميس) ، وليمثلوا كل قارة كبيرة ، وكممثلين لاتجاهات مختلفة للأنظمة التعليمية. ورغم كل الأمنيات والطموحات أن يلقى المعلمون الاحترام الكافي كنظرائهم في المهن الأخرى مثل الأطباء ، باعتبارهم مهنيين متخصصين ماهرين للغاية أسوة بمعظم الوظائف الأخرى في المجتمع ، إلا أن الاستقصاء أو المسح الذي أجرته المؤسسة البحثية في 21 دولة أظهر أن المواطنين في دولة الصين فقط يضعون المعلمين في مكانة مساوية لمكانة الأطباء. وعلى النقيض من ذلك ، تبين أن أقل من 5% فقط من المواطنين في المملكة المتحدة يعتقدون أن المعلمين يتساوون مع الأطباء في المكانة والأهمية. لكن هذا المؤشر لا ينبغي أن يبعث على اليأس. فالبلدان الواقعة في منطقة الشرق الأقصى مثل الصين وكوريا الجنوبية ، أظهرت أن هناك مناطق في العالم مازالت مهنة التدريس تحتفظ فيها بمكانتها المحترمة. وإذا كنا نريد للأجيال القادمة أن تتحلى بالقيم السليمة وأفضل الفرص في الحياة ، فيجب أن نعلم أن كلمة السر لتحقيق ذلك تتمثل في توظيف أفضل وألمع المعلمين في هذه المهنة ، والنظر في أفضل السبل للحفاظ عليهم. وقد استطاعت دولة فنلندا التي تحتل قمة الترتيب في برنامج تقييم الطلاب الدولي (بيزا) ، أن تجعل مهنة التدريس تحظى بمكانة طيبة لدرجة أن أفضل خريجي الجامعات يتنافسون لشغل هذه الوظيفة ، علمًا بأن جميعهم يحمل درجة الماجستير. وأظهر البحث أنه كلما حصل المعلمون على راتب أفضل ، تعاظم تحصيل الطلاب العلمي. ويشير التصنيف الدولي لمكانة المعلم إلى أن الناس في معظم البلدان يعتقدون أن المعلمين يستحقون أن ينالوا رواتب أكبر حتى في دول مثل فنلندا التي تتمتع بالفعل بنتائج طيبة في هذا الصدد).هـ. ويقول الدكتور الكبير الداديسي وتحت عنوان: (صورة المعلم في الشعر العربي) ما نصه: (تعد مهنة التعليم من أكثر المهن التي أشاد بها المفكرون والعلماء وحتى الصحابة والأنبياء ، فقيلت في المعلم أقوال مأثورة كثيرة ، منها قول الرسول (صلى الله

عليه وسلم) إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمل في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير . وشبه علي بن أبي طالب العالِم بالنخلة دائما (تنتظر متى يسقط عليك منها شيء) ومنهم من وضع المعلم في مكانة الأنبياء والرسل ، وألبسوه من الصفات ما لم يوصف به غيره ، فرأى فيه البعض طبيب المجتمع ، الواقي من الأدواء والشرور ، يبني العقول التي بدونها لا مستقبل للإنسانية لما له من قدرة على تحويل الظلام إلى نور ، وتنوير العقول ، له دائما أكثر مما يقول ، وقد أفاض الفكر النهضوي في العالم العربي في الحديث عن أهمية العلم ووظيفة المعلم في إصلاح أحوال البلاد والعباد ، باعتبارهم العلم الوسيلة الوحيدة لإخراج الأوطان من التخلف ، وإنقاذ البلاد مرهون بدور المعلمين وأهل العلم. ولسنا هنا بصدد مناقشة أهمية العلم ووظيفة المعلم في الحياة وإنما همنا رصد بعض ما صدحت بها حناجر الشعراء في حق المعلمين في وقت باتت فيه صورة المعلم صورة مضببة وباهتة. ولكن يلاحظ أن مادية العصر، وتخلي بعض المعلمين عن رسالتهم النبيلة ، وجريهم وراء الماديات في عصر يعاني أزمة قيم ، كل ذلك وغيره جعل عامة الناس ، وخاصتهم ، ومنهم الشعراء طبعاً ، يغيرون من نظرتهم للمعلم ، فغدا محط سخرية و تهكم ، ينظرون إلى كل الفاعلين في التعليم باستصغار يصفون المهنة باحتقار ، فبعدما كان الأطفال المتعلمون بتطلعهم رمزاً للبراءة أضحى عدد من الشعراء يرون فيهم رموزاً للبلادة ، فها هو شاعر يرى فيهم بهائم يستحيل تعليمها. والمعلم يقف عاجزاً عن أداء مهمته يستجدي عطف الناس لأن تعليم البهائم فوق طاقته. (طبعاً ذكر المؤلف هنا أبيات من قصيدة إبراهيم طوقان ضربنا الذكر صفحاً عن ذكرها لركاكتها!) ولم تقتصر هذه النظرة على الشعراء بل تسللت إلى المعلمين أنفسهم ، فأمسوا يحتقرون مهنتهم ، ويعتبرونها مصدر مشاكلهم ، وسبب تعاستهم تدفع بعضهم إلى الانتحار. وهي نظرة تعكس الإحباط الذي أصبح يعيشه المعلم ، وكيف تحول بين عشية وضحاها من شبيه الرسل وباني الحياة وضامن ومكرس القيم الكل مقتنع ويقسم أن لا قيم في المجتمع بدون معلم. وهكذا يتضح إذن أن هناك تغييراً جذرياً في منظومة القيم ، ساهم فيه مادية العصر وعولمة القيم وتعدد الوسائط ، مما غير في نظرة الناس لعدد من الثوابت ومن ضمنها نظرتهم للمعلم الذي لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، (طبعاً أعاد المؤلف الكرّة فذكر هنا أبيات من قصيدة إبراهيم طوقان ضربنا الذكر صفحا عن ذكرها لركاكتها ومغايرتها للواقع هذه المرة!) بل يبدو للناس أن ما يقدمه المعلم في عالمنا العربي متجاوزاً وبطرق عتيقة ووسائل متهالكة جعلوه موضوع النكتة ورمزاً للقيم البالية المتجاوزة ، وأثر ذلك على نفسية المعلم ووظيفته بعد أن سحبوا منه رسالة التربية وقصروا عمله على التلقين والتعليم ، وبعدما كان يشكل القدوة ، ويشعر بقداسة الرسالة التربوية أصبحت مهنة التعليم تشعره بتفاهته).هـ. ويقول الدكتور مولاي المصطفى البرجاوي وتحت عنوان: (أدوار المدرس في عالم متغير: الواقع والمأمول!) ما نصه: (إن مستجدات الحياة المعاصرة تفرض أن تكون للمدرس أدوار مختلفة ومتميزة تبعًا لما تميله الطفرات النوعية التي تعرفها مختلف المجالات. إنْ على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو التقني أو الخبرات التعليمية. فالنظم التعليمية لا يمكن الارتقاء بها وتطويرها ما لم يعد النظر جذريًا في نظام تكوين المدرسين ، وإلا فسيكون تعليمها غير مواكب لكل المستجدات إلا ما كان من اجتهادات فردية لا يظهر أثرها بارزًا وإيجابيًّا في منظومة المجتمع ، ولا أدل على ذلك مما تعرفه النظم التعليمية في الوطن العربي التي تراوح مكانها ، بل تتذيل القائمة في كل منافسة ومسابقة تربوية عالمية. وفي هذا

الإطار ، ينبغي إعادة النظر في الأدوار الحديثة للمدرس ، تلك التي يحددها «وولفوك» في: «الأدوار التعليمية ، والأدوار التربوية ، والأدوار الإدارية ، والأدوار الاجتماعية ، والأدوار الإنسانية ، مع إعداد تكوينات مستمرة للمدرس ، تقدم الخبرات والأساليب التعليمية والكفاءات العامة والنوعية التي تتناسب مع هذه الأدوار وتتفاعل إيجابيًّا مع ما تفرضه التطورات الحديثة من تغيير وتطوير لأهداف التعليم ومحتواه ومصادره وأوعيته وطرائقه». لكن من يمعن النظر في واقع التعليم في الوطن العربي يجد ندوبًا وجراحات تخلخل المنظومة التربوية ، وتمس كيان وهيبة المدرس تدفع به إلى أرذل المقام بعدما كان نبراسًا وشعلة يستضاء بها! إذن ، الإشكال المطروح: من المسؤول عن تراجع هيبة ومكانة المدرس؟ وما هي الأصناف الكبرى للمدرسين في ظل الاهتمام بالرسالة التربوية؟ وما أدوار المدرس الأساسية في ظل المتغيرات في شتى مناحي الحياة؟ تعد مهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات ، ولا شك أن العلم هو الركيزة الأساس لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة ، لكن ـ للأسف الشديد ـ في زماننا هذا تراجعت هيبة وكرامة المدرس وأصبح أيقونة للاستهزاء والسخرية وذليلًا مهانًا من طرف مجتمعه ، فاقدًا قيمته بين متعلميه ، لدرجة بلغت معها الجرأة حد الاعتداء عليه جسديًّا ولفظيًّا. إن تراجع مكانة المدرس تعود بالأساس إلى جملة من العوامل نذكر بعضها: *العامل الاقتصادي ، فراتب المدرس لا يكفي لسد حاجته ، بالتالي يؤثر ذلك نفسيًّا عليه وعلى عطائه ، وبرغم ذلك نجد المدرسين يبذلون قصارى جهدهم للخروج بالتعليم من عنق الزجاجة ، أضف إلى ذلك عدم الاهتمام بواقع المدرس وعدم استفادته من الحقوق الأساسية (المادية والمعنوية) ، بل يعد في منظومة التربية والتكوين ، الحلقة الأضعف في المنظومة التربوية ، وتوجه له سهام الاتهام في فشل أي مشروح إصلاحي تعليمي. *العوامل القيمية: اختلال منظومة القيم الأخلاقية نتيجة قصور في التشريعات والقوانين التي ترفع شعار جعل المتعلم في قلب الاهتمام والتفكير والعمل ، ثم في قلب العملية التعليمية ، لكن في الحين نفسه تقلل من شأن المدرس. مما يدل دلالة قاطعة على خلل في التشريعات القانونية المدرسية ، التي تأتي من المكاتب المكيفة ، دون أن تُعرض على مجهر الحياة المدرسية وعلى المدرس الذي يعيش هموم المنظومة برمتها ، لكن أيادي خفية تعمل جاهدة على تركه في الهامش التربوي والاجتماعي حتى لا تقوم له قائمة! *تراجع دور النقابة: فهذه المؤسسات الاجتماعية تراجع دورها بشكل كبير ، وبناء على ذلك يفضل أغلب المدرسين عدم الانخراط في هذه اللعبة ، ففي السابق كان دورها منصبًا على الاهتمام بهموم المدرس وانشغالاتهم ، لكن حاليًا توجهت أنظارهم إلى العمل السياسي والتهافت على المناصب. *العوامل التكنولوجية والمعرفية: أثرت التكنولوجيا الحديثة على أفكار المتعلمين وجعلهم غير مبالين بالتعليم ، ويعدونه من قبيل مضيعة الوقت ، خاصة في ظل الارتفاع الجنوني للمعطلين ، بالإضافة إلى ضعف الحملات التوعوية الهادفة من الإعلام وجمعيات المجتمع المدني والأسرة التي فقدت بريقها ؛ كل ذلك قلل من كيفية التعامل مع مدرسيهم، وأيضًا لا بد من معرفتهم للعقوبات التي تترتب على إساءتهم لأي معلم لكي لا يفكروا بالإساءة إليه. *ضعف تحسن ظروف الحياة المدرسية: من حيث بنية الأقسام والحيز البيداغوجي للمدرس من الحصص اليومية والأسبوعية ، وضعف الإمكانات المادية والتقنية اللازمة لأداء عمله، والخلل في أنماط الحكامة الإدارية وأساليبها بما يعود سلبًا على المدرس في تحسين كفاءته ومن ثم مكانته. ولكن في الوجهة الثانية للعملة ، نجد أن إتقان المدرسين لأدوارهم ومسئولياتهم يرفع لا محالة من مكانتهم الاجتماعية

واكتسابهم رضا الجمهور المستهدف والمجتمع ، برغم محاولات التشويه والتشهير. فعلى سبيل المثال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية يقول روبرت رتشى: لقد تمت أغلب الإنجازات (في مهنة التعليم) عن طريق مجهودات المدرسين الذين كرسوا وقتًا ثمينًا في العمل الجماعي على كافة المستويات. والحقيقة أنه في واقع ممارستنا التربوية كثيرًا ما نسمع نعوتًا متعددة تطلق على المدرس ، تنطلق من معايير وخلفيات مختلفة من ذلك: مدرس كفء ، مدرس مجدد ، مدرس تقليدي ، مدرس ملتزم ، مدرس مستهتر ، مدرس صعب... وهلم جرًّا من النعوت. وارتباطًا بصلب هذا العنصر ، وما ينطلق به واقع الحال ، يمكن الحديث عن ثلاثة أصناف: المدرس المجتهد: ينشغل أساسًا بما يحرزه المتعلم من تقدم ، فيجتهد في اقتراح الوضعيات الباعثة على التعلم ، ويعنى بتسيير الأعمال ، وتذليل الصعوبات ، والحفز على تحرير طاقات المتعلمين ، وحفزهم على الانطلاق في عالم التعلم المديد والرحب. المدرس المقتصد: يزاول مهنته باقتصاد ، فيحرص على تنفيذ المقرر ، بأقل جهد وأضعف كلفة ، فيدبر وضعية التعلم ، أو ينقل المعرفة. المدرس المقصر: ويتجلى تقصيره في الميل إلى التأخر ، والجنوح إلى الغياب ، والإخلال بمسئولياته ، وتتسم عادة ممارسته المهنية بالاضطراب والتوتر والفتور ، فلا تخطيط ولا إعداد ولا رؤية واضحة ، فهو يسير بلا غاية. لكن كاميرا الإعلام والوزارة الوصية على التربية والتعليم ، توجه إلى هذا الصنف الأخير ـ على قلته ـ فتشوه سمعة المدرس مهنيًّا وتربويًّا وتقلل من مكانته اجتماعيًّا وثقافيًّا ، ويظهر ذلك من خلال البرامج التلفزيونية والمسلسلات الهزلية ، حتى قال أحدهم في مؤتمر صحفي: إن المدرس الكفء عملة نادرة إن لم نقل مفقودة! لهذا فإعادة الاعتبار للمدرس تكون بتبني رؤية استباقية تجعل من المدرس مركز ثقل أي إصلاح ، من خلال اعتماد خطاب يثمن الإيجابيات والمجهودات التي يبذلها في إطار دوره وواقعه المدرسي والتربوي وتأهيله مهنيًّا وبيداغوجيًّا وتربويًّا واجتماعيًّا وماديًّا وتمكينه من العدة الديداكتيكية التي تجعله يواجه الواقع التربوي ويبدع إزاءه ويرقى بممارسته التربوية خدمة للناشئة. ولكي يقوم المدرس في مهمته المنوطة به أحسن قيام ، ينبغي أن يؤدي دوره التعليمي ، وفي الوقت نفسه يتحتم عليه تقمص أدوار مختلفة والعمل فيها بفعالية: اجتماعية ونفسية وتربوية. *الدور التربوي: وينفرد التعليم بكونه مهنة مقدسة لأن الله سبحانه وتعالى نسبه إلى ذاته العليا ، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}. كما اهتم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالتعليم اهتمامًا كبيرًا ، ووردت عنه أحاديث نبوية شريفة تؤكد ذلك ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا». قال المناوي: «(إن الله لم يبعثني معنتًا) أي شقاء على عباده. (ولا متعنتًا): أي طالبًا للعنت وهو العسر والمشقة ، (ولكن بعثني معلِّمًا) ، ميسرًا من اليسر». وإذا كان للتربية والتعليم كل هذه الامتيازات والمكانة السامقة ، فلا بد أن يتحلى المدرس بخصال تربوية حميدة تجعله محبوبًا لدى المتعلمين فقيمة المدرس تتهاوى إلى الحضيض إذا صدر منه ما يخدش الحياء ويهدم الأخلاق ، إذ كثيرًا ما سمعنا في وسائل الإعلام عن تحرش الأستاذ بتلميذاته بل اغتصابهن! فكيف يليق بهذا أن يكون القدوة والمثال للمتعلمين؟! وهناك أمور هي التي تحقق للمدرس هيبته منها: *إيمانه بأن التعليم رسالة يؤديها في الحياة لا مجرد وظيفة يكسب منها لقمة عيشه ، وفي سبيل أداء الرسالة يكون عظيم الصبر واسع الحلم. *دماثة أخلاق المعلم وحب المتعلمين له هو الذي يمنعهم من التجرؤ عليه ، ولو حدث أن تجرأ أحدهم فهو الشذوذ الذي لا تخلو منه قاعدة ولا يلغيها ، وهو ما تعرض له

المصلحون وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام ولم تطعن في شخصيتهم ولا هيبتهم. *زهده بما أيدي المتعلمين ، إذ لما طغى الطمع والجشع على قلوب بعض المدرسين وجعلهم يتهافتون على الكسب المادي تحت سائر المبررات ، وفتحوا باب الدروس الخصوصية وغيره من الأبواب ، سقطت هيبة المدرس في أعين الكثير من الناس. كما أنه من مهام المدرس ترسيخ القيم وإشاعتها بين التلاميذ ، حتى يتسنى الحد من المظاهر السلبية التي تنخر جسد المنظومة التربوية ؛ كالعنف وتخريب المنشآت والتجهيزات داخل المؤسسة التعليمية. والدور التعليمي: من بين الأدوار الجوهرية التي ينبغي للمدرس أن يتسلح بها في ظل المتغيرات المعاصرة لتطوير أدائه التعليمي ؛ إتقان مهارات التواصل والتكوين والتثقيف الذاتي (الاطلاع على مستجدات التربية والتكوين وما مدى تطبيقها في العملية التعليمية ـ التعلمية) ، والتمكن من المادة المدرَّسة ، وذلك بالتعمق في المادة العالِمة ، والتمكن من التكنولوجيا الحديثة وتطبيقها ديداكتيكيًّا في الممارسة الصفية حتى يتأتى تنويع عرض المادة الدراسية وفي الآن نفسه لا يحس المتعلم بالملل الناجم عن التدريس التقليدي ، بل الأكثر من هذا تهيئة الأجواء بالإدارة الصفية الفاعلة بتفعيل «البيداغوجيا الفارقية» ، والقدرة على استخدام التقويم التكويني المستمر والتغذية الراجعة أثناء التدريس. «ولا تقتصر أيضًا أهمية المدرس على دوره المباشر في تنمية الإبداع ، وإنما تتعداه إلى ما يتبنى المعلم من اتجاهات إيجابية نحو الابتكارية ، وهذا الأمر يتطلب إعادة النظر في تكوين المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناء الخدمة بأن يمتلك المعلم صفات المعلم المبدع ، وهي: مرونة شخصيته ، والثقة غير المشروطة في قدرات الطالب والإقلال من التقييم والنقد الخارجي ، وإشعار الطالب بالأمان وعدم الخوف واستخدام التشجيع والإثابة ، وإدراك الفروق الفردية بين المتعلمين وإثراء الموقف التعليمي بالأنشطة الإبداعية ، وإظهار قيمة أفكار الطلاب ، والإلمام بسمات الطلاب المبدعين ، أو تشجيع الطلاب للتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم الذاتية وامتلاك القدرة على التسامح والبهجة والحرية» ولتحقيق الدور المتغير للمعلم ينبغي تحقيق ما يسمى بالتعلم الفعال: فالتعلم الفعال هو التعلم الذي يلبي الحاجات الفردية لذلك فإن تحقيق الحاجات للمتعلم يستثير دافعيتهم للتعلم ويتم ذلك وفق ظروف الدروس التي يقدمها المعلم. وهكذا يفرض على المدرس استخدام استراتيجيات مناسبة لتلبية حاجات المتعلمين الفردية ، وبذلك تتم استثارة دافعيتهم للتعلم ، ومن هذه الاستراتيجيات: *تشخيص الحاجات الفريدة ، والميول ، والاتجاهات ، والأهداف للمتعلم. * مساعدة المتعلم لتحديد متطلباته وغاياته وأهدافه الشخصية وربطها بهدف التعلم. *ربط هدف التعلم العام للمتعلم بحاجاته وميوله وهدفه. *صياغة أهداف التعلم وأنشطته لتحقيق نجاح المتعلم. *مساعدة المتعلم على صياغة أهداف التعلم. *أن تكون أهداف التعلم ضمن خصائص يمكن تحصيلها: معقولة ، واضحة وقابلة للقياس ، ومرغوبة. والدور التعاوني: من خلال الانخراط في فريق تربوي ـ تعليمي، سواء في مجالس الأقسام لمناقشة الاختلالات التي تعرفها الممارسة الصفية ، وتبادل الخبرات والتجارب بين المدرسين وأيضًا من خلال الأندية التربوية ، التي تعد من الأنشطة الموازية التي تخرج المتعلم من التعلم التقليدي ، وتنقله إلى أفق أرحب من الإبداع ، بل قد تكتشف فيه المواهب المدفونة في الممارسة الديداكتيكية التقليدية ، وقد بينت التجربة مدى تأكد نظرية «غاردنر» صاحب «نظرية الذكاءات المتعددة». والدور الاجتماعي: فهو رائد اجتماعي يسهم في تطوير المجتمع وتقدمه عن طريق تربية الأطفال تربية صحيحة تتسم بحب القيم والحفاظ عليها ، وتسلح

تلاميذه بطرق العمل الذاتي التي تمكنهم من متابعة اكتساب المعارف وتكوين القدرات والمهارات وغرس قيم العمل الجماعي في نفوسهم ، وتعويدهم على ممارسة الأدب والأخلاق في حياتهم اليومية. والدور النفسي: فالمدرس لا ينبغي أن يقتصر دوره على عرض المادة الدراسية وتلقينها وتقويمها ، بل ينبغي أن يكون قريبًا من المتعلم ، للمساهمة في معالجة همومه ومشاكله التي تحول دون مسايرته الفاعلة والفعالة في التحصيل الدراسي. ولا أدل على ذلك من التجربة الرائدة في بعض المؤسسات التعليمية التي أنشأت ما يسمى بمراكز الإنصات للحد من الاضطرابات النفسية التي يعيشها المتعلمون نتيجة مشاكل أسرية واجتماعية واقتصادية. والدور التنموي: ينظر علماء «التنمية البشرية» للمدرس على أنه يشكل المصدر الأول للبناء الحضاري والاقتصادي والاجتماعي للأمم ، من خلال إسهاماته الحقيقية في بناء البشر ، والحجم الهائل الذي يضاف إلى مخزون المعرفة ، وعبرت عنه نظرية «رأس المال البشرى» بأنه كلما نجح المدرس في زيادة المستويات التعليمية لأبناء الأمم ، كلما ارتفعت معها مستويات المعرفة ، ومن ثم ترتفع مستويات الإنتاج القومي العام ، والذي بدوره ينعكس على زيادة مستويات دخل أبناء الأمم وتحقق الرفاهية الاجتماعية. وعلى ضوء ذلك ، ينبغي إعادة صياغة برامج إعداد المدرسين في ضوء تحديات العولمة لجعلهم قادرين على أداء أفضل ، والأخذ بمبدأ النمو المهني المستمر للمعلم وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمعلمين حتى يشعروا بالأمن الوظيفي ويتنافسوا في أداء رسالتهم وترسيخ مبدأ التعبد بالعلم. وختامًا فالمدرسة المبدعة والمواكبة للمستجدات ، لا ينحصر دورها فقط في تغيير المناهج وإصدار كتب جديدة وإدخال التكنولوجيا الحديثة في التعليم ، بل ينبغي أن يرافق كل ذلك تشبث المدرس بالقيم الراقية الراسخة في ديننا الحنيف ، وتغيير في بيداغوجيته وطرائق تدريسه ، من خلال التكوين الذاتي والمواكبة في التكوين المستمر من طرف الأخصائيين في علوم التربية والديداكتيك وعلم النفس التربوي ، بالإضافة إلى تشجيعه ماديًّا وتحفيزه على إثر كل عطاء إبداعي).هـ. يقول الدكتور عبد الرحمن الشلاش ما نصه: (لقد طرحتُ مصطلح المعلم المربي بديلاً للمعلم الملقن ؛ وذلك للسيطرة الذكية والمقصودة على السلوكيات المنفلتة للطلاب. أعني بذلك تربية الطلاب على تحمُّل المسؤولية وغرس حب القيم في نفوسهم ؛ وبالتالي المحافظة على الممتلكات الخاصة وكأنها من أملاكهم الخاصة ؛ إذ ينظر الطالب للمدرسة وكأنها بيته ، لكن كيف السبيل لتحقيق هذه الأمنية الغالية؟ يجب أن نعترف إذا أردنا فعلاً النهوض بالتعليم ، وتربية الأجيال لتكون واعية ومبدعة وخلاقة ، بأن الأساس في العملية التعليمية ـ وهو المعلم في مدارس البنين والمعلمة في مدارس البنات ـ في وضع لا يساعد كثيراً على تحقيق أماني وطموحات المجتمع بتخريج أجيال تجمع بين الفكر والسلوك مهما صرفنا عليهم من أموال. إن أغلب المعلمين والمعلمات لا يربطهم بالمدرسة إلا توقيع الحضور وجدول الحصص ، يدخل أحدهم الفصل ، ويلقي الدرس على الطلاب وهو في عُجالة من أمره ، وأغلبيتهم ـ كي لا أعمم ـ يتعامل مع طلابه بنفسية سيئة ، ويواجه أسئلتهم بالضجر والصراخ والكلمات البذيئة ، وقد يعاقب طالباً آخر فيخرجه من الفصل ، وآخر يرسله للمدير ، وثانياً للوكيل ، وثالثاً للمرشد الطلابي. فلا يحاول حل مشكلات الطلاب ، ولا يجهد نفسه في محاولة التعرف على واقعهم. لا يهتم إن كان هذا يتيماً ، وذاك ابن فقير ، وتلك أمها مطلقة ، وهذه تعاني من مشكلات صحية أو قسوة أسرية أو ظروف طارئة. وما إن يدق الجرس إلا ويكون في مقدمة المغادرين للفصل ؛ فقد نزل عليه الفرج من حيث لم يحتسب! يترك الصغار داخل الفصل يتعاركون ويحطمون ،

ويكتبون على الجدران ، ويمزقون الكتب ، ويذهب هو ليتصفح جواله ، ويتواصل مع أصدقائه ، ويفتش عن زملائه المتحلقين حول مائدة الفطور ؛ ليبتلع بعض اللقيمات ، ويستمتع بسماع آخر النكات ، ثم يمضي يومه في انتظار ساعة الفكاك من المدرسة ؛ ليخرج مختتماً يومه دون أن يضع لمسة تربوية ، أو يعدل سلوكاً معوجاً. تلك النوعيات من المعلمين الملقنين لا يشد بهم الظهر في تخريج أجيال قيادية مثقفة واعية محبة لمجتمعها وعاملة لتقدم بلادها وازدهارها. كيف يرشد ويوجه ويصحح ويعدل المسارات المائلة من لا يملك الأدوات التي تعينه على فهم تربوي وقدرات متفردة في فهم نفسيات الطلاب والطالبات ومعالجة المشكلات ومساعدتهم على التكيف المريح في البيئة المدرسية؟ نوعية المعلم المربي غابت فتاهت الأجيال. المعلم الذي يغرس حب المدرسة وتقدير العلم ، وينشر ثقافة الفرح والطموح والتفاؤل ، لا ثقافة الحزن والموت والتشاؤم والتحريض ، أو السلبية التي تحول الطالب إلى فرد غير منتج ، وقد يحول لأداة تستخدم ضد المجتمع ؛ إذ تندس بين المعلمين عينة المربين المغشوشين الذين يدسون السم في العسل ، ويشربون طلابهم ثقافة القتل والتخريب والتدمير! نريد المعلم المربي. المعلم الذي يربي طلابه على الفضائل والاحترام والتقدير والانضباط والحرص على التعليم ، وكيفية التعامل مع معطيات العصر الحالي بإيجابية ، وكيفية التواصل الفعال مع الآخرين).هـ. ويقول الأستاذ ربيع ملحم – عرعرة: (أنا لست بمعلم ولا مربي أجيال ، ولكنني كغيري قد مررت بمرحلة الطالب وأدركت قيمة المعلم ، كنا صغاراً وكنا من ضيوفه ، درسنا في صفوفه ، فشرع لنا أبواب الدنيا في سطوره ، وأظهر لنا نجوم حروفه ، فكان ذلك المعلم بالفعل شريان الحياة ، فأخرج منا العلماء ، والأدباء والمثقفين والمشايخ وكل صالح في المجتمع ، وكما قال أجدادنا في السابق ، المعلم خيره على مجتمعه إلى يوم الدين ، فاستقرار مكانته بين الطلاب يُعكس تلقائياً على استقرار المجتمع ، وإن فسد المعلم ، كسد المجتمع وفسد! ولكن للأسف. باسم نظرية التربية الحديثة ، تدهورت قيمة المعلم فقد أصبح المعلم لا يملك صلاحية تربوية ، فالضرب غير المبرح طبعا منعوه ، بل ويعاقب عليه القانون ، والتوبيخ ممنوع يعاقب عليه المعلم ، والطرد ممنوع ، ويعاقِب عليه المدير ، ومع ذلك وجب على المعلم أن يخرج الأجيال التربوية المثقفة ، التي تؤهله ليكون المجتمع متحضراً مستنيراً. أفشلوك بالفعل ، يا رجل العلم والتربية ، ففشل من وراءك الجيل! بل وضعوا لك عصياً على عجلات المركبة ، ووضعوا الحصان خلف المركبة ، وحاصروك يومياً بالأبحاث والتجارب والفعاليات اللامنهجية فاستسلمت أفكارك وإبداعاتك ، فإن رفعت رأسك لتعترض على الأسلوب اتهموك بالرجعية ، والتقدمية ، وأبسط الحالات لقبوك ، بالمتخلف ، وانعكس ذلك على سلوكيات بعض المعلمين. فإن بعض المعلمين ، يأتي للدرس كأنه جاء إلى استراحة في رحلة مسافر ، فدرسه فقط للمجتهدين ، وأما طبقة الضعفاء والمتوسطين والضعفاء فهم ضيوف موائد الرحمن ، إذ حتى أسماؤهم لا يعرفها المعلم! لأنه لا يعرف إلا أسماء المتفوقين ، أما البقية فهم كما يقولون كمالة عدد ، لا يهمه سؤالهم ولا يعيره انشغالهم في الآيفون في الدرس ، ولا تأخره عن الحصة! ورائحته دخان وسجاير تملئ أكمامه حتى أن بعض الطلاب يطفئ السيجارة خارج الصف أمام أعين المعلمين ، فلم يعد الطالب يهاب المعلم ، بسبب سلب ونزع هيبته ، مما يؤدي لرسوبهم وفشلهم في العمليه الدراسية ، فتجدهم في مسالك المنحرفين! وأكثرهم سلكوا دروب الفاسدين. وأقل ما يمكن أن يعبر عن احترام المعلمين الأجلاء الأشاوس وهو تكريمهم على الأقل في مقالة لأنهم يستحقونها بحق ، أقول حتى هذه لا يجدها المعلمون! أتمنى لك أستاذي

من صميم قلبي ، أن يمد الله في عمرك ويجعل لك حياة عريضة ملئيه بالحياة والسعادة ، وفي الختام أذكركم وأذكر نفسي بأن المعلم بعين الله مقدر ، فلولا المربي ما عرفت ربي ، وإن أردتم جيلاً نقياً واعياً ، عليكم بتربية جيل متعلم محترم).هـ. أقول لمن نسي أو تناسى أن المعلمين كانوا ومازالوا هم ذروة المجتمع ، وهم من لهم القدر الكبير والأول والأخير في رقي المجتمعات وتقدمها! ولهذا فإذا أرادت الدول أن تهتم بأجيال متعلمة ، خصصت القدر الكافي والتخصصات للمعلمين! لرفع شأن المعلمين والرقي بهم ، وإعطائهم القدر الكافي من الاهتمام للرقي ، وأخذ زمام الأمور. وهكذا انطلقت الثورات الصناعية في العالم مثل اليابان. والعالم يشهد الآن التقدم السريع لدول كثيرة خرجت من الحروب ، والآن أصبحت تسيطر على صناعات العالم. فهنيئاً لمعلميهم وللقائمين على سلك التعليم في بلادهم. ولقد كانت له (أي للمعلم) مهمة في العهد السابق أنه جاء ليذكرنا بالخلق الحميد ويشد على أيادينا لنتمسك بما هو قيم لمجتمعنا فنقول له شكراً لشعورك بالمعلم والتعليم وأخيراً وليس آخراً أتمنى للمعلم موفور الصحة والعافية لما قدمه لنا ولأولادنا من عطاء موفور واهتمام كبير. نقول له: إن التكريم يجب أن يكون في حياة الناس. وقد شعرت معكم بصدق أن جميع المعلمين يستحقون منا الشكر والتقدير عرفاناً بجميلهم العظيم في التعليم).هـ. وتحت عنوان: (رسالة إلى المعلم المسلم) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين في أبها ومدير مركز البحوث التربوية بالكلية ، ما نصه: (أيها المعلم الفاضل مربي الأجيال ، أكتب إليك هذه الرسالة من وراء اثنين وعشرين عاماً قضيتها في مهنة التعليم ؛ شاعراً بكثير من الاعتزاز والفخر لانتمائي إلى مهنة هي من أشرف المهن ، وصناعة هي من أكرم الصناعات ، لا سيما وأنها رسالة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. أولئك العظام الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم معلمين ومُبشرين ومُنذرين يدعونهم إلى الصراط المستقيم ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ، قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}. فيا أخي المعلم في أي مرحلةٍ من المراحل ، وفي أي مادةٍ من المواد العلمية أو الأدبية أو غيرها ؛ أكتب لك هذه الرسالة مُذكراً وناصحاً ، ومؤملاً أن تنال رضاك ، وأن تحوز إعجابك ، وأن تكون عوناً لنا جميعاً على بذل المزيد من الجهد والسعي لما فيه الخير والصلاح. وفيها أقول: * يا من أعَّزهُ الله بالإسلام ، تَذَكَّر أن المعلم المسلم يحمل أشرف رسالة ، ويؤدي أعظم أمانة ، وأن جمال رسالته مستمد من شرفها وبخاصة أن قدوته في ذلك أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أجلُ وأشرفُ من المعلم في مهنته؟ الموظف أم البائع؟ المهندس أم الصانع؟ الطبيب أم المزارع؟ إن كل أولئك وغيرهم من أبناء المجتمع إنما هم صنائع المعلم ، به قاموا ، وبه كانوا ، لذا فهو يسعَدُ إذ يرى أبناءه وقد كانوا من أولئك المهندسين والأطباء والفنيين والخبراء.....الخ. الذين تنهض بهم الأمم ، وتقوم بهم المجتمعات وينتشر على أيديهم الخير ويعم الصلاح. وصدق الله جل في عُلاه وهو يقول: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}. * يا من تخاف الله تعالى وترجو رحمته ، اتق الله في عملك وراقبه سبحانه ؛ فإنه يراك في كل وقتٍ وحين. واحرص على أداء واجبك بالشكل الذي يرضاه جل في عُلاه ، وتذكر ما روي عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه. (رواه أبو يعلى في مسنده). ولا تنس ـ بارك الله فيك ـ أن حُسن تعاملك وتجاوبك مع مُديريك وزملائك ، أو

جلوسك في مكتبك ، أو فصلك ، أو معملك ، وقضاءَك لحاجة طلابك أو إجابتك عن استفساراتهم يُعد عبادةً تُثاب عليها متى صلُحت نيتك واحتسبتها عند الله سبحانه . * يا من يتيه فخراً على أقرانه من العاملين في القطاعات والميادين الأخرى ؛ يكفيك أن أسمى ما تعتز به تلك المودة والمحبة ، وذلك الاحترام والتقدير والوفاء الذي تحظى به أينما اتجهت ، وحيثما حللت من طلاب الأمس الذين أصبحوا رجال اليوم. وتذكر أن من يجلسون أمامك ـ الآن ـ على مقاعد الدراسة هم رجال الغد المشرق وبُناة المستقبل الزاهر المشرق ـ إن شاء الله ـ. واعلم أن هؤلاء الطلاب أوسمةً على صدرك ، ولئن كان البعض يعتزُ بوسامٍ واحدٍ يحمله بعد عملٍ جليلٍ طويل ؛ فإن المعلم يحمل كل يومٍ وساماً ، ولئن كانت أوسمة الآخرين تُعلقُ على صدورهم فإن أوسمة المعلم تعيش في قلبه ، ويجسدها وجدانه وهو يرى مكانته في نفوس الآخرين اعترافاً بفضله وإجلالاً لقدره. * يا من يعيش حياة التعليم ويستغرق فيها بعقله وقلبه ، ولا يرضى عنها بديلاً ، لا تكن شمعةً تُحرق نفسها لتضيء الدرب للآخرين ؛ بل كن سراجاً يُضيء الدروب للآخرين ولا ينسى نفسه من الخير والعطاء. وخيرُ سبيلٍ لتحقيق ذلك أن يكون شعارك في حياتك قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). فليكن شعارك أن تفيد غيرك وتستفيد أنت في الوقت ذاته! فليتعد خيرك غيرك ، وفي الوقت نفسه لا تنس نفسك من الخير! وأن تبذل كل ما في وسعِك لتكون قدوةً حسنةً لأبنائك الطلاب في التزامك ، وموضوعيتك ، وسمّتِك ، وعدلِك ، وإنصافِك ، وفي تعاملك مع من حولك على أُسسٍ قويمةٍ من التقوى والصلاح والأخلاق الفاضلة. * يا من تعلم أن الله يراك في كل وقتٍ وحين ، تَذَكَّر أن التربية فن وعلم ورسالة عظمى لمن وفقه الله لأدائها ، لا سيما وأنها تعتمد على رؤية المعلم لطلابه وتحسسه لمشكلاتهم ، وحسن تقديره لظروفهم ومراعاته لأحوالهم . وحافظ على مواعيد الحضور والانصراف ، وإياك أن تتأخر أو تتغيب عن طلابك بغير عذر يجبرك على ذلك فكل راع مسؤول عن رعيته ، وكل معلمٍ مسؤول عن مهامه وواجباته ؛ التي إن أحسن أداءها جوزي خيراً إن شاء الله تعالى ، وإن قصَّر حوسب وعوقب – والعياذ بالله من ذلك ـ. وعليك أن تضع نصب عينيك تقوى الله جل جلاله في كل وقتٍ وحين ، والشعور بمراقبته سبحانه وتعالى. * يا من تقتدي بمعلم البشرية وأُستاذ الإنسانية ، كُن سهلاً ليناً ، حبيباً لطيفاً في تعاملك مع من حولك من المديرين والموجهين والمرشدين والوكلاء وأولياء الأمور والمستخدمين والعمال والطلاب ، وعليك بمساعدة من تستطيع منهم ومد يد العون له في حدود ما تسمح به الأنظمة والتعليمات ، ودونما ضررٍ أو ضِرار ، وتذكّر أن من يَسَّر على مسلم ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، وأن من رفق بمسلم رفق الله به في الدنيا والآخرة ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهم! من وَلِيَ من أمر أُمتي شيئاً فشقَّ عليهم ، فاشقق عليه. ومن وَلِيَ من أمر أُمتي شيئًا فرَفَق بهم ، فارفق به. (رواه مسلم). * يا من تفتخر بدينك الإسلامي الحنيف ، وتعتز بانتمائك لأمة الإسلام والمسلمين حافظ على هويتك المُتميزة وشخصيتك المُستقلة ، التي لا ترضى معها أن تتخلى أو تتنازل عن شيءٍ من المظاهر مهما كان ذلك يسيراً في نظرك ؛ كأن تُحافظ على تحية الإسلام عند الالتقاء بالزملاء والطلاب ، وأن تبدأ الدرس بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والمحافظة على المظهر الجميل والسمت الحسن ، ومراعاة سنن الفطرة ، ونحو ذلك من الآداب النبوية والأخلاق الإسلامية التي تُميز شخصية المعلم المسلم ، وتحفظ هويته ، وتُعلي منزلته في أي زمانٍ ومكان. * يا من تبتغي بقولك وعملك ما عند الله

تعالى من الخير العميم والثواب العظيم ، لا تتردد في استخدام أُسلوب الثواب والمكافأة ، واحرص على توظيف أسلوب الثناء المُباشر على طلابك إذا رأيت فيهم أو لمست منهم بادرةً حسنةً ، أو سلوكاً طيباً . وما أحسن أن تُشجعهم على ذلك ببعض الهدايا المناسبة والجوائز الملائمة التي تعود عليهم بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة كأن تقوم بتوزيع بعض الهدايا والمكافآت التي تُسهم في حثهم على الجد والاجتهاد ومضاعفة الجهد في الدرس والتحصيل ، وتدفعهم إلى تحقيق الأهداف النبيلة والغايات السامية ، وتغرس في أنفسهم المحبة والمودة لكلٍ من حولهم من الكائنات والمكونات. * يا من تقوم بإعداد أجيال الأُمة ، وتربية رجال المستقبل ليقوموا بوظائف البلاد وينهضوا بحضارة الأمة ، ويحملوا رسالتها ، تَذَكَّر أنك الأساس والمرتكز وحجر الزاوية في بناء الأمة الحضاري ؛ فتحمل المسؤولية كاملة ، وكن أهلاً لأداء هذه الرسالة العظيمة. وهذا يفرض عليك أن تكون مُلماً بكل جديدٍ ومُفيدٍ في مجال تخصصك ، وأن تكون مُتمكناً من مادتك العلمية التي تقوم بتدريسها لطلابك ، وأن تكون حريصاً على الاطلاع والتجديد والتطوير المستمر لمعلوماتك ومهاراتك وقدراتك وخبراتك حتى تتمكن من مواكبة تطورات العصر وتغيراته المتلاحقة. * يا من يُجهد نفسه ويُضحي بوقته ، ويبذُل الكثير لأداء رسالته ، ويجد في أثناء ذلك كثيراً من المتاعب والعقبات ، لا تنس أنك مأجورٌ ومشكورٌ - إن شاء الله - على ذلك كله متى أخلصت النية لله سبحانه ، وصبرت واحتسبت ذلك عند الله تعالى. فليس هناك عملٌ بلا تعب ، ولا نجاح بلا سهر. * وختاماً ، أُهديك أخي المعلم عظيم شُكري ، ووافر تحيتي ، وخالص دعائي بالتوفيق والسداد ، والهداية والرشاد في مسيرتك المُباركة ، ومشوارك الطويل لأداء هذه الرسالة العظيمة التي جعلتك محط الأنظار ، ومحل العناية والاهتمام في هذا الزمان وكل زمان).هـ. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله ، وقد دل على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية. قال الشيخ السعدي رحمه الله: والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وفي هذه الآية فضيلة العلم. تفسير السعدي. قال تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟} هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد ، وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل ، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب. زاد المسير. وفيه من أدب الفقه: التذلل ، والتواضع للعالم ، وبين يديه ، واستئذانه في سؤاله ، والمبالغة في احترامه وإعظامه ، ومن لم يفعل هكذا فليس على سُنة الأنبياء ولا على هديهم. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. وروى الإمام أحمد في المسند وغيره ، وحسنه الألباني عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. فالإجلال للكبير هو حق سنَّه الله تعالى أنه تقلب في العبودية لله تعالى في مدة طويلة ، والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رَحِمه ورفع عنه العبودية فلم يُؤاخذه بحفظ حد ولا حكم ، ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم ، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. فيعرف درجاته التي رفع الله له بما آتاه من العلم. نوادر الأصول. ولقد وجه الأستاذ محمد صالح المنجد بعض النصائح للمعلمين كان من بينها: (لما كان المعلمون هم

حماة الثغور ، ومربو الأجيال ، وعمار المدارس ، المستحقون لأجر الجهاد ، وشكر العباد والثواب من الله يوم المعاد ، ولما كان الحديث معهم ذا شجون ، ولهم هموم وشؤون ، ولهم آمال وآلام ، وعليهم واجبات وتبعات. فتحية إلى من ينفق من مشاعره وأحاسيسه قبل أن ينفق من أوقاته ، وينفق من دمه ونفسه أضعاف ما ينفق من تعليمه وتوجيهاته ، تحية إلى من يحاول أن يرد المعوج إلى طريقه والمنحرف إلى سبيله ، والناد إلى جادته ، والعاق إلى بره ، والجافي إلى عقله ، والمفرط إلى صوابه ، والفاسق إلى دينه تحية إلى من حجز لنفسه في المسجد جلسته ، ليحجز لنفسه في الجنة درجته. وجعل من أبناء المسلمين أبناءه ، فغدا عليهم شفيقاً ، وبهم رفيقاً ، يسعى لزيادتهم كماً وكيفاً ، ويجتهد في تعليمهم شتاءً وصيفاً. تحية إلى من حبس حاجته في صدره. ولم يبح إلا بحاجة واحدة هي أن يتفيأ الجيل المسلم ظلال القرآن ، ويستنشق عبير الإيمان ويفيء إلى طاعة الرحمن ، ولأجل هذا يضحي بالغالي والرخيص ، ويجود بالبسيط والنفيس. تحية إلى من لم يشغل نفسه بماذا أخذتُ؟ ولكنه يسأل: كم أعطيت ، كم وجهت ، كم علمت ، كم أفدت ونصحت ، ماذا أثرت ، سؤالَ اللائم نفسَه ، وقبل أن يتهم طلابه يتهم نفسه ، يقول: لعلي لم أجرّد نيتي ، لعلي لم أحسن طريقتي ، لعلي زدت في قسوتي ، لعلي أفرطت في تجاوزي ومسامحتي! تحية إلى خير الأمة ، كما شهد بذلك نبي الأمة ، حين قال كما روى البخاري ، عن فضل المقرئ والقاري: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه] ، فحاز الخيرية من طرفيها ، تعلم وعلم ، وقرأ وأقرأ ، وصلح وأصلح ، ورشد وأرشد ، تحية إلى من سكن القرى والهجر ، واصطحب معه النور الذي لا يخبو ، يبدد الظلام ، ويوقظ النيام ، ويبارك به الأيام. الناس في متاجر الدنيا وهو في متجر الآخرة ومعية الملائكة. الناس أرصدتهم في البنوك ، ورصيده هو في القلوب. الناس تبني مدائن من تراب وهو يبني مدائن من فكر وقيم وآداب ، ويعلي قلاع تناطح السحاب. تحية لمن فجر في حياتنا ينابيع القرآن دفاقة ، وأجرى في صحاري العقول أنهار الحكمة رقراقة ، تحية وسلاماً إلى معلم القرآن ، في كل زمان ، وكل مكان. أقول: لمعاشر المعلمين في بلادنا الحبيبة سلامٌ من الله عليكم ، وتحيات مباركات تزجى إليكم. وإن بعض الخواطر المباركة والنقول المفيدة والتوجيهات السديدة لمثل هؤلاء تكون عوناً لهم ولنا جميعاً للسير بالعملية التعليمية إلى أعلى المراتب وأسمى الغايات! عسى أن تجد قبولاً عندهم ، وتنال رضاهم بعد رضا الله عز وجل. العلم ميراث النبي كما أتـــى في النص والعلماء هم وراثه. ولا شك أن النظرة لهذا العمل على أنه رسالة يجازي الله عليها أفضل وأعظم من النظرة إليه على أنه أداء لواجب وظيفي يستوي مع واجب أي موظف آخر. يجب أن نعلم أن حضارة الغرب وثقافته ومذاهبه المتعددة أفلست ، وسوف تفصح عن ذلك إن عاجلاً أو آجلاً. وأن الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقوم بعملية الإنقاذ وأن يحقق كل ما تريده الإنسانية. والمشكلة الآن هي مشكلة الدعاة في كل مجال ، فالمعلم في مدرسته وفي فصله لا بد من أن يكون داعية. فإن الأمم اليوم تجتمع على محاربة الإسلام بقوى رهيبة مثل: الصهيونية والشيوعية ، والإباحية ، والاستعمار المنظم ، والانتهازية ، ... وهي مسلحة بالقوة المادية والعلمية والحضارية! ومن أجل ذلك فإنه يحتاج أن يكون كل مسلم داعية في مجال عمله. لا سيما والميدان فارغ ، وهو بحاجة إلى مزيد من الدعاة الأكفاء الذين يحسون بعظم المسئولية اليوم ، ويشعرون بالمخاطر التي تهدد دينهم وأمتهم وعالمهم الإسلامي. لكن المعلم يعيش بين عناء الوظيفة وشرف المهنة. لذلك نقول يا أيها المعلم: إن مهمتك عصيبة جداً ، ولكنك داعٍ إلى الله ، وحامل لواء المسلمين ، فلا يؤتى الإسلام من قبلك ، وهنيئاً لك ، [ومن أحسن قولاً ممن

دعا إلى الله] ، وهنيئاً لك أنك تُعلم الناس الخير ، وهنيئا أن الله تعالى في عليائه وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير. وكما تعلم أن سياسة التعليم يجب أن تنبثق من الشريعة الإسلامية ، ويجب أن تكون لها أهداف وغايات عظمى لا يمكن أن تتحقق (بعد توفيق الله) ، إلا من خلال معلم ذي شخصية سوية في صفاتها وخصائصها ، في آمالها وتطلعاتها ، في مقاييسها وموازينها ، لم تمسخ فطرتها ، ولم تنحرف أفكارها. ومن هنا فلنعلم أن هناك صفات يجب أن تتوفر في المعلم.
أولاً: الإخلاص: على المعلم الداعية أن يحرر نيته لله ، ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به ، سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة. يحررها من شوائب الرياء والسمعة وثناء الناس وشكرهم ، فعمله لله وبالله. قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا). ويجب إخلاص النية لله تعالى. روى البخاري في صحيحه عن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ). وجاء في الحديث الذي رواه النسائي: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ). فعلى المعلم الداعية أن يحرر النية ، ويقصد وجه الله تعالى في كل عمل يقوم به ، ليكون عند الله من المقبولين ، وبين تلاميذه من المحبوبين والمؤثرين. والثمرة التي يجنيها هي تنفيذ منهج التربية على الدوام وإفادة وتربية الطالب ، وأيضاً يحظى بثواب الله ورضوانه ، ويظفر بدار المقامة في جنات الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ثانياً: التقوى: أن يتقي الله بفعل ما أمر واجتناب ما نهى الله عنه وزجر ممتثلاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) متحرياً ذلك أشد التحري: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ). وامتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. وإنه إذا لم يكن المعلم الداعية متسلحاً بالتقوى ، وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الإسلام. فإن الطالب يحس بالتناقض في داخله مما يدفعه إلى الانحراف عن الطريق القويم. فهو يتقي الله ويلتزم بإنهاء المنهج وخاصة في الثانوية العامة. وهو يتقي الله ولا يظلم طالباً ويحابي آخر لمعرفة أو ود أو واسطة. وهو يتقي الله ولا يعامل الطلاب بناءً على مظهرهم أو قبيلتهم ولكن بناءً على دينهم والتزامهم واجتهادهم. وهو يتقي الله فلا يغش فيبيع الأسئلة ويضع الدرجات وينجّح الطلاب بالفلوس وهكذا تضيع هيبة العلم وأنه يقوم بمهمة الأنبياء والرسل ، فكيف يُحل لنفسه أن يبيع دينه من أجل عرض من الدنيا. ثالثا: استشعار بالمسئولية: وقد جاء في حديث البخاري: (أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلّكُمْ مَسْئُول عَنْ رَعِيَّته). وَالرَّاعِي هُوَ الْحَافِظ الْمُؤْتَمَن الْمُلْتَزِم صَلَاح مَا أُؤْتُمِنَ عَلَى حِفْظه فَهُوَ مَطْلُوب بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهِ. ولذلك عليه أن ينطلق بكليته في مراقبة وملاحظة الطالب ، وفي توجهيه وتعويده وتأديبه ، وَلابْنِ عَدِيّ بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْ أَنَس إِنَّ اللَّه سَائِل كُلّ رَاعٍ عَمَّا اِسْتَرْعَاهُ حَفِظَ ذَلِكَ أَوْ ضَيَّعَهُ. فالمعلم يجب عليه أن ينهض بهذه المسئولية على أكمل وجه ، واضعاً نصب عينيه غضب الله تعالى عليه إذا هو فرّط ، لأن المسؤولية يوم العرض الأكبر ثقيلة والمحاسبة عسيرة ، والهول عظيم. وإذا أهمل المعلم واجبه ، ووجه طلابه نحو الانحراف ، والمبادئ الهدامة ، والسلوك السيئ شقي الطلاب ، وشقي المعلم ، وكان الوزر في عنقه ، وأنه مسئول أمام الله تعالى فالمعلم راع في مدرسته ، وهو مسئول عن رعيته. إن صاحب الهم الذي يحمل هم الأمانة التي استرعاه الله عز وجل

عليها يتساءل دائما كيف أقوم بأداء هذه الرسالة وهذه الأمانة على الوجه الذي يرضي الله عز وجل عني؟ ، ويتساءل دائماً كيف أكون معلماً ناجحاً في حمل أمانتي مؤدياً لها على الوجه الصحيح؟ بل وحتى الطلاب وكل مسلم يجب أن يستشعر ذلك. والمعلم الداعية لا يستعجل: عدم استعجال ثمرة جهدك وجهادك وتعليمك ودعوتك ، فما أنت إلا مجرد زارع يغرس الزرع ويبذر البذر ويفعل السبب ، فلا تتوقع أن يثمر جهدك في كل من هم حولك ، فقد لا يخرج من مائة علمتهم ودعوتهم عشرة بل واحد ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً). وفي روايةٌ: (وَقَالَ : لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ قَالَ لا تَجِدُ فِيهَا إِلا رَاحِلَةً). فالمقصود أن التوفيق بيد الله عز وجل ، وما المعلم إلا مجرد سبب له فقط ، فقد ينجح من يظن به الفشل ، وقد يفشل من يظن به النجاح ، والسعيد من وفق. ولا بد لك من تقدير بين ما أنتجه وبين الثمار المجنية من هذا النتاج. قال كثير من المعلمين: دخلنا التعليم من أجل هدف واضح وهو الدعوة إلى الله تعالى ؛ ولكن بعد مضي عام يتلوه عام تركنا هذا الهدف واشتغلنا بأمور دنيوية تنافسنا عليها! خامساً: لا تحتقرن جهدك وبذلك ، فقد تكون مجرد كلمة عابرة وجهد يسير منك يفعل في نفوس الطلاب الأفاعيل. وانظر إلى ثمرة هذا المعلم ماذا أثمرت؟ أذكر مثالين من سيرة السلف على تأثير كلمات عابرة ، كيف فعلت في نفوس الطلاب ما فعلت؟ الأول صحيح البخاري الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ، والذي إذا خرّج لأحد الرواة رواية فقد جاوز القنطرة ، وإذا قيل رواه البخاري يقع في النفس هيبة له ، ما سبب تأليفه؟ إنها كلمة واحدة في مجلس واحد وقعت في أذن البخاري فيسر الله له تأليف هذا الكتاب الذي رفع منزلة البخاري في طبقة عالية فلقد ذكر لتأليفه ثلاث أسباب أشهرها أنه كان في حلقة إسحاق بن راهويه. فقال لو أن أحدكم يجمع كتاباً فيما صحَّ من سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم جملة واحدة! قالها إسحاق فوقع ذلك في نفس البخاري ، فصنف هذا الكتاب الذي خلد التاريخ اسمه (هدي الساري). والثاني: الإمام الذهبي هذا الإمام الفحل أبو عبد الله بصر لا نظير له وهو كنز وملجأ إذا نزلت معضلات المسائل ، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها. سبب طلبه لعلم الحديث كلمة واحدة يقول هو بنفسه عن الإمام البِرزالي إنه لما رأى خطه قال له: إن خطك هذا يشبه خط المحدثين. قال فحبب الله لي علم الحديث. فانظر ماذا فعلت هذه الجملة في الإمام الذهبي فقد صار من أئمة الحديث وحفاظه ونقاده. الأمر الأهم يجب أن يكون المعلم متمكناً في مادته العلمية الموكّل بتدريسها لأنها أمانة ويجب عليها أن يؤديها على أتم وجه. ولكن يجب أن لا يغفل عن طلب العلم الشرعي الذي هو واجب على كل إنسان معلماً كان أو متعلماً ، وأن يكون ملماً بالأحكام الشرعية والأمور الأساسية التي يجب على المسلم أن يعرفها فضلاً عن المعلم والمدرس الذي يقتدى به ، لأنه محل ثقة ، وله احترام وتقدير لدى الطلاب ، مما يدفعهم لسؤاله فإن أخطأ سقط من أعينهم أو أخذوا منه حكماً باطلاً. ولهذا يأتي الابن ويرتكب محظوراً في الصلاة أو الصيام ونحو ذلك ويقول أفتاني به الأستاذ ، إنه لظلم عظيم. فالطالب في هذه المرحلة يكون كالخامة متفاعلاً مع من حوله من الأشخاص ، وتجد طباعهم تكتسيه ، ويزداد ذلك التأثر لو كان مصدره من يعتقد فيه الطالب المثالية والأسوة الحسنة وهو بطبيعة الحال معلمه ، ولهذا ينبغي للمعلم والداعية الصادق أن يُرِيَه من الخصال الطيبة والصفات الحسنة ما تجعله يتحلى بها ، وعلى أقل تقدير يجِلّ أهلها ، ويرفع من شأنهم. أن يعمل بما يأمر به الطلاب من الآداب والأخلاق وغيرها من

العلوم ، وليحذر مخالفة قوله لفعله ، وليسمع قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ؟) وهذا إنكار على من قال قولاً ولم يعمل به. وقوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) ، أي لا أعمل به ، ولا أبلغه غيري ، ولا يُهذب من أخلاقي. وهنا أمور يسيرة جداً يمكن أن تظهر من خلالها الأسوة مثل: وحيث يعوّد المعلم الطالب دائماً على البسملة قبل البدء مع ذكر خطبة الحاجة ثم إظهار الحوقلة عند الحزن والهم ، وبيان الشكر اللفظي والفعلي عند الفرح والسرور ، والتسبيح عند الاستغراب ، والتكبير عند الإعجاب ، وغيرها من الأشياء التي لا بد أن تتكرر أمام الطالب فتؤدي إلى تعويد الطالب على تلك الألفاظ. وتدفعه لتعلم معناها ويرى الطالب في خطاب معلمه الألفاظ القرآنية والعبارات النبوية).هـ. فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران. قال الإمام ابن مفلح رحمه الله: وَيَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ قَبْلَ السَّبَقِ وَالرَّمْيِ فِي الْإِجْمَاعِ: اتَّفَقُوا جميعاً عَلَى إيجَابِ تَوْقِيرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِسْلَامِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ ، وَالْفَاضِلُ ، وَالْعَالِمُ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فَاتِحَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْوَالِدُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، وَأَظُنُّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. الآداب الشرعية. قال الإمام السفاريني رحمه الله: يَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ ـ الَّذِي هُوَ الشَّيْخُ ـ وَتَوْقِيرُهُ ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ فِي دِيننا مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْأَبُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ فَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ قَالَ فِي كتاب الْآدَابِ الْكُبْرَى: وَأَظُنُّهُ يَعْنِي بَعْضَ الشَّافِعِيَّةِ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا. انْتَهَى. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْمُصْطَلَحِ: الْأَشْيَاخُ آبَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَقَالَ لِي شَيْخَانِ أَبُو التَّقِيِّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ التَّغْلِبِيُّ الشَّيْبَانِيُّ أَغْدَقَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ عَلَى رَمْسِهِ: شَيْخُك أَبُوك بَلْ أَعْظَمُ حَقًّا مِنْ وَالِدِك ؛ لِأَنَّهُ أَحْيَاك حَيَاةً سَرْمَدِيَّةً وَلَا كَذَلِكَ وَالِدُك ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ. وَقَالَ لِي: النَّاسُ يَقُولُونَ فُلَانٌ ـ يَعْنِي: نَفْسَهُ ـ لَا وَلَدَ لَهُ ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ الْوَلَدِ مِثْلُ مَا لِي؟! يَعْنِي: تَلَامِذَتَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. غذاء الألباب ، وقال الإمام النووي رحمه الله: وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَتَحَرَّى رِضَا الْمُعَلِّمِ وَإِنْ خَالَفَ رَأْيَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ ، وَلَا يُفْشِيَ لَهُ سِرًّا ، وَأَنْ يَرُدَّ غَيْبَتَهُ إذَا سَمِعَهَا ، فَإِنْ عَجَزَ فَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إذْنٍ ، وَإِذَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ قَدَّمُوا أَفْضَلَهُمْ وَأَسَنَّهُمْ ، وَأَنْ يَدْخُلَ كَامِلَ الْهَيْبَةِ ، فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ الشَّوَاغِلِ ، مُتَطَهِّرًا مُتَنَظِّفًا بِسِوَاكٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ وَظُفْرٍ ، وَإِزَالَةِ كَرِيهِ رَائِحَةٍ ، وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ إسْمَاعًا مُحَقَّقًا ، وَيَخُصَّ الشَّيْخَ بِزِيَادَةِ إكْرَامٍ ، وَكَذَلِكَ يُسَلِّمَ إذَا انْصَرَفَ ، وَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إلَّا أَنْ يُصَرِّحَ لَهُ الشَّيْخُ أَوْ الْحَاضِرُونَ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّخَطِّي ، أَوْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِمْ إيثَارَ ذَلِكَ ، وَلَا يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَإِنْ آثَرَهُ غَيْرُهُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْحَاضِرِينَ بِأَنْ يَقْرُبَ مِنْ الشَّيْخِ وَيُذَاكِرَهُ مُذَاكَرَةً يَنْتَفِعُ الْحَاضِرُونَ بِهَا ، وَلَا يَجْلِسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ إلَّا لِضَرُورَةٍ ، وَلَا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ إلَّا بِرِضَاهُمَا وَإِذَا فُسِحَ لَهُ قَعَدَ وَضَمَّ نَفْسَهُ ، وَيَحْرِصَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ الشَّيْخِ ؛ لِيَفْهَمَ كَلَامَهُ فَهْمًا كَامِلًا بِلَا مَشَقَّةٍ وَهَذَا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَيَتَأَدَّبَ مَعَ رُفْقَتِهِ وَحَاضِرِي الْمَجْلِسِ! فَإِنَّ تَأَدُّبَهُ مَعَهُمْ تَأَدُّبٌ مَعَ الشَّيْخِ وَاحْتِرَامٌ لِمَجْلِسِهِ ، وَيَقْعُدَ قَعْدَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا قَعْدَةَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ رَفْعًا بَلِيغًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا يَضْحَكَ ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ بِلَا حَاجَةٍ ، وَلَا يَعْبَثَ بِيَدِهِ

وَلَا غَيْرِهَا وَلَا يَلْتَفِتَ بِلَا حَاجَةٍ بَلْ يُقْبِلُ عَلَى الشَّيْخِ مُصْغِيًا إلَيْهِ ، وَلَا يَسْبِقَهُ إلَى شَرْحِ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إيثَارَ ذَلِكَ ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا يَقْرَأَ عَلَيْهِ عِنْدَ شُغْلِ قَلْبِ الشَّيْخِ وَمَلَلِهِ وَغَمِّهِ ، وَنُعَاسِهِ وَاسْتِيقَاظِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ ، أَوْ يَمْنَعُهُ اسْتِيفَاءَ الشَّرْحِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ ، وَلَا يُلِحَّ فِي السُّؤَالِ إلْحَاحًا مُضْجِرًا ، وَيَغْتَنِمَ سُؤَالَهُ عِنْدَ طِيبِ نَفْسِهِ وَفَرَاغِهِ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي سُؤَالِهِ ، وَيُحْسِنَ خِطَابَهُ. المجموع. وقال رحمه الله: وَيَنْبَغِي: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إذَا ذَهَبَ إلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي ، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رحمه الله صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَاَللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إلَيَّ هَيْبَةً لَهُ ، وَقَالَ حَمْدَانُ بْن الْأَصْفَهَانِيُّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ رحمه الله ، فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيِّ ، فَاسْتَنَدَ إلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟ فَقَالَ شَرِيكٌ: لَا ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضَعَهُ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِدَنَّ بِعَيْنِكَ غَيْرَهُ ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ: خِلَافَ قَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إذَا كَسَلَ ، وَلَا تَشْبَعَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْ. المجموع. قال الإمام الماوردي رحمه الله: ثُمَّ لِيَعْرِفَ لَهُ فَضْلَ عِلْمِهِ ، وَلِيَشْكُرَ لَهُ جَمِيلَ فِعْلِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ عُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ إنْ كَانَتْ لَهُ وَإِنْ كَانَ الْعَالِمُ خَامِلًا ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ قَدْ اسْتَحَقُّوا التَّعْظِيمَ لَا بِالْقُدْرَةِ وَالْمَالِ. وإذا كان هذا شأن المعلم فإن لمعلم القرآن مرتبة تعلو كل مرتبة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القران وعلمه). وكل الرجال النافعين في المجتمع من طبيب ومهندس وضابط وتاجر يدينون بالفضل لمعلميهم الذين حببوا إليهم العلم ، وقدموه لهم بأسلوب جميل ، ولم يبخلوا عليهم بحسن المعاملة ، حتى أدركوا ما هم فيه من النجاح. فيجب علينا نحن الطلاب احترام المعلمين وتقديرهم لأنهم هم أصحاب الفضل علينا بعد الله وعلى المجتمع بأكمله).هـ. وتحت عنوان: (المعلم وخلق الصبر) يقول الدكتور وحيد حامد عبد الرشيد ما نصه: (إن رسالة التدريس هي أجل وأسمى وأنبل مما نتصوره ، حيث إن القاعدة التي تنطلق منها هي الإسلام الذي نزل أول ما نزل من كتاب الله الكريم قوله تعالى: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). فقد ذكرت في هذه الآية الكريمة أدوات التعلم ومفتاح التدريس هو القراءة ثم عقب سبحانه وتعالى بالقلم ، والقلم من أدوات العلم ، وهذا يدل على أهمية العلم وعظمته ، حيث إن أول ما نزل الوحي ذكر هذه الأدوات. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: (اعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ). فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، وهذا يدل على فضل العلم والتدريس والتعليم. ويقول تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ). فهذه إشارة إلى طلاب العلم والمعلمين والمدرسين الذين ساروا على الصراط المستقيم. ويقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). فهنا قرن شهادة أهل

العلم بشهادة الله سبحانه وتعالى وبشهادة الملائكة ، فهذا يدل على فضل العلم والمعلمين الذين أرادوا بتدريسهم وجه الله تعالى والدار الآخرة. فهذه بعض الأدلة التي تبين فضل العلم والتعلم وفضل المعلم في القرآن الكريم. أما ما ورد في السنة المطهرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معلماً وكان يشيد بالعلم وأهله. ـ فقد دخل صلى الله عليه وسلم ذات مرة المسجد فوجد فرقتين إحداهما تتعلم والأخرى تتعبد ، فجلس صلى الله عليه وسلم مع الفرقة التي تتعلم وقال عبارته المشهورة: إنما بعثت معلماً! فهذا دليل صريح على فضل العلم والمعلم على غيره من سائر الناس لأن المعلم ينفع نفسه وينفع غيره بخلاف المتعبد ، فالمتعبد لا ينفع إلا نفسه فقط ، ـ كذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له). فالشاهد من الحديث قوله: أو علم ينتفع به ، فتصور أنك إذا مت وانتقلت من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، لا يبقى لك إلا هذه الأشياء صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، كتعليم نشرته ، أو كتاب ألفته أو شريط سجلته ، أو نحو ذلك مما يتعلق بنشر العلم ، أو ولد صالح يدعو له. ـ كذلك ما روي عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). والحقيقة أن المعلم يجب في الوقت ذاته أن يتحلى بأخلاق منها: أن تحلي المعلم بالأخلاق الفاضلة أمر واجب وضرورة شرعية من جانبين : الأول: أنه لا يمكن تصور المعلم بدون أخلاق ، إذ كيف يستقيم الحديث عن تشبع المتعلمين بالقيم الإيجابية ومعلمهم مفتقد إليها؟ والثاني: أنه لا يمكن بناء علاقات تربوية سليمة بين المعلم والمتعلمين في غياب المعلم القدوة المتخلق بأخلاق العلم. وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها. ونحن كمسلمين بفضل الله تعالى نستمد أخلاقيات مهنة التدريس من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن فهو خير معلم للبشرة جمعاء ، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً). وهناك كثير من القيم والصفات الخلقية الأخرى التي يجب أن يتمسك بها المعلم ، وسوف يتناول حديثنا واحدة من أهم تلك الصفات ، وهي صفة الصبر خلق الصبر: ويعد الصبر من أهم هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم ، فمن المفترض أن يكون المعلم كالطبيب ، يحلم ويصبر ويتحمل ويرفق بمرضاه وهكذا يجب أن يكون المعلم مع أبنائه وطلابه! فرسولنا الكريم يقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه). وأحياناً يأتيك أذى من الطالب لأنه جاهل ، ولو كان عالماً لما جاء ليتعلم عندك ، ولكنه جاهل ، جاهل جاء يريد أن يتعلم منك ، لذلك لا بد من الصبر واحتساب الأجر عند الله تبارك وتعالى. فقد يحصل للمعلم أحياناً أذى ، فقد يسمع كلاماً أحياناً من بعض الطلاب أو شيئاً من هذا القبيل ، فلا بد أن يتحمل ويصبر ويحتسب ما يأتيه إن شاء الله من الأجر والثواب من رب العالمين ، وكما نعلم أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكه رجل أعرابي فجذبه حتى أثرت الجذبة في صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم فقال له: مُر لي من مال الله! فضحك رسول الله وأمر له. إنه معلم يعلم البشرية ، فحركاته صلى الله عليه وسلم وتصرفاته كلها تعليم ، فإذاً هو القدوة لنا ، (إنما بعثت معلماً). لذا وجب على المعلم أن يعوّد نفسه على الصبر والتحمل وعدم الغضب وعدم الانفلات ببعض الكلمات النابية التي تخرج منه أحياناً ليس لها أي مبرر ، وليس لها أي سند شرعي لا في كتاب الله ولا في سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، فنجد بعض المدرسين أحياناً وهم قلة: يلعن الطالب أو يسبه أو يشتمه أو

يقول له: يا غبي أو يا حمار أو يقول يا كذا وكذا! فهذا خطأ وغلط ، فهذه العبارات النابية مخالفة لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا يدل على أن هذا المعلم في الحقيقة أقرب ما يكون للفشل ، لأنه ليس عنده صبر وليس عنده تحمل ولا يستطيع أن يكظم غيظه ولا يستطيع أن يتفاعل بصورة إيجابية مع قضايا الطلاب بحيث يمتص ما عندهم من غضب ويمتص ما عندهم من الأسئلة ويمتص ما عندهم من الضجر، الذي قد يكون بسبب جفاف المادة الدراسية وعدم تناولها بطرق تربوية شيقة تجذب اهتمام وانتباه الطلاب ، أو بسبب مشكلات أسرية أو نفسية أو اجتماعية وهذا كله يتطلب الصبر والرفق وتقديم المساعدة له قد الإمكان لتخطى ما يواجهه من مشكلات تؤثر سلباً على علاقاته وسلوكياته وتحصيله الدراسي.
وللصبر مكانة عظيمة في الإسلام: فهو جواد لا يكبو ، وسيف صارم لا ينبو ، وحصن حصين ودرع متين ، امتدح الله من امتطاه ، وأخبر أن يوفيه الأجر بغير حساب: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). وأنه سبحانه وتعالى معهم (واصبروا إن الله مع الصابرين). وجعل سبحانه وتعالى الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين ، فقال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون). وأخبر سبحانه بأن الصابرين المتقين هم المفلحون فقال سبحانه: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون). ويقول صلى الله عليم وسلم في الحديث المتفق عليه: (ومن يتصبر يصبرّه الله ، وما أُعطِيَ أحد عطاء خيراَ وأوسع من الصبر). ويقول صلى الله عليم وسلم: (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه (أي حبيبه) من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). (رواه البخاري). ويقول صلى الله عليم وسلم: (إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (عينيه) فصبر عوّضته منهما الجنة). (رواه البخاري). ويقول صلى الله عليم وسلم: (ليس الشديد بالصُرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). (متفق عليه). وما أحوج الأساتذة والمعلمين إلى الصبر على الطلبة والمتعلمين ، واحتمال الأذى في ذلك ؛ ليجنوا الثمار العظيمة في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالبركة في الرزق والعمر والصحة والعلم وحب الطلاب له ، وفى الآخرة بجنان عظيمة ورضى من الله تعالى: ثمار الصبر: اعلم أخي المعلم أن للصبر جملة عظيمة وكبيرة من الفوائد ، وأعلم أنك على علم بها ، ولكن أود أن أذكرك فقط بها ، فالصبر مفتاح الفرج ، وهو مفتاح النصر كما قال صلي الله عليه وسلم: واعلم أن النصر مع الصبر ، فلن تحصل النفس علي النصر على ذاتها وعلي العدو إلا بالصبر ، ولن تنتصر علي المصائب والأزمات إلا بالصبر ، وقد عدد الله الصبر في أكثر من موضع من كتابه الكريم ، وذلك لما لهذا الخلق الحميد من عظيم الأثر والعائد ، التي منها: أولاً: إن المؤمن الصابر يحوز محبة الله تعالى ومعيته له. ثانياً: إن في الصبر دليلاً على كمال الإيمان وحسن الإسلام. ثالثاً: إن الصبر يورث هداية في القلب. رابعاً: إن الصبر سبب للتمكين في الأرض والفوز بالجنة والنجاة من النار. خامساً: إن الصبر مظهرُ من مظاهر القوة ، وعلامة من علامات حسن الخاتمة. سادساً: في الصبر ضبط النفس عن السأم والملل والعجلة عن القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة والانتظار مدة مناسبة قد يراها المستعجل مدة طويلة. سابعاً: في الصبر ضبط النفس عن الغضب والطيش عند حدوث مثيرات الغضب في النفس ، مما قد ينتج عنه أمور لا تُحمد عقباها . ثامناً: في الصبر ضبط النفس عن الاندفاع وراء الهوى والشهوات مما حذر منه الشرع الحكيم. ولهذا نجد أن هذا الخلق هو خلق الأنبياء والرسل والعقلاء والحكماء والفلاسفة ، الذين تحملوا الكثير والكثير في سبيل رسالاتهم ونشر النور للجهلاء ، فماتوا وظلت أسماؤهم

ورسالاتهم حتى يوم الدين ، يشهد لهم الجميع ، وما أنت أخي المعلم إلا واحد منهم لكنك على هديهم اهتديت وبهم اقتديت وبرسالاتهم عملت. فهؤلاء هم أبناؤنا بين يديك أمانة ، يحتاجون إليك لتمحو ظلمات الجهل من عقولهم ، وتنير لهم الطريق ، وتعد منهم جيلاً صالحاً يعتز به. فما أشد حاجتنا إليه اليوم وفي الغد ، فلتتحملهم ولتصبر على جهلهم وهفواتهم ، ورويداً بهم نحو طريق النور ، فما جاؤوك إلا محبين ، وما تقصيرهم إلا عن غفلة وجهل ، فعندما تنصح لهم بالصبر واللين سوف تجدهم عجينة لينة بين يدك ولن ينسوا لك هذا الفضل ولن ينساه لك الدهر ، وما يسعني في نهاية حديثي هذا إلا أن أقدم لك آيات الشكر وعرفاناً بالجميل فما بنيت المجتمعات ونهضت إلا على يديك).هـ. وتحت عنوان: (المعلم ومهنة التعليم) يقول الأستاذ خالد حجازي ما نصه: (قيل في الماضي إن مهنة التعليم مهنة سهلة ، ويستطيع ممارستها أي شخص. وقد يرجع ذلك لأنها مهنة التعامل مع الأطفال وإعداد الأجيال القادمة ، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى قيام الجميع بتربية أبنائهم في نطاق الأسرة. ولكن في الواقع التعليم فن لا يستطيع ممارسته أي شخص ، ولذلك قد نجد آباء لا يصلحون للأبوة ، ونجد أيضاً معلمين لا يمتلكون ملكة التدريس التي تعتبر قلب ولب العملية التعليمية والتربوية. فالمعلم المتميز يستطيع أن يتعامل مع الطفل المقيد بما أورثة إياه والديه من صفات وراثية ، وأيضاً مقيد ببيئته الأسرية ومعتقداته الفكرية والاجتماعية ، فيتعامل معه المعلم علي هذا الأساس. والمعلم المتميز يستطيع أن يكتشف ما في هذا الطفل من مواهب وقوي وهو الذي يستطيع أن يروي غرائزه وميوله! وهو أيضاً الذي يستطيع أن يهذب هذه القوي الجامحة ويوجهها في الطريق اللائق بها. وعليه وحدة بعد البيت والأسرة تقع مسئولية المستقبل المهني لهذا النشء. فالمعلم تقع عليه أكثر من سواه مسئولية مستقبل أمته ورقيها ونشر ثقافتها وصقل عقول البشرية لتستطيع أن تؤدي خدمات نافعة للإنسانية جمعاء ، ويستطيع المعلم المتميز أن يقوم بكل هذا إذا توافرت فيه الشروط الأساسية من المعرفة والخلق والأصول الفنية والشخصية البارزة القوية وحسن الخلق والثبات علي المبدأ والمثال الطيب في السلوك الحميد. فالتعليم علم له أصول وقواعد معروفة عززتها التجارب ، فأصبحت علماً مستقلاً معروفاً هو علم التربية. ومن واجب المعلم أن يقف علي هذه الأصول ويدرسها ويتقنها ويعرف أغراضها. ومن واجب المعلم أن يكثر من المطالعة والدراسة ، وأن يكون علي اتصال بأحدث الكتب والدوريات الخاصة بعلمه التدريسي من جهة وأن يقف علي كتب علم النفس وأساليب التربية الحديثة من جهة أخري لكي تزداد ثقافته وتتجدد معلوماته وتنشط أفكاره فلا يتأخر عن سير التقدم العلمي بل يجاريه ويسير معه. فالتعليم مهنة تتطلب استعداداً مهنياً لا يجوز أن يتولاها إلا أهلها ومن أعدوا خصيصاً لممارسة هذه المهنة! أما المرتزقة فلا شأن لهم في هذه المهنة وأنه لمن العار علي الهيئات التعليمية أن يتولى هذه المهنة الشريفة بعض الأشخاص تطفلاً! وانحصر عملهم في عد الأيام للحصول علي المرتب دون الاهتمام بأهداف وغايات هذه المهنة العظيمة. فيجب علي المعلم أن يكون شغوفاً بمهنته منصرفاً إليها بكيانه معتقداً فيها كل الاعتقاد ومؤمناً بها وبنتائجها باذلاً كل الجهد لرفع شأنها كخدمة لبني جنسه إرضاء لوجه الله تعالي. هذا وتعتبر مهنة التعليم من أشرف المهن التي تتضمن رسالة عميقة هدفها تربية وأعداد أجيال المستقبل ، هذا ويهدف التعليم بمراحله المختلفة سواء الجامعي أو قبل الجامعي إلي إعداد الطالب مهنياً من خلال تطوير المهارات الذهنية والحياتية وأيضاً الحركية وتأهيل الفرد لكي يكون عضواً فعالاً داخل المجتمع بالإضافة إلي ترسيخ القيم النبيلة لكي يصبح مواطناً صالحاً يحمل عبء

الوطن ومسئولية القيادة. والغريب أنك عندما تسأل أحد التلاميذ: ماذا تريد أن تصبح في المستقبل فإنة نادراً ما تكون الإجابة: إنني أريد أن أصبح معلماً ، فالمعلم شمعة تحترق من أجل الآخرين. وقد يرجع ذلك إلي وسائل الإعلام التي تظهر المعلم بمظهر غير لائق في معظم الأحوال. ولذلك يجب معرفة ماهية هذه المهنة وهدفها الإنساني الفاضل. فمثلاُ التعليم ما قبل الجامعي يهدف إلي تطوير المهارات الأساسية للتلميذ كالقراءة والكتابة والحساب وغيرها إضافة إلي المهارات الخاصة بالمجالات التربوية كالانضباط والاحترام والتعاون وغيرها فأن التعليم الجامعي يقترب أكثر إلي التأهيل المهني والإعداد المناسب لسوق العمل ويهدف التعليم بمرحلة الدراسات العليا بعد ذلك إلي إعداد الكوادر الأكاديمية والبحثية في جميع المجالات. هذا ويكمن سر التدريس الناجح داخل روح المعلم النشط المبتكر الذي يتبنى بعض النماذج العقلية وهي تمثل الأطر والأنظمة والمعتقدات وأنماط التفكير والأمثلة الحية وأيضاً مجموعة المبادئ العامة التي تبني عليها أفكارنا وسلوكنا فنحن جميعاً نملك نماذج عقلية مختلفة ، حتى وإن لم نكن مدركين لذلك. فالنموذج العقلي هو الذي يلهم المعلم باتخاذ قرارات حكيمة وذكية معظم الوقت والحفاظ علي كرامة التلميذ وتشجيعه علي التفوق. فعلي سبيل المثال فهناك مدرس بالولايات المتحدة الأمريكية وفي واشنطن بالتحديد حصل أربعة من تلاميذ علي جائزة نوبل ولعل حصول طالب واحد علي هذه الجائزة يمكن أن يكون مصادفة ولكن حصول أربعة من طلابه علي جائزة نوبل فهذا شيء يستحق التقدير ويستحق الدراسة ، فالمعلم ينبغي أن يتعامل مع طلابه علي أساس أنهم موهوبون ، وكلما عاملهم علي هذا النحو كلما زاد تجاوبهم معه إلي أن خلق طلاب موهوبين! وهذا أكبر دليل علي القوة التي يملكها المعلم وأثر ذلك في نجاح وتفوق طلابه. فالمعلم يمكنه تحقيق ما يؤمن به ، فإذا كنت تؤمن بأنك تقوم بالتدريس لزمرة من الأطفال ضعاف المستوي وكان هذا هو ظنك بهم فهذا هو ما سوف تحصل علية بالفعل. هذا ولقد خلصت الأبحاث التي أجراها عالم النفس هاورد جاردنر (1993) إلي أنه ليس هناك نوع واحد فقط من الذكاء ، وإنما هناك أنواع متعددة كما أنه يؤكد أن كلا منا يحمل نصيبه الفريد والخاص من الذكاء الذي يستحق التنمية بكل تأكيد ، لذلك فمن الضروري أن يدرك المعلم أن أحد الفروق بين المدرس العادي والمدرس الفائق هو طريقته في التحدث سواء علي المستوي الداخلي (أي ما يقوله لنفسه وهو مقتنع به) ، أو علي المستوي الخارجي (أي ما يقوله الآخرون من حوله). فالمعلم الفائق يتحدث دائماً عن احتمالات نجاحه ، بينما يتحدث المعلم الأقل كفاءة عن الشكاوي والمشكلات وهذا فرق خطير يجب أن نضعه في الاعتبار دائماً. هذا ومهنه التعليم والتدريس مهنه تتميز بصعوبتها لأنها تتعامل مع الإنسان والمجتمع وأصبح نموذج المعلم الناقل للمعرفة فقط نموذج لا يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه بل يجب علي المعلم أن يقوم بدور القائد الذي يعمل علي توجيه التعليم وتسهيل العملية التعليمية بشكل مستمر. لأن التعلم عملية مستمرة مدي الحياة ، فالإنسان هو هدف التعليم وبالتالي فلا بد من وجود صفات ومميزات وأخلاقيات وواجبات تحكم العمل للإفراد المنتمين إلي المؤسسات التعليمية بالمراحل المختلفة. ويجب عليك عزيزي المعلم أن تعرف جيداً نفسية الطفل التي تختلف عن نفسية الكبار فالأطفال لهم عالم يعيشون فيه هو الأقرب إلي الخيال منه إلي الحقيقة ، عالم أقرب إلي اللعب منه إلي العمل. فالطفل واسع الخيال لا يعرف القيود ، ويكره العبودية ، يعشق الحرية ، ويميل إلي التحرر من كل سلطة ، يحب الحركة ويكره الجمود ، وهو ناقد فهو يميز بين من يحسن إليه أو يسيء إليه ، ويفهم المحسوس ، ولا يدرك المعنويات ، ويهتم

بقص القصص والروايات والحكايات الخيالية ، متعطش للاكتشاف والاستطلاع ، فيجب عليك عزيزي المعلم والذي يعهد إليك بتربية هذا الطفل أن لا تخاطب هذا الطفل كما تخاطب الكبار ، فعليك أيها المعلم أن تتغلغل في نفسيته لتفهمها وتملك مفاتيحها. فعبثاً أن تحاول أن تلقنه العلم تلقيناً ، فاحذر أن ترتفع إلي مستوي أرقي من عالمه ، وإياك أن تنزل إلي ما دونه ، فالعالم الأول مغلق أمامه ، والعالم الثاني سهل كل السهولة فحاول أن تجد طريقاً وسطاً بين العالمين لكي تكسب عقل هذا الطفل. وتتميز كل مهنة عن الأخرى ببعض الأخلاقيات. فمثلاً لا يجب أن نجد ضابطاً مهملاً أو لاعب كرة قدم أنانياً! فكل مهنة لها متطلبات وأخلاقيات. ولنبدأ بأخلاقيات مهنة المعلم ويمكن تقسيمها إلي ما يلي: تتمثل هذه العلاقة بالاهتمام واستيعاب المعلم للتلميذ وتفهم خصائص النمو لدي التلميذ لكي يصبح قادراً علي التعامل معه بشكل أفضل. فالمعلم يهتم بتطوير مهارات التلميذ ، والتفاني بإخلاص في مساعدته علي التعلم بشكل أفضل ، وإمداد التلميذ بالمعارف والمهارات الأساسية للتعلم. ويجب أن يسود هذا النوع من العلاقة جو من الاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ واحترام خصوصيته وعدم التمييز بين التلاميذ علي أي أساس كان ، سواء أساس الدين أو العرق أو اللون أو الجنس أو غيرها. وبالتالي فإن علاقة المعلم بالتلميذ توجب ما يلي: • العمل بإخلاص علي توفير الظروف الملائمة لتطوير ورفع مستوى التحصيل لدي التلميذ داخل المدرسة وتمكين التلميذ من الحصول علي أفضل أنواع التعليم المتاح. • العمل علي إيجاد علاقة ثقة متبادلة بين المعلم والأسرة وكلاهما يهدف إلي تربية النشء ويجب أن يكون هناك تواصل بطريقة مثالية للمساعدة في رفع مستوي التلميذ وتحصيله الدراسي والتعاون المثمر بين المعلم والأسرة لإبراز مكامن التفوق والإبداع وأيضاً إبراز مكامن الضعف والعمل علي علاجها. • العمل علي إزالة المعوقات والعقبات التي تعيق تحصيل التلميذ لرفع مستواه الأكاديمي والتربوي أو الاجتماعي. • مهنة التعليم أمانة في عنق المعلم ، فالوالدين يثقان في المعلم ويتركان أطفالهم لفترات طويلة داخل المدرسة ، ويجب علي كل معلم أن يتحمل هذه المسئولية ، ويراعي الله في تلاميذه ، ولا يرضي لهم إلا ما يرضاه لنفسه ولأولاده. • العمل في مجال التعليم يتميز بكونه عمل جماعي يتحلى بروح الفريق ويعمل علي تقديم أفضل الأجواء والإمكانيات للتلميذ وهذا العمل الجماعي يوجب الاحترام المتبادل واحترام الخصوصية واحترام الملكية الفكرية والعمل علي تطوير العمل والتعاون المثمر لتقديم الأفضل ويمثل بذلك المعلمون القدوة لتلاميذهم ، وبالتالي فإن علاقة المعلم بزملاء المهنة توجب ما يلي: • العمل بإخلاص علي خلق جو من التعاون المثمر بين الزملاء لرفع مستوي العمل وقد يتم ذلك بالتعاون علي تأثيث غرفة الوسائط التعليمية أو عمل بنك للأسئلة من إعداد معلمي القسم أو المشاركة في تخطيط وإعداد الأنشطة التعليمية كالإذاعة المدرسية وخلافه. • التعاون الجاد بين المعلمين والزملاء في مناقشة مشكلات التلاميذ داخل الفصل الواحد والعمل علي إيجاد حلول لمساعدة التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في التعلم. • العمل علي إيجاد روح الأسرة بين المعلمين داخل المؤسسة التعليمية فكلما أحب الإنسان مكان عمله ، كلما ساعد ذلك في تطوير ونمو العمل وكلما ساعد ذلك في إضفاء جو من السعادة والسرور والتماسك ، وانعكس ذلك بالطبع ايجابياً علي التلميذ. ويعتبر نجاح أي مؤسسة ، وخصوصاً المؤسسات التعليمية منها ، يعتمد ذلك بشكل كبير علي نجاح الإدارة في ابتكار وتطبيق السياسات التي ترفع من عملية التعليم وبالتالي تحسن من مخرجاتها وهذا الموضوع يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الإدارات بمستوياتها المختلفة والقواعد التنفيذية لضمان نجاح السياسات

وبالتالي نجاح وجودة المخرجات. والمعلم هو الجزء الأساسي في منظومة التعليم ويتوجب عليه احترام وتطبيق السياسات وابتكار الوسائل والطرق التي تعمل علي رفع وتحسين العملية التعليمية والعمل الجاد علي تطويرها وتقديم الأفضل ويتوجب عليه أيضاً حسن التعامل مع الإدارات المختلفة ، وتتمثل هذه الإدارات مثلاً في الإدارة التعليمية وإدارة شئون الطلاب ومدير المدرسة وناظر المدرسة بجانب التوجيه الفني ووحدة إدارة الجودة بالمدرسة. فالمعلم يجب أن يشارك في عملية تخطيط جميع أنواع النشاط التي تري المدرسة ضرورة القيام بها لتحقيق الأهداف التربوية التعليمية ويتحمل المعلم العبء الأكبر من مهام التنفيذ ولا يتوقف عند هذا الحد بل يجب عليه أيضاً اكتشاف الموهوبين وتوجيههم. والمقصود بالمجتمع هو المحيط الكبير الذي يعمل المعلم داخله والمجتمع هو بيئة التعلم الأساسية التي تتكون من أضلاع مثلث وهي المدرسة والأسرة والمجتمع ، والتعاون المثمر مع البيئات الثلاث له أعظم الأثر علي عملية التعلم وعلي الصحة النفسية للمتعلم بوجه عام وله دور إيجابي وفعال في رفع وتحسين مخرجات العملية التعليمية ، وتحسين ورفع مستوي التحصيل لدي التلاميذ ، والمعلم يمثل حلقة الوصل الأساسية بين البيئات الثلاث ، ومن الجدير بالذكر أن العملية التعليمية والأسرة مع المجتمع يمثلون فيما بينهم حلقة دورانية ذات تغذية راجعة تعمل علي تحسين التواصل مع المجتمع وتنعكس إيجابياً علي منتج العملية التعليمية الذي يدخل إلي المجتمع كعنصر بناء وهكذا. تتفاوت المهن والوظائف في قيمتها تبعاً لتفاوت مدي تأثيرها في المجتمع ولا يعني ذلك تفضيل مهنة عن أخري إلا رغبة من الفرد نفسه وتبعاً لميوله وقدراته ورغبته الشخصية في ممارسة هذه المهنة. وبشكل عام فالفرد مطالب باحترام العمل بوجه عام. فالعمل عبادة ولا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى. فلا يجب تحقير مهنة محددة ، فكل مهنة لها متطلباتها وخصائصها ومهاراتها الفنية. وكل مهنة لها أهميتها داخل المجتمع مهما صغر شأنها ، ويعود تفضيل مهنة دون الأخرى أيضاً إلي النظرة الاجتماعية وثقافة المجتمع نفسه. وقد ينظر البعض في الوقت الحالي إلي مهنة التدريس علي اعتبارها فقط مهنة ومصدر للرزق. فقد يقوم بعض المعلمين بإعطاء الدروس الخصوصية مثلاً. وأيضاً يحصل من يقوم بالعمل في مجال التعليم علي إجازة سنوية أثناء الصيف بعد انتهاء العام الدراسي وهذا لا تتميز به باقي المهن. ولكن هذا لا يعفي المعلم من المسئولية الخطيرة التي تقع علي عاتقه. فهذه المهنة تختلف عن غيرها في خطورتها ، فالمعلم مؤتمن علي مستقبل أبناء المجتمع ، وهو المسئول عن تشكيل عقول الأجيال القادمة وصيغتها نفسياً وعقلياً. فعلي الأقل لا يجب أن تنسي أو تتناسى أيها المعلم أن أحد تلاميذك سوف يكون مسئولاً في أحد الأيام عن إدارة يرتبط بها شأن من شئونك ، فقد يصبح تلميذك طبيباً يعالجك أو قاضياً يحاكمك أو صهراً يناسبك فماذا تحب لنفسك ساعتئذٍ أيها المعلم؟ يجب أن تضع هذه الصورة أمامك دائماً! وتتعامل مع تلاميذك من هذا المنطلق. فمهنة التعليم مهنة يحترمها عدد غير قليل من التلاميذ والطلاب ، ويتمنون أن يمارسوها لما لها من فضل ومكانة داخل أي مجتمع ، مهما حدث من نقد للمعلمين علي مر العصور! فهي مهنة الأنبياء والرسل وهي مهنة إعداد القادة والعظماء للأجيال القادمة ، وإعداد الأفراد للانسجام والتكيف مع المجتمع وتنمية قدراتهم وسلوكياتهم للتعامل مع المجتمع ، وقد يختارها الطالب كمهنة برغبته وبدافع وإيمان قوي بأهمية الرسالة التي تقوم عليها هذه المهنة وهذا هو الأفضل بالطبع ولكن هناك آخرون يختارونها لوجود أسباب أخري فرعية مثلاً: كحبّه للتعامل مع الأطفال والنشء الصغير ، ولذلك يكثر المعلمات الإناث في هذه المهنة لقربهن من المشاعر

الإنسانية التي تتميز بها الأنثى لحبها للأطفال ، وخاصة في المراحل الأولي للتعليم والسن الصغير! وأيضاً قد يختارها البعض لما تتميز بها من وجود إجازة صيفية لا تتميز بها المهن الأخرى فالمعلم يحصل علي إجازة سنوية تعتبر هي الأفضل ، وذلك لتوقف الدراسة بعد الامتحانات. ويجب وضع النقاط الأساسية التالية في الاعتبار قبل البدء أو التفكير في اختيار مهنة التعليم كمهنة: فمحاولة نقل المعلومات والتراث وإكسابها للأجيال الجديدة تتطلب من المعلم العمل علي معرفة وإدراك صفات وخصائص المراحل السنية المختلفة ليتمكن من التعامل معهم. وأيضاً تهتم مهنة التعليم بالتعامل مع الأسرة والآباء لمتابعتهم الدائمة لمستوي أبنائهم والتأكد من نموهم المعرفي والسلوكي أثناء الدراسة ولذلك يمثل المعلم حلقة الوصل بين المجتمع ممثلاً في الأسرة من جهة والتلميذ من جهة أخري. وبذلك توضع عل عاتق المعلم العديد والعديد من المسئوليات التي يلتزم بأدائها وهي بذلك تميز هذه المهنة التي تعتبر مهنة التعامل مع البشر وعقول البشر وهي ليست بالمسئولية البسيطة. فكثير من الأفراد ينظر للمعلم علي أنه الملقن للمعلومات ويكتفي بذلك ، ولكن مهنة التعليم علي العكس تستلزم مسئوليات عديدة ، فالمعلم هو الفرد المسئول عن الرعاية النفسية والعلمية لتلاميذه. ولك أن تتخيل عزيزي القارئ أن المعلم يتحمل مسئولية العديد من الأفراد خلال العام الدراسي ، وهو الشخص الأكثر تأثيراً بعد الأسرة بالطبع في شخصية المتعلم. ذلك أن اليوم الدراسي الذي يمثل علي الأقل ثلث اليوم يقضيه المعلم مع تلاميذه داخل الفصل ، وهو يمثل لهم القدوة ومصدر العلم والمعلومات ، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر نفسياً في تلاميذه بالشكل الذي يجعلهم أشخاص محبين للتعلم أو أفراد يكرهون التعلم والتعليم بوجه عام ، وذلك من خلال أدائه المهني داخل الفصل ، فكثيراً ما نري تلاميذ يكرهون المدرسة بسبب أحد المعلمين ، وآخرين يحبون المدرسة بسبب المعلم أيضاً. ولذلك نؤكد علي أن مهنة التعليم تستلزم من المعلم أن يكون مسئولاً عن رسالته وعن تلاميذه ، ومؤمناً بالرسالة التي يؤديها. لم يعد ينظر العديد من الأفراد للمعلم علي أنه أحد مصادر المعرفة فقط ، ولكن يجب أن يكون هناك نوع من التفاعل بين المعلم والمتعلم ، فلم يعد دور المعلم هو إلقاء المعلومات فقط ، وإنما التأكد من فهم واستيعاب المعلومات! ويستلزم ذلك وجود نوع من التواصل بين المعلم والمتعلم ، وذلك عبر عدة قنوات قد تكون بالحوار والمناقشة ، أو من خلال الاتصال الحديث عبر شبكة الإنترنت أو وجود أي نوع من أنواع التواصل بين المعلم والمتعلم بحيث يعطي للتلميذ الحرية لطرح الأسئلة للتعبير عن الموضوعات التي تحتاج إلي تفسير وشرحها مره أخري ، ولذلك لم تعد مهنة المعلم هي إلقاء المعلومات وحسب! ولكن التأكيد علي اكتساب التلاميذ لها وذلك عن طريق الاستماع الجيد لاستفسارات وأسئلة التلاميذ وحوارهم للتأكد من استيعابهم الكامل للمحتوي الدراسي. فمع ضغوط الحياة اليومية لكسب الرزق ، لنتخيل أن هذا المعلم يجب عليه أن يواجه ضغوطه النفسية بعيداً عن مجال العمل وبعيداً عن المدرسة وتلاميذه ، بل ويجب عليه أن يكون قادراً علي التحكم في هذه الضغوط النفسية واستيعاب كل المواقف إلي تحدث داخل الفصل من عنف وبشكل معتدل وبدون أي إثارة وذلك لاستيعاب التلاميذ والبعد عن العنف بأنواعه سواء العنف الجسدي أو العنف النفسي والتعصب أو العنصرية وذلك لكي يستطيع أن يمارس سلطته علي إدارة الفصل والقيام بعملة علي أكمل وجه. وذلك بالطبع يتطلب إعداد المعلم إعداداً نفسياً ليصبح المعلم أكثر اتزاناً انفعالياً لكي يستطيع التعامل مع هذا الكم الهائل من الضغوط النفسية الملقاة علي عاتقة. قال البعض فيما مضي: إن مهنة التدريس والتعليم هي مهنة من لا مهنة

له! وهذا خطأ فادح ، فمهنة التعليم والتدريس ليست بالمهنة السهلة ، ولنتخيل المعلم وهو يقضي معظم حياته اليومية في المهام التدريسية حتى بعد انتهاء اليوم الدراسي ، وذلك لإعداد الأنشطة التدريسية وتصحيح الاختبارات والتدريبات والواجبات المدرسية ولا ينتهي الأمر إلي هذا الحد بل يجب عليه أن يقوم بتقييم تلاميذه والتخطيط لعملية التقويم وإعداد البرامج العلاجية اللازمة لمساعدتهم علي التعلم بشكل فردي لضمان انسجامهم وتقدمهم في الدراسة ويضع في الاعتبار دائماً أنه قدوة لتلاميذه ، فهو دائماً وأبداً نموذج يحتذي به أمام الجميع! فحقاً إن مهنة التعليم مهنة الأنبياء والرسل وهي ليست بالمهنة السهلة. إن التعليم - والمقصود بالتعليم هنا بوجه عام - هو فن مساعدة الآخرين علي التعلم. إنها عملية تلهم وتثير الشخص المتعلم لكي يعمل علي اكتساب نوع جديد من السلوك والخبرات والمهارات والمعارف ، وتمثل عملية التدريس بوجه عام مجموعة النظريات والحقائق التي تطبق وتحول إلي مهارات وخبرات من خلال الممارسة والتدريب. وللتدريس أهداف أسمي وأعمق من مجرد اكتساب المعارف تهدف إلي اكتساب المهارات وتعديل السلوك. فالتدريس علم كباقي العلوم الأخرى ولكنه يتضمن فناً تطبيقياً لمجموعة من القوانين والنظريات في مجال التعليم والتعلم ، لذلك ينظر للتدريس كفن ويقصد به الأسلوب الذي يتبعه المعلم بغرض تذويد التلاميذ بالخبرات العلمية ، فالتدريس كعلم يعلمنا كيف نعرف ، ويعلمنا كيف نعمل. والعلم والفن في التدريس متداخلان ، ويكتسبهما المدرس عن طريق الاستعداد والممارسة. فالجانب النظري هو العلم والعملي التطبيقي هو الفن. إن الاهتمام بمهنة التعليم يعد من أهم الخطوات علي طريق إصلاح التعليم ، لأن تطوير نوعية التعليم لا تتم إلا من خلال المعلم. فالاهتمام بمهنة التعليم في أي مجتمع من المجتمعات إنما ينطلق من البصمات التي يتركها المعلم علي سلوكيات تلاميذه وطلابه وأخلاقهم وعقولهم وشخصياتهم. وبطبيعة الحال يتفاوت التلاميذ في مستوي الذكاء ومستوي الاستيعاب وتتفاوت المواد الدراسية في صعوبتها وطبيعتها ، وهذا بالتالي يضاعف مسئولية المعلم لكي يبذل أقصي ما لديه من جهد وطاقة في توضيح المادة الدراسية ، ومحاولة دعوة التلميذ للمشاركة مع التلاميذ في الأنشطة التعليمية لإكسابهم المهارات المختلفة ويستلزم ذلك من المدرس ما يلي: • الإعداد الجيد والتحضير الأمثل لسيناريو التدريس فلا يصح للمدرس أن يعتمد علي معرفته المسبقة بالمادة الدراسية وأن يقدم دروسه بشكل متطور دائماً ، ويعمل علي تحديث طريقة العرض فلا يجب أن يقوم المعلم بتأدية عمله بشكل روتيني غير مهتم بمدي فهم واستيعاب تلاميذه. فيجب أن يخطط المعلم قبل إلقاء الدرس في كيفية طرح المادة العلمية بأفضل الطرق. • استثارة فكر التلميذ ودعوته إلي المشاركة ودفعه للتساؤل وإدارة الحوار بين التلاميذ حول الموضوع وتدريب التلاميذ علي النقد والتفكير العلمي ، لأن الاعتماد علي الحفظ والتلقين طريقة تخلق حاله من التبلد الذهني وعدم القدرة علي استثمار المعرفة داخل الحياة العملية وتعيق عملية الإبداع والابتكار. • الاجتهاد في شرح الدروس ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والتأكيد علي وضوح الفكرة لجميع المتعلمين وذلك بالاستعانة بمختلف وسائل الإيضاح وطرح الأمثلة والرسومات لمساعدة التلميذ علي استيعاب الدروس بشكل سليم. • تشويق التلاميذ وترغيبهم في المادة الدراسية والتحدث بأسلوب يثير الرغبة في التشويق للتعلم وحب المعرفة ومتابعة التفاصيل حتى يشدهم ويجذبهم إلي حب التعلم ، وقد يحدث العكس فيهمل المعلم هذا الجزء فيؤدي ذلك إلي نفور التلاميذ وعدم محبتهم للمادة الدراسية ابتداء ، وقد يؤدي إلي نفور المتعلم من المدرسة بوجه عام. • الاهتمام

بالحالات الخاصة داخل الفصل وتحديدها والعمل علي علاجها والتعرف علي أسبابها ، والعمل بجد علي علاج هذه الحالات. فقد يحتاج التلميذ إلي برنامج علاجي وهو في حاجة إلي المساعدة لتجاوز تلك الحالة التي تعيقه بالتأكيد عن ممارسة الأنشطة التعليمية. وهذا دور المعلم المربي في العمل وبسرعة علي معالجة هذه العوائق لمساعدة تلاميذه علي التقدم في التعلم).هـ. وتحت عنوان: (الثقافة العامة للمعلم) يقول الأستاذ طه فارس متناولاً ثقافة المعلم بالنقد: (تَنَوُّع الأحداثِ وتباينُهَا في غُرْفَة الفصل يتَطلَّب منَ المُعَلِّم قَدْرَاً منَ الحِكْمَة كَرَدِّ فعلٍ لهذه الأحداث ، وهو ما لا يمكنُ أن يقوم به بنجاحٍ من يفتقر إلى قَدْرٍ معقولٍ منَ الفِطْنَة والذَّكاءِ اللازمين في مثل هذه الحالات ، ولذلك ينبغي أن يتمتع المعلِّمُ بقَدْرٍ منَ الذَّكاء والفِطْنة يُمَكِّنَانه منَ التَّصرُّف بطريقةٍ سريعة ومناسبة في مواقف مختلفة. ولذلك كانتِ الفَطَانَةُ والذَّكَاء وثقوبُ الرَّأي من أبرز صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وذلك ليُعَلِّمُوا النَّاسَ ، ويجادِلُوا المُنكرين ، ويقْنِعُوا المُعْرِضِين ؛ لأنَّ المُغَفَّلَ قليلَ الفِطْنَة لا يمكنه إقامةُ الحُجَّة على صدق دعواه ، كما أنَّه لا يستطيع أن يقنع الآخرين بالحقِّ الذي جاء به. ومن هنا فلا بُدَّ للمُعلِّم من أن يَتَمَتَّعَ بِقَدْرٍ منَ الثَّقافَة العامَّة في شتى مجالات المعرفة ، لِتُعِينَه على فهم الطبيعة والمجتمع ، وتُمَكِّنَه من إدراك ما يترتب على عمله من خير أو شرٍّ ، وتساعدَهُ على إدرَاك القيم الخُلُقية والمبادئ العلمية والمفاهيم الفنية ، وطبيعة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومنَ الأهميَّة بمكان: أن يَعْرِف المُعَلِّم مصادرَ تلك المعرفة ، وكيفيةَ الحصول عليها ؛ لأنَّهُ يَتَعرَّضُ في أحيان كثيرة لاستفسارات الطُّلاب حولَ موضوعاتٍ مُتَنوِّعة من حيث الكمُّ ومجالاتُ المعرفة ، وما لم تكن لديه إجابةٌ حاضِرَة فيجب عليه أن يعرِف كيف يحصل عليها ، بأقل جهد وأقصر وقت ، سواء كان ذلك من الموسوعات أو المكتبات أو دوائر المعارف أو مصادر التقنية الحديثة. لذا يَحْسُن بالمعلِّم أن يكون قارئًا دائمَ الاطلاع ، متابعاً لأَحْدَث المُسْتَجِدَّات ، يملك القدرةَ على فهم وتحليل ما يقرأ وما يسمع ، ليكون ذلك له رَافِدَاً إيجابياً في مجال التَّربية والتَّعليم. ولذلك قال العلماء: ينبغي على طالب العلم أن يعلم كل شيء عن شيء ، وشيئاً عن كل شيء. ويقصدون بالأولى التخصص ، وبالثانية الثقافة العامة. وفَهْمُ الذَّات ، والرِّضَا والقناعة ، والإحاطة بالواقع ، صفاتٌ لا بُدَّ لكلِّ مُعَلِّمٍ أن يَتَمَتَّع بقدرٍ مرتفعٍ منها ، فلا بدَّ له من فهم ذاتِه ، ومعرفةِ خصائِصِه وقُدْرَاته ، وأن يرضى بعد ذلك بما قَسَمَ اللهُ تعالى له ، ويقنعَ بما أقامَهُ الله فيه ، ويتفهَّمَ ظروفَ حياته المختلفة ، وظروفَ عملِهِ العظيم الذي اختارَهُ اللهُ له ، كلُّ ذلك يؤدي إلى: الوصولِ إلى السَّواء النَّفسيِّ ، والعملِ على مساعدة الآخرين والتَّعاونِ معهم ، واكتشافِ مثالبِ النَّفس ، والعملِ على تقويمها ، وتطويرِ الذَّاتِ بشكلٍ مستمر ، ممَّا يجعل منه شخصيةً فاعلَةً مؤثِّرَةً ، مُتَفَائلةً مَرِحةً ، منفتحةَ الفكر ، ومنشرحة الصدر).هـ. ويقول الشيخ صالح بن عبد الله الحمد تحت عنوان: (فقه المعلم) ما نصه: (لا شك أن الثقافة مطلب هام في حياة الأمم والشعوب مهما بلغت قدرتهم في التعليم ، لكن المعلم الذي هو جزء من حياة الأمة له أهم وأشمل المطالب ، ذلك أن هذه الثقافة ـ وأقصد ثقافة المعلم ـ سوف تنتقل إلى تلاميذه بدون شك مهما كان مستواهم الدراسي ، والمقصود بالثقافة العامة هي الثقافة الإنسانية الواسعة التي تهيئ للمعلم أسباب الاندماج بالمجتمع ومتابعة الحياة والقيم ، فإذا كان المعلم محروماً من هذا ، عاش في ظلام دامس لا نوافذ له على المجتمع الصغير العالم الكبير ، ولذا يحتاج المعلم في نظر المربين إلى قدر من الثقافة العامة ، إلى جانب إلمامه التام بفروع المعرفة الأخرى ، خاصة ما يقوم بتدريسه ، ذلك لأن وظيفة المعلم ليست نقل المعلومات إلى

التلاميذ وكفى ، بل إن وظيفته ومهمته أشمل من ذلك ، حيث إنه مطالب بتثقيف تلاميذه ، ونقلهم من واقع الحياة التي يعيشونها إلى مواقع أخرى وإلى معلومات أخرى أيضاً تفيدهم في حياتهم وفي مماتهم وحاضرهم ومستقبلهم ، كما أن تزويد التلاميذ بالعادات العقلية الصحيحة ، والمعلومات والمفهومات والمهارات المختلفة ، وتهذيب نفوسهم ومساعدتهم على تكوين مثل عليا وقيم وعادات اجتماعية واتجاهات وأذواق إلى جانب استعداداتهم ، وتوجيه قدراتهم ، وذلك يتطلب من المعلم معرفة معلومات كثيرة غير مادة تخصصه ، ولذا يرى المربون أن المعلم يجب ألا يترك علماً أو فناً من الفنون إلا نظر فيه ، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فهذا عين الصواب! وإلا فقد استفاد وأفاد ، وعلى المعلم أن يعتني من كل علم بالأهم فالأهم ، إن وظيفة المعلم ليست هي تلقين المعلومات وإنهاء المقررآخر العام وكفى ، وإنما مهمته أكبر من ذلك ، فهو مرب ومعلم ومدرس وفوق هذا كله هو القدوة التي يقتدي بها التلاميذ في حركاتهم وتصرفاتهم وعاداتهم وكل ما يرون في المعلم من خير أو ضده وإضافة إلى ما ذكر عليه تقديم التلميذ لمجتمعه وتقديم ثقافة المجتمع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المعلم أن يعرف الثقافة بقدر ما يعرف التلميذ والحد الأدنى للمعرفة هو إدارك المعلم من كل علم ما ينفي عنه سمة الجهل ، ويجعله عارفاً بأصوله والمبادئ الأكثر أهمية فيه ، فإذا تمكن المعلم من الإلمام بدقائق هذه العلوم ، واتسع لذلك واقعه ، وساعدته إمكاناته ، فذلك أمر مستحب ، لما لهذه المعرفة من أثر في اتساع آفاق معرفته وتقديمه لتعليم جيد ، ولقد أصبح التربويون الآن على يقين بأن المعلم بحاجة إلى معرفة عامة تتمثل في أساليب مبادئ العلوم المختلفة ، يمكن أن تضفي هذه المعرفة على أسلوب المعلم مرونة في التعليم وتنوعاً في المعلومات التي يمكن أن يقدمها للتلاميذ ، حسب ما تمليه عليه المناسبة التربوية ، حيث قال بعضهم: يجب على المعلم ألا يدع فناً من العلوم إلا نظر فيه ، ويعتني من كل علم بالأهم فالأهم ، وخلاصة القول: إن المعلم مطالب بأن يحرص كل الحرص على أن يقدم لتلاميذه شيئاً ينفعهم في حياتهم ومستقبلهم ، وينقلهم من واقعهم الدراسي وجوِّه إلى جوانب أخرى من جوانب الحياة المختلفة ، التي ولا شك هم بحاجة إليها ، وأن يحاول قدر المستطاع أن يعوّد تلاميذه على البحث والاطلاع).هـ. وتحت عنوان: (هيبة المعلم في خبر كان!) يقول الأستاذ خالد الحامد ما نصه: (شهد التاريخ للمعلم بالرفعة والاحترام ، فكان ذا هيبة ، هو الأمين المستشار ، والعمود الفقري لعملية التعليم ومحورها الأساس ، وهو إحدى زوايا وأضلاع المثلث في المدرسة ، وهمزة الوصل بين الطالب والمعرفة. فكان الطالب يهاب أستاذه أينما رآه لأن أباه هكذا رباه ، فمن يجرؤ على رفع بصره فضلاً عن أن ينطق ببنت شفة إلا ما كان في محله؟ وإن لم يمنعه الخوف فلا أقلَّ من الحياء ، وعندما يتكلم المعلم تُصغي له الآذان والقلوب واعية والأبصار شاخصة ، وما حملهم على ذلك غير الحب للمعلم واحترامه. أما اليوم ، فقد انتُزع من المعلم كثير من هيبته ، وأصبح معرضاً لانتقام طلابه إن عنّف أحداً أو لامه على خطأ ارتكبه ، ما دفع بعديد من المعلمين إلى التردد في عقاب طلابهم. هو في هذا بين نارين ؛ إما أن يمارس دوره كاملاً في التوجيه ، ومن ثم يتعرَّض للانتقام والإهانة من طلابه ، أو يُحجم عن ذلك فيتهمونه بالجبن والضعف).هـ. وتحت عنوان: (فتِّش عن نظام التعليم!) يقول الأستاذ خالد حمد العبيد ما نصه: (إن نظام التعليم مسؤول عن زوال هيبة المعلم. ويرى أن المعلم الناجح هو من يستطيع ضبط طلابه داخل المدرسة ، رغم الصلاحيات المنزوعة منه التي كانت متاحة لغيره من المعلمين في السابق ، التي لن تعود إلا بعد أن يتم تثقيف المجتمع بأهمية دور المعلم من خلال عدة محاور ،

ولا أقول بأن الضرب مقرون بإعادة هيبة المعلم فهذا الكلام غير منطقي إطلاقاً»).هـ. أما المعلم سلطان فالح الحيص فيقول تحت عنوان: (هيبة المعلم في صلاحياته) ما نصه: (إن وضع المعلم ، في الوقت الراهن ، جيد من ناحية بيئة المدرسة والإمكانات والتطور في المناهج ومواكبتها كل ما هو جديد ومفيد ، وأن أداء المعلم لم يختلف بين الأمس واليوم ، فالإخلاص موجود ، والرغبة في تعليم أبنائه الطلاب موجودة ، لكن صلاحيات المعلم لم تعد كما كانت في الماضي ، ما أفقده كثيراً من دوره وهيبته. وأكد أن هيبة المعلم لن تعود إلا إذا استرد صلاحياته السابقة داخل المدرسة ، ووجد الحماية من مرجعه ؛ كما يجب توفير متطلبات كثيرة تنقص المعلمين من تأمين صحي وإيجاد أندية خاصة بالمعلمين وبعض التسهيلات الأخرى. ويرى أن التقيد بالتفاصيل الدقيقة للنظام ، وليس روح النظام ، هو ما أوصل المعلم إلى ما هو عليه اليوم ، فضلاً عن عوامل أخرى من إعلام وبيئة خارجية لا تعطي المعلم ، أحياناً ، وضعه ومكانه المناسب).هـ. ويرى المعلم حمود الهزيم أن المعلم يتجرَّع اليوم من طلابه ما لا تطيب له نفسه ، ويعاني من بيئة تعليمية وتربوية خاوية بسبب ما يصفه بأنظمة تعسفية ، ويردد قول الشاعر: إن لم تطب نفس المعلم ، لم تجد شيئاً يطيب. ويقول: إن وزال هيبة المعلم أضاع هيبة الأب والأم والأخ والأخت وغيرهم ، في إشارة إلى تغير أوسع للأخلاق ، ويضرب على ذلك مثلاً فيقول في السابق كان الشاب المخالف لقاعدة مرورية ، لا يجادل رجل المرور بسبب الهيبة المستمدة من معلمه داخل المدرسة ، أما الآن فلا المعلم سلم من هذا الأذى ، ولا رجل الأمن سلم. وقال: إن الهيبة لن تعود إلى الجميع إلا بعودة هيبة المعلم ، أما متى؟ وكيف؟ فهذا في يد وزارة التربية متى أرادت. ويضيف الهزيم قائلاً ، المعلم جزء رئيس من مكونات المنظومة التعليمية ، وكانت هيبته تسبق حضوره إلى الفصل وترافقه خارج المدرسة ، وكانت معنوياته مرتفعة ، بل كان وسيطاً يدير الصراع بين المعرفة والطالب مطلق العنان. أما الآن فقد أصبح المعلم مجرد ناقل للمعرفة ويشعر بأنه تابع مسير لا مسؤول مخير ، ما أحدث شرخاً في العلاقة بين وزارة التربية والتعليم وبين المعلم. وقال إن هناك ضغوطات كبيرة تمارس على المعلم بشكل جعل عديداً من المعلمين يفكرون بجدية في ترك مهنة التدريس والتحول إلى وظائف إدارية بسبب الروتين الذي طغى على الميدان التربوي. ويؤكد أن النظام جعل المعلم الحالي في هذه الصورة المتدنية في ظل أنظمة تعليمية قيدت حركة المعلم وجعلته عاجزاً عن إظهار قدراته ومواهبه ، إلى جانب قلة اهتمام وزارة التربية والتعليم بالمعلم ، فلا حوافز تشجيعية ولا تكريم ، بالإضافة إلى تحميله فوق عاتقه ما لا يطيق من قرارات ، ومناهج ، وحصص كثيرة تتعدى العشرين ، إضافة إلى ما يشرف عليه المعلم من أعمال داخل المدرسة وأنشطة كثيرة يشارك فيها ، في الوقت الذي أصبح فيه المعلم يتعامل مع نوعية من الطلبة ليس لكثير منهم من همٍّ سوى النجاح بأي طريقة كانت دون الاهتمام بالتحصيل العلمي ، وسط أجواء لم تعد تكفل للمعلم القدر الكافي من التقدير والاحترام. ويخلص إلى أن البيئة التعليمية الآن أصبحت طاردة للمعلم وجاذبة للطالب ، فوضوياً وليس تعليمياً ، حيث سمح له بالتطاول على معلميه وزملائه باللسان إن لم يكن باليد داخل المدرسة وخارجها ، معتبراً أن طلبات التسرب التي ترد للوزارة أكبر دليل ـ من وجهة نظره ـ على تدني مستوى البيئة).هـ. ويبين المعلم عادل حميدان العتيبي فيقول: (إن مفهوم هيبة المعلم في هذا الزمن تغير ، فقد كانت الهيبة في السابق تعني الخوف من المعلم ، ويعد الخوف المعيق الأساس للتفكير ، فهل نحن نريد أنْ نُخرج نشئاً عالة على غيرهم؟ أمّا الآن فإن هيبة المعلم يُعبّر عنها الطالب بأشياء أخرى كـالتقدير للمعلم والانتباه

لما يقول والأخذ بنصيحة المعلم. وما إلى ذلك. ويشير إلى أنّ التعليم عمل يحتاج إلى صبر مستمر ، فمواقفه تتكرر فهو يتّصف بالمشقة ، وثماره لا تقطف إلا بعد زمن. ويؤكد العتيبي أن هيبة المعلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشخصيته ، فمتى ما حفظ المعلم كلماته ، وجعل ألفاظه بعيدةً عن الاستهزاء والتشفي من الطالب ، وابتعد عن الجدل الخارج عن المادة التعليمية ، وتعامل مع طلابه كمعاملته أبناءه ، مع صدق نية ؛ وجد هيبته واحترام طلابه له ، مع الحاجة إلى إضافة صلاحيات جديدة للمعلم كأنّ تكون لكل مادة درجات سلوك خاصة بها ، وتحديد المخالفة السلوكية التي تحتاج إلى الضرب. مضيفا أن النظام يتحمل جزءاً من هذه الحالة ، لأنه قطع شوطاً في التطور ، وتبنى أفكاراً جديدة ، ولم يطور مهارات المعلم ، وطور المدارس ولم يطور إمكانات المعلم. ويرى أن على المعلم أن يُعيد النظر في مهامه ، وأسلوبه ، وطريقته داخل مدرسته ، فمثلاً المرحلة الثانوية التي غالباً ما يكون فيها الطالب صاحب إلحاح ومكابرة ؛ على المعلم هنا أن يتصف بالمرونة والنقاش والجدية في تعامله ، بخلاف طالب المرحلة الابتدائية ، حيث يقوم المعلم هنا بالتشجيع واللين معهم. وقال مازلنا بحاجة إلى مزيد من التطوير والتدريب للمعلم لكي يستوعب وضعه الحالي ويخرج من دائرة الماضي).هـ. أما المعلم فهد غازي العتيبي فيقول: (إن الوضع الحالي للمعلم داخل المدرسة غير مريح له ، مادام يتجاوز الطالب وولي أمره على حقوق المعلم تحت ظل صمت من إدارة المدرسة التي ليست لها الصلاحيات الكافية لاتخاذ الإجراءات الكفيلة برد حق المعلم وهيبته. وقال قد تجد معلم الابتدائي ربما أقل معاناة من معلمي المرحلتين المتوسطة والثانوية الذين يعانون أشد المعاناة من الطلاب وأولياء أمورهم في الوقت الراهن. ولفت إلى أن المعلم هو الركيزة الأساسية في العملية التعليمية ، مؤكداً ضرورة العمل على توفير البيئة المناسبة له لكي يؤدي عمله مرتاح البال بعيداً عن كل ما يؤثر فيه من جوانب متعددة ، لاسيّما إذا علمنا أن المعلم يقوم بأعمال كثيرة داخل المدرسة كالإشراف اليومي والتحضير والتصحيح والرصد وغيرها من الأعمال التي تثقل كاهل المعلم. وأضاف: إن المعلم ، قديماً ، كانت له قيمته الاجتماعية وهيبته واحترامه على العكس من المعلم الحالي ، راداً ذلك إلى أسلوب التربية للطالب داخل أسرته منذ الصغر وتعويده على سلوك خاطئ والدفاع عن سلوكه الخاطئ ، على العكس من السابق فقد كان ولي الأمر يهدد الطالب إذا أخطأ ، ويتعاون مع المعلم في الضغط على ابنه حتى يبرز تعليمياً وخلقياً. وقال: إذا رجعنا إلى الميدان التربوي على أرض الواقع سنجد الطالب الضعيف هو من تربى على الدلال الزائد لدى بعض الأسر ، أما الطالب المميز فتجد خلفه ولي أمر يستخدم معه مبدأ الثواب والعقاب أحياناً ومبدأ التشجيع أحياناً أخرى ، بل تجد بعض الطلاب المدللين ربما لا يستطيعون مواصلة تعليمهم ويتوقّفون عند مرحلة معينة. ويرى أن هيبة المعلم تكمن في تطبيق مبدأ الثواب والعقاب وإعادة طريقة محاسبة الطالب التي كانت تستخدم من قبل، وربما اللجوء إلى الضرب في بعض المواقف ولكن بشروط. وأضاف قائلاً قد نجد العذر لبعض الناس الرافضين لاستخدام بعض المعلمين الضرب بطرق غير صحيحة ، ولذلك منعت وزارة التربية والتعليم الضرب في المدارس. لكنه يطالب بوضع شروط للعقاب ، بحيث يمارس تحت إشراف مباشر من مدير المدرسة ووكيله لأنهما لم يتم ترشيحهما لهذا الموقع التعليمي الحساس إلا لكفاءتهما. وقال: نتمنى أن يُمنح مدير المدرسة الصلاحية للضرب (غير المبرح) والعقاب بضوابط وأمام لجنة من زملائه المعلمين حتى يرتدع الطلاب وتسير العملية التعليمية ، كما يجب بدلاً مما هو حاصل الآن حيث يخطئ الطالب وربما يتجرأ بالاعتداء على

معلمه ومع ذلك لا يناله من الجزاء سوى استدعاء ولي أمره وتعهّد لا يسمن ولا يغني من جوع).هـ. تقول الأستاذة لبنى الزيتاوي ما نصه: (يحدثني أبي دائماً عن العلاقة التي كانت تربط بينه وبين معلميه سابقاً ، وعن مدى المحبة والاحترام لهم ، حيث كان يذهب الى المدرسة في قمة الحماس والشغف لرؤية ، وسماع الحصة من معلميه لأن المعلم كان هو المرجع الأساسي له ، ويروي لي قصصاً عن ردة فعله عندما يرى أحد المعلمين في الطريق أو في أحد الشوارع ، ومن شدة خوفه واحترامه لهم كان يغير مجرى الطريق! ومن شدة احترامه للمعلم كان يقف أمامه دون أن يجادله ، حتى ولو كان هو على حق وصواب في أي موضوع. وأتعجب من الطلبة الذين يشعلون السجائر أمام معلميهم دون أي خجل! أتعجب من ردة فعل الطلبة إذا تعرضوا لأي توبيخ من معلميهم في الحصة ، أتعجب من طريقة الرد على المعلم وجداله بشكل غير لائق تربوياً وأخلاقياً! وأتساءل: هل ابتعدت مهنة التعليم عن الرقي الذي عهدناه سابقاً؟ هل أصبح المعلم معرضاً لعدم الاحترام والاستهزاء من قبل الطالب والمجتمع؟! هل لا زلنا نعتبر العلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة؟ إنَ المعلم كان وما زال هو اللبنة الأساسية لبناء مجتمع كامل متكامل متناسق ، مجتمع تربوي وأخلاقي ، مجتمع من الفضيلة والمعرفة ، المعلم كان وما زال يحظى بأهمية في المجتمع ، ولكن ما هي الظروف والمتغيرات في ثقافة المجتمع الجديدة تلك التي غيرت هذه النظرة الى المعلم؟ ومن هو المسؤول عن القصور الناتج في تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات داخل المدرسة ، وداخل الغرفة الصفية؟ وهل ظروف التغيير هذه طالت المعلم بمخالبها فأصبح موضع تهكم واستهزاء؟ والحقيقة أن العديد من الأسباب التي قد تكون هي وراء تقليل هيبة المعلم وتغيير مكانته في المجتمع ، سأتناول أهمها في نظري وهو المعلم نفسه الذي قد يتحمل جانباً هاماً من تراجع هيبته أمام طلبته ، وذلك يعود الى أسلوبه في التعامل مع الطلبة ، لأن المعلم هو المسؤول الأول والأخير عن إثبات شخصيته داخل الغرفة الصفيَة وأمام طلبته ، والطالب لا يتمادى أبداً أمام المعلم صاحب الشخصية القوية ، والقرار الصارم ، والعقاب الرادع ، وهذه الصفات لا يمكن أن تتعارض أبداً مع عطاء المعلم الكبير لطلبته. والعامل الثاني والهام جداً والذي يؤثر على حياة المعلم بشكل كبير وبالتالي نفسيته هو العامل الاقتصادي ، ومن منا لا يتفق على أنَ راتب المعلم ضئيل نسبياً فهو لا يكفي لسد حاجاته وبالتالي يؤثر سلبياً ونفسياً عليه وعلى عطائه للطالب وبالتالي لا يكترث لمقدار احترام الطالب له لأنه قد يصل الى مرحلة لا يكون فيها العطاء بشكل كامل بسبب قلة التقدير المادي. وقد يلعب العامل الثالث وهو العامل الاجتماعي دوراً كبيراً في هذا الموضوع وهو من خلال تقدير دور المعلم وزيادة وعي الأهل لأبنائهم على إبداء الاحترام والسلوكيات الحميدة ، وهذا يعيد للمعلم جزءاً كبيراً من هيبته إضافة إلى تفعيل القوانين والأنظمة التي تحكم بين الطالب والمعلم. كما أن التربية الخاطئة للأبناء بحيث يأخذ الطالب كل شيء يريده من والديه ، ويأتي الى المدرسة ليفرض شخصيته على المعلم بتشجيع من بعض الأهالي ، وغياب حملات التوعية التي تحث وتذكر الطلاب دائماً بكيفية التعامل مع معلميهم لأنَ الطالب الذي لا يستطيع احترام معلمه لا يمكن أن يبدي أي احترام لوالديه أو عائلته حتَى قد يكون أيضاً دخول التكنولوجيا بشكل كبير في حياة طلابنا ، يجعلهم يؤمنون بعدم أهمية المعلم لأنه في السابق كان المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة والمعلومة! أما الآن فاعتماد الطالب على التكنولوجيا الحديثة بشكل كبير دون الاكتراث والاستماع لمعلومات المعلم ، وتشجيع الأهل لإحضار أساتذة خصوصيين لأبنائهم دون الاكتراث للسبب أو لأهمية ذلك

كارثة كبيرة للأسف. إنَ وزارات التربية والتعليم لم تسهم عبر العقود الماضية بالنظر أو الالتفات إلى مكانة المعلم ووصوله إلى درجة من العلو والرقي بل كانت أحياناً معنية في تراجع هيبته لعدم دفاعها عنه والوقوف بجانبه في إصدار وسن التشريعات وتعديلها بشكل يحقق توازن العملية التربوية ، ودعمه مادياً ومعنوياً بحيث تجعله يتخلى عن العمل الإضافي بعد الدوام بأعمال لا تمت بصلة للتدريس. ومع مولد نقابة ديمقراطية مستقلة للمعلمين بدأت بهذه الخطوة تعود للمعلمين جزء من هيبتهم وترعى مصالحهم ، وتعمل على تحسين شروط وظروف بيئة العمل وتنمي قدرات العاملين في مجال التعليم وتعطيهم بعض الامتيازات التي من شأنها أن تحفظ مكانتهم داخل المجتمع وتحسّن من العامل النفسي لشخصيتهم ، ونأمل أن تبقى وتستمر هي الداعم والسند للمعلمين جميعاً. مجتمعنا هو فخرنا ، فخرنا بأن نبني جيل يعلم ، ويعرف ، ويعمل ، جيل قوي الشخصية ، سنداً للوطن ، يتحمل المسؤولية ، يمتلك الطموح والقوة والثقافة والتصرف والإبداع ، وحتى نصل إلى هذا المجتمع المثالي لا بد من تقدير المعلم الذي يعتبر الركيزة الأساسية في هذا المجتمع ، كيف لا يكون كذلك وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إنَما بعثت معلماً)؟ فالمعلم هو مربي أجيال وناقل ثقافة المجتمع من جيل الراشدين إلى جيل الناشئين ، ومهنة المعلم ليست وظيفة ، وإنَما رسالة مقدَسة وسامية تحدث عنها الرسل والأنبياء ورجال الدين والفلاسفة على مر العصور والأجيال. والمعلم هو القائد التربوي الميداني الذي يخوض معركته ضد الجهل والتخلف ببسالة وشجاعة فائقة وسلاحه دائماً الايمان بالله ونور العلم).هـ. ويقول الأستاذ خالد أبو ذراع: (على النقيض كان يعتري الطالب الخوف والهلع من المعلم في الوقت السابق ، حينما كان للمعلم هيبته إذا ظهر في مكان ما ، تجد التلميذ يسلك فجًا آخر خوفاً من مواجهته. وفي وقتنا الحاضر ، أُستعمِر هذا الخوف والهلع بشيء من الوقاحة وقلة الأدب ، وإن لم أبالغ فربما بعضهم يطلب من معلمه سيجارة الدخان أو يحضر معه موكب تفحيط أو يقوم معه بجولة سريعة على إحدى الأسواق ، لا سيما طلاب الثانوية. ينص التعميم الأول: على أن المعلم (لا يحق لك مقاومة الطالب حتى يطرحه الطالب أرضاً!) ، بعد ذلك التهجم القبيح. أو سمِّهِ ما شئتَ!! ؛ يحق للمعلم الدفاع فقط عن ذاته التي أُنتهكت ، وإلا فإنه غير مخول للدفاع عن نفسه ، أو بعبارة أوضح ؛ لو صُفع على خده من يدِ طالبٍ متمردٍ! ، أو رُكل بركلة طائشة ، في هذه الحالة. يكتفي المعلم برفع برقية للوزارة! كأقصى حدٍّ للمقاومة ؛ خشيةَ النقل التأديبي. ينص التعميم الثاني على أنه لا ضرب ، لا توقيف ، لا توبيخ ، لا همس ؛ لأن ما سبق له آثار عكسية على الطالب ؛ فهي تؤثر سلبياً على مستقبله وحياته الصحية والاجتماعية والتحصيلية ، وكما تنص المادة على احترامهم وتقديرهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم. إني لا أتصنع الطرافة ولا أتعمد الإثارة ، ولكن هذه هي الحقيقة الغامضة التي يوقّع أدناها كل معلم ومدير مدرسة سنوياً. إن مثل هذه التعاميم لا شك أنها تستوقف عمل المعلم ، وتجعل منه بليد الحس ، لا يسعى للنصح والإرشاد ، ولا يُنمّي مواهبَ أبنائِه الطلاب. وحينما أقول إن وزارة التربية والتعليم بترت الدور الحقيقي للمعلم ، وسلبت منه سلاح الضرب - غير المُبرح - فهذه حقيقة لا يخفي معالمها أي معلم مثابر ومجتهد. منع المعلم من الضرب ليس بحل جوهري من خلاله تنحل المعضلة. كما أن الضرب هو العلاج الشافي ، ولو اقتصرت صلاحيتُهُ على المدير ووكيلِه لتحقق الحلَّ الكافي ؛ لأنه يعزز في الطالب مهابة المعلم التي فُقدت ، وكفيل أيضا بزرع السكينة في ثنايا المدرسة بدلا من الضجيج والإزعاج. أقولها بصريح العبارة إننا بالفعل نحتاج لإدارة متفهمة ، وسبق لها أن

خاضت تجربة ميدانية عملية ، لا مجرد إداريين ومشرفين على الكراسي الدوارة ، الذين لم يكن لهم أي باع في التدريس ، بل لم يكن لهم إلا إصدار الأوامر على المعلم ، حتى أصبح في زنقة).هـ. وتحت عنوان: (المعلم الحيران بين شوقي وطوقان) تقول الأستاذة ترفة العنزي في عيد المعلم ما نصه: (تكريم المعلم يكون بتوفير الإمكانات وتهيئة الجو الجاذب لمهنة التعليم. فلقد احتفلت جموع المعلمين بيوم المعلم وبهذه المناسبة نبارك لهم هذا الاحتفال السنوي البروتوكولي ، وتكريم المعلم من المفترض أنْ لا يقتصرعلى يوم نتذكر فيه فضل المعلم ، ثم ينتهي ولذلك فإن تكريم المعلم لا يجب أن يكون في أيام معدودة بل على مدار العام ، فعملهم المجتمعي والقيم التي يغرسونها يجنى ثمرها في كل وقت وحين! وليس هناك في هذه الدنيا من يستحق تكريماً مثل المعلم! فكل مهنة أخرى خرجت من تحت يده ، وصاغت كلماته وأحرفه مجهودات المعلمين ، فهو الطبيب الأول للمجتمع وهو مهندس البناء ، ولقد سبق هذه الاحتفالات احتفال رباني للمعلم منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها. وفي ديننا الحنيف كان للمعلم مكانته اللائقة به وتفضيله بالمكانة على الآخرين فقال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: {قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون}. وقال أيضا: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} ، وكرمهم معلم الإنسانية الحبيب المصطفى عليه صلوات ربي وتسليماته ، حيث رفع من درجتهم وبين مقدار فضلهم في معنى حديثه ، حيث يقول: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). ثم قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأراضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصلون على معلم الناس الخير). أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. والمعلم كلمة جامعة تشمل كل من يقوم بمهنة التعليم. وأما اصطلاحاً فتعني جموع العاملين في وزارة التربية والتعليم والهيئات التعليمية التابعة لها ، بدءاً من مدارس رياض الأطفال وباقي المراحل كقاعدة للهرم ، مروراً بالهيئات والجامعات ، وصولاً لقيادة الهرم وتكريم المعلم لا يكون في احتفالات أو أشعار تقال هنا وهناك! إنما يتم من خلال توفير كافة الإمكانات بتهيئة وخلق الجوالجاذب لمهنة التعليم وأن لا يقتصر ذلك على الجانب المالي ، بل يتعدى ذلك للجوانب النفسية وجعل هذه المهنة جاذبة إلى حد كبير من خلال المبنى المدرسي الملائم والمناهج الدراسية! وكذلك في تطبيق نظريات العلوم السلوكية والعلاقات الإنسانية فيما بين القيادات والمعلمين وفيما بينهم أنفسهم. فكم من مرة وقف الجميع تبجيلاً للمعلم استجابة لأميرالشعراء شوقي بقوله: «قف للمعلم وفه التبجيلا...كاد المعلم أن يكون رسولا» ، ثم بعد ذلك تنقلب الأمورعلى عقب ، فيُسام المعلم الضيم ، ويُخسف به وبجهوده الأرض من قبل بعض المسؤولين والقياديين. ولا أتجنى على أحد فآلاف الشكاوى هي على إدراج القياديين تطلب الإنصاف والرحمة ومع هوجة وسائل التواصل الاجتماعي انتشرت الشكاوى ، كما تنتشر النار في الهشيم ، ناهيك عن ذلك الكم الذي ينشر يومياً من خلال السلطة الرابعة ، ومن خلال أسماء مستعارة خشية ردة الفعل. ومع تسليمنا أن البعض منها يحمل صفة الكيدية إلا أن غالبها يحمل معاناة وعدم رضا وظيفي منشأه الإحساس بالغبن والظلم من قبل بعض القيادات التربوية ، ومشاكل وزارة التربية لا تعد ولا تحصى ، ولكن يجدر بنا أن نذكر البعض منها على سبيل المثال ، ومنها عدم عدالة التوزيع بين مدرسة وأخرى في المعلمين والمعلمات وأعداد الطلبة والإداريين ، ففيما تواجه بعض المدارس التخمة تعاني أخرى من النقص الشديد. وسبب ذلك واضح جلي كوضوح الشمس في رابعة النهار نتيجة لمنهجية وفوقية التعامل التي يمارسها بعض المديرين والمديرات ،

ومزاجية وتمييز البعض لمعلم أو معلمة دون الآخر ، لأسباب تتعلق بنفوس مريضة تحكمها الطائفة أو القبيلة أو المصالح الانتخابية للبعض ، وظلم البعض في تقويم الكفاءة السنوية على معيار إذا أحبتك عيني ما ضامك الدهر ، ونتيجة ذلك تسرب وهروب من مقر العمل بالنقل أو الندب إلى مواقع أخرى).هـ. ويقول الأستاذ فتح وهبة ما نصه: (قم للمعلم وفه التبجيلا * كاد المعلم أن يكون رسولا. هذا الشعار الجميل أطلقه أمير الشعراء أحمد شوقي قبل سنين عديدة ، معترفاً بفضل المعلم في بناء الصرح العلمي ، ومكانته الراقية في المجتمع ، ودوره العظيم في رقي وازدهار الأمم من خلال رسالة التعليم. ومكانة المعلم معززة ومكرمة في الإسلام ، ويشهد على هذا التكريم العديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. يقول تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} ، {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} ، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). وقد بات يتردد في الأوساط الاجتماعية عبارات حول تدني درجة هيبة المعلمين أمام طلابهم ذكوراً وإناثاً ، فهناك من يرى أن المعلم في السنوات الماضية كان يمتلك خاصية أمام طلابه لا يمتلكها معلمو الوقت الحاضر ، فإذا كان الأمر كذلك فمَن وراء سقوط هيبة المعلم؟ وأين اختفى وقع وتأثير قصيدة شوقي (قم للمعلم) من نفوس طلابنا بل ومن مجتمعنا؟ وما أهمية هيبة المعلم أمام طلابه؟ وماذا تعني كلمة الهيبة؟ إن الموضوع يحمل أبعاداً مختلفة وعوامل عديدة ، وهذه العوامل والأبعاد لها علاقة وطيدة بقضية تدني مكانة المعلم والتي نلمسها جيداً في واقعنا الحالي ، ومن هذه الأبعاد: * البعد الاقتصادي: فالرواتب المنخفضة للمعلمين مقارنة مع غيرهم من أصحاب المهن لها تأثير سلبي على مكانة المعلم ، فالمعلم الذي يفكر ويخطط ليوم تعليمي طويل ويتعب في التدريس لا يأخذ ما يستحقه من الراتب واليوم نحن نعيش تحت سلطان المادة! وغالباً ما يقيس الناس الأمور بمقاييس المادة! وحسب هذه المقاييس فإن الشيء غالي الثمن يكون عالي القيمة. *البعد الاجتماعي: هناك نظرة عند الكثيرين بأن مهنة التعليم لا يمارسها الا من كانت علاماته متدنية ومستواه التعليمي منخفضاً بحيث إن علاماته لم تؤهله لتعلم موضوع مثل المحاماة أو الهندسة أو الطب ، فلم يكن له خيار إلا أن يصبح معلماً. وهذا الأمر أيضاً له علاقة بتدني مكانة المعلم ، نحن لا ننكر أن هناك بعض المعلمين غير المؤهلين بالمرة تم تعيينهم (بالواسطة). * البعد السياسي: المعلم الذي هو قائد تربوي لا يستطيع أن يعبر عن رأيه في هذه المناسبات بكل جرأة وصراحة أمام الطلاب فالمعلم الذي يتبنى أيديولوجية معينة وتياراً فكرياً أو سياسياً معيناً لا يستطيع إبداء موقفه بصراحة مما يقلل من هيبته ويضعف من شخصيته أمام الطلاب. *عدم وجود رؤية تربوية وتعليمية في المدارس ، وأكثر هذه الرؤى وللأسف موجودة في القوارير! لا يطلع عليها أحد ، فلا يوجد تخطيط واضح بين المعلم والطلاب أو بين المعلمين أنفسهم أو بين المعلمين والأهل ، كذلك لا يوجد رؤية تربوية وتعليمية توضح سياسية وبرامج المدرسة ، وتبين حقوق وواجبات الطالب ، حقوق وواجبات المعلم ، دستور للمدرسة وغيرها ، بمعنى أن هناك مسافات بين هذه الأجسام الأمر الذي قد يولد شكوكاً بين الأهل والمعلمين أو بين الأهل والمدرسة وهذا بدوره يولد النظرة السلبية تجاه المدرسة ، ومن ثم يقلل من مكانة المدرسة ومكانة المعلمين على السواء. * البعد الشخصي: بعض المعلمين من يستغلون الطلاب ويستخدمونهم لشراء حاجياتهم أو خدمتهم في أمور شخصية! وهذا في اعتقادي يقلل من قيمة المعلم ، كذلك بعض المعلمين من يدخلون الصفوف دون تحضير مسبق فيبدأ في دروسه ويلاحظ الطلاب أنه غير

مستعد للدرس ، فيأتي بموضوع من هنا وموضوع من هناك لانهاء حصته ، فيشتت أذهان الطلاب ولا يأتي بفائدة تذكر ، بل يجعل الطلاب لا يعيرون للحصة اهتماماً ، وكذلك الأمر بالنسبة للمعلم. وإذن فهناك عدة عوامل ساهمت في اختفاء هيبة المعلم ، أضف إلى ذلك عقوق الوالدين وعدم احترام الكبير كثر بشكل عام حتى إنه طال المعلم! فالابن الذي يتطاول على والديه ، ما المانع لديه أن يتطاول على معلمه؟ ناهيك عن ظاهرة العنف المنتشرة في المجتمع ، والتي أثرت بشكل مباشر على هيبة المعلم. ومن الأسباب أيضاً وسائل الإعلام التي تقدم العديد من الأفلام الغثة والمسلسلات الرديئة التي تعرض المعلم بصورة مبتذلة غير محترمة! وبذلك تقدم صورة سلبية عن المعلم. بالإضافة إلى أن معظم أولياء الأمور متعلمون ، والكثيرون منهم على درجة عالية من الوعي حيث يساهمون في تعليم أبنائهم. أما النقطة الأخيرة التي أود أن أذكرها ، وهي دور الأهل والذي في كثير من الأحيان قد تحول من دور إيجابي إلى دور سلبي حيث إن الأهالي في الماضي كانوا يحترمون المعلم كثيراً. ويعلمون أبناءهم أهمية احترام المعلم ، بينما اليوم يشارك الأهل أبناءهم بالهجوم والوقوف على أي زلة تصدر من المعلم. والسبب هو كثرة الدلال الزائد للأبناء. إن مكانة المعلم الاجتماعية والتربوية قد اهتزت وتغيرت في أيامنا! فلم يعد المعلم هو الملك في صفه ولا ذاك الإنسان المحترم في مجتمعه. ففي زماننا حدث تغيير للأسوأ في مكانة المعلم ، ويعود ذلك للأسباب الآتية: * أن العالم في تقدم وتطور دائمين. والمعلم باق مكانه لا يواكب تكنولوجيا التعلم فنجده يعلم على طريقة هربارت القديمة (المعلم في المركز والطالب مجرد وعاء لاستقبال المعلومات). *عدم استعانة المعلم بوسائل التدريس الحديثة من أجل تحبيب الطلاب في الموضوع وتفهيمهم إياه! فنجد أن الطالب يتعلم عن طريق الحاسوب أضعافاً مضاعفة من ذلك الذي يتلقاه من أستاذه. *اتساع رقعة الثقافة لتشمل أوساطا واسعة في المجتمع ، دعا الكثيرين للتطاول على المعلم والنظر إليه نظرة مغايرة. *سهولة التزود بالمعلومات التعليمية والتربوية والثقافية المختلفة عن طريق الحاسوب عبر شبكة الإنترنت ، بعد أن كان المعلم هو المصدر الوحيد لاستقاء المعلومة. *راتب المعلم المتدني الأمر الذي يحتم عليه البحث عن مهنة إضافية يقلل من احترامه بين الناس. *هناك مقولة بأن المعلم نفسه هو أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط هيبته عند التلاميذ. إن المعلم هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط هيبته أمام تلاميذه وبالذات إذا لم يكن يملك الأسلوب الماتع في التدريس ، ولم يكن متمكناً من المادة ابتداء. *أضف إلى ذلك نوعية المعلمين الذكور ، وبالذات في المستوى الثانوي ، الذين يجالسون طلابهم في المقاهي أو يدخنون معهم أو يلعبون السنوكر معهم أو ينزلقون إلى مستويات متدنية مسفة في الحديث معهم. فماذا نتوقع من الطالب حينها؟ * إننا بأمس الحاجة إلى المعلم الناجح الذي أحب مهنته واختارها بكامل إرادته انطلاقاً من إيمان كامل بأنها مهنة مقدسة سبقه إليها الأنبياء والمرسلون. نحن بحاجة إلى المعلم الناجح الذي يعرف كيف يدير صفه ويضبطه. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التعامل مع المنهاج. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التخطيط للتدريس. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية تجهيز واستعمال الوسائل التعليمية. - المعلم الناجح هو الذي يعرف كيفية تنفيذ الدرس. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التعامل مع طلابه بحكمة وروية وصبر. وإذن فهيبة المعلم أمام طلابه مهمة جداً ، تلك الهيبة التي عرفها (جيمس بارنر وهارولد كانون) في كتابهما (هيبة المعلم أمام طلابه وأهميتها) هي: (أن يكون للمعلم تأثير ونفوذ مشروع على الطلاب ، وهي تختلف عن السلطة لاحتوائها على عنصر

أخلاقي ، فهي لا تتضمن القسر وهي تكتسب وتتراكم). والهيبة تتطلب مراعاة قدر من الرسمية في العلاقة بين المعلم والطالب. ومن الأهمية بمكان إدراك الفارق بين منزلة المعلم ومنزلة الطالب ، فلا يجب إسقاط جميع الحواجز بينهما ، وعلى المعلم أن لا يقيم علاقة شخصية مع الطالب أو ينحاز لأحد الطلاب).هـ. ويقول الأستاذ عبد الغني بن ناجي القش المشرف التربوي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحت عنوان: (سؤال ورؤية: هل يمكن أن نعيد للمعلم مكانته؟ ونحفظ له كرامته؟ ونغرس في طلابنا محبته؟) ، يقول ما نصه: (كان المعلم بالأمس شخصاً ذا مكانة اجتماعية ، لا يجرؤ أحد على التطاول عليه [طالب / ولي أمر / صحفي / ناقد / حاقد]. كفلت له وزارة المعارف (سابقاً) حقّه كاملاً غير منقوص ، ينعم بمدرسة طويلة الأجل يحوي كل فصل من فصولها نيفاً وعشرين طالباً ، لا تبعد عن منزله إلا دقائق معدودة ، ثم يعود منها ليمضي ما تبقّى من يومه بين أهله وذويه ، قلبه متعلق بطلابه منشغل بمدرسته ، فهو أب لأولئك الطلاب مخلص لذلك الكيان. وكان المعلمون قد وضعوا بصمتهم فكانت راسخة في أذهان أبنائهم فكانوا مربين بكل ما تعنيه الكلمة ، وكانت المخرجات رائعة لا تحتاج لمزيد تطوير أو تهذيب. وأما المعلّم اليوم فهو شخص قد جُرّد من كافة الصلاحيات ، فهو ممنوع من [إيقاف الطالب / ضربه / تأنيبه / إخراجه خارج الفصل / خصم درجاته / تهديده بخصم الدرجات]. أُقحم بعد أن بُتر جزء كبير من مرتّبه ، وسلب كثير من حقوقه بين أربعين طالباً أو يزيدون ، فبات حائراً بين تنظيم وإدارة هذا الكم الهائل الرهيب من الطلاب ، وإيقاظ بعض متوسّدي الطاولات في ظل انعدام الهيبة والصلاحيات ، وبين شرح الدرس ، فأصبح أشبه ما يكون بآلة يطلب منها النتاج (مخرجات) في ظل غياب كثير من المقومات ، فماذا عساها أن تنتج؟ يعود من مدرسته التي تبعد عن مقرّ سكنه الأصلي ، ليقف عند أحد المطاعم ، وينتظر الغداء المعدّ بأيدي العمّال الأمينة ، فيتذكر رائحة كبسة الأهل ، ولكم أن تتصوروا ما لهذا الموقف من أثر نفسي سيء للغاية ومردود محبط لا يعرفه إلا من تجرّع مرارته. وأما الطالب في الماضي فهو شخص تغلب عليه البراءة ، يُسمع لأسنانه اصطكاك مُزعج عندما تُذكر المدرسة في حضوره ، فالمُعلم من أمامه ، ووليُ أمره من خلفه ، فويلٌ له ثم ويلٌ له إن ضرب بواجباته عرض الحائط ، تتردد على مسمعه دائماً لكم اللحم ولي العظم! فيحرص على الاهتمام ، ويهرع إلى حلّ واجباته ومذاكرة دروسه ، بمجرد عودته إلى المنزل ، فالملهيات قليلة إن لم تكن معدومة عند البعض ، ناهيك عن الأدب الجمّ والخلق الرفيع. فقد قيل: لا تعلّم إلا برغبة ورهبة! والرغبة مفقودة منذ الأزل إلا من رحم ربّي ، فحلّت الرهبة محِلّها. والطالب اليوم شخص تغلب عليه اللكاعة ، لا يجد في المدرسة إلا مكاناً للنوم ، ولا يرى في المُعلّم إلا وسيلة للتسلية والضحك ، وآلة لجسّ النبض والاستفزاز والتهكّم ، وحُق له أن يفعل ، فالماثل أمامه (أي المعلم) ممنوع من كل شيء ، وليس لديه أي صلاحية تخوّله حتى الدفاع عن نفسه إلا في حال طرحه الطالب أرضاً ، عندها يُسمح له بالدفاع ، والدفاع فقط! يخرج الطالب من المدرسة بعد أن أتخم بما لذ وطاب من مقاطع الفيديو التي تناقلها مع أصدقائه في المدرسة ، ليُقلّه السائق إلى المنزل ، فيخلد إلى النوم عند الساعة الثانية ظهراً بعد وجبة دسمة قامت بإعدادها الخادمة الكريمة. ليصحو عند الساعة الحادية عشرة ليلاً ويبدأ في جولته الإنترنتّية التي تنتهي ببداية الحصّة الأولى من اليوم التالي! عد هذه المقارنة المختصرة والتي تعمّدت فيها أن أجتنب الإسهاب ما استطعت ، أترك لكم الحكم في تحديد مكمن الخلل. عندما يُركل المعلّم الخمسيني بقدم أحد الطلاب إلى خارج الفصل من المسؤول عن هذا؟ عندما يتكرّر تهجّم الطلاب على

بعضهم البعض بالعصيّ والسكاكين والخناجر أمام طاقم المدرسة من معلمين وإداريين دون أي اعتبار لأحد ، من هو السبب في ذلك؟ عندما تتدخل الدوريات الأمنية لفكّ اشتباك الطلاب الحاصل داخل المدرسة ، (أقول داخل المدرسة) بعد أن أُسقط في أيدي المعلمين وتساقط ما يُغطّي رؤوسهم (إن وجد) وقد يسقط بعضهم أرضاً ، فمن المسؤول؟ هل هو المعلم المسكين؟ الذي قدر له أن يكون بهذه الهوية؟ أم هو الطالب الذي تُرك له الحبل على الغارب ، فلم يعد هنالك ما يخشاه؟ أم تراها وزارة التربية والتعليم التي قولبت التربية والتعليم بهذا القالب؟ أم هي الأسرة والمجتمع؟! ولو عقدنا مقارنة بسيطة بين معلمينا القدماء وبين معلمي الجيل الحاضر لوجدنا البون الشاسع. فمعلم الأمس يعين على المستوى الخامس ، بل يعطى له خمسون ألف ريال تشجيعاً له ومكافأة على التحاقه بالتعليم الجامعي. واليوم يعين على البند أو على المستوى الثاني لسنوات عجاف ، والله يعوضه في الخمسين ألف التي سيدفعها من جيبه مصاريف مناطق نائية. ومعلمو الأمس لم يكونوا يعرفون صورة التعاميم ، ويخبرني أحد الزملاء القدامى بأنهم كانوا يتحلقون في غرفة المدير عندما يصلهم تعميم مظنة أن يكون به شيء مهم أو عاجل! ويقول: كنا نجلس بالأشهر دون أن يصلنا تعميم. أما معلم اليوم فلا يمر يوم أو يومان دون أن يوقع على العشرات من التعاميم التي (تشبه الفرمانات الخديوية) ، إذ تحمل التهديد والوعيد والتكليف بأعمال وأنشطة لا حصر ولا نهاية لها. ومعلم الأمس معلم له الاحترام الأعلى والأسمى في مجتمعه الذي يعيش فيه أو يدرس في مدرسته ، محفوظ الكرامة مقدّم على أي شخصية أخرى. وأما معلم اليوم فلا كرامة له! بلا شرعت أعتي القوانين وأقساها من نقل وحسم وفصل في حال ارتكب أي هفوة ، أو تعرض لأي طالب! ولا عجب أن نطالع بشكل دوري في صحفنا حوادث الاعتداء على مربى الأجيال في مقابل صمت مطبق من الوزارة والمجتمع! فالكل يتشفى في هذا المعلم المغلوب على أمره ، فهل نرجو من مثله نوالا؟ معلم الأمس لا تمر سنة أو سنتان على تعيينه إلا وقد نقل إلى أقرب مدرسة من بيته. أما اليوم فعليه أن ينتظر السنوات الطوال ، والكل يعلم أن هنالك زملاء أمضوا في الخدمة سنيناً وهم لم يعرفوا الاستقرار في حياتهم والعودة إلى العيش بجوار أسرهم!).هـ. ويتساءل الأستاذ ضيف الله محمد مهدي: هل فقد المعلم هيبتـــه؟! ويجيب على سؤاله متحاملاً ولا شك على المعلم ويلقي باللائمة عليه فيقول ما نصه: (يتحدث الكثير من المعلمين عن هيبة المعلم وفقدانها ويشتكي البعض من أن كثيراً من المعلمين بات يقلقهم هذا الوضع ، وكل معلم تجده يردد: رحم الله أيام كان للمعلم هيبة. فلا أدري هل بالفعل ضاعت وفقدت هيبة المعلم ، أم أن بعض المعلمين يرددون تلك العبارة بمناسبة وغير مناسبة؟ أم أن بعض المعلمين يريدون من جميع الطلاب وأولياء أمورهم والناس أجمعين أن يقدموا لهم الاحترام وفروض الولاء والطاعة أينما وحيثما وجدوا ، وربما يقفون لهم احتراماً في الطرقات والأماكن العامة ، وعند إشارات المرور وفي بعض الحدائق العامة. هل لأن الضرب ممنوع فقد المعلم هيبته؟! هل رفع الظلم عن الطالب أفقد المعلم هيبته؟! هل لأن حقل التربية والتعليم اقتحمه من يصلح ومن لا يصلح ، فقد المعلم هيبته؟! هل لأن الأوضاع قد تغيرت وتطورت وانفتح العالم على بعض ، وما كان من تربية تطبق قديماً لا يصلح تطبيقها في الوقت الحاضر ، ولذلك قد فقد المعلم هيبته؟! وهل.... وهل... أنا أرى أن المعلم لم يفقد هيبته ، وأن احترامه وتقديره لا يزالان في قلوب المتعلمين وأولياء أمورهم ، وأنه محل اهتمامهم ولا شك ، وحبهم له لا يزال في ازدياد ونمو. وما دام المعلم يتعامل مع الطالب تعاملاً جيداً إيجابياً بناء. ويحرص على أن يكون له قدوة حسنة ، ويطبق

تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وأهدافه وآدابه عملياً ، فهو محل الاهتمام والحب والتقدير. والمعلم الذي يحرص على تطوير نفسه وتزويدها بالعلوم والمعارف التي تجعله يرتقي بتعامله وسلوكياته مع الطلاب ، ويزيد وينمي معلوماته وثقافته ، فلن يزيده ذلك إلا تقديراً واحتراماً! أما المعلم الذي لا يحرص على تطوير نفسه ولا يزال يتعامل بمثل التعامل الذي عومل به حينما كان طالباً ، ويريد أن يضرب ويصرخ ويبطش ، وأن يقف له كل الطلاب حين تقع أعينهم عليه ، ويريد أن يكون الخوف منه في قلب كل طالب ، إضافة إلى أنه من مرتادي المقاهي وأماكن يفترض ألا يذهب إليها أو يرتادها ، فلن يزيده ذلك إلا انحطاطاً وقلة احترام وتقدير. علمتنا الحياة والتجارب أن المعلم الذي يتعامل مع الطلاب تعاملاً جيداً ويحرص عليهم ويحبهم ، كما يحرص على نفسه أو ولده ويحبه ولا يسلك أمامهم إلا سلوكاً جيداً وهو يقول الصدق ، سيجعل الطلاب وأولياء أمورهم والناس كلهم يحترمونه ويحبونه ويقدرونه. وفوق ذلك فمادته التي يقوم بتدريسها هي أحب المواد إلى نفوس الطلاب حتى وإن كانت من المواد الصعبة. فعلى المعلم أن يزيل من نفسه أنه فقد هيبته واحترامه ، وعليه أن يعي أن ما كان قبل ثلاثين أو أربعين سنة من تربية وتعليم وتعامل لا يصلح مع أبناء هذا الجيل. إنني معلم منذ عام ١٤٠٥هـ ، عملت مرشداً طلابياً في جميع مراحل التعليم الابتدائي ، والمتوسط والثانوي ، إضافة إلى معهد المعلمين ، كما أنني عملت في الإشراف التربوي ، والآن معلم في المرحلة الثانوية ، وتنقلت بين عدة مدارس وتعاملت مع كثير من المديرين والمعلمين والطلاب ، ولم أجد في يوم من الأيام أنني قد فقدت هيبتي أو احترامي أو تقديري ، بل على العكس إنني محل اهتمام واحترام وتقدير كل طالب تعاملت معه وقدمت له خدمة في يوم من الأيام ، وأجد حتى أولياء أمورهم كذلك يحترمونني ويقدرونني وهم قد تخرجوا في الجامعة ولم يعودوا طلاباً عندي ، وحتى إنني أجد بعضاً من طلابي وهم في مراكز مرموقة الآن سواء في التعليم أو في الصحة أو في السلك العسكري يقدرونني ويحترمونني ، وحتى إنني أشاهد بعضهم يطفىء السيجارة إذا كان يدخن عندما يشاهدني ، ولا أفسر ذلك إلا أنني محل التقدير والاحترام عندهم. إن المعلم هو الذي يصنع لنفسه الهيبة والاحترام والتقدير ، وذلك بالتعامل الجيد الحسن والسلوك الراقي مع الطلاب وليس المسؤولون هم من يصنعون للمعلم الهيبة والاحترام والتقدير في نفوس الطلاب. إن المعلم عليه أن يشعر أن عمله الذي يقوم به وهو التربية والتعليم عمل جليل ، وأن الجميع يقدره. حسب المعلم فخراً أن أمته قد ارتضته لأس المجد يبنيه فليتق الله في جيل ينشئه ينل رضا الله والحسنى، ويكفيه - وآمل أن يعي من يشعر - أنه وإن زعم فقد هيبته أنه في الحقيقة لم يفقدها ، وأنه ما دام يتعامل مع أبناء جلدته تعاملاً سامياً فهو محل الاهتمام والتقدير ، وكذلك آمل ألا يغضب مني أي معلم).هـ. ويقول مؤسس سنغافورة لي كوان: (أنا لم أقم بمعجزة في سنغافورة ، أنا فقط قمتُ بواجبي نحو وطني ، فخصصت موارد الدولة للتعليم ، وغيرت مكانة المعلمين من طبقة بائسة إلى أرقى طبقة في سنغافورة ، فالمعلم هو من صنع المعجزة ، هو من أنتج جيلاً متواضعاً يحب العلم والأخلاق بعد أن كنا شعباً يبصق ويشتم بعضه في الشوارع. فإذا أردنا تعليماً ناجحاً ومتميزاً فأعيدوا للمعلم هيبته ومكانته. فالمعلم أولاً يقدم على كل شيء. فهل ندرك ونقدر هذه القيمة والمكانة؟).هـ. ويقول الأستاذان: بشار السليّم ، ومحمد عليمات وتحت عنوان: (فلسفة المعلم التربوية عند الحارث المحاسبي (243هـ/ 857م) ما نصه: (هدف هذا البحث إلى إبراز الفكر التربوي عند الحارث المحاسبي فيما يتعلق بالفلسفة التربوية للمعلم. والربط بين الماضي والحاضر ، وذلك بالرجوع إلى أصول ومنابع الفكر

التربوي الإسلامي وتوظيفه في حياتنا المعاصرة. واعتمد الباحثان على بعض ما كتبه المحاسبي ، ومن تناول منجزاته بالبحث والدراسة فيما يتعلق بالمعلم وتقديمه بصورة معاصرة. وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ، وثلاثة فصول وخاتمة ، تضمنت بعض النتائج والتوصيات ، وتضمن الفصل الأول الخلفية النظرية للدراسة وأهميتها وأسئلتها ، وتناول الفصل الثاني التعريف بالمحاسبي حياته ونشأته والبيئة الثقافية التي عاش فيها ، أما الفصل الثالث فقد تناول فلسفة المعلم التربوية عند الحارث المحاسبي (مفاهيم ومبادئ) كما وردت عنه وبرؤية معاصرة تتناسب مع ما يعتمده كثيرون من العاملين في الميدان التعليمي وغيره. واختتم الباحثين الدراسة بعدة نتائج وتوصيات ، كان من أهم هذه النتائج تحقيق العبودية لله عز وجل ، والتزام المعلم بالكتاب والسنة ، والتنمية الشاملة المتكاملة للفرد ، والتمسك بالأخلاق الفاضلة! وكان من أهم وأبرز توصيات هذه الدراسة ، أن يتوجه الباحثون إلى تراثهم ، وأن يعيدوا إليه نصاعته وهيبته ، وأن يتخذوا منه مصدراً لفكرهم التربوي يلائم خصائصهم الثقافية ، وينسجم مع بيئتهم التي يعيشون فيها).هـ. ويقول الأستاذ حسن بيومى حرحش وتحت عنوان: (التعليم اليوم بلا تربية وبالأدلة المدموغة!) ما نصه: (تؤكد الأدله المدموغه أن التعليم اليوم أصبح بلا تربية. علاوة على هيمنة وسيطرة المال على العملية التعليمية ، وبالتحديد فى المدارس الخاصه حتى أصبح الطلاب يتعاملون مع المعلمين والمعلمات ، كما لو كانوا خدماً عندهم وعند أهاليهم ، فأصبحت العلاقه يسودها كثير من الوقاحه وانعدام التربية. والمحزن أن بعض الآباء والأبناء يساندون أبناءهم فى وقاحتهم! ومن الجرائم الحقيقية التى أدت إلى انعدام التربية والتعليم أيضاً فإنها ترجع فى المقام الأول إلى المعلم الذى كسر الحاجزالنفسي بينه وبين الطالب حتى فقد هيبته وكرامته واحترام وتقدير الطالب له ، فأصبح المعلم يجلس في الأماكن العامه والمقاهي بجوار الطالب ، يتناولان المشروبات ويدخنان السجاير والنرجيلة على حساب الطالب. ومن هنا نتأكد أن علاقة الهيبة والاحترام قد انتهت بين المعلم وتلميذه ، وتحولت إلى علاقة تسودها المجاملة والمحاباة وتدني التعليم ، ليس ذلك فقط ، بل وصل الأمر إلى اعتداء الطالب على المعلم لهيبته التي انتزعت من نفوس الطلاب. هذه الأدلة أرفعها بصفتي الشخصية إلى وزير التربية والتعليم ، لتدارك هذه الأمور التي استفزت بعض المعلمين ، وأفزعتهم تلميحات المقارنة بين التعليم فى الماضي والتعليم في الحاضر في الندوة التي عقدت تحت عنوان: (التعليم بين الماضي والحاضر) فى مركز النيل للإعلام بالإسكندرية. والتى بدأتها بما قاله الإمام الشافعي (شكوت إلى وكيع سوء حفظي .. فأرشدني إلى ترك المعاصي .. وأخبرنى بأن العلم نور .. ونور الله لا يهدى لعاصي). ولذلك فإن الكارثه الكبرى التي أفزعت بعض المعلمين للأسف ، عدم اعترافهم بقيم وأخلاقيات المعلم الذى يتعامل مع الطلاب بروح الأبوة ، وإنكار ما ينبغي من كون المعلمين التربويين قادة وقدوة للطلاب ، فهم أصحاب الضمائر اليقظة الحية. فاختفاء المعنى الحقيقي لكلمة التربية من قاموس التعليم كانت سبباً رئيسياً لتدني التعليم على كافة مستوياته ، لدرجة أن الكثير من المعلمين خريجي الجامعات لا يجيدون أسلوب التعامل التربوى مع الطلاب ، كما أن البعض منهم لا يجيدون القواعد الإملائية والنحوية التي يعرفها تلاميذ المرحلة الإبتدائية. كارثة حقيقية تؤكد إصابة المجتمع المصري خلال العقود الثلاثة الأخيرة بالانحدار الأخلاقي الذي تمثلت محاوره الثلاثة في: الواسطة والمحسوبية التي أدت إلى سلب ونهب حقوق الأكفاء لمنحها للفاشلين الذين دخلوا المؤسسات التعليمية وغيرها! وهذا دليل على انعدام العدالة آنذاك

حتى أصبحت المؤسسات مليئة بالفشلة والفاسدين. والمداراة والمجاملة المفرطة أصبحت طابعاً عاماً. فالمداراة متمثلة في التستر على الفساد والمفسدين ، أما المجاملة المفرطة التي دائماً ما تؤدي إلى الرذيلة وخلق مجتمع فاسد يسوده النفاق والتزوير والخداع والابتذال وخيانة المسئولية والأمانة. ناهيك عن الحيف والاستخفاف بالقاعدة العريضة من البسطاء بعدم احترام آدميتهم وحقهم فى التعليم والعيش في حياة إنسانية كريمة. بدليل أن المدارس الحكومية التي كانت أفضل من المدارس الخاصة في تعليمها ، قد تحولت إلى مدارس مهملة تعليمياً ورقابياً).هـ. وتحت عنوان: (المعلمون قبل القضاة أيها المخططون) تقول الأستاذة أحلام الجندي ، وهي تحكي عن تجربة معلم زميل: (تحسر زميلي على الفترة التي قضاها كمعلم بالعراق ، لمدة خمسة عشر عاماً من 1980م حتى عام 1995م ، حيث يتذكر كيف كانت له من المكانة والمهابة والدخل والمعاملة والتمكين ما يفوق ما هو متوفر للقضاة بمصر الآن! فالمعلم يرتدي زياً محترماً كالقاضي ، فلا يكون مظهره أقل من تلميذه كما أن له (بالطو) خاص يختلف حسب مادته أبيض لمعلى العلوم أزرق لباقي المواد كما يرتدي القاضي (روباً) خاصاً للقضاء ، كما لا يمكن أن يذهب مثلاً (بشبشب) إلى العمل ، كما يوقر على أعلى مستوى من الطالب والمجتمع ككل ، وكيف كان المصدر الوحيد للمعلومة. وقياساً على هذا وعلى ما أقرته جميع الأمم التي تقدر العلم والمعلمين باعتبارهم حملة العلم ونقلته وحماته قديماً وحديثاً ، نرى أن المعلم يجب أن يتقاضى أعلى المرتبات ، وأن تكون له هيبته واحترامه ، وكلمته التى لا يعلى عليها ، ولا يقدم رأي من كان على رأيه ولا يختلط بالجمهور ، ولا ينزل إلى مستوى العامة ، ولا يندمج بهم فى المواصلات حتى تكون له هيبته واستقلاليته ، كما يحدث مع القضاة فإذا كان القاضى يحكم في القضايا على المجرمين ، فإن المعلم يقوّم النفس البشرية ويحسن تربيتها وتأديبها وتهذيبها وتبصيرها بما لها وما عليها ، وجعلها عنصراً إيجابياً فى المجتمع ـ هذا إذا قام المعلم بدوره كما يجب ، بعد تدريبه وإعداده بطريقة تؤهله لذلك ـ وبالتالى ينتج مواطناً صالحاً لن يكون بلطجياً أو مجرماً في النهاية ، وبالتالي لن تكون هناك جريمة ، ومن هنا ندرك أن دور المعلم الصحيح لن يحوجنا إلى قضاة. لذا يجب أن يكون المعلمون قبل القضاة. ويؤكد ذلك هذه القصة التي سوف أوردها هنا دليلاً! عندما ولى سيدنا أبو بكر الصديق سيدنا عمر بن الخطاب قاضياً على المدينة ، وبعد عام طلب سيدنا عمر من سيدنا أبي بكر إعفاءه من القضاء! فاستفسر سيدنا أبو بكر سائلاً: أو من مشقة العمل وكثرة القضايا؟ فأجاب سيدنا عمر: لا بل لم تعرض علىّ قضية واحدة ، ولم يختصم إلي اثنان. فقال سيدنا أبو بكر: ولم؟ فقال: ما حاجة قوم مؤمنين إليّ؟ عرف كل واحد منهم حقه فلم يطلب أكثر منه. وعرف واجبه فلم يقصر فيه. إذا غاب أحدهم افتقدوه. وإذا مرض أحدهم عادَوْه. وإذا احتاج أحدهم أعانوه. وإذا أصيب أحدهم واسَوْه. وإذا سُر أحدهم هنأوه . فما حاجة هؤلاء إلى قاض؟ ومن هذا المنطلق نقول بأن الحكماء قديماً قد فطنوا إلى مكانة المعلم ، وحددوا متطلباته واحتياجاته التي تجعله يتفرغ لطلب العلم والارتقاء بأدائه فقالوا:حق عالمنا علينا مال يكفيه (يعنى أعلى مرتب في الدولة) ودار تؤويه (يعني فيلا على أعلى مستوى) ودابة يركبها (يعني سيارة على أحدث موديل) وزوجة تعفه (يعني زوجة صالحة من أصل طيب تعينه على مهمته) وخادم يخدمه (يعني مساعداً يعاونه على أداء أعماله وتسجيل مدوناته وترتيب مواعيده والبحث عما يحتاج من كتب ومصادر معرفة وقضاء حوائج بيته التي لا يقضيها بنفسه وحتى لا تهان مكانته). هذا هو المعلم الذى يجب أن يكون ، ليصلح المجتمع بأكمله فلا تكون هناك بلطجة ولا جريمة ولا فتنة

طائفية ولا اختلافات عصبية ولا أمية ولا جاهلية هادمة لكل حضارة وتقدم ورقي. فهل نفطن إلى ذلك ونقدر الأمور على قدرها ونعطى كل ذي حق حقه).هـ. وتقول الأستاذة وفاء خصاونة وتحت عنوان: (المعلم بين الماضي والحاضر) ما نصه: (حمل المعلم هموم التدريس على كتفه. والهموم تثقل كاهله من ساسه لراسه كما يقولون ، وكرس حياته لتقديس رسالة سامية ، وهي إيصال العلم لطلبته ومحو الجهل ، وتأسيا بسنة المصطفى الذي نادى مراراً وتكراراً بالتعلم ، واعتبرها فريضة على كل مسلم. ولكن نراه اليوم مهاناً بعد أن كان مبجلاً ومحترماً ، وأصبحت أصابع الاتهام تشير إليه من أنه مقرف! وكيف نطلب منه المعجزات وراتبه لا يكفيه لسد رمقه ورمق عياله؟ وهل في جيب المعلم نقود حتى يهندس نفسه أو يصفف شعره؟ وكل سهام الظلم قد وجهت إليه ، وهو مظلوم أشد الظلم ، ومذنب أعتى الذنب ، وجرمه أنه يطالب بنقابة للمعلمين تضمن حقوقه وحقوق عياله. أصبح المعلم غير محترم ، لا من المدير ولا من الطالب ، ولا حتى من أولياء الأمور! وصار يتعرض للشتم والضرب من الطالب دون أن يعاقب الطالب على شئ من ذلك. وصار الطالب يختبئ للمعلم في إحدى زوايا الشارع ويعتدي عليه. هل هذا جزاء المعلم الذي أفنى شبابه بين اللوح والطباشير والكتب؟ بالله عليكم أجيبوني. هل جزاؤه أن يجد منا كل هذا الاستهزاء والاحتقار؟ هل أصبح المعلم مجرماً لأنه يطالب بحقوقه مثله مثل غيره ، لماذا لا نضمن حقه؟ ونوفر له حياة كريمة مثل باقي المهن؟ ولماذا لا نطالب بزيادة راتبه الذي يستدين عليه من فلان وعلان لسد رمقه ورمق عياله؟ المعلم يا إخوتي فقد الشعور بالأمان بعد أن فقد هيبته وكرامته أمام الجميع! وصار المعلم يمقت أي شيء له علاقة بمهنة التدريس. اليوم لا يحتاج منا المعلم إلى أهازيج وطبول وشهادات تقدير ، بقدر حاجته لقليل من الهيبة وإعادة الكرامة والذل اللذين تعايش معهما خلال سنوات مضت. حدثني والدي أمد الله في عمره عن مكانة المعلم قبل خمسين سنة فقال لي: يا بنيتي 'المعلم كانت له هيبته ، وكان الطالب إذا رأى معلمه من رأس الشارع يهرب ويطأطئ رأسه ويحمر وجهه خجلاً من معلمه' نحن نطالب المعلم اليوم ببذل المزيد من العطاء والإنتاج فوق طاقته ، متناسين أنه بشر مثلنا ولنا طاقات محدودة. علينا أن نقف مع المعلم ليس بالكلام أو الاحتفالات فحسب ، بل بتوعية أبناءنا وحثهم على احترام المعلم ولا يقتصر ذلك على البيت ، بل إفهام الطلاب في المدرسة أن المعلم له مكانته وقيمته في المجتمع حتى نضمن مجتمعاً قوياً ومتراصاً ، لأن المعلم له مكانة مقدسة في كل الشرائع السماوية ، ولولا المعلم ما رأينا أطباء ولا مهندسين ولا صيادلة ولا وزراء ولا محامين. المعلم هو اللبنة الأساسية لبناء أي مجتمع).هـ. ويقول الدكتور غالب الفريجات وتحت عنوان: (فقدان هيبة التعليم) ما نصه: (إن سبب غياب هيبة التعليم تعزى لفقدان المعلم لدوره ووظيفته التربوية ، فإذا كان الطالب هو محور العملية التعليمية ، فإن المعلم يعد العمود الفقري للنظام التعليمي ، وهو ربان السفينة التي لا يمكن لها أن تصل إلى بر الأمان دون قيادته ، وإذا كان الحديث عن التعليم فلا بد من الحديث عن المعلم! إذ لا تعليم دون معلم ، وقد قيل لو كان هناك قانون سيئ بيد قاض جيد فإن الأحكام الصادرة ستكون جيدة! وإن كان هناك قانون جيد بيد قاض سيئ فإن الأحكام ستكون سيئة ، والتعليم كذلك فالمعلم الجيد هو من ستكون نتائج طلابه جيدة ، أياً كان المنهاج والكتاب المدرسي والبناء والتقنيات التربوية التي بين يديه. يتحمل المعلم والمجتمع نفسه مسؤولية فقدان المعلم لهيبته ، بالإضافة الى الأنظمة واللوائح التي تلعب دوراً في فقدان هذه المكانة وضعفها ، فهناك معلمون ينظرون إلى التعليم كوظيفة ، وهمهم الراتب والدوام ، وليس النظر إلى التعليم كرسالة

يستمتع بأدائها ، وهو ما كان يتصف به معلم الأمس ، إذ كان معلماً وأباً ومرشداً تربوياً ، في حين أن معلم اليوم لو قام بوظيفته التعليمية على الوجه الأكمل والقدوة الحسنة لطلابه لكان نوع التعليم أفضل ، فالقدوة الحسنة والمظهر اللائق والاعتناء بهندامه كلها ذات تأثيرإيجابي على الطلاب. إن بعض الأنظمة واللوائح قد سلبت الصلاحية التي كان يحظى بها المعلم ، حتى أن بعض المعلمين لا يجرؤ على مواجهة تلاميذه ، كما أن بعض المديرين لا يجرؤ أيضاً على مواجهة المعلمين المقصرين ، وهؤلاء المعلمون لا يؤدون الدور المنوط بهم كما يجب ، فالمدرسة كما نعلم مصنع إنتاج الرجال والأجيال ، فإما أن تنتج صناعة رائعة او رديئة ، فعلينا أن نهتم بالمدرسة ، وهذه لن تحقق المطلوب إن لم يقودها مدير جدير ومتمكن ، يملك القدرة على أن يقود مدرسته بكل جدارة واستحقاق ، فوراء كل مدرسة متميزة مدير متميز ، ووراء كل طالب متميز معلم متميز. إن وظيفة المعلم باتت وظيفة من لا وظيفة له لأسباب اقتصادية واجتماعية ، فالعبء التدريسي والمعاناة التي ترافقها من تحضير للدروس والتخطيط لها ، وتربية الصف وتصحيح الدفاتر ، وطريقة معاملة الطلاب وأسلوب إدارة الفصل ، ومعاملة المدير ، لا يقابله المردود المادي الذي يجعل من المعلم إنساناً قادراً على الايفاء بالتزاماته تجاه نفسه وأسرته ، إلى جانب أن نظرة المجتمع باتت مرتبطة بمستوى الدخل الاقتصادي ، فبتدني الوضع الاقتصادي صاحبه تدنى في نظرة المجتمع ، فخسر المعلم دوره الاجتماعي الذي كان يتمتع به. إن المعلم - وإلى وقت ليس ببعيد - كان يمثل مجموعة من القيم والأخلاقيات وله حضور وهيبة في نفوس الطلاب ، وأن للمعلم دوراً أساسياً في رسم شخصيته أمام طلابه ، ويفترض فيه أن يكون مرناً لا صلباً ولا هشاً ، ليتعامل مع كافة النوعيات ، وهو العمود الفقري للعملية التعليمية ، وعلى كليات التربية أن تركز على إعداد الجوانب الشخصية للمعلم علمياً ومادياً واجتماعياً ونفسياً. إن احترام المعلم ومنحه دوراً محترماً هو جزء من إنتاج الأجيال المحترمة ، وهؤلاء الذين ينزعون عنه أدوات القوة والاحترام لا يتجنّون عليه وحده بل يتجنّون على العملية التعليمية برمتها ، وعلى المجتمع وسرعة تطوره والسماح له بالوصول إلى ما وصلت إليه الإمم المتطورة. إن الإعلام قد لعب دوراً في تدني هيبة المعلم ، فهو يعرض المعلم بصورة مبتذلة غير محترمة ، ويقدم صورة سلبية عن المعلم ، ومعظم أولياء أمور الطلاب من آباء وأمهات قد ساهموا في هذه الحالة التي يعيشها المعلم ، فبالأمس كان ولي الأمر سواء أب أو أم يساند المعلم ويحترمه أما اليوم يشارك الأهل أبناءهم بالهجوم والوقوف على أي زلة تصدر من المعلم ، وقد يكون المعلم أحد الأسباب الرئيسة لسقوط هيبته! لعدم أهليته وغياب وجود رؤية تربوية وتعليمية لديه ، فلا يوجد تخطيط واضح بين المعلم والطلاب ، وبين المعلمين أنفسهم ، وبين المعلمين والإدارة ، وبين المعلمين وأولياء الأمور ، كذلك لا يوجد رؤية تربوية وتعليمية توضح سياسة وبرامج المدرسة ، حقوق وواجبات الطالب ، حقوق وواجبات المعلم ، مما يولد النظرة السلبية تجاه المدرسة ، ومن ثم يقلل من مكانة المدرسة ومكان المعلمين. وبعض المعلمين يدخلون صفوفهم دون تحضير مسبق ، مما يفقد الطلاب اهتمامهم بالمادة الدراسية وبدور المعلم. إن العالم في حركة تطور وتقدم دائمتين ، والمعلم الذي لا يواكب هذا التطور والتقدم ، يدفع بالطالب إلى أن يلجأ إلى مصادر تعلم أخرى ، تؤدي إلى فقدان المعلم لدوره ومكانته ، فسهولة التزود بالمعلومات التعليمية والتربوية والثقافية أفقدت المعلم دوره في أن يكون مصدر المعلومات الأول في العملية التعليمية. إن المعلمين في بعض الدول الغربية يلقبون بأمراء الشعب ، وصعود الاتحاد السوفييتي إلى القمر

دفع الولايات المتحدة لتشكيل لجنة على مستوىً راق ، للبحث في شؤون التعليم ، فأصدرت وثيقة أمة في خطر ، ويقول أحمد زويل صاحب جائزة نوبل: لقد سألت رئيسة وزراء إيرلندا قائلاً: ما الذي جعل إيرلندا تقفز من أسفل السلم في الاتحاد الأوروبي إلى أعلى السلم؟ فأجابتني: التعليم التعليم التعليم ، قالتها ثلاثاً! وها هو نيتشة الفيلسوف الألماني عندما احتلت فرنسا مقاطعتي الإلزاس واللورين من ألمانيا ، قال أعطوني التربية لأحرر الإلزاس واللورين ، ولم يطلب الدفاع ولا الداخلية ولا الأمن. وقد بنى العرب مجد حضارتهم بالعلم ، فقد كان الخلفاء يقدمون وزن الكتاب ذهباً لمؤلفه أو لمترجمه. إننا في حاجة ماسة إلى المعلم الناجح الذي يحب مهنته ، وتم اختياره لها بكامل إرادته ، ومتمكناً من المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها ، ويعرف كيف يدير صفه ويضبطه ، ويعرف كيفية التعامل مع المنهاج ، وكيفية التخطيط للتدريس ، وكيفية التجهيز والإعداد للوسائل التعليمية مقدراً أن مهنته مهنة مقدسة هي مهنة الأنبياء والرسل. ومن هيبة المعلم أمام طلابه أن يكون له تأثير ونفوذ مشروع عليهم ، وهي تختلف عن السلطة لاحتوائها على عنصر أخلاقي ، فهي لا تتضمن القسر ، وهي تكتسب بالتراكم ، ومن الضروري إدراك الفارق بين منزلة المعلم ومنزلة الطالب ، فلا يجوز إسقاط جميع الحواجز بينهما. وما من أمة تسعى لأن تحتل مكاناً مرموقاً بين الأمم ، إلا وأولت العملية التربوية اهتماماً بالغاً تستطيع من خلاله بناء جيل واع متمثلاً في ثقافته أولاً ثم قادراً على التكيف مع معطيات التكنولوجيا الحديثة ثانياً. وحيث إن مهنة التدريس بأبعادها المختلفة ذات أهمية بالغة في الوصول بالعملية التربوية إلى الهدف المنشود ، فقد أولت الدول قديماً وحديثاً مهنة التعليم العناية الفائقة ؛ فهي رسالة مقدسة لا مهنة عادية ، وهي تتميز عن غيرها من المهن الأخرى ؛ ذلك بأن المهن تعد الأفراد للقيام بمهام محددة في نطاق مهنة بذاتها. بينما تسبق مهنة التعليم المهن الأخرى في تكوين شخصية هؤلاء الأفراد قبل أن يصلوا إلى سن التخصص في أي مهنة ، ولعل هذا ما دفع الكثيرين إلى أن يصفوا مهنة التعليم بأنها المهنة الأم ، ومن هنا فإن نجاح هذه المهنة أو فشلها إنما ينعكس على المهن الأخرى في المجتمع ؛ ذلك لأن المعلم هو أداة التغيير في المجتمع. إن الاهتمام بمهنة التعليم في أي مجتمع من المجتمعات ؛ إنما يشير إلى مدى مسئولية ذلك المجتمع تجاه مستقبل أجياله ، ومدى حرصه على توفير الخدمات التربوية لأبنائه ، إذ أن أي إصلاح مستهدف للأمة أو تعديل لمسارها بغية تقدمها ؛ إنما ينطلق من البصمات التي يتركها المعلم على سلوكيات طلابه وأخلاقهم وشعورهم وعقولهم. ولقد نالت مهنة التعليم مكانة رفيعة عند علماء المسلمين ، وحظي المعلم بنصيب وافر من الاحترام والتقدير والإشادة به وبمهنته. يقول الغزالي: إن من علم وعمل ، فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات ، فإنه كالشمس تضئ لغيرها وهي مضيئة بنفسها ، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب. (الغزالي). ويشير فردريك ماير إلى أهمية مهنة التعليم ودور المعلم فيها حيث يقول: إنها المهنة التي يحاول المعلمون من خلالها أن يجددوا ويبتكروا وينيروا عقول طلابهم ، وأن يوضحوا الغامض ، ويكشفوا الخفي ، ويربطوا بين الماضي والحاضر ، كما أنهم يُسهمون بلا حدود في رفاهية مجتمعاتهم ، وتوحيد أفكار أبناء أمتهم وتشكيل مستقبل مجتمعاتهم ، وذلك من خلال تشكيلهم لشخصيات الشباب منذ بداية أعمارهم. ومفهوم مهنة التعليم لا يقتصر على نقل المعلومات بواسطة المعلمين إلى الأجيال القادمة من حيث تثقيفها للعقول وتهذيبها وتنميتها للاستعدادات وصقلها لها ، فهي ليست مجرد أداء آلي يقوم به أي فرد ، ولكنها مهنة لها أصولها وعلم له مقوماته وخصائصه. وحيث إن المعلم هو

المسئول الأول عن أدائها على أسس فنية وعلمية ، وهو المسئول الأول عن نجاحها أو فشلها فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة الفرد والأمة ، فهو يحمل رسالة هي الوديعة التي يحتاج نقلها وتوصيلها إلى أصحابها بأمانة ، وبدون هذه الأمانة تضل الرسالة طريقها ، وتفقد جوهرها ومضمونها ، فالمعلم الحق هو من اجتمعت فيه خصلتان ، حفظ الأمانة وأداء الرسالة ، فهو بهاتين الخصلتين معلم ومرب. ونظراً لأهمية مهنة التعليم ، فإنه ينتظر من المعلم (صاحب المهنة) أن يكون له أدوار ذات خطر عظيم يؤديها. فالمعلم هو عصب العملية التربوية ، والعامل الذي يحتل مكان الصدارة في نجاح التربية وبلوغها غايتها ، وتحقيق دورها في التقدم الاجتماعي والاقتصادي ، ومن هنا فلا يمكن الفصل بين مسؤوليات المعلم والتغيرات الأساسية التي تحدث في المجتمع ، ومما يضخم مسؤولية المعلم في تحقيق أهداف المدرسة ، أن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية جعل المدرسة مركزاً هاماً من مراكز الإصلاح ، وجعل المعلم عاملاً هاماً من عوامل النهضة ، تعتمد عليه الدول في تحقيق أغراضها وبلوغ غاياتها ، وإن جهود المعلمين إنما تقاس بالرقي الاجتماعي الذي أسهموا في تحقيقه ، لأن جهودهم لا تقتصر على حفظ التراث الثقافي فحسب بل تشمل أيضاً تحسين هذا التراث وتوجيهه ، نحو المثل العليا التي تتطلبها الحياة الحديثة. ونظراً للمسئوليات الجسام الملقاة على عاتق المعلم ، فإن منطلق نجاحه في القيام بهذه المسؤوليات ، إنما يتوقف على معلم كفء يتمتع بشخصية مستقرة منفتحة ، قادرة على البذل والعطاء والابتكار والتجديد ، يتصف بثقافة عامة ، وإعداد أكاديمي متنوع وكاف ، متفهم لحاجات التلاميذ وخصائص نموهم ، مهيئاً لاكتشاف مشكلاتهم ونقاط ضعفهم ، قادراً على توجيههم وإرشادهم ، وتيسير التعلم لهم. ومما يجدر ذكره أن العالم اليوم يشهد تغيرات وتطورات تكنولوجية وعلمية متصارعة ، مما يدفع الكثير من المؤرخين أن يصفوا هذا العصر بعصر الانفجار المعرفي ، ومن هنا فهذه المستجدات العصرية أضافت إلى المعلم واجبات ومسؤوليات متعددة ومتجددة مما يستوجب إعادة النظر في إعداده وتأهيله لهذه الأدوار. ولهذا كله ، وانطلاقاً من الدور الهام الذي يضطلع به المعلم ، وإيماناً بفاعلية التأثير الذي يحدثه المعلم المؤهل على نوعية التعليم ومستواه ، فقد كانت القناعة بأهمية دور المعلم وراء ما شهده العالم في السنوات الأخيرة من مؤتمرات ودراسات وندوات عالمية وعربية ومحلية ، لبحث الموضوعات المتعلقة بمهنة التعليم وأدوار المعلم وإعداده وتدريبه: وأخيراً فإن أسباب فقد المعلم هيبته وبالتالي فقدان المؤسسة التربوية لدورها في الإعداد والبناء كثيرة نخلص إلى أنها تشمل المعلم نفسه ، والأنظمة والتعليمات وأولياء الأمور والإعلام ، وأسباب تعليمية مثل كثرة الحصص ، وضغط المنهاج ، وسوء المبنى ، وتعسف الموجه والمدير، إلى جانب عدم الاستقرار ، وعدم الراحة النفسية).هـ. وتقول الأستاذة جيهان شعيب ما نصه: (يوم قال شوقي (قف للمعلم وفه التبجيلا . . كاد المعلم ان يكون رسولا) ، وذلك لتقديس مكانته التعليمية ، والتربوية ، والإنسانية ، التي طالما كان يحفظها له المجتمع بشرائحه المختلفة. وبمضي الوقت ومع تغير كثير من القيم ، واهتزاز كثير من الثوابت ، وارتعاش بعض - إن لم يكن أغلب - السلوكيات التي ما كنا نعهد فيها سوى الالتزام ، اندثرت نسبياً ، أو كادت أن تندثر هيبة ومكانة المعلم ، فما بين التطاول عليه لفظاً من بعض الطلبة المنفلتين أخلاقياً ، إلى التعدي عليه - وإن كان ذلك ضمن حالات قلة - من طالب أو آخر، والنتيجة ضياع كرامة واحترام ، طالما ظلا محفوظين ، ومصانين ، لأصحاب هذه المكانة التي ما كان يعتقد أحد أن تمس من أي كان في يوم من الأيام. مع إدانتنا الكلية لفكرة الإتيان على مجرد مسمى المعلم

بأية صورة من الصور ، لا يمكن أن ندفن رؤوسنا في التراب (كالنعام) ونتغاضى عن بعض الأفعال غير السليمة يأتي بها ربما عدد محدود من المعلمين ، والتي قد يكونون بها أساءوا إلى مكانتهم ، وهبطوا كذلك بها ، ومنها التبسط مع الطلبة في الحديث ، والخروج بهم من النطاق التربوي ، والتوجيه إلى ما لا يصح من الأحاديث التي لا يجب طرحها مع طلبة يخطون خطواتهم العمرية نحو سنوات المراهقة مع ما يعتريها ويصاحبها من تغيرات ، ومنها كذلك مخاطبة الطلبة بألفاظ غير أخلاقية ، ومعاملتهم بدونية ، وإهانتهم ، ما قد يدفع بعضهم إلى التجرؤ على المعلم من هؤلاء ، ومبادلته المعاملة بالمثل ، في ضوء افتقارهم إلى التمييز بين ما يجب وما لا يجب ، نظراً لاعتقادهم أنهم بذلك يردون اعتبارهم الذي أهين من قبل معلميهم أمام زملاء صفهم. وقد لا ينحصر الأمر فيما سبق فقط ، إذ ربما هناك غير ذلك من الأفعال المسيئة للمكانة التي كان وراءها عدد من المعلمين ، فيما وعلى الجانب الآخر ، ما يعود إلى أولياء الأمور الذين نسي أو تناسى عدد منهم وفي غمرة المشاغل الحياتية ، تعزيز مكانة ، وقيمة ، وأهمية المعلم في نفوس وعقول الأبناء. وإن هيبة ومكانة واحترام المعلم أصبحا قاب قوسين أو أدنى من الضياع ، ما لم تكن هناك حلول ناجعة للعودة به إلى ما يستحقه بالفعل من موقع بارز ومتميز ، لائق بكينونته ، ووضعه المهني والحياتي ، وحول ذلك يدور تحقيقنا الآتي الذي نبحث في طياته عن الأسباب التي تدنت بهذه المكانة ، بعدما ـ وكما ذكرنا قبلاً ـ ظلت محفوظة لعقود زمنية طوال. بداية قال د. علي الطنيجي رئيس نائب رئيس مجلس أولياء الأمور في المنطقة الوسطى: هناك حكمة تقول من أمن العقوبة أساء الأدب ، وللأسف العقوبات الحالية في المدارس لا توحي للطلاب باحترام المعلمين ، أو النظام الإداري الموجود في المدارس ، التي أغلبها وللأسف أيضاً لا تطبق لائحة السلوك التي أصدرتها وزارة التربية والتعليم عام 2011 م التي تتضمن مواد تلزم الطلبة باحترام المعلمين والإدارات المدرسية ، مما أدى بالتالي إلى لجوء بعض الطلاب إلى القفز فوق الأنظمة والقوانين ، فمنهم من يتجول في المدرسة خلال سير الحصص الدراسية ، ومنهم من يناطح المعلم بالقول واللفظ دونما خوف أو خشية منه ، في المقابل لم نسمع عن مدرسة لجأت إلى فصل طالب لمدة يوم أو يومين لسوء سلوكه مثلاً ـ إلا إذا كان هناك تعدٍ صارخ منه ـ حيث يتم حل المشكلة التي وقعت ودياً بالاتصال بولي الأمر من هؤلاء ، وإعلامه بما فعله ابنه ، ومن ثم وكأن شيئاً لم يكن ، لذا فظاهرة عدم احترام كثير من الطلبة للأنظمة والمعلمين على وجه الخصوص ، تعود لعدم استطاعتهم اتخاذ أي قرار بحق غير المنضبط من الطلبة. فضلاً عما سبق فهناك الأسر التي لا تعمل على تنمية احترام المعلمين ومكانتهم في عقول الأبناء ، إلى جانب بعض الدروس الخصوصية التي قللت من هيبة المعلم ، حيث أزالت الحواجز فيما بينه وبين الطلبة الذين يحصلون عليها ، في ضوء شعور الطالب من هؤلاء أن المعلم أصبح مديناً له ، فهو – أي الطالب- الذي يدفع له ، وبالتالي لا يستطيع المعلم ان يواجهه بأخطائه ، أو نواقصه ، في الوقت الذي كان فيه قبلاً بمنزلة الأب في البيت ، والمدير في المدرسة. أما إبراهيم المحرزي رئيس مجلس إدارة مجموعة من المدارس الخاصة ، فيرى أن هيبة المعلم اندثرت إلى حد كبير ليس عندنا فقط ، بل في معظم الدول التي انساقت وراء النظرية الغربية الحديثة في أسلوب التعليم ، تلك التي تجاهلت قضية عقاب الطالب ، وقال: عبر التاريخ كان التعليم يمتزج بنظريتي الثواب والعقاب ، لأن مسيرة التعليم من دون هذين الجناحين معاً لا يمكن أن تحلق عالياً ، فمبدأ الثواب جميل ، ولكن العقاب أيضاً واجب ، على ألا يكون بمفاهيم النظم التعليمية القديمة

من الجلد والضرب المبرح ولكن بأن تؤسس له آليات ونظم محددة ، ليطبقه المعلم على المخالفين ، والمستهترين بالعملية التعليمية. كما تقع على عاتق بعض أولياء الأمور مسؤولية ضياع هيبة المعلم ، حيث إن كثيراً منهم لا يريد للمدارس ولا للإدارات المدرسية ، أو المعلمين المساس بالأبناء ، ولو بكلمة تجرح المشاعر ، ما أدى إلى استقوائهم على جميع من في المدارس ، رغم ما قد يكون الابن من هؤلاء الذين يرتكبون في المدرسة تجاوزات ، ومخالفات جسيمة ، وعدم احترام. وحتى نعيد هيبة المعلم إلى ما كانت عليه من نيل التقدير والاحترام المجتمعي ، فلا بد من أن تسن وزارة التربية والتعليم ، والمجالس التعليمية تشريعات تشريعات تؤيد مبدأ الثواب والعقاب المقنن ، بحيث يتم العقاب بتدرج. ومن الضروري تنظيم دورات تدريبية للمعلمين لإكسابهم المهارات والأساليب المنهجية الصحيحة في التعامل مع الطلبة ، من احتوائهم واستيعابهم ، ومعاملتهم بود والابتعاد عن الغلظة ، والحدة ، فيما إذا تحول دور المعلم إلى مجرد أداء الواجب ، فعلى العملية التعليمية والتربوية السلام ، لأن المعلم في الأساس بمنزلة الأب في المدرسة والقدوة التي يجب احترامها ، وتقديرها. من جهته أشار إبراهيم عبيد منسق مكتب مدير الشارقة التعليمية ، ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الاجتماعيين ، إلى أن المعلم حالياً أصبح في حالة لا يحسد عليها ، حيث اختفت صورة المعلم القدوة فلم يعد هناك المعلم الذي يأتي مدرسته وهو بكامل هندامه ، أو الذي يعطي وقت الحصة الدراسية كاملة للطلاب دون نقصان ، أو الذي يلتزم في حديثه بالألفاظ التربوية التعليمية المطلوبة ، بما أدى بصورته إلى أن تؤول إلى ما أصبحت عليه. وأيضا الأهل لم يعودوا يلقنون أبناءهم احترام المعلم ، بل عندما يتعرض ابنهم لعقوبة أو مساءلة من معلم ، تجد الأهل ينتصرون لأبنائهم من دون أن يعرفوا مقدار الخطأ الذي ارتكبه الأبناء ، والطلاب لا يرون في المعلم إلا موظفاً يقبض راتبه ، وفي كثير من الأحيان يمن الطالب على المعلم بهذا الراتب ، وكأنه هو الذي يدفعه له. وهناك أسباب أخرى أكبر من الطالب والمعلم نفسه تفرض نفسها في هذا المجال ، فالمعلم كان سابقاً مصدر المعرفة والعلم ، والموسوعة التي يعود إليها الطلاب وربما آباؤهم ، وفي يومنا هذا تعددت مصادر المعرفة ، والموسوعات ، وأصبح الطالب يعرف من المجتمع وشبكة الإنترنت والتلفزيون أضعاف ما يتعلمه في المدرسة. هذا الواقع يضع المعلم نفسه أمام تحد جديد ، فهو بحاجة إلى مواكبة العصر الذي نعيش فيه ، وامتلاك وسائل المعرفة العصرية. وقال طالب من المرحلة الثانوية: عدد من المعلمين السبب في عدم احترامنا لهم ، أنهم يتعمدون إهانتنا ، والاستهزاء بنا ووصفنا بالأغبياء إن لم نستطع إجابة أي من الأسئلة ، أو إذا حصل أي منا على درجة متدنية ، علاوة على أن منهم من يرى في نفسه قوة بدنية ، فيهددنا بالضرب إن لم نلتزم بما يطلبه أو يوجه إليه ، ومنهم من أجبرني على أداء أحد الاختبارات وأنا جالساً القرفصاء على الأرض في الحصة ، عندما رآني أحدث زميلي الذي يجاورني في الصف ، فكيف أحترمه بعد ذلك ، وقد أهانني ، وأذلني أمام زملائي ولولا خشيتي من أن يدعي أنني كنت أغش ، مما اضطره لفعلته معي ، لأخبرت أسرتي لتتخذ معه موقفاً).هـ. ويقول الأستاذ هشام صافي ما نصه: (نعترف بداية أن المعلم فقد المكانة الرفيعة التي كان يحظى بها قبل عدة عقود من الزمان ، يوم أن كانت تحكمنا علاقات القبيلة والأسرة والعائلة ، وكانت للأشياء خطوط فاصلة تحدد مكوناتها ولا تسمح بالضبابية أن تلفها أو أن تشوهها ، وحتى الآن يبدو أن استعادتها أمر شديد الصعوبة ، لأن الأسباب التي أدت إلى اهتزاز المكانة والصورة الناتجة عنها موجودة ، ولا شيء في الأفق يشير إلى أنها في طريقها إلى زوال ، أو

على الأقل للاضمحلال. ومكانة المعلم في صفه ومدرسته تغيرت إلى الأسوأ وباتت علاقته مع الطالب الذي يعلمه غير قويمة ، وفقد مكانته الجليلة واحترامه الكبير وهيبته غير المحدودة لا بالزمان ولا المكان ، فتجرأ عليه هذا الصغير ، ورفع صوته في وجوده ، وتحدى، وتلفظ بألفاظ خارجة عن الحدود الأخلاقية ، وكان ختامها طامة كبرى ، يوم أن بدأت الاعتداءات الجسدية على المعلمين تجد طريقها إلى علاقة الطرفين. هذا الوضع الذي لا يحسد المعلم عليه - وهو بالمناسبة ليس محلياً فقط – بل ولد وترعرع في كياننا الاجتماعي الأساسي وهو الأسرة ، بسبب عوامل اجتماعية متغيرة طرأت على أدوار اللاعبين الأساسيين فيها: * الأب نفسه بات في بعض الأحيان لا يستطيع السيطرة على أبنائه ، وفقد الكثير من هيبته التي كانت تعرف عن الآباء والأجداد ، بسبب عوامل مختلفة ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وانعكس اهتزاز صورة المربي والقدوة على تعاملات الأبناء خارج إطار الأسرة ، وطال من ضمن ما طاله المعلم ، الذي ساعد هو أيضاً على التغيير الذي حدث بالفعل ، كما أن اهتمامات رب الأسرة خارج نطاق جدران بيته ، والتي فاقت ما بداخله ، جعلته بعيداً إلى حد ما عن أبنائه ، وجديدهم في حياتهم ، وصحبتهم ومستوى سلوكياتهم. * الأم التي يفترض أن تكون على اطلاع على ما لم يستطع الأب الحاضر الغائب أن يراه ، هي أيضاً شبه غائبة عنه ، لأسباب ، منها أنها قد تكون تمارس عملاً وظيفياً حكومياً أو خاصاً فتغيب عن البيت عدة ساعات ، تعود بعدها لمحاولة التعويض عمّا فاتها ، فيكون نصيب الابن من وقتها أقل ، كما أنها لا تستطيع تتبع خطواته خارج البيت ، ولا معرفة رفاقه. * والأسرة التي استعاضت عن الأم بخادمة ، والبعض يسميها «مربية» للأسف ، تعاني سلبيات هذه الدخيلة على عادات وتقاليد المجتمع ، ومبادئه وقيمه وسلوكياته ، ومنها أنها تتمكن من غرس بعض من مفاهيمها في نفوس الصغار واليافعين ، بوعي أو بدونه ، والنتائج تكون مدمرة لصغار يُرتجى منهم أن يكونوا في مقبل الأيام جيل الغد الذي سيبني ويكافح ويحقق ما لم نستطع تحقيقه. والعوامل المسببة لاهتزاز صورة المعلم ومكانته كثيرة ومتفاوتة التأثير ، تنطلق من الأسرة ، وتطاله ، وتتفاعل مع المحيط المدرسي الذي يحتوي أيضاً من الثغرات ، ما يساعد على فقد المعلم هيبته. وشبابنا الصغار يجب أن يقتنعوا بأن الاحترام والتقدير والتبجيل يجب أن يكون عنوان نظرتهم لمعلمهم ، وطرق تعاملهم معه ، حتى يستمر في عطائه المخلص من أجل أن يكونوا علماء الغد).هـ. وتقول الأستاذة منى أبو صبح متناولة هيبة المعلم ما نصه: (يستذكر الخمسيني أبو محمود (أب لخمسة أولاد) معلميه بالقول ، عندما كنا صغاراً نلعب في الشارع ويصادف أن نلمح المعلم قادماً من بعيد فإننا كنا نسارع بالاختباء خوفاً من أن يرانا نلعب في الشارع. هذا يُدلل وفق أبو محمود على قوة شخصية المعلم وهيبته العالية وأسلوبه الذي يأتي بدافع الحرص علينا داخل وخارج المدرسة. ويرى أن الحزم والشدة كانتا من أولى صفات نجاح الرجل التربوي في الوقت الذي تجده أباً عطوفاً رحوماً على طلابه والوقت لديه كالسيف فكان يشعر أن الطلاب أمانة في عنقه ووقت الدرس لديه مقدس والعمل بنظام الثواب والعقاب من أهم مبادئه ، وكانت أسعد اللحظات لديه عندما يطلب منه التلميذ إعادة شرح الدرس ، فكان لا يكل ولا يمل. ويضيف ، من علمني حرفاً كنت له عبداً. نعم كان هناك بعض الشدة في التدريس لكن في رأيي هذه الشدة الممزوجة بالاحترام كانت تعطي ثمارها. هيبة المعلم الجيد موجودة في كل زمان ومكان إذا كان صاحب رسالة ، فالمعلم له مكانته ، وجميعنا نبحث عنه كمن يبحث عن الطبيب الجيد فالإنسان محظوظ إذا وفق بطبيب أو معلم جيد ، وهناك من يرى أن علاقة المعلم بتلاميذه ، يجب أن تقوم على الضبط

والاحترام ، وآخرون يؤكدون أن المودة والتواصل مع المعلم مفتاح النجاح. ويخالفه الرأي أبو سند (46 عاماً) بقوله ، كان المدرسون يتعاملون مع طلابهم بالعصا ، ومن لا يجيب يعاقب ويضرب ، فتولد لدى الطلاب عقدة اسمها (المعلم) ، وبرأيي يجب أن تكون العلاقة بين الطالب والمدرس علاقة مفتوحة ، قائمة على التعاون حتى يتقبل الطالب الدروس دون خوف أو ضغوط خاصة مع ما يتوفر للطلاب من أساليب علمية حديثة. وتعبر طالبة الثانوية العامة لين ناصر عن رأيها بالقول: أرى ضرورة أن تكون المعلمة صديقة لطالباتها ، وأن تكون العلاقة مبنية على احترام الطالبة للمعلمة ، وحرص المعلمة على الطالبة كحرص الأم على ابنتها ، أما الشدة والعلاقة المتوترة فلن تعطي ثمارها وتولد الكراهية للمدرسة والمعلمات. وتضيف ، تربطني علاقة طيبة بمعلماتي ، فأنا وصديقاتي على تواصل معهم خارج المدرسة أيضاً ، سواء عبر الفيسبوك أو الواتس آب أو الهاتف ، ولا أنسى ليلة الامتحان الأول بالفصل الأول عندما بادرت معلمة الثقافة العامة بمساندتنا معنوياً والدعاء لنا بالتوفيق والنجاح عبر الواتس آب ، فكان له أثر كبير في نفوسنا ، وليت جميع المعلمات يطبقن ذات السلوك مع الطالبات ، فأي مرحلة تحتاج الدعم والتحفيز. وتؤكد المعلمة آيات الخوالدة أن مجتمع المعلمات يبدو أفضل حالاً مما هو لدى المعلمين ، من حيث الرضا الوظيفي والقيمة النفسية والمجتمعية لمهنة التعليم ، لأن المعلمات بطبيعة الحال تمتهن الأمور المعنوية وملامح التقدير والاحترام أكثر من أي شيء آخر ، وهنا يكمن الفرق بين المعلم والمعلمة وتأثيرهما ومعاملاتهما مع الطلبة. وتقول: أرى أن شخصية المعلم وقدرته على الإقناع والمواجهة والتحدي والنقد البناء ، من الأسس القوية التي تحفظ للمعلم هيبته في المدرسة والمجتمع ، وهنا لا بد أن يكون المعلم أهلاً للتعامل مع الآخرين ، سواء الطلبة أو الزملاء ، والالتزام في كل شيء دون المماطلة والتسويف ، والتعاون مع الآخرين وتقديم المساعدة والنصح والإرشاد لهم ، والتسامح من الأسس القوية التي تعيد للمعلم هيبته ومكانته ، ولِم لا تكون علاقتنا بطلابنا يسودها المودة والصداقة. أما الطالب علي حمود في الصف العاشر فيرى أن العلاقة بين المعلم وطلابه مبنية على الاحترام فقط ، ويجب أن لا تخرج عن هذا الإطار ، فمهما كان الطالب متفوقاً دراسياً يجب أن يحترم معلمه ويوقره. ويبين الطالب علي صالح في الصف الأول ثانوي أن له علاقات وطيدة مع أغلب معلميه ، فلا يمكنه وزملاؤه تقبل وفهم الدرس من المعلم إلا بتكوين صداقة معه. ويذكر عندما جاءهم معلم مادة الرياضيات فيقول: كان حازماً وشديداً رغم عمره المتقارب مع أعمارنا ، فهو خريج جديد ، أراد ضبط الطلبة بمعاملته هذه ، وبصراحة لم يرق هذا لنا أبداً ، وفضلنا التحاور مع المعلم أكثر من مرة ، حتى شكلنا وإياه صداقة قوية وطيدة ، فما أجمل الرحلة المدرسية التي رافقنا بها منذ أيام قليلة. وتبين التربوية ومديرة إحدى المدارس الحكومية د. أمل بورشيك السبب الذي أدى إلى زعزعة الثقة بأداء المعلم وتنفيذ مهمته ، وهو عزوف الأقوياء من المعلمين ومن يجدون فرصة عمل جيدة عن مهنة التعليم ، كما أن استهلاك وقت المعلم في المراسلات الإلكترونية ، وتعامله مع جيل يتقن لغة تكنولوجية تسهل التواصل لديه ، ولكنها تضعف التواصل بلغة علمية للتعلم مثل أرابيزيان ، ولغة الاختزال التي يتقنها مع أقرانه ويستمتع بها ويسبب له ضغطاً نفسياً استخدام اللغة العلمية الصحيحة من حيث القواعد ، وأيضاً الأجور المتدنية والتي لا تفي بحاجات المعلم تضطره لمغادرة هذه المهنة ، دخول مجموعة دون المستوى المطلوب إلى مهنة التعليم أسهم في كثرة الأخطاء المتكررة في هذا الميدان ، وغيرها الكثير من الأسباب. وتقول: يجب المحافظة على مساحة أمان كافية بين

المعلم وطلبته في عملية التعلم وبين كل من لهم علاقة بذلك ، ونحن نلاحظ أن دور مربي الصف الأسري الحنون الملم بأوضاع طلبته يزول بفعل كثرة الضغوط التي يواجهها ، في هذه الأيام التواصل سهل ولكن في أي اتجاه موجه هل هو تواصل بناء لتعزيز التعلم ، أم لمضيعة الوقت. وتختم بقولها: لا يجوز مقارنة الماضي بالحاضر ، فنسبة التعلم حالياً أكبر وأكثر تخصصية ، ولا يمكن أن نقلل من معلم اليوم الذي إن فعل دوره عن بعد في التعليم ومخترقاً أسوار المدرسة يضفي تعلماً قيماً يستفيد منه الجميع ، وظهور لغات تواصل حديثة بين الطلبة ورغبتهم في التعلم بسرعة للعودة للعب على أجهزة الألعاب الإلكترونية. وتنصح بوشيك بقولها: على المعلم الذي قبل بهذه المهنة أن يعود الى وصفه الوظيفي للالتزام بما هو مطلوب منه والعمل بأمانة ، فعليه أن يستخدم المحادثة الشجاعة والنقاش بجرأة مع طلبته ومع آبائهم ومع نفسه ، أن يلتحق بدورات التطوير المطلوبة لتحسين أدائه ، أن يتابع حاجات هذا الجيل ورغباته).هـ. ويقول الأستاذ رمزي منصور عبد الجبار ما نصه: (حقيقة بيت الشعر الذي قاله أمير الشعراء أحمد شوقي قبل عشرات السنين «قم للمعلم وفه التبجيلا .. كاد المعلم أن يكون رسولاً». لم يعد له مكان بين طلاب الجيل الحالي ، وربما كثير منهم لم يسمعوا به ، بعد أن فقد المعلم هيبته ، وأصبحت مهنة التدريس وفقاً لرأي اختصاصيين مهنة من لا مهنة له. وصحيفة «عكاظ» فتحت مع عدد من التربويين موضوع افتقادهم في الوقت الحاضر للهيبة والتقدير اللذين كان يتمتع بهما نظراؤهم في الأجيال السابقة ، وحملوا الأسرة وأولياء الأمور واللوائح والإعلام المسؤولية ، موضحين أن الآباء في السابق كانوا يوصون أبناءهم الطلاب على احترام وتقدير معلميهم ، في حين أصبح أولياء الأمور يحاسبون المدرس في وقتنا الحاضر على كل صغيرة وكبيرة أمام الطلاب ما يفقده قيمته. وذكروا أن الإعلام دائما ما يقسو على المعلمين والعملية التربوية كافة ، دون أن يقدموا الحلول للأخطاء إن وجدت ، ولم يبرئ أولئك التربويون ساحتهم من تحمل ما يحصل لهم ، لافتين إلى أن بعض المعلمين قد يصدر منهم بعض التقصير في أداء عملهم ، ما يفقدهم هيبتهم بين الطلاب ، فضلاً عن عدم قدرتهم على التعامل بالطريقة المثلى مع التلاميذ تحفظ لهم قيمتهم. وأكد التربوي خالد الغامدي (مدير مدرسة) أنه كلما حافظنا على هيبة المعلم وقيمته ، كلما حققت المدرسة أهدافها المنشودة ، مشيراً إلى أن العملية التعليمية لن تستقيم في حال لم تكن قيمة رفيعة للمدرسين أمام طلابهم. وقال الغامدي «تألقُ الجيل السابق لم يأت إلا بالنظرة الإيجابية التي كان يلقاها المعلم في المجتمع ، والثقة التي كان يلقاها من الأسر وأولياء الأمور آنذاك ، تسانده في تعليم وتربية أبنائها ولهذا وجد الجيل المتميز الذي يقدر المعلم» ، مشيراً إلى أن ما يحصل للمعلم اليوم من عدم تقدير وتوقير جعل العملية التربوية والتعليمية تختل كثيراً ما انعكس سلباً على نوعية مخرجاتها. وشدد على أهمية أن نعيد للمدرسة مكانتها ، ونعيد القيمة للمعلم حتى يصنع الأجيال التي نفخر بها ، وذلك بالتشجيع والمؤازرة ، ومنح المدرسة قيمتها الحقيقية التي تعادل قيمة المسجد ، مؤكداً أن المعلمين يشتركون في هذه المسؤولية ، بالارتقاء بالتعليم والإخلاص في عملهم وأداء رسالتهم التربوية على أكمل وجه ، حتى يحظى بتقدير الجميع. وذكر أن كثيراً من التربويين حالياً صنعوا لأنفسهم مكانة راقية بين طلابهم وفي المجتمع ، من خلال الإخلاص في عملهم وتأدية رسالتهم بالطريقة المثلى. إلى ذلك ، بيّن المعلم إبراهيم غبين (ماجستير دمج ذوي الاحتياجات الخاصة من جامعة بيرمنجهام) ، أن المعلم أضحى كسير الجناحين جراء افتقاد هيبته لدى طلابه ، الأمر الذي أدى إلى تدني مستوى التحصيل لدى الطالب من خلال عدم

إعطاء المعلم تلك الأهمية البالغة بسبب قلة الصلاحيات الممنوحة للمعلم ، وبسبب تلك الأنظمة التي تتيح للطالب الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل أسهل من السابق ، فلم نعد نسمع كلمة «راسب» ، أو «أعاد السنة الدراسية» ، إلا في النادر جداً. وبدأ المعلم علي أحمد سهلي حديثه بالبيت الشهير: «قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا» ، مشيراً إلى أن ذلك البيت كان يؤثر فيهم حين يردده أولياء أمورهم عليهم في المنزل ، فيزيد تقديرهم واحترامهم للمعلم الذي كاد أن يبلغ مرتبة الرسل ، ما يضفي عليه الهيبة والوقار. وقال سهلي: «للأسف لم يعد ذلك البيت يتردد بكثرة حالياً كما كان في السابق ، ويرى البعض أن الوضع وراء افتقاد المعلم لهيبته ، لكن أرى أن البيت وأولياء الأمور هم من يرفعون قدر المعلم عند أبنائهم الطلاب ، ليس بالترهيب ، بل بالتربية على احترامه وتقديره كما يحترم الابن الأب» ، مستغرباً تصرف عدد من أولياء الأمور الذين يحضرون إلى المدرسة لمحاسبة المعلم على كل صغيرة وكبيرة تمس الطالب ، ما يفقد المعلم هيبته أمام طلابه. وبدوره ، رأى المعلم عباس بكري آل زيلع ، أن إعادة هيبة المعلم تتمحور في ثلاثة محاور وهي وزارة التربية والتعليم ، والمدرسة والمعلم ، وولي الأمر ، مطالباً الوزارة بإعادة دراسة لائحة السلوك والمواظبة بما يسهم في إعادة هيبة المعلم ، لافتاً إلى أنهم لا يريدون عمل ورشات ودورات ومهرجانات وديكورات ، لا تفيد المعلم بشيء. واقترح منح مديري المدارس الصلاحيات الكاملة في إصدار العقوبات الرادعة بحق الطالب المخطئ بحق المعلم ، مؤكدا أن التربوي له دور كبير وحيوي في إعادة الهيبة له ، من خلال تطوير قدراته ، وإتقانه للمادة العلمية بالشكل الصحيح وأن يكون قدوة حسنة للطالب في تصرفاته داخل المدرسة وخارجها ، حيث إن حمل العصا ليس حلاً لهذه الظاهرة. ونبه آل زيلع إلى أهمية تثقيف أولياء الأمور بأهمية التربية قبل التعليم من قبل المدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام بجميع أنواعها. من جهتها ، ذكرت معلمة اللغة الإنجليزية نجاة محمد خيري أن شخصية المعلم والمعلمة تلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على الهيبة من خلال استراتيجيات معينة أهمها فن إدارة المواقف الصعبة وإدارة الصف واتباع الطرق التي تمكن المعلم من أسر قلوب الطلبة بسياسات اللين مع الحزم والعطاء العاطفي واحترام وتقدير كينونة الطالب النفسية والعقلية والعاطفية وتفهم قدراته وإمكاناته والدوافع والأسباب خلف تراجعه سلوكياً أو تعليمياً أو حتى إبداعياً. وأوضحت خيري أنه يجدر بالمعلمين والمعلمات أن يكونوا على دراية بالسمات العمرية لفئة الدارسين في الصف حتى يتمكنوا من إعداد خطة تشغيلية متكاملة تعليمياً وترفيهياً وسلوكياً لتبديد الطاقة المكبوتة والتي قد تحيل الفصل إلى براكين لا تهدأ من السخط والانتقام ، لافتة إلى أن الكفاءة العلمية والمهارة التربوية وجهان لعملة التميز في مجال التعليم. بينما أكدت المعلمة لطيفة عجيبي أنه لو استخدمت الأساليب القديمة في التربية والتعليم لعادت الفائدة للطالب ، مطالبة بإلغاء جميع القرارات الوزارية التي تقف مع الطالب ضد المعلم وخاصة قرار «حتى يسقطك أرضاً». وأرجعت معلمة الرياضيات حنان أحمد الشيخي ضياع هيبة المعلم إلى تدني مستوى التربية ، ما جعل الطالب لا يحترم ولا يقدر المعلم الذي يقف أمامه ، فقديماً كانت المعلمة بمثابة الأم لها هيبتها ووقارها أمام الطالبات ، مبينة أن البيت والأسرة لهما دور كبير في إعادة الهيبة للمعلم. من جانبه ، أوضح الدكتور صالح يحيى الجار الله أستاذ علم النفس بجامعة الباحة أن مهنة التعليم من أشرف وأنبل المهن الإنسانية في تاريخ البشرية ، فالمعلم على مر التاريخ صاحب الحظ الأوفر من الاحترام والتقدير في المجتمعات ، ولكن في الآونة الأخيرة تغير حال المعلم إلى الدرجة التي فقد هيبته بين تلاميذه وفي المجتمع.

وقال الجار الله: «فقد المعلم هيبته لأسباب عدة بعضها متعلق بالمجتمع ، وأخرى يتحملها المعلم ذاته ، فالنظرة الاجتماعية لمهنة التعليم جعلت منها مهنة غير مرغوبة لدى الكثير من الخريجين ، لأنها الأكثر استقطابا للخريجين وللضمان الوظيفي فقط يتجه إليها البعض مع عدم القناعة بها كمهنة ، ما جعلها مهنة من لا مهنة له» ، ملمحاً إلى أن من الأسباب المهمة في تدهور قيمة المعلم في المجتمع النقد الدائم الذي يلقاه في وسائل الإعلام التي تمارس ضغوطاً على المعلم وعلى العملية التعليمية. وأضاف الجار الله: «انتشار وسائل الإعلام الحديثة أسهم بشكل كبير في فقدان المعلم لهيبته! فالكم الكبير من هذه الوسائل واستعراض كل تفاصيل العملية التعليمية وخوف المعلم من النقد بشكل عام ، ولا ننسى أن ما صاحب الفترة الحالية من تغيرات اجتماعية أثر على منظومة القيم الاجتماعية لدى الناشئة من طلبة المدارس وأسهم بشكل كبير في عدم احترام وتقدير المعلم من قبل طلابه وأفراد المجتمع» ، لافتا إلى أن هناك أسباباً أخرى تتعلق بالأنظمة واللوائح التي تسهم في ضعف مستوى تقدير الذات للمعلم ، وعدم احترام الآخرين له. وذكر أن من الأسباب الخاصة بالمعلم منها ضعف مستواه علمياً ما أفقده هيبته أمام طلابه وزملائه ، والمجتمع أيضاً ، وهنالك أيضاً السمات الشخصية ، والخلقية التي أسهمت أيضاً في فقد هيبته أمام الآخرين ، فالمعلم هو القدوة لطلابه ، والآخرين فإذا فشل النموذج والقدوة في إقناع الآخرين بهيبته ، وأهميته فإنه من الطبيعي يفقد احترامه وهيبته أمام الآخرين. وذكر أنه بالنظر إلى هذه الأسباب فإن علاج هذه المشكلة العسيرة تكمن في الاختيار السليم للمعلم ، اختياراً يبنى على أسس علمية صحيحة ، وإعادة دراسة بعض اللوائح والأنظمة التي تضعف من احترام المعلم وتعديلها. وطالب الجار الله منح المعلم بعض المميزات الاجتماعية التي تسهم في الارتقاء بمهنة المعلم ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تأهيل المعلم علمياً وتربوياً باستمرار ، توعية المجتمع بأهمية مهنة التعليم ، الإسراع في إنشاء جمعية تضم المعلمين المتميزين ، إتاحة الفرصة للمعلم للتدريب والابتعاث داخلياً ، وخارجياً ، تشجيع الدراسات والأبحاث حول هذه الظاهرة ، منح المعلم بعض الخدمات الخاصة ، وسرعة خدمته في الدوائر الحكومية المختلفة أثناء مراجعته فيها ، الاحتفاء بالمعلم باستمرار من قبل مؤسسات المجتمع المختلفة. وفي السياق ذاته ، بين علي محمد باعشن (أخصائي اجتماعي) أن هيبة المعلم تكمن في احترامه وتقديره ، مشيراً إلى أنه في الماضي كان يتمتع بكثير من التقدير والتوقير لوجود توافق وتكامل بين البيت والمدرسة وكل اللوائح التي تمنح المدير والمعلم الصلاحيات كافة. وأشار إلى أن هيبة المعلم تعتمد على ما يمتلكه المعلم من قدرات ومهارات في مراعاة الفروق الفردية للطلاب والقرب منهم واستخدام وسائل التحفيز والتعزيز ، خصوصا أن البعض ينظر للوائح والتعليمات بأنها سبب لاختفاء هيبة المعلم ، مبيناً أن للأسرة والإعلام الدور الأكبر في إنشاء جيل يعي ويحترم المعلم ليعود إلى مكانه وهيبته ، وينعكس ذلك على أدائه في المجتمع كافة).هـ. وتقول الأستاذة فاطمة خشّاب درويش تحت عنوان: (مهنة التّعليم وفنّ صناعة الإنسان) ما نصه: (كان المعلّم ولا يزال موضع تقدير وتكريم ، ولم يختلف على ذلك أحد عبر العصور ، لأنَّ مهمَّته هي صناعة الإنسان ؛ هذه المهنة الَّتي تعتبر من أشرف المهن وأرقاها. يعتبر يوم المعلّم مناسبةً لتكريم المعلّم في مختلف بلدان العالم ، وهو بمثابة إحياءٍ لذكرى توقيع التَّوصية المشتركة الصَّادرة عن منظَّمة العمل الدّوليَّة ومنظَّمة الأمم المتحدة للتَّربية والعلم والثَّقافة (اليونسكو) ، في العام 1966م ، والمتعلّقة بأوضاع المعلّمين. وفي أجواء الاحتفال بعيدالمعلّم ، كان لا بدَّ من الإطلالة على دور المعلّم بين

الأمس واليوم ، وأبرز التَّحدّيات الَّتي يواجهها اليوم ، في ظلّ الثَّورة التكنولوجيَّة والمعلوماتيَّة الَّتي نعيشها على أكثر من صعيد. والمعلّم هو مفجّر الطاقات ، وأداة التغيير ، ورأس الحربة ، وقائد المستقبل. طبعاً هذا إذا ما توافرت فيه سلامة العقيدة ، وغزارة العلم ، ومهارة الأداء ومنظومة القيم ، ورساليَّة السّلوك. وبهذه الكلمات المعدودة ، يختصر الباحث والخبير التربوي ، د.محمّد رضا فضل الله ، دور المعلّم والمواصفات الَّتي تؤدّي إلى نجاحه في مهمَّته الرساليَّة ، متوقّفاً عند مناسبة يوم المعلّم ، وأهميَّة تكريم الإنسان الَّذي هو موضع تكريم وتفضيل من الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات ، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الإسراء: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}. وفيما يتعلَّق بالأهداف التربويَّة الَّتي يجب على المعلّم أن يسعى إليها في كلّ زمان ومكان يوضح د. فضل الله أبرز هذه الأهداف ، من خلال نقطتين غاية في الأهميَّة: * تنمية كامل شخصيَّة المتعلِّم ، بأبعادها الجسديَّة والنفسيَّة والعقليَّة والاجتماعيَّة والرّوحيَّة. *إكساب المتعلِّم المعارف والخبرات والمهارات الكافية الَّتي تمنحه الثَّقافة ، والقدرة على التكيّف ، ومواجهة تحدّيات المستقبل في سوق العمل وآفاق الإبداع. ويتابع قائلاً: حتى يملك المعلّم القدرة على تحقيق هذه الأهداف بكفاءة عالية ، عليه أن يمتلك المؤهِّلات العلميَّة ، والمهارات الأدائيَّة ، والقيم الإنسانيَّة، والآفاق العصريَّة المنفتحة ، من أجل أن يساهم في تقديم شخصيَّةٍ قادرةٍ على مواكبة التّطوّر والتجدّد في الأساليب الحديثة والتقنيّات المعاصرة ، فالمعلّم يتحمَّل مسؤوليَّة تحضير الأبناء لمجتمع الغد ، لا أن يكون صورةً عن الماضي والحاضر فقط ، هذا ما تقتضيه الحكمة القائلة: لا تخلّقوا أبناءكم بأخلاقكم ، فإنَّهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم ، وهذا ما يجب على المعلّم أن يسعى إليه. وتؤكّد مديرة دار الصَّادق للتّربية والتّعليم ، الأستاذة نهى الصَّايغ ، وجود جملةٍ من المتغيّرات طاولت العمليَّة التربويَّة برمّتها ، سواء في أسلوب التَّدريس أو في إعداد المعلّمين ، لافتةً إلى أهميَّة أن يمثّل الأستاذ اليوم القدوة في التّعليم لطلابه ، سواء من خلال الأسلوب أو الوسائل والتّقنيات المعتمدة في التَّعليم. وتضيف: في إطار إعداد المعلّمات ، نسعى إلى التدريب على الوسائل الحديثة في التّعليم ، الّتي تكون جزءاً من العمليَّة التعليميَّة ، كاللّوح التفاعليّ ، واستخدام محركات البحث ، وما إلى ذلك من الوسائل التي تساهم في إعداد معلّمٍ ناجحٍ للمستقبل. وفيما يرتبط بتأثير التطوّر المعرفيّ والتقنيّ في دور المعلّم الأساس في العمليَّة التعليميَّة ، تشير الصَّايغ إلى أنَّ هذا التطوّر فرض تعديلاً في الأدوار ، فتحوَّل دور المعلّم من مصدر للمعلوماتٍ إلى موجّه لها ، وتقول: أصبحت مهمَّة المعلِّم إدارة العمليَّة التربويَّة ، وتنمية التّفكير النّاقد عند التّلميذ ، من أجل مساعدته على الاختيار الصَّحيح للمعلومة ومصادر المعرفة. وتلفت الصَّايغ إلى مهمَّة جديدة أضيفت اليوم إلى مهام الأستاذ ، وهي مهمَّة إدارة السّلوك ، وبخاصّة بعدما تراجع تأثير دور الأهل في العملية التربويّة ، ما خلق أمام المعلّم تحدّياً كبيراً ، يتمثَّل بكيفيّة جذب الطالب إلى العمليَّة التعليميَّة. وعن دور المعلّم في الحاضر والمستقبل ، يشير الدكتور فضل الله إلى ضرورة تبنّي المعلّم الثَّقافة المعرفيَّة الإثرائية ، مهما تقادم الزَّمن أو تغيّر ، فهي غير قابلة للتَّعديل والتّبديل ، وهي تمثّل مقدّمات يبني عليها المعلّم التراكم المعرفيّ عند الطّلاب ، مؤكّداً ضرورة التزام المعلّم الَّذي يريد أن يمارس مسؤوليَّته في التربية والتعليم بعددٍ من المبادئ ، هي: على المعلِّم الأخذ بأسباب التطوّر الحديث ، كي يبقى معلّماً لتلميذه ، لا أن يصبح متعلّماً منه).هـ. وتحت عنوان: (مَنْ يعيد للمعلم هيبته وقيمته المعنوية؟) يقول الدكتور عباس العصيمي ما نصه: (مما لا شك فيه أن

سبباً من أهم أسباب تردي التعليم لدينا ، هو ضياع هيبة المعلم ، فالقريب من سلك التعليم يدرك ذلك ، فقد تعرض المعلم في العقدين الأخيرين لحملة شعواء لهضم حقوقه وتشويه صورته ، وتقليص صلاحياته في ظل تحصين الطلاب بالأنظمة التي تشجعهم على التمرد وعدم المبالاة سواء من الناحية السلوكية أو الانضباطية في مسألة الحضور أو حتى الناحية التحصيلية ، والأدهى من ذلك هو إلصاق جميع ما يحدث في التعليم من تردي بشخصه المسكين ، حتى ترسّخ ذلك في أذهان الكثيرين ممن لا يعرفون الكثير من الخفايا. ولقد أعدت الطالبة إسلام أبو زهري من جامعة اليرموك موضوعاً حول إعادة الهيبة للمعلم ومهنة التعليم مسؤولية الجميع. جاء في بعض مواده نصياً: (تعتبر مهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات ، ولا شك أن العلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة ، فالمعلم كان وما زال يحظى بأهمية في المجتمع ، لكن تبعاً للظروف والمتغيرات في ثقافة المجتمع الجديدة تغيرت النظرة إليه نتيجة لقصور في تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات داخل المدرسة. مدير إحدى المدارس الحكومية نافذ حماد يقول بأنه أمضى في حقل التعليم ربع قرن من الزمان ، ووجد أن مهنة التعليم رسالة عظيمة يقوم بها أنبل الناس مبيناً أن من أسباب التغير في النظرة للمدرس ، تراجع القوانين والأنظمة الموجودة التي تحجم من دوره ، محمّلاً وزارة التربية والتعليم المسؤولية في تراجع هيبة المعلم. ويضيف: إن التعليم عندنا يحظى بمكانة وسمعة عالية في المهنية والاحتراف لكن تنقصه القوانين والأنظمة التي تحكم العلاقة بين الطالب والمعلم ، وإذا أعطي الصلاحيات من قبل الوزارة فإن مكانته تعود إلى ما كانت عليه ، فالمعلم هو أب يحنو على طلبته حتى لو استخدم أسلوب العقاب غير المسيء لشخصية الطالب. ويشير إلى أن المعلم بدوره يتحمل أحياناً جانباً من المسؤولية في تراجع هيبته لأسلوبه الذي يندمج بلا حدود في علاقات وصداقات مع الطلبة ما يجعلهم يستهينون به وبدوره مبيناً أن الظروف المادية للمعلم جعلته يتجه إلى أبواب رزق أخرى بعد الدوام فمثلاً قد يعمل سائق تاكسي أو في مطعم وبالتالي يراه الكثير من طلبته ، وهو ما يقلل من هيبة شخصيته أمامهم في المدرسة. ويؤكد حماد أن غياب التشريعات التي تحكم العملية التربوية أدت إلى عنف طلبة المدارس والتجرؤ على المعلم. ويرى أن هيبة المعلم في المدارس الخاصة أقل من هيبته بالمدارس الحكومية لأن الطالب يدفع رسوماً وأقساطاً وبالتالي فهو مدلل. ويضيف: أيام زمان كانت علاقة الطالب بالمعلم تقوم على المحبة والاحترام المتبادل حيث يأتي الطالب للمدرسة لينهل من المعلم ، لأنه المرجعية الوحيدة له ، أما الآن فالوضع قد تغير ، فلقد تعددت مصادر المعرفة نتيجة للتطور في التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى الدروس الخصوصية ، ما أثر سلباً على الطالب وعلى مسيرة الحصة وعطاء المعلم لطلبته. ويقول بأنه إذا التقى بأستاذه يقف له إجلالاً واحتراماً بينما الطلبة في الوقت الحاضر إذا شاهدوا أساتذتهم فإنهم يدخنون السجائر هذا الفرق بين نظرة جيلين للمعلم ودوره. ويرى المعلم إدريس القضاة إن هناك تراجعاً في هيبة المعلم في المدارس ، عازياً ذلك إلى عدة عوامل منها العامل الاقتصادي ، فراتب المعلم لا يكفي لسد حاجته بالتالي يؤثر ذلك نفسياً عليه وعلى عطائه للطالب ، بينما يلعب العامل الاجتماعي دوراً كبيراً ، فالمعلم كان يُقدم في جميع الأمور حتى في تشكيل الوزارات ، وكان يحظى باحترام وتقدير ، أما الآن فالنظرة للمعلم اختلفت وهذا ما جعل المعلم ينكفىء على ذاته. ويضيف: كان المعلم المصدر الوحيد للمعرفة ، أما الآن فتراجع دوره في مجتمعه نتيجة لدخول التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى الهامش الواسع من الحريات الذي كفلته الديمقراطية وتأثر الطلبة

بوسائل الإعلام ما أدى إلى تمادي وتجاوز الطلبة على المعلم. ويبين أن المعلم كان يتعامل مع الطالب بقسوة من أجل مصلحة الطالب ، وكانت نتيجة ذلك جيلاً واعياً يمتلك المعارف والخبرات ويربي الأجيال ، أما الآن فتغير الوضع حيث أدت التشريعات والقوانين إلى الإقلال من هيبة المعلم لتدلل الطالب. ويقول المعلم رياض ست أبوها: إن المعلم يتحمل بدوره جانباً من تراجع هيبته وذلك عائد إلى أسلوبه في التعامل مع طلبته فهو المسؤول عن إثبات شخصيته أمام طلبته فالطالب لا يتمادى مع المعلم صاحب الشخصية القوية. ويضيف: إنه يتوجب على المجتمع تقدير دور المعلم خاصة وأن حث الأهل لأبنائهم على إبداء الاحترام والسلوكيات الحميدة يعيد للمعلم جزءا من هيبته إضافة إلى تفعيل القوانين والأنظمة التي تحكم العلاقة بين الطالب والمعلم. ويشير المعلم محمود عبد الكريم إلى أن المعلم بحاجة إلى تدريب وتأهيل ليتمكن من تعليم الطالب وفرض شخصيته عليه ، ويرى بأن القوانين في الماضي كانت مع المعلم ، لكن الآن انقلبت الموازين فأصبح الطالب يتمادى على المعلم دون اتخاد أي إجراء بحقه. وتعزي المعلمة سناء الخطيب تراجع هيبة المعلم في المدارس لعدة أسباب منها التربية الخاطئة للأبناء حيث يأخذ الطالب كل شيء يريده من والديه ويأتي إلى المدرسة ليمارس سلوكيات خاطئة ويفرض شخصيته على المعلم بدلاً من أن يفرض المعلم شخصيته ، فضلاً عن التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على أفكار الطالب وجعله غير مبال وغياب حملات التوعية التي تعرف الطلبة بكيفية التعامل مع معلميهم وأيضاً لا بد من معرفتهم للعقوبات التي تترتب على إساءتهم لأي معلم لكيلا يفكروا في الإساءة اليه. وترى المعلمة تقوى العمري أن الجيل الحديث بحاجة إلى الحوار لكن مع الحزم في التعامل مع الطلبة مشيرة إلى أن وسيلة الضرب المبرح ليست حضارية ، ولا تجدي مع هذا الجيل ، وتؤكد أهمية إشراك المعلم بدورات ، خاصة حديث التخرج وأيضاً متابعة الإدارة للمعلم وزيارته صفياً وتقييمه وتوجيهه من قبل المشرفين. يقول الدكتور في علم النفس علاء صوالحة: إن هناك عدة أسباب أدت إلى تراجع هيبة المعلم في المدارس منها عدم تفعيل القوانين والأنظمة في المدارس وأيضاً نظرة بعض الأهالي للمدرس وعدم احترامهم لدوره ، ما نجم عن ذلك عدم احترام الطالب للمعلم وتماديه على حقوقه. ويوضح بأن القوانين لا بد من وجودها لتنظيم علاقة الطالب مع المعلم لكن للأسف أصبح من السهل أن يقف المعلم أمام طالبه في المحكمة حتى لو كان يفتري على المعلم. يقول الطالب خالد جرادات: إن نفسية الطالب جعلته يتمادى على أستاذه ، حيث كان الطلبة يسكتون حال دخول المعلم إلى الصف ، مضيفاً أنه لا يوجد حاليا عقوبات رادعة للطالب المستهتر ، ويرى بأن شخصية المعلم لها دور في إيجاد مكانة وأهمية له داخل الصف. ويقول الطالب راشد النعسان: إن المعلمين يقدمون لنا أفضل ما عندهم ، وفي الوقت ذاته يتعاطفون مع الطلبة ، والمعلم لا يستطيع ضبط أربعين طالباً أو أكثر داخل الصف. ويقول نقيب المعلمين النائب مصطفى الرواشدة: إن تراجع هيبة المعلم ليست بالقضية الجديدة ، بل تراكمية منذ عقود ماضية نتيجة لعدم الاهتمام بواقع المعلم وعدم إعطائه الحقوق الأساسية وبالتالي أدى ذلك إلى تراجع هيبة المعلم. ويؤكد على أن هناك مجموعة من التحديات والمشكلات التي أدت إلى تراجع هيبة المعلم ومنها اختلال منظومة القيم الأخلاقية بالإضافة إلى قصور التشريعات والقوانين الناظمة ما أسهم بدرجة كبيرة فى تراجع هيبة المعلم ومكانته).هـ. ولقد أعد المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ـ الملحقية الثقافية تقريراً عن التعليم في اليابان جاء في بعض فقراته ما نصه: (تتميز اليابان بشكل عام بمركزية التعليم ، أو نستطيع القول أن نظام تعليمها

يغلب عليه طابع المركزية. ومن إيجابيات هذا المبدأ في التعليم توفير المساواة في التعليم ونوعيته لمختلف فئات الشعب على مستوى الدولة بغض النظر عن المقاطعة أو المحافظة التي وُلد فيها التلميذ أو الطالب ، وبذلك يتم تزويد كل طفل بأساس معرفي واحد سواء كان في شمال اليابان أو جنوبها أو وسطها وبغض النظر عن الحالة الاقتصادية لهذه المنطقة ، حيث تُقرر وزارة التعليم اليابانية الإطار العام للمقررات الدراسية في المواد كافة بل ويُفصَّل محتوى ومنهج كل مادة وعدد ساعات تدريسها ، وبذلك يتم ضمان تدريس منهج واحد لكل فرد في الشعب في أي مدرسة وفي الوقت المحدد له. وعادة لا توجد اختلافات جوهرية تذكر بين المدارس في مختلف مناطق اليابان وكلها تتمتع بمستوى متجانس عال مع التفاوت في نوع التفوق فقط. والوزارة مسئولة عن التخطيط لتطوير العملية التعليمية على مستوى اليابان ، كما تقوم بإدارة العديد من المؤسسات التربوية بما فيها الجامعات والكليات المتوسطة والفنية. ومن المعروف أن المدارس في اليابان هي التي قامت بغرس المعرفة التي ساعدت اليابان على التحول من دولة إقطاعية إلى دولة حديثة بعد عصر (ميْجى -1912 – 1868 - Meiji) ، وكذلك تحول اليابان من دولة مُنْهكة تتلقى المساعدات بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولة اقتصادية كبرى تُقدم المساعدات لمختلف الدول النامية في العالم. ولكن في الحقيقية لا يعني ذلك أن مركزية التعليم مطلقة في اليابان فهناك قسط أيضًا من اللامركزية حيث يوجد في كل مقاطعة من مقاطعات اليابان مجلس تعليم خاص بها ، ويعتبر السلطة المسئولة عن التعليم وإدارته وتنفيذه في هذه المقاطعة. ويتكون مجلس التعليم من خمسة أعضاء يعيّنهم رئيس المقاطعة أو المحافظ بموافقة مجلس الحكم المحلي الذي يتم تعيين أعضائه بما فيهم رئيس المقاطعة من قِبَل سكان المقاطعة. ويقوم هذا المجلس باختيار الكتب المناسبة لمقاطعته من بين الكتب المقررة التي عادة ما يقوم القطاع الخاص بطباعتها ، ولكن بالطبع بعد الحصول على موافقة من وزارة التعليم عليها. ويقوم هذا المجلس أيضًا بإدارة شؤون العاملين بما في ذلك تعيين ونقل المعلمين من مدرسة لأخرى ، كما يقوم بالإشراف على مؤسسات التعليم الإقليمية وتقديم النصح لها. كما أن المعلمين بالرغم من المركزية في الإشراف عليهم ، إلا أنهم يتمتعون أيضًا بقسط من الحرية بصفتهم من هيئة صُناع القرار بالمدرسة وعلى رأسهم مدير المدرسة. وهم يجتمعون في ربيع كل عام لمناقشة وتقرير الأغراض التربوية للمدرسة ، والتخطيط لجدول النشاط المدرسي لتحقيق تلك الأغراض التربوية وإعداد ذلك في كتيب كل عام. كما يقوم المعلمون كذلك بعقد حلقات بحث أو «سيمنار» كل ثلاثة أشهر لإلقاء البحوث والنقاش حول نظريات التعلم ومشاكل العملية التعليمية. وهم يقومون بإدارة مدارسهم دون ضغط ملزم من جانب الوزارة وذلك تحت ظل سلطة اتحادهم. ولذلك يشعر المعلمون في اليابان بأهميتهم في صنع القرار ، لأنهم ليسوا مجرد موظفين تابعين لوزارة التعليم. ويبدو أن مبدأ التمازج والتوازن بين المركزية واللامركزية يتلاءم مع نظام التعليم الياباني ، ويعكس طبيعة التفكير اليابانية في المزج بين الثقافات والقديم والجديد. فالمركزية كانت موجودة قبل فرض قوات الحلفاء وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية مبدأ اللامركزية وغيرها من الإصلاحات على نظام التعليم في اليابان بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية. ولكن بعد أن استعادت اليابان سيادتها في عام 1952م ، قامت بإلغاء بعض الإصلاحات التي فُرضت عليها ولم تكن مناسبة لها ومنها مبدأ اللامركزية. ويركز النظام الياباني للتعليم على تنمية الشعور بالجماعة والمسؤولية لدى التلاميذ والطلاب تجاه المجتمع بادئًا بالبيئة المدرسية المحيطة بهم ، مثل

المحافظة على المباني الدراسية والأدوات التعليمية والأثاث المدرسي وغير ذلك. فمن المعروف عن المدارس اليابانية المحافظة على نظافة المدرسة ، فأول شيء يُدهش زائر المدرسة اليابانية وجود أحذية رياضية خفيفة عند مدخل المبنى المدرسي مرتبة في خزانة أو أرفف خشبية يحمل كل حذاء اسم صاحبه ، حيث يجب أن يخلع التلاميذ أحذيتهم العادية وارتداء هذه الأحذية الخفيفة النظيفة داخل مبنى المدرسة. وهذه العادة موجودة في معظم المدارس الابتدائية والمتوسطة وكثير من المدارس الثانوية أيضًا. ومن الشائع في المدارس اليابانية أيضًا ، أن يقوم التلميذ عند نهاية اليوم الدراسي بكنس وتنظيف القاعات الدراسية بل وكنس ومسح الممرات بقطع قماش مبللة. بل والأكثر من ذلك غسل دورات المياه وجمع أوراق الشجر المتساقط في فناء المدرسة وكذلك القمامة إذا وجدت! وكثيرًا ما ينضم إليهم المدرسون في أوقات معينة لإجراء نظافة عامة سواء للمدرسة أو للأماكن العامة أيضًا مثل الحدائق العامة والشواطئ في العطلة الصيفية ، وذلك بدون الشعور بالضِعة سواء من التلاميذ أو المعلمين. بالإضافة إلى ذلك يقوم الأطفال بتقديم الطعام للحيوانات أو الطيور التي تقوم المدرسة بتربيتها حيث إنه لا توجد شخصية «الحارس» أو «الفراش» في المدارس اليابانية ولا يوجد عمال نظافة ، ولذا يأخذ التلاميذ والطلاب والمعلمون على عاتقهم تنظيف المدرسة وتجميل مظهرها الداخلي والخارجي ، بل يمتد هذا النشاط إلى البيئة المحيطة بالمدرسة أيضًا وذلك بتعاون الجميع وفي أوقات منتظمة ومحددة. ويتضح أوج هذه المسؤولية وروح الجماعة والتعاون والاعتماد على النفس عند تناول وجبة الطعام في المدرسة. فمن المعروف أنه لا يوجد مقاصف في المدارس اليابانية ، ولكن يوجد مطبخ به أستاذة تغذية وعدد من الطاهيات حيث يتناول التلاميذ وجبات مطهية طازجة تُطهى يوميًا بالمدرسة. ويقوم التلاميذ بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات إحداها تقوم بتهيئة القاعة الدراسية لتناول الطعام ، وثانية مثلاً تقوم بإحضار الطعام من المطبخ ، وثالثة تقوم بتوزيع هذا الطعام على التلاميذ ، بعد ارتداء قبعات وأقنعة وملابس خاصة لذلك. وهذا بلا شك يؤكد الإحساس بالمسؤولية وروح الجماعة والاعتماد على النفس والانتماء إلى المدرسة والمجتمع ، كما يوفر من ناحية أخرى ميزانية كان يُفترض أن تُرصد لهذه الخدمات. وتتجلى هذه الروح أيضًا ليس فقط في مجموعات العمل الخاصة بالطعام والنظافة ، بل في المجموعات الدراسية التي يقوم بتكوينها المدرس عندما يطلب من التلاميذ أو الطلاب الإجابة عن بعض الأسئلة أو حل مسألة مثلاً في الرياضيات أو إنجاز بعض الأعمال أو الأنشطة للفصل ، وبعد المشاورات الجماعية بينهم يعلن واحد من هذه المجموعة باسمها الانتهاء من هذه المهمة. على أن يعاد تشكيل هذه المجموعات من فترة لأخرى أو حسب ما تحتاج الضرورة من وقت لآخر حتى لا تتكون أحزاب أو تكتلات داخل الفصل. وهذا النظام لا يعوّد التلاميذ الروح الجماعية فحسب ، بل القيادة التي تتجلى أيضًا في تعيين شخصية مراقب الفصل أو رائده والذي يقوم في وقت غياب المدرس بتهيئة الفصل وتنظيمه وحل مشكلاته بما فيها مشاكل التلاميذ بين بعضهم بعضًا. ثم أخيرًا في نهاية اليوم الدراسي يقوم التلاميذ بعقد جلسة جماعية حيث يجتمعون ، ويسألون أنفسهم فيما إذا كانوا قد أتموا عملهم اليوم على أكمل وجه أم لا؟ أم أن هناك قصورًا فيما قاموا به من أعمال؟ أو هل كانت هناك مشاكل ما؟ وبلا شك إن هذه الطريقة في التعليم تستهدف روح الجماعة وتحمُّل المسؤولية والالتزام والقيادة ، كما تشكل أيضًا قوة نفسية رادعة لكبح جماح السلوكيات الاجتماعية غير اللائقة تجاه المجتمع والغير. ويُركز اليابانيون على مبدأ «الجد والاجتهاد أهم من الموهبة والذكاء الفطري للطفل»!

وهو على عكس ما هو معروف في كثير من الدول ، ويتضح ذلك أيضًا من كثرة استخدامهم كثيرًا للكلمات التي تدل على الاجتهاد والمثابرة باللغة اليابانية مثل كلمة سأبذل قصارى جهدي سأعمل بكل جدية ، فالطلاب اليابانيون يؤمنون بنصح مدرسيهم وآبائهم بأن النجاح بل والتفوق يمكن أن يتحقق بالاجتهاد وبذل الجهد وليس بالذكاء فقط ، فالجميع سواسية وخلقوا بقدر من الذكاء يكفيهم. فكل شخص يستطيع استيعاب ودراسة أي شيء وفي أي مجال وتحقيق قدر كبير من النجاح فيه من خلال بذل الجهد. ولذلك يستطيع الطالب أن يدرس أي مقرر دراسي ، حتى ولو كان لا يتناسب مع ميوله طالما توفرت العزيمة على بذل الجهد والمثابرة. فالنجاح والتفوق لا يتحددان باختلاف الموهبة والذكاء ، ولكن بالاختلاف في بذل الجهد. ويُعتبر الطلاب اليابانيون من أكثر الطلاب في العالم إقبالاً على الدراسة ، لأنهم تعلموا أن السبيل للوصول إلى وظيفة مرموقة هو الاجتهاد وبذل الجهد والمثابرة للقبول بمدرسة ثانوية مرموقة ومميزة ومن ثم جامعة مرموقة أيضًا. فيجب على الطلاب خريجي المدارس المتوسطة اجتياز اختبارات صعبة للالتحاق بالمدرسة الثانوية ثم بعد ذلك الجامعة التي يقع اختيارهم عليها ، حيث إن دخول المدارس الثانوية والجامعة يتوقف في المقام الأول على نتائج هذه الاختبارات وليس فقط نتائج اختبارات المدارس المتوسطة أو الثانوية. ومن المعروف عن الطلاب اليابانيين بذل الجهد والاستعداد جيدًا لاجتياز هذه الاختبارات ، يساعدهم في ذلك الأسرة أيضًا بتوفير الظروف المريحة لاستذكار دروسهم. كما يوجد الكثير من الطلاب ممن يلتحقون بمدارس تمهيدية أهلية تختص بإعدادهم لاجتياز هذه الاختبارات. وتبعًا لإحصائية لوزارة التربية والتعليم اليابانية ، يوجد حوالي مليون ونصف طالب ابتدائي ، ومليوني طالب مرحلة متوسطة يدرسون في هذه المدارس التمهيدية بعد نهاية اليوم الدراسي بمدارسهم النظامية لإعداد أنفسهم لاجتياز اختبارات القبول بالمدارس الثانوية. ومن الطريف أن يؤدي الطالب اختبارًا للالتحاق بهذه المدارس التمهيدية أيضًا ! ولذلك فإن رحلة الكفاح الدراسية للطالب الياباني كلها جد ومثابرة ومشقة إلى أن يستطيع الحصول على القبول بالمدرسة الثانوية ثم الجامعة التي يختارها. وليس من الغريب أن يؤدي الطالب اختبار القبول بالمدرسة الثانوية أو الجامعة لاحقًا في أكثر من مدرسة أو جامعة في وقت واحد حتى يتسنى له القبول بإحدى المدارس أو الجامعات التي وضعها مرتبة حسب رغباته. ومن النادر حقًا أن يرسب طالب في هذه الاختبارات ، ولكن لأن المنافسة شديدة خصوصًا على الجامعات المرموقة المعروفة المشهورة ، والتي تطلب عددًا معينًا فقط من المتقدمين حسب طاقتها الاستيعابية ، فليس من الغريب أيضًا أن نجد طلابًا بعد فشلهم في القبول بالجامعة التي يرغبونها كرغبة أولى ، يدرسون عامًا أو عامين في مدرسة تمهيدية للاستعداد لمحاولة القبول بنفس الجامعة مرة أخرى بالرغم من أنه يستطيع دخول جامعة أخرى ولكنها أقل درجة من التي اختارها. وهذا يؤكد مدى المثابرة والجد في تحقيق ما يصبو إليه الطالب. ويؤكد أيضًا المقولة اليابانية الشهيرة: «أربع ساعات نجاح ، خمس ساعات رسوب» أي «أربع ساعات نوم تعني النجاح بينما خمس ساعات نوم تعني الرسوب» أي لتحقيق النجاح لا ينبغي النوم أكثر من أربع ساعات في اليوم! وفي الحقيقة هذا التكالب على الجامعات الكبرى وبخاصة الوطنية منها ، يرجع إلى أن القبول بإحدى هذه الجامعات يؤمّن مستقبل الطالب في الحصول على وظيفة مرموقة. فمن المعروف مثلاً أن جامعة «طوكيو» تقوم بتخريج رجال الوظائف البيروقراطية العليا ، وجامعة «واسيدا - waseda» تقوم بتخريج السياسيين والصحفيين ، وجامعة «كيْيو - keiyoo» تقوم بتخريج

رجال الأعمال التنفيذيين وهكذا. ولذلك فقبول الطالب في إحدى هذه الجامعات الكبرى يحدد مسار مستقبله بعد تخرجه. ومن المعتاد أيضًا أن يلتحق خريجو هذه الجامعات بالشركات الكبرى والهيئات الحكومية التي توفر لهؤلاء الشباب مزيدًا من التدريب في مجال عملهم وذلك بإرسالهم في بعثات خارجية أو داخلية لمزيد من الدراسة في مجالات معينة تتعلق بمجال العمل. ولكن بلا شك إن هذا النظام في القبول والذي يُعرف بـ «جحيم الاختبارات» يمثل الفزع الأكبر للطلاب وقمة التوتر النفسي الذي يؤدي في بعض الأحوال إلى انتحار بعض الطلاب لعدم تمكنهم من الالتحاق بالجامعة التي يرغبونها. ومن المعروف أن نظام السنة الدراسية اليابانية يختلف عن معظم دول العالم حيث تبدأ الدراسة في الأول من شهر أبريل الميلادي وتنتهي في واحد وثلاثين مارس من العام التالي. ويعتبر عدد الأيام الدراسية وعدد الساعات في السنة أطول عددًا مقارنة بأي دولة أخرى ، حيث يبدأ اليوم الدراسي عادة للطلاب من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الرابعة تقريبًا. أما المعلمون فعملهم حتى الساعة الخامسة ولكنهم يظلون في عملهم حتى السادسة والسابعة مساء. بالإضافة إلى ذلك يقل عدد العطلات التي تنقسم إلى عطلة الربيع والتي لا تزيد على عشرة أيام ، وكذلك نفس المدة لعطلة بداية السنة الميلادية ، ثم العطلة الصيفية التي تتراوح من أربعين يومًا حتى الشهر والنصف. وعلاوة على ذلك يقوم طلاب المدارس بالذهاب إلى المدرسة أثناء العطلة الصيفية لبعض الأيام تبعًا لبرنامج محدد مسبقًا ، بالإضافة إلى تكليفهم بالقيام بواجبات ومشروعات تتطلب منهم جهدًا ليس بالقليل أثناء العطلة. كما يمارسون طوال العطلة نشاطات رياضية مثل السباحة وغيرها بالمدرسة بشكل منتظم حسب برنامج العطلة المحدد مسبقًا من قبل المدرسة. وكنتيجة ربما تكون طبيعية لهذا الجهد الدراسي خلال العام ، ويحصل الطالب الياباني على أيام دراسية أكثر من أقرانه في دول أخرى ، ويحصل على درجات تفوق أقرانه في الدول المتقدمة في مجالات المعرفة والمقررات الدراسية مثل الرياضيات والعلوم. ويقال أن مستوى التلميذ الياباني في سن الثانية عشرة يعادل مستوى الطالب في سن الخامسة عشرة في الدول المتقدمة. وهذا يدل على الرقي النوعي للتعليم في اليابان. وتبعًا لإحصائيتين أجرتهما «المؤسسة العالمية من أجل تقويم التحصيل التعليمي» لاختبار مدى الاستيعاب في مجال العلوم والرياضيات ، حصل تلاميذ المدارس الابتدائية اليابانية على أعلى النقاط من بين تلاميذ المدارس الأجنبية الأخرى. كما جاءت نتيجة طلاب الثانوية اليابانيين من أعلى الدرجات أيضًا. ولكن وزارة التعليم اليابانية سعت منذ سنوات إلى تقليل عدد أيام الدراسة للتخفيف عن التلاميذ والطلاب وتشجيعهم على الاستمتاع بوقتهم. وقد استمر النقاش حول هذا المشروع سنوات حتى تقرر إنجازه بمجلس النواب على مراحل ، وذلك بجعل يوم السبت الثاني والرابع من كل شهر إجازة بدلاً من الدراسة نصف يوم ، ومنذ العام 2002م بدأ تطبيق نظام الدراسة خمسة أيام في الأسبوع فقط من الاثنين إلى الجمعة ، ورغم ذلك مازال الكثير من الطلاب يذهبون إلى المدارس أيام السبت لحضور النشاطات الطلابية ، أو يذهبون أيام السبت للمدارس والفصول الخاصة التي تساعدهم في تنمية قدراتهم. وكثيرًا ما يقال أن نظام التعليم الياباني قبل الحرب العالمية الثانية كان يعتمد على الحفظ عن ظهر قلب ، ولكن اليوم يقال أيضًا أنه يتسم بالمرونة والذكاء والمبادرة بدرجة كبيرة ، وعمومًا هذه الأشياء من الصعب قياسها ، ولكن بشكل عام ربما يغلب طابع الحفظ أيضًا وخصوصًا إذا تصورنا ذلك من خلال الكم المعرفي الهائل الذي يدرسونه في مختلف المواد ، وكذلك نظام الكتابة اليابانية الذي يتطلب الكثير من الجهد في حفظ مقاطع الكتابة الخاصة بهذا

النظام. وحتى يتسنى لنا فهم المزيد عن نظام التربية الياباني وبخاصة هذا الاجتهاد والجد من قبل الطلاب والآباء والمدرسين ، يجب أن ندرك نقطة مهمة وهي أن هذا النظام ربما يعكس الحماس الزائد للشخصية اليابانية تجاه التعلم. هذا الحماس الزائد ربما يكون له عوامل كثيرة مثل طبيعة الشخصية اليابانية الفضولية التي تبحث عن الجديد دائمًا ، وكذلك خبرة اليابانيين في استقبال الكثير من الثقافات المختلفة وتطويعها لثقافتهم. ولكن العامل الأهم ينبع من حضارة شرق آسيا بشكل عام وموقفها من التعليم. فقد ركز الصينيون منذ القدم على أهمية التعليم ، حيث كانت قوة الحكام قديمًا تقاس بما يتمتعون به من علم ومعرفة ، وكان اختيار كبار موظفي الدولة أيضًا على أساس ما يتمتعون به من معارف. وهذه الأفكار هي نتاج الكونفوشيوسية للفيلسوف الصيني «كونفوشيوس» ، وهي فلسفة أكثر منها ديانة ولكنها تأخذ طابع الطقوس الدينية قليلاً. وقد تأثرت بها الصين وكوريا واليابان أيضًا. وتركز هذه الفلسفة على نظام اجتماعي على أساس قواعد أخلاقية يحكمه حكام ذوو علم ومعرفة وخلق كريم ، ويكون الولاء لهؤلاء الحكام والآباء ومن في حكمهم هو دعامة هذا النظام. كما تؤكد هذه الفلسفة النظام العقلاني للطبيعة وأهمية العلم والمعرفة والجد في طلبهما والعمل الشاق. وقد تكون هذه المفاهيم هي التي تقف وراء حماس الياباني الشديد تجاه العلم والمبادئ الأخلاقية أيضًا. ونشير هنا أيضًا إلى دور المعلم في العملية التعليمية في اليابان في مختلف المراحل ، حيث إن هذا الدور يعكس اهتمام اليابانيين بالتعليم وحماسهم له ، ومدى تقديرهم للمعلمين ، فالمعلمون حتى الآن يحظون باحترام وتقدير ومكانة اجتماعية مرموقة ، ويتضح ذلك من خلال النظرة الاجتماعية المرموقة لهم. وكذلك المرتبات المغرية التي توفر لهم حياة مستقرة كريمة ويتساوى في ذلك المعلمون والمعلمات. ويتضح كذلك من خلال التهافت على شغل هذه الوظيفة المرموقة في المجتمع. فمعظم هؤلاء المعلمين هم من خريجي الجامعات ولكنهم لا يحصلون على هذه الوظيفة إلا بعد اجتياز اختبارات قبول شاقة ، تحريرية وشفوية. وبالطبع نسبة التنافس على هذه الوظيفة شديدة أيضًا ، وهم بشكل عام يعكسون أيضًا نظرة المجتمع إليهم ، ويعكسون أيضًا صورة الالتزام وروح الجماعة والتفاني في العمل عند اليابانيين. فهم إلى جانب عملهم في المدرسة وقيامهم بتدريبات ودراسات لرفع مستوياتهم العلمية ، فهم يهتمون بدقائق الأمور الخاصة بتلاميذهم ، كما يقومون بزيارات دورية إلى منازل التلاميذ أو الطلاب للاطمئنان على المناخ العام لاستذكار التلاميذ من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤكدون التواصل مع الأسرة وأهمية دور الأسرة المتكامل مع المدرسة ، وأخيرًا يؤكدون المقولة العربية أيضًا: (قم للمعلم وفّه التبجيلا ، كاد المعلم أن يكون رسولاً). وبعد إلقاء هذه النظرة على أهم ملامح نظام التعليم في اليابان نجد أن هذه المميزات التي شكلت هذا النظام التعليمي والذي يعجب به الجميع ، تشكل عيبًا أيضًا في بعض النظريات التربوية مثل شدة المركزية والتركيز على المعرفة والحفظ وثقل الأعباء الدراسية وجحيم الاختبارات. وبالرغم من تحقيق المساواة في التعليم والمساواة في تكافؤ فرص التعليم ، إلا أن جحيم الاختبارات والتنافس الشديد والإقبال الشديد على التعلم ، أوجد فوارق بين المدارس إلى حد ما ، واحتدت المنافسة أيضًا للالتحاق بالمدارس الثانوية المرموقة ومن ثم إلى الجامعات الكبرى المرموقة التي توفر فرصًا مرموقة للعمل. ولذلك فإن نظام التعليم الياباني يُعتبر مميزًا عن نظم التعليم الأخرى ، ويعتبر ناجحًا بالطبع وقد أدى المطلوب منه في اليابان ولكن هذا كان على حساب قيم أو أهداف أخرى لم تتحقق ، وهذا ما يعترف به اليابانيون أنفسهم تجاه نظامهم حيث يشعرون أن روح الجماعة

مثلاً كانت على حساب الفردية والإبداع).هـ. ويقول الأستاذ مصطفى الأسروتي ما نصه: (بدأنا من حيث انتهى الآخرون ، وتعلمنا من أخطائهم ، ومنحنا المعلم حصانة الدبلوماسي وراتب الوزير) ، هكذا كان جواب الإمبراطور الياباني عندما سئل عن أسباب تقدم اليابان في وقت قياسي. فمما لا يتناطح عليه عنزان ، أن المتعلم يعتبر محور العملية التعليمية التعلمية ، ولا سبيل للارتقاء به إلا بالاهتمام بالمدرس وإعطائه مكانته التي يستحقها علمياً ومادياً واجتماعياً. إذ يشكلان معاً التلميذ - الأستاذ أهم ركائز الهرم الديداكتيكي (مدرس – تلميذ - معرفة). فبالرجوع للمقولة السابقة تتضح الأهمية الكبرى التي أولتها اليابان للمدرس ، إذ جعلته في أعلى مراتب السلم الاجتماعي ، واهتمت بمكانته الرمزية المقدسة وبوأتها الصدارة قبل أن تهتم بحاجياته المادية ، لذلك فلا عجب أن تجد المعلم الياباني يحظى بتقدير واحترام فائقين وسط المجتمع، خاصة عند الأسر التي ترسخ هذه المكانة في نفوس الأطفال مما يعطي للمعلم سلطة كبيرة في التعامل مع الطلاب. وفي المقابل نجد أن معلمنا الذي كاد أن يكون رسولا قد تحول فجأة إلى رقم تأجير ، في نظر القائمين على الشأن العام ، وفقد قيمته المعنوية والمادية على حد سواء. فأصبح تفكيره لا يتجاوز حدود دائرة الرغيف. و بالإضافة للعنف المادي الذي مورس عليه ، أصبح يعاني من عنف أخر أشد فتكاً ، عنف هادئ غير مرئي ومقنع. تمثله الخطط والبرامج والسياسات والتوجيهات التي توضع رسمياً على مستوى جهاز الدولة من أجل هيكلة النظام التربوي. إن أي إصلاح لمنظومتنا التعليمية رهين بإعادة الاعتبار لهذه الفئة والاستفادة من التاريخ حيث خلت كل الاصلاحات السابقة من مشروع حقيقي وفعال ينهض بهيئة التدريس ويبوئها المكانة التي تستحقها. بعيداً عن لغة الأرقام والإحصائيات والسلالم والرتب. فكما يقول دوركهايم أن المعلم هو الوسيلة التي تتحقق عبرها التربية ، ويقر بأن العلاقة البيداغوجية التي تجمع بين المدرس والتلميذ هي علاقة سلطة ، وأن هذه السلطة ليست إلا سلطة أخلاقية لا علاقة لها بالعنف والإكراه ، إنما تقوم أساساً على تأثير أخلاقي قوي يمارسه المربي على الطفل. فهذا التأثير ينبع من المكانة الرمزية التي يحتلها المدرس في صفوف المجتمع. ولا تخلو الثقافة العربية الإسلامية عموماً من قيم ومبادئ تقوم على إعطاء المعلم مكانة كبيرة باعتباره مالك صناعة التدريس ، ولأنه مستأمن على القلوب والعقول ، وهو خازن على أنفس شيء على الأرض أي العلم والتعلم. كما يقول الدكتور محمد بازي).هـ. ونسأل سؤالاً ليست الإجابة عليه صعبة ولا معقدة! فنقول تحديداً: لماذا تقدمت فنلندا مع صغرها؟ لماذا تفوقت فنلندا في تعليمها على العالم؟ هذا السؤال طالما اهتم به التربويون الذين يلاحظون تقدم فنلندا مع صغرها وقلة مواردها وسكانها. والسرّ يكمن في نظامها التعليمي. والعجيب أن وزارة التربية والتعليم لدينا قد طافت دول العالم وجلبت تجارب من اليابان شرقاً إلى أمريكا غرباً. لكنها وبكل أسف نسيت أن تمر بالتجربة الفنلندية! ربما لصغرها على الخارطة. على كل حال فقد انتبهت دول العالم لها ولتجربتها الفذة وهاهي تستفيد من تجربتها التربوية! ولقد أكدت هينا فيركولين وزيرة التعليم والعلوم في فنلندا أنّ كلية تقنية المعلومات تعتبر واحدة من أرقى كليات تقنية المعلومات في العالم مشيرة إلى أن هذه الكلية تقدم نموذجاً في الانتقال بمخرجات التعليم نحو مجتمع المعرفة. وأشارت الوزيرة في تصريحات لـجريدة الاتحاد فقالت: فنلندا لديها واحد من أفضل نظم التعليم في العالم ، وذلك بشهادة المؤسسات الدولية المتخصصة ، وهو نظام يعتمد في المقام الأول على أن المعلم هو نقطة الارتكاز في العملية التعليمية ، ومن هنا فقد برعت الكليات المتخصصة في إعداد المعلمين في فنلندا ، حيث

يتم إعداد المعلم بطريقة مختلفة عمّا يحدث في العالم كله ، إذ ينبغي على المعلم الحاصل على بكالوريوس التربية أن يواصل تعليمه العالي للحصول على ماجستير في التربية لمدة 5 سنوات ، وهذا الماجستير يؤهل المعلم لأن يكون متخصصاً إما في الرياضيات أو العلوم أو اللغات أو التاريخ أو غيرها. وأوضحت الوزيرة بقولها: نحن دولة صغيرة لا يتجاوز عدد سُكانها 5 ملايين نسمة ، ولدينا حوالي 100 ألف معلم يعملون في 3 آلاف مدرسة في مختلف المراحل الدراسية. وقالت الوزيرة إنّ النظام التعليمي في فنلندا يعتبر قاطرة التقدم في هذا البلد الذي أدرك منذ فترة طويلة أن رأس المال البشري هو أغلى ثرواته ، مشيرة إلى أن فنلندا تعتبر أن الاستثمار في البشر هو أولوية وطنية في المقام الأول. وأكدت الوزيرة لـجريدة الاتحاد أن مكانة المعلم المجتمعية تجعله في الصفوف الأولى الراقية ، فهو يحظى بتقدير المجتمع على مختلف المستويات القيادية ، كما أن الرواتب والمزايا العينية تعتبر في المعدل نفسه الذي يحصل عليه نظراؤه من الأطباء وأساتذة الجامعات والمهندسين ، بالإضافة إلى أن البيئة التعليمية تكفل للمعلم إجازتين إحداهما في الصيف مدتها 10 أسابيع ، والأخرى في الشتاء لمدة أسبوعين مع نصاب تدريسي مناسب لكل منهم ، إضافة إلى منح المعلم تفرغاً دورياً للتدريب وفق استراتيجية شاملة للتعليم المستمر للمعلمين تجعلهم على تواصل تام مع ما يحدث في العالم من تطور. وكشفت الوزيرة لـالاتحاد عن أنّ هذه الخصوصية ، وهذا التميز في النظام التعليمي الفنلندي جعلا فنلندا واحدة من دول العالم المتقدم ، مشيرة إلى أنه في الوقت الذي تُعاني فيه مختلف دول العالم عزوف الشباب حديثي التخرج عن الالتحاق بسلك التدريس ، فإن فنلندا على العكس من ذلك ، تجد إقبالاً كبيراً من الخريجين والخريجات على العمل في هذا القطاع. وحول النموذج الفنلندي ، أكدت الوزيرة أن هذا النموذج الفنلندي في المقام الأول ، حيث تم تصميمه وتنفيذه وفقاً لمعايير ترتبط بالبيئة المحلية ، ويأخذ في الاعتبار الثقافة المجتمعية والهوية الوطنية والتركيز على مواد تم اختيارها بعناية ودقة بما يكفل لهذا النموذج النجاح في الفترة المقبلة. وأكدت هننا فيكرنين وزيرة التعليم والعلوم في فنلندا على سعادتها بما شاهدته من مؤسسات تعليمية ، سواء في المدارس أو الجامعات فقالت: أعتقد أن ما شاهدته من تطور تعليمي في هذه المؤسسات يجعلنا أمام أحد النماذج التعليمية الواعدة في القرن الواحد والعشرين).هـ. ويقول الدكتور / بدر عبد الحميد هميسة عن احترام المعلم ما نصه: (العلم أجلُ الفضائل ، وأشرف المزايا ، وأعز ما يتحلى به الإنسان ، فهو أساس الحضارة ، ومصدر أمجاد الأمم ، وعنوان سموها وتفوقها في الحياة ، ورائدها إلى السعادة الأبدية ، وشرف الدارين. والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وخزَّان العلم ، ودعاة الحق ، وأنصار الدين ، يهدون الناس إلى معرفة الله وطاعته ، يوجهونهم وجهة الخير والصلاح. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وَيُرْوَى عَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ ، فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمهُ مَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأَنيسُ في الوَحْدةِ ، والصاحِبُ في الخَلْوَةِ ، والدّليل على الدِّين ، والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ الضَّرَّاءِ ، والوَزِيرُ عِندَ الإخِلاء ، والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ ، وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَامًا ، فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً ، هُدَاةً يُقْتَدَى بهم ، أَدِلّةً لِلْخَيرِ تُقْتَفَى آثارُهمْ ، وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ ، وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفرُ ، حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ ، وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ ، والسَّماءُ وَنُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى ، وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ

الظُلَمِ ، وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغْ بِهِ العَبْدُ مَنَازلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام به ، به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ ، وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ ، وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُعداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس. وحينما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز ، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجاتها وللتهنئة ، فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم غلام هاشمي للكلام ، وكان حديث السن ، فقال عمر:- لينطلق من هو أسن منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام وعَرف فضله من سمع خطابه ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر:- صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام: - أصلح الله أمير المؤمنين ، نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة ، وقد أتيناك لمنَّ الله الذي منَّ علينا بك ، ولم يقدمنا إليك رغبة أو رهبة ، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا ، وأما الرغبة فقد أمنا جورك بعدلك. فقال عمر: عظني يا غلام ، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين ، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الأقدام فهووا في النار ، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزل قدمك ، فتلحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالحي هذه الأمة ، ثم سكت. فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل له: ابن إحدى عشرة سنة ، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فأثنى عليه خيراً ، ودعا له. ومن احترام المعلم أن: تبدأه بالسلام والتلطف في مناداته وعدم رفع الصوت عليه وتبجيله والإنصات إليه. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال ولا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله مادام يحفظ أمر الله ولا تجلسن أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم). قال أبو معاوية الضرير:استدعاني الرشيد إليه ليسمع مني الحديث ، فما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم على سيّدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ، ثم قمت لأغسل يديّ ، فصب الماء عليّ وأنا لا أراه ، ثم قال يا أبا معاوية: أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصب عليك أميرُ المؤمنين. قال: أبو معاوية فدعوت له. فقال: إنما أردت تعظيم العلم. وكان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد ، وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة. ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين! قال : بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه ، تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة! فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي ، فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا

دينارا ولا درهما ، بل ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر). صحيح سنن أبي داود). وسئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية ، ومعلمي سبب حياتي الباقية. ومن علمني حرفاً صرت له عبداً. فاحترام المعلم دليل على حسن التربية وأصالة الخلق الطيب).هـ. قال الأستاذ رشيد ناجي الحسن الباحث في الدراسات الإسلامية ما نصه: (التعليم أسمى وظيفة يمكن أن يعمل بها إنسان ، إن لم تكن هي الوظيفة الأهم على الإطلاق. ومن يتصدى لهذه الوظيفة - أعني التعليم- لا بد من أن يكون نموذجًا مثاليًا فيما يظهر للمتعلمين. ويمكن توضيح هذا النموذج واختصاره في ثلاثة أركان ، هذه الأركان هي: أولا: استيعاب المادة التي يدرسها. ثانيًا: امتلاك وسائل الاتصال. ثالثا: صلاحيته لأن يكون قدوة. إن المعلومات والقواعد التي يتلقاها الأبناء في محاضن التربية وأماكن التعليم ، تبقى رسومًا جامدة لا حياة فيها ولا حراك ، فإذا هيأ الله لها من ينفخ فيها روح التطبيق من أب أو أخ كبير آتت ثمارها وظهرت آثارها ، ورسخت في أذهان الطلاب وعقولهم رسوخ الجبال الراسية ، وأما إذا كان المعلمون يبنون كل يوم لبنة - وهي للأسف ضعيفة - ثم يهدم المجتمع ألف لبنة بما يراه المتعلم عليهم من مخالفات لما تعلمه ، فأنى لبنيان العلم يومًا أن يقوم ويرتفع؟ وكيف لصرح الأخلاق والآداب أن يصلب ويشتد. وللمعلم أثر كبير في نفس الطالب ، فهو يقوم مقام الأب في البيت ، بل قد يفوقه أثرًا لأن مادته العلم وهو غذاء الروح الذي يفوق غذاء الجسد الذي يقدمه الأب لأفراد أسرته ، ولذلك لا يفوق الأب المعلم في دوره إلا إذا كان يقدم لأبنائه الغذاء المادي للجسد والغذاء الروحي للنفس. يقول مدرس لمادة التربية الإسلامية: تعودت وضع الساعة في يدي اليمنى خِلافًا لعادة الناس في وضعها في اليد اليسرى ، وذلك حتى تأخذ اليد اليسرى راحتها في الحركة عندما أكتب بها على السبورة ، ولئلا ينشغل الطلاب بالنظر إلى الساعة أثناء الكتابة ، فجاءني طالب بعد فترة من بداية العام الدراسي وقال: يا أستاذ جرى نقاش بيني وبين بعض الزملاء حول لبس الساعة في اليد اليمنى أو اليسرى. فقلت لهم: إن لبسها في اليد اليمنى هو السنة ، وقالوا: ليس في ذلك سنة ، بل تلبس في إحدى اليدين ، فرددت عليهم: بأن أستاذنا يلبس الساعة في يده اليمنى اتباعاً للسنة ، ففوجئت باستدلاله بي في حجته على زملائه ، ثم ابتسمت وبينت له سبب لبسي لها في اليد اليمنى ، ثم سألته مداعبًا له: الرسول صلى الله عليه وسلم لبس الساعة في اليد اليمنى أم اليسرى؟ ففكر ثم ابتسم وانصرف. علمًا أن قاعدة الشرع كما ذكر الإمام النووي رحمه الله: أن ما كان من باب التكريم والتزيين استحب فيه التيامن ، وما كان بضد ذلك استحب فيه التياسر. فهل أدركت أيها المربي الفاضل إلى أي درجة أنت تحت مجهر أعين الطلاب بل وربما سائر أفراد المجتمع. إنه ما لم يكن هناك توافق بين العلم والعمل ، وتناغم بين التنظير والتطبيق ، وبيئة صادقة داخل المدرسة وخارجها ، يتهيأ للمتعلم فيها شواهد حية على إمكانية تحقق ما تعلمه واقعًا ملموسًا ، فلن يزيدنا التعلم حينئذ إلا مقتًا لأنفسنا ، وشاهد ذلك في كتاب ربنا حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}. وحين يكون المعلم هو أول الهادمين بما يلحظه طلابه من فرق بين ما يقوله في المدرسة وما يعمله خارجها ، وبما يرونه من مفارقات بين أوامره المثالية معلمًا في الفصل وتصرفاته المغايرة مواطنًا يمشي في الشارع أو في السوق ، وكأنه لا يعرف مما كان يلقيه في دروسه شيئًا ، فتلك هي أكبر خطيئة يرتكبها في حق مجتمعه ، وأعظم ذنب يقترفه ويهون على طلابه اقترافه. أساتذتنا من القرون المفضلة خرجوا إلى الشعوب الإسلامية في إندونيسيا وماليزيا ، فبلغوا

دعوة الله بأعمالهم قبل أقوالهم ، لذا فإنا ندعوك أيها المعلم الفاضل في هذا العام الدراسي إلى أن تقدم للشبيبة المسلمة علمًا نافعًا ، وعملاً صالحًا ورسالة خالدة ، وكلامًا مؤثرًا ، وأن تتقي الله عز وجل في هذا النشء ، الذي ينتظر منك النصح ، إنهم عطشى أمامك ، فاسكب على قلوبهم من فيض حنانك وودك ما يكون بإذن الله بلسمًا شافيًا. إنك تبني عقولاً ورجالاً لخدمة المجتمع ، تستطيع أن تؤثر في طلابك بما يخدم المجتمع في شتى المجالات بتعليمهم كيف يستفيدون من أوقاتهم).هـ. قال الشيخ السعدي في تعليقه رحمه الله على الآية: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات): والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وفي هذه الآية فضيلة العلم. تفسير السعدي. قال تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}. هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد ، وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل ، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب. زاد المسير. وفيه من أدب الفقه: التذلل ، والتواضع للعالم ، وبين يديه ، واستئذانه في سؤاله والمبالغة في احترامه وإعظامه ، ومن لم يفعل هكذا فليس على سنة الأنبياء ولا على هديهم. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. وروى الإمام أحمد في المسند وغيره ، وحسنه الألباني عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. فالإجلال للكبير هو حق سنَّه الله تعالى أنه تقلب في العبودية لله تعالى في مدة طويلة ، والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رَحِمه ورفع عنه العبودية فلم يُؤاخذه بحفظ حد ولا حكم ، ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم ، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. فيعرف درجاته التي رفع الله له بما آتاه من العلم. نوادر الأصول. فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران. قال الإمام ابن مفلح رحمه الله: وَيَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ قَبْلَ السَّبَقِ وَالرَّمْيِ فِي الْإِجْمَاعِ: اتَّفَقُوا عَلَى إيجَابِ تَوْقِيرِ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِسْلَامِ ، وَالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ ، وَالْفَاضِلُ ، وَالْعَالِمُ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فَاتِحَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ جداً مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْوَالِدُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، وَأَظُنُّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. الآداب الشرعية. وَقَدْ رَجَّحَ كَثِيرُ مِنْ الْحُكَمَاءِ حَقَّ الْعَالِمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ. قال الإمام السفاريني رحمه الله: يَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ ـ الَّذِي هُوَ الشَّيْخُ ـ وَتَوْقِيرُهُ ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْأَبُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، فَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، قَالَ فِي الْآدَابِ الْكُبْرَى: وَأَظُنُّهُ يَعْنِي بَعْضَ الشَّافِعِيَّةِ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا. انْتَهَى. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْمُصْطَلَحِ: الْأَشْيَاخُ آبَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَقَالَ لِي شَيْخَانِ أَبُو التَّقِيِّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ التَّغْلِبِيُّ الشَّيْبَانِيُّ أَغْدَقَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ عَلَى رَمْسِهِ: شَيْخُك أَبُوك بَلْ أَعْظَمُ حَقًّا مِنْ وَالِدِك ؛ لِأَنَّهُ أَحْيَاك حَيَاةً سَرْمَدِيَّةً وَلَا كَذَلِكَ وَالِدُك أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ ، وَقَالَ لِي: النَّاسُ يَقُولُونَ فُلَانٌ ـ يَعْنِي : نَفْسَهُ ـ لَا وَلَدَ لَهُ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ الْوَلَدِ مِثْلُ مَا لِي؟! ، يَعْنِي: تَلَامِذَتَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ

عَلَيْهِ. غذاء الألباب. وقال الإمام النووي رحمه الله: وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَتَحَرَّى رِضَا الْمُعَلِّمِ وَإِنْ خَالَفَ رَأْيَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ ، وَلَا يُفْشِيَ لَهُ سِرًّا ، وَأَنْ يَرُدَّ غَيْبَتَهُ إِذَا سَمِعَهَا ، فَإِنْ عَجَزَ فَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، وَإِذَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ قَدَّمُوا أَفْضَلَهُمْ وَأَسَنَّهُمْ ، وَأَنْ يَدْخُلَ كَامِلَ الْهَيْبَةِ فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ الشَّوَاغِلِ ، مُتَطَهِّرًا مُتَنَظِّفًا بِسِوَاكٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ وَظُفْرٍ ، وَإِزَالَةِ كَرِيهِ رَائِحَةٍ ، وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ إِسْمَاعًا مُحَقَّقًا ، وَيَخُصَّ الشَّيْخَ بِزِيَادَةِ إِكْرَامٍ ، وَكَذَلِكَ يُسَلِّمَ إِذَا انْصَرَفَ ، وَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إِلَّا أَنْ يُصَرِّحَ لَهُ الشَّيْخُ أَوْ الْحَاضِرُونَ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّخَطِّي ، أَوْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِمْ إِيثَارَ ذَلِكَ ، وَلَا يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَإِنْ آثَرَهُ غَيْرُهُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْحَاضِرِينَ بِأَنْ يَقْرُبَ مِنْ الشَّيْخِ وَيُذَاكِرَهُ مُذَاكَرَةً يَنْتَفِعُ الْحَاضِرُونَ بِهَا ، وَلَا يَجْلِسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ ، وَلَا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ إِلَّا بِرِضَاهُمَا ، وَإِذَا فُسِحَ لَهُ قَعَدَ وَضَمَّ نَفْسَهُ ، وَيَحْرِصَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ الشَّيْخِ ؛ لِيَفْهَمَ كَلَامَهُ فَهْمًا كَامِلًا بِلَا مَشَقَّةٍ وَهَذَا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَيَتَأَدَّبَ مَعَ رُفْقَتِهِ وَحَاضِرِي الْمَجْلِسِ ؛ فَإِنَّ تَأَدُّبَهُ مَعَهُمْ تَأَدُّبٌ مَعَ الشَّيْخِ وَاحْتِرَامٌ لِمَجْلِسِهِ ، وَيَقْعُدَ قَعْدَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا قَعْدَةَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ رَفْعًا بَلِيغًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا يَضْحَكَ ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ بِلَا حَاجَةٍ ، وَلَا يَعْبَثَ بِيَدِهِ وَلَا غَيْرِهَا ، وَلَا يَلْتَفِتَ بِلَا حَاجَةٍ! بَلْ يُقْبِلُ عَلَى الشَّيْخِ مُصْغِيًا إِلَيْهِ ، وَلَا يَسْبِقَهُ إِلَى شَرْحِ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إِيثَارَ ذَلِكَ ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا يَقْرَأَ عَلَيْهِ عِنْدَ شُغْلِ قَلْبِ الشَّيْخِ وَمَلَلِهِ وَغَمِّهِ ، وَنُعَاسِهِ وَاسْتِيقَاظِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ ، أَوْ يَمْنَعُهُ اسْتِيفَاءَ الشَّرْحِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ ، وَلَا يُلِحَّ فِي السُّؤَالِ إِلْحَاحًا مُضْجِرًا ، وَيَغْتَنِمَ سُؤَالَهُ عِنْدَ طِيبِ نَفْسِهِ وَفَرَاغِهِ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي سُؤَالِهِ ، وَيُحْسِنَ خِطَابَهُ. المجموع. وقال رحمه الله: وَيَنْبَغِي: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ الأولين إِذَا ذَهَبَ إِلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي ، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رحمه الله صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَاَللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ ، وَقَالَ حَمْدَانُ بْن الْأَصْفَهَانِيُّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ رحمه الله فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيِّ – رحمه الله - ، فَاسْتَنَدَ إِلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: لَا ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضَعَهُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ ، وَلَا تَعْمِدَنَّ بِعَيْنِكَ غَيْرَهُ ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ ، وَلَا تَشْبَعَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْ. المجموع. قال الإمام الماوردي رحمه الله: ثُمَّ لِيَعْرِفَ لَهُ فَضْلَ عِلْمِهِ ، وَلِيَشْكُرَ لَهُ جَمِيلَ فِعْلِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ. وتقول الدكتورة يسرا محمد سلامة: (أزمة التعليم جميعنا نعلمها جيدًا ، بكل ما تحمله من تفاصيل صغيرة ، فكل بيت يحمل جزءًا منها في داخله ؛ لأن كل بيت تقريبًا لا يخلو من طالب في مرحلة التعليم الأساسي. الأزمة الأكبر التي يواجهها تعليمنا تكدس الفصول كل عام بما لا

يقل عن 50 أو 60 طالب في المدارس الحكومية ، وفي بعض المدارس الخاصة توجد نفس المشكلة من التكدس إلا أنها أقل فقد يصل العدد مثلاً إلى 30 أو 40 طالب ، ومن هنا تحدث المشكلة الأكبر حين لا يجد المدرس الوقت الكافي لإعطاء ما في جُعبته من شرح مستفيض لتلاميذه ، وبالتالي يخرج الطلبة من حصصهم غير مستوعبين لما تم تدريسه في الحصة ، وتكون النتيجة لجوء الطالب إلى الدروس الخصوصية حتى يفهم المادة. هنا يتحمل العبء الأكبر من الأزمة المدرس ، خاصةً لوجود بعض المدرسين – لا أقول الكل – ممن يتعمد عدم بذل الكثير من الجهد في الحصة المدرسية ؛ من أجل توفير طاقته للدروس الخصوصية ، أو لغرض اضطرار الطالب إلى اللجوء إلى الدرس الخصوصي حتى يتمكن من هضم المادة جيدًا ، كما أنه لا يُرهق نفسه كثيرًا في التواصل مع تلاميذه ، ولسان حاله يقول: سأتواصل مع من ومن ومن! فالعدد - ما شاء الله - لا يمكن إحصاؤه. لكني اليوم سأقدم نموذجًا للمدرس الذي نتمناه جميعنا ، ونطمح في أنْ يكون موجودًا في كل مدارسنا دون استثناء ، فلو وجد مثله حقًا لانضبطت العديد من المساوئ ، ولظهر تعليمنا بشكلٍ أفضل مما هو عليه الآن ، لأني مُقتنعة بفكرة ، هي أنَّ العملية التعليمية قائمة في الأساس لا على اللوائح والقوانين فقط ، بل على المدرس قبل كل شئ. إن نموذج اليوم ، أعرفه حق المعرفة ، فهو شخصية قلما يجود الزمان بمثلها ، يُعطي عطاءً بلا حدود ، لا ينتظر المقابل المادي ، ولا ينظر إليه ، يَهمه أولاً وقبل كل شئ الطالب ولا شئ آخر سواه ، يحاول بناء شخصيته ، قبل توصيل المعلومة إليه ، لا يبخل بوقته أبدًا عن طالبٍ أراده في أمرٍ ما ، لا يقفل بابه في وجه أحد ، فالكل لديه سواسية ، يستمع إليهم بحنان الأب ، يُزيل أى مخاوف قد تكون بداخلهم عن مستقبلهم في مرحلة ما بعد التعليم الأساسي ، فهم سيواجهون حياة جديدة عليهم في الجامعة ، ولا يعرفون شيئًا عن ما هم مُقبلين عليه. عندما يكون التدريس مقرونًا بالشغف ، سيُصبح المعلم أبًا وصديقًا وأخًا لا محالة ، سيبذل كل ما لديه وأكثر دون أن ينتظر عائدًا يعود عليه في المقابل لذلك كله ، وستعم الفائدة على الطلاب جميعهم ؛ لأنَّ الشغف حالة تُلقي دائمًا بظلالها على الغير ، تُعطي نفحات إيجابية لا مثيل لها ، ونموذجنا الذي أتحدث عنه ، يعلم ذلك تمامًا ، أتمنى أنْ أرى مُعلمينا في مثل شغفه ، فإن الحياة ستصبح مختلفة جد الاختلاف ، القدوة مطلوبة في كل مجال ، وهو خير قدوة ومثل يُحتذى به ، فالعطاء دون مقابل نعمة كبيرة لا يمنحها المولى عزَّ وجل ، إلا لمن يرضى عنهم فقط ؛ لأنهم يظلون دائمًا سببًا بعطائهم لسعادة غيرهم. أنْ يتذكرك تلميذك بعد إتمامه لمرحلة التعليم الجامعي ، وبعد إنهائه لجميع دراساته ، هدية عظيمة معنوية لا يفهم معناها سوى من يتعامل بكل قطرة في دمه ، فالعطاء الذي لا ينضب يُعد نادرًا في زمننا هذا ، ويجب أنْ تُكافأ على نُدرته حتى ولو طال الوقت ، فما عند الله باقٍ ، عندما تُعطي دون جزاءً أو شكورًا. تحية لكل مُعلم زرع في داخل طلابه حبه ، وتمنوا أن يتواصلوا معه ، ويتذكروه بكل خير في حِلهم وترحالهم ، وجزاه الله عنهم خير جزاء في الدنيا والآخرة ، إنه على ذلك قدير ، أنْ تُعلم لهو أمر هين ويسير ، لكن أنْ تُربي وتَحتوي ، وتَهدي إلى الطريق الصواب شباب في مرحلة المراهقة ويحتاجون إلى كل ذرة توجيه ، لهي الرسالة التي من أجلها قال شاعرنا الكبير أحمد بك شوقي كاد المعلم أنْ يكون رسولا).هـ. وعما يجب أن المميزات التي يجب أن يمتاز بها المعلم الناجح يقول الأستاذ الكاتب نجيب روحى وتحت عنوان: المعلم الناجح ما نصه: (إذا سألت نفسك أو أي طالب في المرحلة الجامعية عن أهم شيء طبع مسيرتك التعليمية أو أثر على مستوى تحصيلك الدراسي ، فتأكد أن أغلب الآراء لن تذكر لك كتابا أو محاضرة معينة أو

حتى فيلماً سينمائياً. بدل ذلك ، ستسمع اسم معلم أو معلمة ، مرب أو مربية. وهذا طبيعي لأن الطبيعة البشرية تحتاج إلى قدوة ومصدر إلهام للشخصية التي تتكون باستمرار خصوصاً في المراحل الأولى من العمر. هذا كله يطرح تساؤلاً حول ماهية المعلم الناجح الذي سيلعب دور الواسطة بين المتعلم والعلم من جهة وبين الطفل وعالم مليء بالتحديات والأخطار من جهة أخرى. فهل حاولت إذن يوماً أن تتجرد من إكراهات العمل وتوجه لنفسك السؤال المصيري: ما مدى نجاحي في تأدية واجبي كمدرس؟ هذا المقال يحدد 20 صفة على سبيل المثال يمتاز بها المعلم الناجح وهي كالتالي: 1 - المعلم الناجح لديه أهداف واضحة ، فالعمل بخطة واضحة ومنهاج سليم مع لمسة من الإبداع ضرورة قصوى. 2 - المعلم الناجح لا ينتظر ردة فعل إيجابية فورية أو عبارات الشكر والامتنان من الطلاب أو ذويهم ، فتأثيرك عليهم سيرافقهم مدى حياتهم. 3 - المعلم الناجح يعرف متى يستمع لطلابه ومتى يتجاهلهم فلا تكن مستبداً في الفصل وأنصت لطلابك ولا تجعلهم يتحكمون بمجريات الأمور بشكل مستمر. 4 - المعلم الناجح لديه موقف ايجابي من كل الوضعيات ، فالروح الايجابية تنعكس على الطلاب أيضاً ـ فحبذا لو امتزجت بجرعة من الحيوية والإبداع لخلق مزاج عام من التفاؤل قد يؤدي إلى الهدف المنشود. 5 - المعلم الناجح يتوقع من طلابه تحقيق النجاح ، فالطالب يحتاج إلى من يثق في قدراته ومواهبه ، ويحفزه و يشجعه في مسيرته الدراسية. 6 - المعلم الناجح يملك روح الدعابة ، لدى دعك من الجدية المفرطة واخلق جواً من المرح داخل الفصل فذلك يترك انطباعاً جيداً في نفسية المتعلمين قد يمتد حتى بعد تخرجهم من الجامعة. 7 - المعلم الناجح يثني على طلابه متى استحقوا ذلك ، فمن الواجب عليك تشجيع طلابك والاعتراف بمجهوداتهم لكن في حدود ما أنجزوه من عمل ، أشعرهم دائماً بأنهم في حاجة إلى التطور وأن بمقدورهم تقديم مستوى أفضل. 8 - المعلم الناجح يسعى دائماً إلى التجديد ، فلا تتردد في تجديد الدماء داخل الفصل واستخدام جميع الطرق المتاحة لإزالة جو الملل الذي قد يسود أحيانا. 9 - المعلم الناجح منسجم مع نفسه ، فلا تكن مزاجياً و حاول أن تتخذ قراراتك بذكاء واتزان ، لا داعي للارتباك ودع الأمور تمشي بسلاسة وتلقائية مدروسة. 10 - المعلم الناجح يتواصل مع أولياء الأمور ، فقد خصصنا لذلك مقالاً بعنوان 8 طرق لضمان تواصل إيجابي مع أولياء الأمور. 11 - المعلم الناجح يستمتع بوقته أثناء العمل ، فلا مكان لك في الفصل إذا كنت تكره مهنتك ولا تستمتع بتدريس مادتك لطلابك. تذكر دائماً أن مهنتك من أشرف المهن وتعليمك للأفراد هو تعليم للمجتمعات بأكملها. 12 - المعلم الناجح يتكيف مع احتياجات الطلاب ، فالتواصل معهم والتقرب إليهم سيعطيك فكرة عن الطرق والوسائل التي ستساعدك في تعليمهم ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي قد تواجههم . 13 - المعلم الناجح يلتزم الحياد ، لا تحاول فرض آرائك السياسية على طلابك ، أنت فقط تقود الحوار والنقاش داخل الفصل ، فالأجدر بك أن تربي فيهم روح احترام الرأي الآخر وأبجديات النقد البناء. 14 - المعلم الناجح يحاول اكتشاف وسائل وأدوات تعليمية جديدة ، فلديك الآن الكثير من الموارد الرقمية والوسائل التكنولوجيا والتطبيقات التعليمية التي ستساعدك فعلاً على تجريب مناهج حديثة أكثر حافزية وفعالية في تعليم الطلاب. 15 - المعلم الناجح يساعد الطلاب على تجاوز المشاكل العاطفية والاجتماعية ، فلا تعتقد أن مهمتك هي فقط التعليم بمفهومه المحدود أنت الآن مسؤول عن طالب ذو انتماء اجتماعي معين وذو شخصية شديدة الحساسية تحتاج منك التوجيه والمساعدة على حل المشاكل المختلفة. 16 - المعلم الناجح يجلب المتعة للفصل الدراسي ، خصوصاً عند المراحل

العمرية الأولى . فاللعب لا يتعارض مع التعلم بل يعتبر وسيلة في حد ذاته ، ويعطي نتائج جيدة بالفعل. 17 - المعلم الناجح لا يتوقف أبداً عن التعلم ، سواء من أجل تحيين معلوماته أو من أجل تطوير نفسه فالعديد من المواقع والمنصات التعليمية توفر دروساً وكورسات في جميع المجالات وبالمجان. 18 - المعلم الناجح منفتح على الآخرين ، تعلم من زملاء العمل واستشر ذوي الخبرة في المجال ، تعاون مع الجميع وكون شبكة تعلم خاصة بك PLN. استخدم أيضا حسابا على تويتر أو أحد الشبكات الاجتماعية الأخرى للتعرف على معلمين من بلدان مختلفة. 19 - المعلم الناجح ملم بالمادة التي يدرسها ، فمن غير المعقول أن نرى أخطاء بدائية يرتكبها المدرس ويصر عليها على مرأى ومسمع من طلابه. حاول تعميق وتطوير معارفك في المادة التي تدرسها. 20 - المعلم الناجح يكون مثقفاً ملماً بالكثير من الأمور ، فلا يكفي أن تكون معلماً للرياضيات وجاهلاً بكل ما يحدث من حولك ، قراءة الجرائد وتصفح المواقع الإخبارية والاطلاع على المستجدات التكنولوجية أضحى واجباً على كل مدرس).هـ. وصدق من قال: (أعتقد أنه لا يوجد من يزايد على أهمية ودور الوظيفة التعليمية وشاغلها ، إذ يعتبر العمل في مجال التعليم إدارة أو إشرافاً تربوياً أو تدريساً ، من أهم وأبرز الأعمال التي تقدم للمجتمع ، وذلك لكون المعلم أو المعلمة يقومان بدور حيوي في تربية النشء وتعليمه وتثقيفه وتأهيله لخدمة دينه ووطنه ، وأن مدير المدرسة ووكيله والمشرف التربوي يقومون بدور فعّال عن طريق دفع هذه العملية إلى تحقيق أهدافها عن طريق التوجيه والمتابعة للمعلمين والمعلمات فأبناء المجتمع أمانة في أعناق هؤلاء تتطلّب منهم استشعار المسئولية الملقاة على عاتقهم ، والإحساس بأهمية عملهم ودوره الهام في إعداد الأجيال للقيام بأعباء ومهام ومسئوليات الوطن الغالي ، ونعتقد بأنّ شاغلي هذه الوظائف المتسمة بالطابع التربوي والتعليمي ، يدركون تماماً هذه المسئوليات الهامة لعملهم ، ولكننا أوردنا هذا الأمر في هذا المقال من باب التأكيد والتذكير والتعاون بسبب تلك الأهمية القصوى لهذه الأعمال. فمدير المدرسة أو مديرة المدرسة ووكيلها أو وكيلتها وإن كان عملهما يتسم بالطابع الإداري إلا أنّ هذه السمة ينبغي ألا تتغلب على أعمالهم بل ينبغي أن يكون للعمل الميداني المتمثل في متابعة أداء المعلمين والمعلمات حسب الطرق الحديثة في المجالين التربوي والتعليمي ، وانضباطهم في دوامهم وعدم هدرهم الوقت المخصص للطلبة والطالبات ، وكذلك التأكد من تواجد الطلاب والطالبات بعدم التأخر عن الدوام أو الخروج خلاله وحضورهم في الأوقات المحددة حيز كبير في وقت عملهم. والمشرف أو الموجه التربوي أو المشرفة أو الموجهة التربوية ، عليهما مسئولية جسيمة في متابعة أداء المعلمين والمعلمات ، والتأكد من أنهم يؤدون أعمالهم حسب الخطة الموضوعة وحسب المنهج المحدد ، وعلى المشرف التربوي أو المشرفة التربوية ، ألا يكون للمجاملة والمحسوبية والعاطفة فسحة في عملهما ، فالموضوع غير قابل لذلك لكونه يتعلق بمصلحة الأمة ومستقبلها ، ذلك أن هؤلاء النشء من الطلبة والطالبات هم قوام المستقبل في بناء الوطن وتقدمه والقيام بسائر شؤونه فهي بحق أمانة كبرى. أما المعلم أو المعلمة فإنهما يمثلان مركز العملية التعليمية وقلبها النابض ، وذلك لأنّ تفعيل العملية التعليمية والتربوية للطلاب والطالبات بصورة مباشرة وفي الميدان يتم عن طريقهما ، وأن أي تقصير في ذلك يقع بشكل مباشر على المعلم أو المعلمة. ولذلك فإنّ الإخلاص في العمل والمحافظة على الوقت والحرص على المشاركة الطلابية والتحلّي بالأخلاق الفاضلة وإصلاح الإعوجاج أو التقصير لدى الطلبة أو الطالبات يأتي في مقدمة ما ينبغي أن يحرص عليه المعلم أو المعلمة. فالمعلم أو المعلمة

ينبغي أن يحافظا على الوقت المخصص للطلبة أو الطالبات، وذلك بالحضور في بداية الحصة وعدم الانصراف قبل نهايتها وأن يقوما باستغلال كل دقيقة منها لمصلحة الطلاب أو الطالبات ، وألاّ يخرجا من المدرسة لمصلحة شخصية لهما تاركين الطلبة أو الطالبات لمعلم أو معلمة بديلين ، إلاّ إذا كان الخروج لسبب ملح وضرورة قصوى ، وأن يقوما بتفقد أحوال الطلبة أو الطالبات ذوي المستويات الضعيفة ويعملا على رفع مستوياتهم. وأمر آخر مهم يتطلب من المعلم أو المعلمة التحلي به وهو أن يسعيا بأن يكونا أسوة حسنة للطلبة والطالبات بحيث لا يرى فيهما الطلبة أو الطالبات إلا المعاني الكريمة والتصرفات الطيبة وسماحة الإسلام ووسطيته مما يحصن الطلبة والطالبات أمام دعوات الغلو والتطرف وهدم الأخلاق الفاضلة ، ذلك أن الطالب أو الطالبة يقضي كل منهما مع معلمه أو معلمته وقتاً يتجاوز الوقت الذي يقضيه كل منهما مع أسرته. ومن الأمور ذات الأهمية المطلوبة من المعلم أو المعلمة مراعاة وضع الطلبة أو الطالبات ذوي المستويات الضعيفة والعمل على رفع مستوياتهم لمسايرة زملائهم الآخرين ، فقد يكون هذا الضعف راجعاً لظروف خارجة عن إرادة الطالب أو الطالبة ، وهما في هذه الحالة بحاجة ماسة إلى من يقف معهما لتجاوز هذه الظروف. أن يحرص المعلم والمعلمة على تطوير أساليب عملهما بما يخدم مصلحة الطلاب والطالبات. أن يلتزم المعلم والمعلمة باللغة العربية الفصحى خلال الحصة الدراسية بل في المدرسة. أن يهتم المعلم والمعلمة بالواجبات المدرسية والعناية بتصحيحها. أن يحرص المعلم والمعلمة على الاهتمام بمستوى تحصيل الطلاب والطالبات ومعالجة الإشكالات المتعلقة بذلك. أن يكون المعلم والمعلمة متمكنين من المادة العلمية المكلف كل منهما بها مع القدرة على تحقيق أهدافها. أن يحرص كل من المعلم أو المعلمة على أن يلقي مادته أمام الطلبة أو الطالبات بصورة واضحة ومفهومة وحسب المنهج المقرر. أن يقوم المعلم أو المعلمة بفتح المجال أمام الطلبة أو الطالبات بالمشاركة الذاتية ، وأن يتم التشجيع على ذلك. أن يغرس المعلم أو المعلمة في أذهان الطلاب والطالبات العقيدة الإسلامية الوسطية التي أمرنا الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله علية وسلم باتباعها وهي العقيدة القريبة من التآلف و المحبة والمودة والبعيدة عن التشدُّد والتطرُّف والكراهية. وبعد فإنه بسبب هذه الأهمية للوظيفة التعليمية والعاملين فيها المتمثلة في تعليم وتربية الأجيال ، فقد قوبلت هذه الأهمية بإفراد شاغلي الوظائف التعليمية بمزايا خاصة ، فقد تم إصدار لائحة وظيفية خاصة بهم تتضمّن سلّم رواتب خاص ومزايا مالية أخرى ومكافأة مجزية تصرف في نهاية الخدمة ، كما أنه في هذا الإطار يتم من حين لآخر إحداث الوظائف التعليمية الجديدة من أجل تحسين وضع المعلمين والمعلمات الذين عينوا على وظائف تقل عن الوظائف المناسبة لمؤهلاتهم العلمية ، وهو الأمر الذي يترتب عليه زيادة جيدة في مستويات دخول هؤلاء المعلمين والمعلمات المادية ، وكذلك من أجل دفع العملية التعليمية ، والمؤمل هو أن ينعكس ذلك بصفة إيجابية على أداء العاملين في مجال التعليم بما يتلاءم مع المهام الجسام المطلوبة منهم ، فالدولة والمجتمع يعلقان آمالاً كبيرة في أن يسهم ذلك في تطوير وتحسين العملية التعليمية بمزيد من الإخلاص والانضباط والشعور بالمسئولية من قبل العاملين في مجال التعليم العام).هـ. كتبت الأستاذة جيهان شعيب تحقيقاً مع عدد من الأدباء حول هيبة المعلم وما ينبغي أن يكون له من احترام ، ومنددة بالحال الذي آل إليه في زماننا جاء في بعض فقرات تحقيقها ما نصه: (في يوم قيل: (قف للمعلم وفه التبجيلا * * كاد المعلم أن يكون رسولا) ، وذلك لتقديس مكانة المعلم التعليمية ، والتربوية ، والإنسانية ، التي طالما كان يحفظها له المجتمع

بشرائحه المختلفة. وبمضي الوقت ، ومع تغير كثير من القيم ، واهتزاز كثير من الثوابت ، وارتعاش بعض إن لم يكن أغلب السلوكيات التي ما كنا نعهد فيها سوى الالتزام ، اندثرت نسبياً ، أو كادت أن تندثر هيبة المعلم ومكانته ، فما بين التطاول عليه لفظاً من بعض الطلبة المنفلتين أخلاقياً ، الى التعدي عليه - وإن كان ذلك ضمن حالات قلة - من طالب أو آخر، والنتيجة ضياع كرامة ، واحترام طالما ظلا محفوظين ، ومصانين ، لأصحاب هذه المكانة التي ما كان يعتقد أحد أن تمس من أي فرد كان في يوم من الأيام. مع إدانتنا الكلية لفكرة الإتيان على مجرد مسمى المعلم بأية صورة من الصور، لا يمكن ان ندفن رؤوسنا في التراب (كالنعام) ، ونتغاضى عن بعض الأفعال غير السليمة يأتي بها ربما عدد محدود من المعلمين ، والتي قد يكونون بها أساءوا إلى مكانتهم ، وهبطوا كذلك بها ، ومنها التبسط مع الطلبة في الحديث ، والخروج بهم من النطاق التربوي ، والتوجيه إلى ما لا يصح من الأحاديث التي لا يجب طرحها مع طلبة يخطون خطواتهم العمرية نحو سنوات المراهقة مع ما يعتريها ويصاحبها من تغيرات قاسية ، ومنها كذلك مخاطبة الطلبة بألفاظ غير أخلاقية ، ومعاملتهم بدونية واهانتهم ، ما قد يدفع بعضهم إلى التجرؤ على المعلم ذاته من هؤلاء ، ومبادلته المعاملة بالمثل ، في ضوء افتقارهم إلى التمييز بين ما يجب وما لا يجب ، نظراً لاعتقادهم أنهم بذلك يردون اعتبارهم الذي أهين من قبل معلميهم أمام زملاء صفهم. وقد لا ينحصر الأمر فيما سبق فقط ، إذ ربما هناك غير ذلك من الأفعال المسيئة للمكانة التي كان وراءها عدد من المعلمين ، فيما وعلى الجانب الآخر ، ما يعود إلى أولياء الأمور الذين نسي أو تناسى عدد منهم وفي غمرة المشاغل الحياتية ، تعزيز مكانة ، وقيمة ، وأهمية المعلم في نفوس وعقول الأبناء. هيبة ومكانة واحترام المعلم أصبحا قاب قوسين أو أدنى من الضياع ، ما لم تكن هناك حلول ناجعة للعودة به إلى ما يستحقه بالفعل من موقع بارز ومتميز ، لائق بكينونته ، ووضعه المهني والحياتي ، وحول ذلك يدور تحقيقنا الآتي الذي نبحث في طياته عن الأسباب التي تدنت بهذه المكانة ، بعدما - وكما ذكرنا قبلاً - ظلت محفوظة لعقود زمنية طوال. بداية قال د. علي الطنيجي رئيس نائب رئيس مجلس أولياء الأمور في المنطقة الوسطى: هناك حكمة تقول من أمن العقوبة أساء الأدب ، وللأسف العقوبات الحالية في المدارس لا توحي للطلاب باحترام المعلمين ، أو النظام الإداري الموجود في المدارس ، التي أغلبها وللأسف أيضاً لا تطبق لائحة السلوك التي أصدرتها وزارة التربية والتعليم عام 2011 ، تلك التي تتضمن موادا تلزم الطلبة باحترام المعلمين والإدارات المدرسية ، مما أدى بالتالي إلى لجوء بعض الطلاب الى القفز فوق الأنظمة والقوانين ، فمنهم من يتجول في المدرسة خلال سير الحصص الدراسية ، ومنهم من يناطح المعلم بالقول واللفظ دونما خوف أو خشية منه ، في المقابل لم نسمع عن مدرسة لجأت إلى فصل طالب لمدة يوم أو يومين لسوء سلوكه مثلاً - إلا إذا كان هناك تعدٍ صارخ منه - حيث يتم حل المشكلة التي وقعت ودياً بالاتصال بولي الأمر من هؤلاء ، وإعلامه بما فعله ابنه ، ومن ثم وكأن شيئاً لم يكن ، لذا فظاهرة عدم احترام كثير من الطلبة للأنظمة والمعلمين على وجه الخصوص ، تعود لعدم استطاعتهم اتخاذ أي قرار بحق غير المنضبط من الطلبة. فضلاً عما سبق فهناك الأسر التي لا تعمل على تنمية احترام المعلمين ومكانتهم في عقول الأبناء ، إلى جانب الدروس الخصوصية التي قللت من هيبة المعلم ، حيث أزالت الحواجز فيما بينه وبين الطلبة الذين يحصلون عليها ، في ضوء شعور الطالب من هؤلاء أن المعلم أصبح مديناً له ، فهو – أي الطالب - الذي يدفع له، وبالتالي لا يستطيع المعلم أن يواجهه بأخطائه ، أو نواقصه

، في الوقت الذي كان فيه قبلاً بمنزلة الاب في البيت ، والمدير في المدرسة. أما الأستاذ إبراهيم المحرزي رئيس مجلس إدارة مجموعة من المدارس الخاصة ، فيرى أن هيبة المعلم اندثرت إلى حد كبير ليس في الدولة فقط ، بل في معظم الدول التي انساقت وراء النظرية الغربية الحديثة في أسلوب التعليم ، التي تجاهلت قضية عقاب الطالب ، وقال: عبر التاريخ كان التعليم يمتزج بنظريتي الثواب والعقاب ، لأن مسيرة التعليم من دون هذين الجناحين معاً لا يمكن أن تحلق عالياً ، فمبدأ الثواب جميل ، ولكن العقاب أيضاً واجب ، على ألا يكون بمفاهيم النظم التعليمية القديمة من الجلد والضرب المبرح ولكن بأن تؤسس له آليات ونظم محددة ، ليطبقه المعلم على المخالفين ، والمستهترين بالعملية التعليمية. كما تقع على عاتق بعض أولياء الأمور مسؤولية ضياع هيبة المعلم ، حيث إن كثيراً منهم لا يريد للمدارس ولا للإدارات المدرسية ، أو المعلمين المساس بالأبناء ، ولو بكلمة تجرح المشاعر، ما أدى إلى استقوائهم على جميع من في المدارس ، رغم ما قد يكون الابن من هؤلاء الذين يرتكبون في المدرسة تجاوزات ، ومخالفات جسيمة ، وعدم احترام. وحتى نعيد هيبة المعلم إلى ما كانت عليه من نيل التقدير والاحترام المجتمعي ، فلا بد من أن تسن وزارة التربية والتعليم ، والمجالس التعليمية تشريعات تؤيد مبدأ الثواب والعقاب المقنن ، بحيث يتم العقاب بتدرج. ومن الضروري تنظيم دورات تدريبية للمعلمين لإكسابهم المهارات والأساليب المنهجية الصحيحة في التعامل مع الطلبة ، من احتوائهم واستيعابهم ، ومعاملتهم بود والابتعاد عن الغلظة ، والحدة ، فيما إذا تحول دور المعلم إلى مجرد أداء الواجب ، فعلى العملية التعليمية والتربوية السلام ، لأن المعلم في الأساس بمنزلة الأب في المدرسة والقدوة التي يجب احترامها ، وتقديرها. ومن جهته أشار إبراهيم عبيد منسق مكتب مدير الشارقة التعليمية ، ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الاجتماعيين ، إلى أن المعلم حالياً أصبح في حالة يحسد عليها ، حيث اختفت صورة المعلم القدوة ، فلم يعد هناك المعلم الذي يأتي مدرسته وهو بكامل هندامه ، أو الذي يعطي وقت الحصة الدراسية كاملة للطلاب من دون نقصان ، أو الذي يلتزم في حديثه بالألفاظ التربوية التعليمية المطلوبة ، بما أدى بصورته إلى أن تؤول إلى ما أصبحت عليه ، إلى جانب أسباب أخرى منها! كما قال الآتي: إن راتب المعلم لا يكاد يكفيه لسد احتياجاته الأساسية ، وهو مضطر في كثير من الأحيان للاقتراض. ومن جانب آخر فإن الأهل لم يعودوا يلقنون أبناءهم احترام المعلم ، بل عندما يتعرض ابنهم لعقوبة أو مساءلة من معلم تجد الأهل ينتصرون لأبنائهم ، دون أن يعرفوا مقدار الخطأ الذي ارتكبه الأبناء ، والطلاب لا يرون في المعلم إلا موظفاً يقبض راتبه وفي كثير من الأحيان يمن الطالب على المعلم بهذا الراتب وكأنه هو الذي يدفعه له. وهناك أسباب أخرى أكبر من الطالب والمعلم نفسه تفرض نفسها في هذا المجال ، فالمعلم كان سابقاً مصدر المعرفة والعلم ، والموسوعة التي يعود إليها الطلاب وربما آباؤهم ، وفي يومنا هذا تعددت مصادر المعرفة ، والموسوعات ، وأصبح الطالب يعرف من المجتمع وشبكة الإنترنت والتلفزيون أضعاف ما يتعلمه في المدرسة. هذا الواقع يضع المعلم نفسه أمام تحد جديد ، فهو بحاجة إلى مواكبة العصر الذي نعيش فيه ، وامتلاك وسائل المعرفة العصرية).هـ. وهذا الذي ذكرناه آنفاً ، وعزوناه لأصحابه ليس بالغريب أو النادر! بل قال أحد المدراء الجهلاء المتعجرفين في أحد اجتماعاته بالهيئة التدريسية ذات يوم: (إنني أرحب بالطالب أكثر من أي واحد منكم! والسبب هو أن الطالب يعطيني نقوداً ، بينما الواحد منكم يأخذ مني نقوداً!) وأيضاً أحد الطلاب المتعجرفين قال لمعلمه: (إن القميص الذي تلبسه من نقودي!)

الأمر الذي حدا بالمعلم للاتصال بوالدي الطالب اللذين لم يقصرا في استرجاع الحق! فأما الأم فأعطت المعلم الهاتف الشخصي للأب والذي كان حكراً عليها هي ، وأما الأب فجاء وعاقب ابنه أمام أعين الطلاب بالعقال! وقال طالب من المرحلة الثانوية: إن عددا من المعلمين هم السبب في عدم احترامنا لهم ، لأنهم يتعمدون إهانتنا والاستهزاء بنا ، ووصفنا بالأغبياء إن لم نستطع إجابة أي من الاسئلة ، أو إذا حصل أي منا على درجة متدنية ، علاوة على أن منهم من يرى في نفسه قوة بدنية ، فيهددنا بالضرب إن لم نلتزم بما يطلبه أو يوجه به ، ومنهم من أجبرني على أداء أحد الاختبارات وأنا جالساً القرفصاء على الأرض في الحصة ، عندما رآني أحدث زميلي الذي يجاورني في الصف ، فكيف أحترمه بعد ذلك ، وقد أهانني ، وأذلني أمام زملائي ، ولولا خشيتي من أن يدعي أنني كنت أغش ، مما اضطره لفعلته معي ، لأخبرت أسرتي لتتخذ معه موقفاً).هـ يقول الأستاذ محمد شركي: (ما الذي طرأ على مكانة المعلم في مجتمعنا؟ ويجيب على سؤاله قائلا: لقد استرعى انتباهي تخصيص قناة الجزيرة القطرية حصة من برنامجها اليومي الصباحي لمناقشة مكانة المعلم في الوطن العربي. وصادف هذا البرنامج نشرعدة مقالات على موقع وجدة سيتي المغربي تتعلق بنفس الموضوع خصوصاً في ظرف الاعتداءات المتكررة داخل المؤسسات التربوية على رجال ونساء التعليم في جهتنا الشرقية التي كانت معروفة في الماضي بالاحترام الكبير للمعلم. ولا زال الناس عندنا يتحدثون عن مكانة المعلم حديث الأساطير. لقد كان المعلم يحظى بأرقى مكانة في المجتمع ، حيث كان يسد مسد كل الفعاليات الخيرة التي يحتاجها المجتمع إذ كان يعلم ويحارب الجهل والأمية على المستوى المؤسساتي ، ويقوم بأدوار شتى داخل المجتمع سواء تعلق الأمر بدور ديني يمس الجانب العبادي أو الجانب المعاملاتي ، أو تعلق بدور إنساني واجتماعي يمس كل ما له علاقة بالمجتمع. لقد كان باختصار رحمة داخل المجتمع ، وتوجد الرحمة حيث يوجد. وكان جديراً ببيت الشعر لأمير الشعراء الذي تردد في جعله رسولاً باستعمال فعل كاد الذي يفيد الاقتراب من الفعل دون حدوث الفعل. والحقيقة أن الرسول معلم بالضرورة ، وقد جاء في الأثر: إنما بعثت معلماً ويستقيم بيت أمير الشعراء لو قال: إن الرسول كان معلماً. وبمناسبة شيوع هذا البيت الشعري الخالد لشاعر خالد أود أن أنبه الذين يستشهدون به للتباكي على المعلم حين يساء إليه ، فأقول لهم إن الرسول لقي من الإذاية أصنافاً وألواناً مما جعله في مستوى صبر أولي العزم ، وإذا ما تشبه به المعلم فلا بد أن يكون مهيئاً لكل إذاية. فإذا كان الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم قد كسرت رباعيته يوم أحد ، وأدمي عقبه وشتم ، وسب واتهم بالكذب والسحر....إلخ فما زال المعلم عندنا لم يذق شيئاً مما ذاقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأذى العظيم. ولا يجب أن يستاء المعلم من أنواع الإذايات لأن طبيعة مهمته تعرضه لذلك. الكل يتحدث عن معلم عقود انفرطت بكل خير ، ويدعو له بالرحمة ، وقد لقي العديد من معلمي تلك العقود ربهم. لقد كان في تأديبه بركة ، ولم يكن تأديبه يسمى عنفاً كما تسميه المذكرات التنظيمية اليوم. ولا زال الكثير من الناس اليزم يفخرون بتأديبه ، وهو عند البعض أوسمة توشح الصدور بعدما أوصلهم تأديب المعلم إلى ما كانوا يصبون إليه من مراتب. لقد كان مرور المعلم في الشوارع والأسواق بسمته المتعالي عن كل خوارم المروءة كما يقول الفقهاء يحرج المتعلمين وهم في أحوال يأنفون أن يراهم عليها المعلم لما كانت له من قيمة عندهم ، كما كان الصحابة يستحيون من رسول الله عندما يباغتهم في أحوالهم المعيشية. فكم من متعلم ترك فجأة اللعب وهو أشد ما يكون تعلقاً به لأن المعلم عن له من بعيد ، وكم من متعلم تغير سلوكه

داخل بيته عند زيارة المعلم لبيته في مناسبة من المناسبات ، فتحول من شغب ونزق إلى هدوء وأدب ، وكم من متعلم استعصى نشوزه على أولياء أمره فما كاد المعلم يقحم في الأمر حتى ترك المتعلم الناشز نشوزه تقديراً لمعلمه. وربما حاول الأولياء تصحيح نشوزه بكل أساليب العنف فلم يجدهم ذلك نفعا ، وكانت النظرة الواحدة من المعلم الوقور كافية لتصحيح نشوز المتعلم. هذه الصورة الإيجابية بكل المقاييس المسجلة عن معلم الماضي القريب الذي يمكن حصره في عقود معدودة لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، أو عاق لم يعد لها وجود إلا نادراً. والناس يختلفون في زوال هذه الصورة المثالية ، فبعضهم يرجع زوالها للمعلم الذي يعد في نظرهم مسؤولاً عن تشويه وقاره ، وبعضهم يعيدها إلى تغيير شامل طرأ على المجتمع الذي ترك فترة زمنية إلى أخرى وبين الفترتين تباين من حيث سيادة القيم. ففي فترة سيادة القيم الدينية والأخلاقية كانت للمعلم مكانته التي صنعتها هذه القيم ، ولما حلت فترة سيادة القيم المادية والعلمانية غيرت من مكانة المعلم وصنعت له مكانة داخل منظومة قيمها المادية والعلمانية. لقد تحول المعلم من رسول إلى مجرد مقاول ، وبموجب هذا التغيير سقط وقار المعلم وصار بدون وقار كما هو حال المقاول. لقد صار حال المعلم كحال الرسول عندما يكذبه قومه ، وينكرون رسالته. وحسب هذا الطرح الذي أرجحه أعتقد أن القيم السائدة في مجتمع من المجتمعات هي التي تحدد مكانة المعلم. ولست في طرحي هذا ماركسياً يربط مصير البنى الفوقية بالبنى التحتية ، ويجعل المادة متحكمة في المجتمع بل أقول إن العلاقة أكثر تعقيداً في المجتمعات من مجرد تحكم المادي في المعنوي. إن القيم إذا لم تحكمها عقيدة الله عز وجل وتضمن لها الثبات الإيجابي على النهج الصحيح تكون عرضة للتغييرات التي قد لا تخلو من سلبيات. فالمجتمعات لا تملك أن تحول دون غزو القيم الغريبة عنها بحكم الاحتكاك مع بعضها البعض ، ذلك أن القطار الذي تركبه البشرية يجر عربات عديدة لها أحوال مختلفة ، وليس بينها حواجز ، والناس بحكم تنقلهم بين هذه العربات يتناقلون فيما بينهم هذه الأحوال فتحل بهم أحوال سببها التأثر والتأثير فيما بينهم. فليس بالضرورة حسب العقيدة الماركسية أن يكون الجانب الاقتصادي هو صانع الجانب الاجتماعي ، ذلك أن بعض الظواهر الاجتماعية تظهر في مناطق من هذا العالم حيث لا يوجد ما يبررها اقتصادياً. وأسوق على سبيل الذكر لا الحصر ظاهرة الخنفسائية التي ظهرت في ستينيات القرن الماضي في المجتمعات الغربية التي خاب ظن مواطنيها في حضارة مادية لم تجلب لهم سعادة ، وإنما جلبت لهم خراباً ويباباً على حد تعبير الشاعر إليوت في قصيدته اليبابية الشهيرة ، فكانت الخنفسائية عبارة عن عقيدة أو قيم تعبر عن التمرد والسخط والعصيان من خلال الحنين إلى الحياة البدائية البديلة عن حياة اليبابية ، فطالت بسبب ذلك شعور الشباب ، وارتادوا العوالم الحالمة عن طريق نوع خاص من الفنون الجميلة وخاصة الموسيقى ، ونشدوا هذه العوالم عبر جرع المخدرات إلى غير ذلك من قيم الخنفسائية. وانتقلت عقيدة الخنفسائية إلى كل شباب العالم بما في ذلك شباب ما يسمى العالم الثالث الذي لم يعرف اقتصاده ما عرفه اقتصاد العالم الأول من تعقيدات ، فطالت شعور شباب العالم الثالث ، وقلدوا أقرانهم الخنافيس في كل أحوالهم مع اختلاف المجتمعات. إن ظاهرة تأثر البشرية بالقيم السائدة أمر واقع لا ينكر لهذا فمكانة المعلم في نظري ليست بدعاً من مكانة غيره ، فهي عرضة للتغيير أيضا بسبب التغيير الحاصل في القيم السائدة التي هي خليط غريب ليس من السهل رصد مصدره. فالظواهر الاجتماعية تظهر كأعراض دون سابق إنذار ودون أن تكون متوقعة أو في الحسبان. فليست مكانة المعلم وحدها هي التي طرأ عليها

التغيير ، فمكانة كل شريحة اجتماعية عرفت التغيير ، فلم يعد القاضي ولا المحامي ، ولا الطبيب ، ولا المهندس ، ولا الفلاح ، ولا التاجر ولا إمام المسجد أو خطيبه ، ولا الصحفي كما كانوا ، ولا الآباء والأولياء كما كانوا. وينعقد الاجماع داخل المجتمع على أن التغيير كان نحو الأسوأ بالنسبة للجميع. إن الذين يحملون المعلم مسؤولية تغييرمكانته داخل المجتمع من خلال سلوكات ومواقف تعتبر نتائج هذا التغيير لا مسبباته يخبطون خبط عشواء. فليس امتهان المعلم لمهن أخرى ، ولا ممارسته للتجارة ، ولا إعطاؤه دروس الدعم بالمقابل ، ولا جلوسه في المقهى ، ولا تحركه اليومي بين مقر عمله النائي عن مقر سكناه ، ولا غير ذلك مما يعتبره البعض مسؤولية تغيير مكانته في المجتمع هي أسباب هذا التغيير. لقد تغيرت نظرة المجتمع للمعلم بتغير القيم التي سادت. فالمعلم ما لجأ إلى المهن الأخرى والتجارة المزعومة ، والساعات الإضافية...إلخ إلا بعد أن صارت تكاليف الحياة باهظة ، ويئس من أن يوفر له أجر التعليم الحياة الكريمة الجديرة بمهنة الرسولية الموقرة. فممارسته لهذه المهن ، هي نتيجة وليست سبباً كما يعتقد البعض. لقد عرف سلوك المتعلمين تغييراً مسايرا لقيم غزت المجتمع ، وهي قيم لا ترعى لأحد حرمة ولا قدراً ، فكما صار المتعلمون يتمردون على سلطة آبائهم وأوليائهم ، وعلى كل سلطة مهما كان نوعها ، فهم يتمردون على سلطة المعلم التربوية أيضاً. وبما نسبة استفحال ظاهرة العنف الذي يتعرض له المعلم في جهتنا ، وفي باقي جهات الوطن الصغير والكبير ، أعتقد أن العنف مؤشر على فساد ، قياساً على العنف ضد الرسول الكريم ، فالرسول أسيء إليه لما كان المجتمع فاسداً كما هو حال مكة وثقيف يومئذ ، والمعلم إنما يتعرض للإساءة عندما يفسد المجتمع. وعلي المعلم أن ينتظر الإساءة وأن لا يستغربها ما دام المجتمع قد تغيرت قيمه وصارت قيم فساد ، وعليه أن يتكيف مع الوضع الجديد المزري من أجل استرداد هيبته ووقاره ، بطريقة تختلف عن طرق الماضي التي كانت قيمه مختلفة عن القيم الحالية. وأقول على سبيل المزاح إذا كان طعم اللحوم والخضر والفواكه قد تغير نحو الأسوأ ، وحتى نبات النعناع لم يعد يجلب النحل إلى البراد كما قال شيخ من شيوخ الماضي ، فلا يضير المعلم أن تتغير نظرة الناس إليه. إن الناس ينكرون طعم لحوم وخضر وفواكه اليوم ، ولكن ذلك لا يمنعهم من تناولها بالرغم من غياب شهية مفقودة ، وهم يشربون الشاي بنعناع لا يستهوي النحل! وإنما الناس يتأقلمون من واقع قيم مهيمنة غيرت الكثير من الحقائق على أرض الواقع. وقد يأتي الزمان بقيم تعيد للمعلم مكانته وللمأكولات والمشروبات نكهتها. ولقد عرف التاريخ نكبات طبقات اجتماعية بسبب سيادة قيم أطاحت بمكانتهم ، حتى قال أحد النقاد وهو ابن المعتز عن الخليفة العباسي: أصابته حرفة الأدب فلم يدم حكمه سوى يوماً وليلة. فمعلم اليوم أصابته حرفة التعليم فعرفت مكانته ما عرفته من تغيير إلى أن يصير التعليم رقما يحسب له حساب في معادلة قيم جديدة. وأنا أضحك ملء شدقي من المسؤولين عن الشأن التربوي الذين يروجون لدعاية رخيصة تزعم أن قطاع التربية بخير وعافية ، وهم لا يؤمنون بذلك والواقع يكذبهم ، وإنما يحملهم على هذه الدعاية الكاذبة من قبيل شعار جيل النجاح ومدرسة النجاح الخوف على مناصب تدر عليهم دخلاً إن لم نقل سحتاً ، فلو قالوا الحقيقة المُرة لأعفوا من مناصبهم ، ولهذا فهم يقولون ما يرضي من أوكل إليهم تدبير شأن قطاع أفلس ، ويضيقون ذرعاً بالمشاغبين من أمثالي الذين يفضلون الحقيقة المرة على الدعاية الكاذبة ، لأن التعجيل بالاعتراف بالحقيقة المرة ، هو تعجيل بالتفكير في الحلول الحقيقية عوضاً عن الحلول الترقيعية. وأنهي مقالي بتحية للمعلم حيث ما وجد في عالمنا العربي والإسلامي والعالمي تحية

صدق لا تحية مجاملة كاذبة تدغدغ المشاعر المندفعة في زمن سيادة قيم المشاعر المندفعة التي لا تعير اهتماماً لمصداقية أو حق أو صواب أو عدل أو أخلاق).هـ. وفي مقال ظريف مفيد للأستاذ الدكتور / أحمد بشير – وهو من كُتـــّاب موقع بوّابـتي ، وتحت عنوان: (بين هارون الرشيد ومعلم الأمين والمأمون) ، قال ما نصه: (يقول الشيخ محمود شلتوت: وإذا كانت خلافة الإنسان في الأرض هي مهمة الإنسان في الحياة ، وهي حكمة خلْقه ، وحكمة الإنعام عليه بقوى العلم والعمل ، وحكمة تَسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف ، فإنه لا سبيل إلى قيامه بهذه المهمة وتحقيق تلك الحِكَم ، إلا إذا تحصَّن جيداً بالعلم ؛ ليَعرف الخير من الشر ، والنافع من الضار ، والمُعمِّر من المُخَرِّب ، وتحصَّن كذلك بالصحة ؛ ليَكْمُل عقْله ، ويَسْلَم تدبيره ، وتتَّصل جهوده . إن مكانة المعلم في الإسلام أرفع مكانة ، إنها مهمة الأنبياء والرسل عليهم جميعا صلوات الله وتسليماته ، وهو ما يؤكده قول الله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة). وهذا المعنى ذاته وضحه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: (ولكن بعثني معلماً ميسراً) (رواه مسلم وأحمد) ، قالوا: ووردت معلماً نكرة لتعم كل أنواع وجنس التعليم. والمراد هنا كل أنواع التعليم والعلم الموافق لكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وكثيراً ما أتوقف أمام أحوال السلف الصالح في شتى شؤون الحياة ، ومواقفهم إزاء العديد من القضايا والأشخاص والأحداث والموضوعات. تلك المواقف التي تحمل من المعاني والدلالات ما نحن في أمس الحاجة إليه في حياتنا المعاصرة ، إنها مواقف من التراث الغني الزاخر لأمة الإسلام تحمل العديد من المعاني التي غابت عن واقعنا اليوم أو تكاد ، وهنا أستشعر عظم مسؤولية الدعاة والمربين وأهل الفكر والقلم في تبصير أجيالنا الحالية بما كان عليه سلفهم الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في جميع أحوالهم ، لتحقق فيهم الأسوة الطيبة ، والقدوة الحسنة لأجيال كثيراً ما نسمع النابهين منهم يقولون نحن جيل بلا أساتذة ، إنهم يضجون بالشكوى مما هم فيه من تيه ، وما هم عليه من ضياع البوصلة التي تدلهم على الطريق القويم وترشدهم إلى سواء السبيل ، ولا شك أن في سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلكوا مسلكهم ، واتبعوا نهجهم هم القدوة التي تفتقدها الأجيال المعاصرة. ولذلك يقول الإمام ابن الجوزي رحمة الله عليه في كتابه الموسوعي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: واعلم أن في ذكر السير والتاريخ فوائد كثيرة ، (وذكر منها) أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار ، فالنفس تجد راحةً بسماع الأخبار ، قال أبو عمرو بن العلاء: قيل لرجل من بكر بن وائل قد كبر وذهبت منه لذة المأكل والمشرب والنكاح ؛ قيل له: أتحب أن تموت؟ قال: لا! قيل له: فما بقي لك من لذة الدنيا؟ قال: أستمع أخبار الرجال وأستمع العجائب. إننا نحسب أن من أهم وسائل إشعال العزائم ، وإثارة الروح الوثابة ، وقدح المواهب ، وإذكاء الهمم ، وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء دون أمر ونهي ، والتسامي إلى معالي الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والاحتذاء بسير الأجلاء الأسلاف ؛ خير سبيل إلى ذلك كله هو التذكير بالمواقف الثرية من سير العلماء الصلحاء ، والوقوف على بعض أخبار الرجال العظماء ، والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين ، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدين ، والموقف الذي نحن بصدده يجلي لنا كيف كانوا ينظرون إلى مكانة العلم ، ويقدرون دور المعلم ، وجلال مهمته وعظمة رسالته ، الأمر الذي جعلهم يرفعون مكانته ، وينزلونه منزلة مرموقة ، إنه موقف يجسد لنا منزلة المعلم بين تقدير السلف وإهمال الخلف ، وكيف أن حال المعلم اليوم – والذي لا يخفى على أحد –

يشي بالهيبة الضائعة ، والمكانة مفقودة. فكيف يمكن أن نعيد للمعلم هيبته ومكانته ، حتى يتسنى له أن يعود إلى مهمته المقدسة العظيمة ودوره الفعال في بناء الأجيال ، إنه المعلم باني الإنسان ، وصانع الأجيال ، ومؤسس القادة. نعم لقد كان سلفنا الصالح يعرف فضل العلم والعلماء ، وفضل المعلم والمربي ودوره الهام في صناعة الأجيال وبناء الإنسان الصالح المصلح ، النافع لنفسه ودينه وأمته ، ومن هؤلاء كان الخليفة هارون الرشيد الذي يعطينا درسا بليغا في قيمة العلم ومكانة المعلم ، فلقد عهد إلى الكسائي (وقيل إلى الأصمعي) بتعليم ابنيْه الأمين والمأمون ، وأوصاه أن لا يدللهما ، وأن يوقفهما على بابه ليدركا أهمية المعلم ورهبته ، وأن يعنفهما إذا لزم الأمر ، وأوصاه قائلا: أقرئهما القرآن ، وعرفهما الأخبار ، وروّهما الأشعار ، وعلمهما السنن ، وبصرهما بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعهما من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيدهما إياها! وهذا يدلنا على قيمة العلم ، ومكانة العلماء في منظور الإسلام ، حتى أن العلم في الإسلام يأتي قبل العمل فلا عمل صالح بغير علم ، يقول العلامة الدكتور راغب السرجاني: (العلم من أنبل الغايات وأشرفها ، وله مكانة عظيمة في ديننا ، به يعبد المسلم ربه على بصيرة ، بل ويكون أشد خشية له ، فكان تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاداً ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة. كما يدلنا ذلك كله على مكانة المعلم والمربي في الإسلام ، فهي مكانة سامية عظيمة حددها القرآن الكريم ، وبينتها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكذا ما سطره السابقون الأولون ومنهم الإمام الحسن البصري حيث يقول: لولا العلماء (والمعلمون) ، لصار الناس مثل البهائم ، أي أنهم بالتعليم يخرجونهم من حضيض البهيمة إلى أفق الإنسانية ، وقال الإمام الغزالي: حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية. والسؤال الذي يفرض نفسه: متى يأخذ المربي والمعلم المسلم حقه الذي يظهر مكانته وأهميته في حياة الأمة؟ متى يدرك الآباء والأمهات والمجتمع المسلم بأسره فضل المعلم في بناء الإنسان ، وصناعة الأجيال ، وتشييد الأمم ، وإرساء قواعد الحضارة؟ ومن هنا فإنه يجب أن يكون المعلم قدوة صالحة لطلابه وتلاميذه حتى يكونوا له كما كان يفعل الأمين والمأمون ابنا هارون الرشيد ، أورد ابن كثير يرحمه الله في موسوعته التاريخية البداية والنهاية إذ يقول: قال إسماعيل بن عياش وما على وجه الأرض مثله (يقصد عبد الله بن المبارك) ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص ، وهو الدهر صائم ، وقدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر هناك فقالت: ما للناس؟ (أي لماذا يتجمع الناس ويتزاحمون هكذا) ، فقيل لها قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فانجفل الناس إليه ، فقالت المرأة: هذا هو المُلك لا ملك هارون الرشيد. تلك هي منزلة العلم ، ومكانة العلماء ، وقيمة المعلم ومنزلته في دنيا الناس ، فمتى تعود للمعلم عندنا مكانته ، وهيبته ، ووقاره؟ فلا خير في أمة لا مكانة فيها للعلماء والمعلمين ، وخاب وخسر مجتمع لا ينزل المعلم منزلته ، وأي مصيبة يمكن أن يبتلى بها قوم في عصر العلم أخطر من أن تتدنى نظرتهم إلى المعلم وتتراجع في سلم أولوياتهم مكانته ومنزلته؟ حتى صار المعلم في ذيل القافلة ، في وقت يتصدر فيه الرويبضة وأنصاف الرجال؟).هـ. ولقد أكد الشيخ إبراهيم بن ناصر الصوافي أمين الفتوى بمكتب سماحة الشيخ المفتي العام للسلطنة أن تخصيص يوم للمعلم هو لفتة تربوية يراد منها

شد انتباه الطلبة ، وتوقيفهم على مكانة المعلم العالية وما يجب عليهم تجاه معلمهم من احترام وتقدير وتواضع وحرص على الاستفادة منه. وأضاف: يكفي المعلم شرفاً أن يكون مؤدياً لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية ألا وهي رسالة العلم التي هي امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين. وأشار إلى أن ثمرة العلم هي التربية الصحيحة القائمة على الخلق والقيم لأنها الوعاء الحافظ للعلم ، وإن المعلم الذي يتحلى بالأخلاق المحافظ على آداب الدين ينعكس ذلك على طلابه ، وكذلك العكس. جاء ذلك أثناء لقائنا معه للحديث عن يوم المعلم ، حيث قال: المعلم رجل مضحٍ ، وله فضل على جميع فئات المجتمع! فما من شخص منا إلا وتربى على يد معلم ، سواء كان هذا الشخص عالماً في الشريعة أو طبيباً أو مهندساً أو مزارعاً أو في أي تخصص كان ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سمو مكانة المعلم. فالمعلم يقوم برسالة عظيمة هي امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين من عهد أبينا آدم عليه السلام ، ومروراً بسائر الأنبياء والمرسلين ووصولاً إلى خاتمهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فالله تعالى قد علّم آدم أسماء الأشياء كلها ، ليقوم آدم بأول رسالة تعليمية عندما يبلّغ ما علمه الله إياه إلى أبنائه وذريته ، ثم توالت رسالة الأنبياء والمرسلين من بعد ، وكل واحد منهم يعلم أبناء جنسه ما أوحاه الله إليه ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما بُعث معلمًا. وهو القائل مثنياً على جبريل إذ جاء في صورة دحية الكلبي: (أتاكم يعلمكم أمور دينكم). وتخصيص يوم ليكون يوماً للمعلم ما هو إلا رمز ولفتة تربوية ، يراد منها شد انتباه الطلبة ، وتوقيفهم على مكانة المعلم العالية وما يجب عليهم تجاهه من احترام وتقدير وتواضع وحرص على الاستفادة منه ، وإلا فإن كل الأيام يجب أن يتحلى فيها الطالب بما يجب عليه تجاه أستاذه ، كما أن الآباء والأمهات عليهم أن يقوموا بما يجب لتوقيف أولادهم على المنزلة السامية لأهل العلم ويربوهم على حسن الاستفادة منه. وأوضح الصوافي قائلاً: إن المجتمع بأسره عليه أن يقوم بهذه الرسالة حتى نربي أجيالاً يستفيد فيها كل جيل فيها من الجيل الذي سبقه ثم يبلغ رسالة العلم الى الجيل اللاحق وهكذا ، ورسالتنا للمعلم نفسه في هذا اليوم أن نقول بأنه عليه أن يعلم أنه يتشرف بحمل رسالة عظيمة شرف بها ، وفيها اقتداء كما تقدم بالأنبياء والرسل. ويعد تعليم العلم النافع إذا صاحبه الإخلاص صدقة جارية يبقى أجرها وثوابها للمعلم ما بقي أحد ينتفع بعلمه ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم معلم عرفته الإنسانية ؛ لأنه قد بلّغ القرآن وعلّم الصحابة ثم انتقل علمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأجيال المتلاحقة جيلاً بعد جيل ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شريك معهم في الأجر! وهكذا كل معلم أخلص لله سبحانه واجتهد في التعليم فإن كل عالم انتفع بعلمه وعمل به يكون مشاركاً للعاملين في الأجر والثواب. وأضاف: وهذا كله يدفع المعلم إلى الصبر والتحمل وعدم الضجر أو اليأس ولا يقول في نفسه مثلاً: إن استفادة الطلبة مني قليلة ، أو أن الأجيال قد تغيرت ، أو نحو ذلك مما يضعف طاقاته وقدراته الإنتاجية ، بل يؤمر كما تقدم بالصبر واحتساب الأجر عند الله ، فإن الله عز وجل يقول: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). وأبان الصوافي القول: يكفي المعلم شرفًا أن يكون مؤديًا لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية ألا وهي رسالة العلم ، الذي أثنى الله عليه كثيرًا في كتابه ، وأثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة الثابتة فالله تعالى يقول: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). ويقول سبحانه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ). والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (تعلموا العلم فإن

تعلمه قربة إلى الله عز وجل ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وإن العلم لينزل بصاحبه في موضع الشرف والرفعة ، والعلم زين لأصحابه في الدنيا والآخرة). وأشار إلى أن المعلم تقع على عاتقه رسالتان ، رسالة نقل العلم ورسالة التربية والتنشئة الصحيحة ، ولذلك تسمى وزارة التعليم بوزارة التربية والتعليم ، إذ لا ثمرة ترجى من العلم إن لم تصحبه تربية صحيحة على الخلق والقيم ، فإن الآداب والأخلاق هي الوعاء الحافظ للعلم ، ومن هنا كان من الواجب على المعلم أن يكون قدوة لطلابه في كل شؤونه التي يقتدي الطلبة فيها به ، فإن الطالب يتأثر بمعلمه في كثير من الأحيان اكثر من تأثره بوالديه لذلك تنعكس على الطالب أخلاق وسلوك المعلم فإذا كان المعلم متحلياً بالأخلاق ومحافظاً على آداب الدين كان ذلك ادعى أن تنعكس هذه الأخلاق على طلابه ، والعكس بالعكس ، فكم رأينا من طالب او طالبة تحلوا بالأخلاق وتمسكوا بتعاليم الدين نتيجة وقوعهم في يد معلم مدرك لرسالته ومتحل بما يجب أن يتحلى به ، وليس معنى هذا أنه يسوغ للطالب أن يأخذ الأخلاق السيئة من معلمه ، بل عليه أن يركز على الجوانب الإيجابية والسلوك الحسن عند المعلم ويغض الطرف عما هو سيء فيه ، لأن الله سبحانه قد وهب البشر العقل للتفكير والنظر والاستفادة مما هو متاح لهم في هذا الكون ، فيأخذ الحسن ويترك القبيح ، ولو نظرنا إلى النحلة والذبابة لوجدناهما من نفس الفصيلة (حشرات) ، ولكن النحلة تعطينا عسلاً صافياً فيها شفاء وغذاء ، أما الذبابة فلا تعطينا إلا ما يسبب الأمراض ويشين الإنسان ، والسبب في هذا الفرق بينهما أن النحلة تختار الأماكن الجميلة ، فتقف على الأزهار والأشجار والمياه النقية ونحو ذلك ، مما من شأنه أن يحسن إنتاجها ، وأما الذبابة فهي على العكس من ذلك تماماً ، إذ تقف على الأوساخ والقاذورات ، فلا يرجى منها إلا أن تنتج ما فيه مضرة! وهكذا الناس في هذه الحياة من حرص على الوقوف على محاسن ما عند الناس اكتسب الخلق والقيم وأصبح عنصراً فعالاً في مجتمعه وأما من صاحب الأراذل ، ووقعت عينه على القبيح وتجاوز الحسن ، فإنه ينقلب إلى مصدر للضرر ، ويكون وبالاً على أسرته ومجتمعه. أما الدكتور محمد عبدالرحيم الزيني – أستاذ الفلسفة بكلية العلوم الشرعية فأوضح أثناء التقائنا معه للحديث عن هذه المناسبة أن المعلمين على مر التاريخ هم الذين شاركوا الأنبياء في تنمية أسس التربية الإسلامية وأساليبها ، ونشر القيم الأخلاقية ، وعملوا على استكمال دور المصلحين الاجتماعيين وزعماء الإصلاح وروَّاد الوعي الإنساني ، وتعديل السلوكيات المعوجة ، وتثبيت المفاهيم الصحيحة والرقي بالنفوس وتهذيبها ، وسكب مشاعر المحبة والمودة. وقد استهل الزيني حديثه قائلاً: (لعل من نافلة القول أن نتكلم عن أهمية العلم بمفهومه الشامل سواء أكنا نقصد العلم الديني أو العلوم الإنسانية التي تتمحور حول الإنسان بأبعاده المتعددة أو العلوم الطبيعية التي تبحث في المادة على تنوع أشكالها مثل الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ، فلا غرو أن هذه العلوم تتضافر جميعاً ، وتشارك في رقي الأمم وتمهد لها السبيل للمشاركة الإيجابية في بناء المستقبل وسعادة البشرية. وأضاف: من المعلوم في الأذهان أن القرآن الكريم أعلى من شأن العلم وبشر بمكانة العلماء ، وحث أتباعه على الاستزادة من هذه العلوم الدينية أولاً التي تتحدث عن الفعل الإلهي المباشر في الكون ، والمشيئة الإلهية النافذة ، حتى ينمي محكمة الضمير داخل جوَّانية المسلم فيصبح رقيبًا على نفسه حينما يغيب الرقيب الاجتماعي أو القانوني ، ولم يغفل أن يحث الإنسان على النظر في الكون كي يطمئن قلبه للمضي في هذه الحياة ، وهو يعلم أن الله محاسب الإنسان على ما قدمت يداه من خير لمجتمعه ووطنه والبشرية كافة ، ويلفت انتباهه أيضًا أن هناك حسابًا لكل عمل

شرير يضر بمصلحة أخيه الإنسان أو يهدم القيم الأخلاقية. وأشار إلى أننا نشاهد في حياتنا اليومية أن الدول التي اعتمدت على المنهج العلمي هي التي حققت نجاحات متواصلة في كافة المجالات ، وغزت الفضاء بعد أن سيطرت على أرجاء المعمورة بتقنياتها التي غزت الكرة الأرضية ، لا سيما في مجال التقنيات والصناعات الراقية ، ووفرت لشعوبها سبل المعيشة المريحة وأسباب الرفاهية ورغد الحياة وألوانا من السعادة تفتقدها معظم الأمم الإسلامية. واختتم حديثه بالقول: ولا جرم أن نقول أننا مطالبون بإعادة الاعتبار لمكانة العلم والمعلمين ، ونشر المفاهيم الصحيحة عن دور المعلم في قيادة المجتمع تربويًا وأخلاقيًا ودينيًا ، والناظر في تاريخ التعليم يرى أن المعلمين على مر التاريخ هم الذين شاركوا الأنبياء في تنمية أسس التربية الإسلامية وأساليبها ونشر القيم الأخلاقية ، وعملوا على استكمال دور المصلحين الاجتماعيين وزعماء الإصلاح وروّاد الوعي الإنساني ، وتعديل السلوكيات المعوجة ، وتثبيت المفاهيم الصحيحة والرقي بالنفوس وتهذيبها ، وسكب مشاعر المحبة والمودة).هـ. وعن صورة المعلم ووظيفته في الشعر العربي يحدثنا الأستاذ الكبير الداديسي فيقول ما نصه: (تعد مهنة التعليم من أكثر المهن التي أشاد بها المفكرون والعلماء وحتى الصحابة والأنبياء ، فقيلت في المعلم أقوال مأثورة كثيرة ، منها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمل في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير! وشبه علي بن أبي طالب العالم بالنخلة دائما (تنتظر متى يسقط عليك منها شيء). ومنهم من وضع المعلم في مكانة الأنبياء والرسل ، وألبسوه من الصفات ما لم يوصف به غيره ، فرأى فيه البعض طبيب المجتمع الواقي من الأدواء والشرور ، يبني العقول التي بدونها لا مستقبل للإنسانية ، لما له من قدرة على تحويل الظلام إلى نور ، وتنوير العقول ، له دائما أكثر مما يقول ، وقد أفاض الفكر النهضوي في العالم العربي في الحديث عن أهمية العلم ووظيفة المعلم في إصلاح أحوال البلاد والعباد ، باعتبارهم العلم الوسيلة الوحيدة لإخراج الأوطان من التخلف ، وإنقاذ البلاد مرهون بدور المعلمين وأهل العلم. يقول الشاعر المغربي محمد السليماني: (بني العلم الرعاة ألا أفيقوا ** فإن الشاة في وسط الذئاب). ولسنا هنا بصدد مناقشة أهمية العلم ووظيفة المعلم في الحياة وإنما همنا رصد بعض ما صدحت بها حناجر الشعراء في حق المعلمين في وقت باتت فيه صورة المعلم صورة مضببة وباهتة. وإذا كان المعلم قادراً على فعل كل ذلك فإنه يفعله بإخلاص وتفان في العمل ، لأنه على استعداد لأن يحترق من أجل إسعاد الآخرين وإنارة طريقهم. بل أكثر من ذلك وجدنا من الشعراء من يعتبر المعلم أصل كل فضيلة في المجتمع ، كما تجلى في قول عبد الفتاح غازي في قصيدة أنت المعلم من ديوان شمس لا تغيب ذلك الديوان الذي أنصف المعلم إنصافاً لا حدود له: (فاعلم بأنك أصل كل وجـــــــــودها ** هو فيض علمك شاع في الأكوان) ، ثم أثنى على المعلم بقوله: (أنت المعلم أصل كل فضيلة ** أنت الإمام سبقت بالإحسان)! كثيرة إذن هي القصائد التي خلدت فضل المعلم. ومنها قول محمد الدومي ذلك الشاعر النحرير الدقيق الفذ الذي عدد بعض تلك الفضائل في قوله:(تبني العقولَ بإصرارٍ وتضحيةٍ ** فتستنيرُ على أفكارِها النُّسُـــــــــــــمُ) هكذا رأى معظم الشعراء المعلم: الإنسان الباني ، المنير المستنير ، الهادي ، بل المنقذ إذا ما عصفت الأهوال بالناس والأمم! استمع لشاعر محترم يخاطب أحد المعلمين رافعاً شأنه وجاعلاً إياه أحد بُناة الحضارة والتقدم: فيقول يخاطب المعلم: (فأنتَ فضلٌ لأقوامٍ لهمْ أمـــــلٌ ** في الفكرِ تعلو وفي الآدابِ تُحتـــرَمُ)! ومن الشعراء من نظم شعراً

ليعترف بتأثير المعلم على حياته وكيف كان المعلم سبب كل ما حققه من نجاحات في حياته كلها بما بذل: (لــولا المعلم ما قرأتُ كتابــاً ***** يوماً ولا كتب الحروف يراعي) ولأن معلماً هذه صفاته وفضائله ، فإنه حظي بمكانة هامة عند الشعراء ، فدعوا إلى تحيته والوقوف على فضائله قال شاعر محترم: (حيُّوا المعلمَ ما دامتْ عزائمُـــــهُ ** تبني الحياةَ وفيها المجدُ يُغتنَــمُ)! لكن ، مقابل ذلك الزخم الهائل من الأشعار والأقوال المأثورة في فضل المعلم ، يلاحظ أن مادية العصر ، وتخلي بعض المعلمين عن رسالتهم النبيلة ، وجريهم وراء الماديات في عصر يعاني أزمة قيم كل ذلك وغيره ، جعل عامة الناس ، وخاصتهم ، ومنهم الشعراء طبعاً ، يغيرون من نظرتهم للمعلم ، فغدا محط سخرية وتهكم ، ينظرون إلى كل الفاعلين في التعليم باستصغار يصفون المهنة باحتقار ، فبعدما كان الأطفال المتعلمين بتطلعهم رمزاً للبراءة ، أضحى عدد من الشعراء يرون فيهم رموزاً للبلادة! فها هو شاعر يرى فيهم بهائم يستحيل تعليمها ، والمعلم يقف عاجزاً عن أداء مهمته يستجدي عطف الناس لأن تعليم البهائم فوق طاقته وهو مجرد بشر وليس رسولاً يقول وقد طفح به الكيل وبلغ السيل الزبى ووصل الأمر إلى منتهاه الأقصى ، وفاق احتمال المعلم: (دَفَعُوا إليْه بهائِمًا وَعُجُولا ** ليُقيمَ مِنها أنْفُسًا وَعُقُولا) ويزيد لأمر وضوحاً فيقول بصراحة: (يا قَوْمُ رفقًا بالمعــلِّمِ إنَّهُ ** مِنْ جِنْسِكُمْ بَشَرٌ ، وَلَيْسَ رَسُولا) وذات الشاعر يرى في التلميذ المتعلم حماراً لأنه لا يستوعب ما يعلمه إياه المعلم فيخطئ في تطبيق القواعد اللغوية يقول منددا بمثل هذا الطالب: (فأرى حماراً بعد ذلك كله ** رفع المضاف إليه والمفعولا)! ولم تقتصر هذه النظرة على الشعراء ، بل تسللت إلى المعلمين أنفسهم ، فأمسوا يحتقرون مهنتهم العسيرة ويعتبرونها مصدر مشاكلهم ، وسبب تعاستهم تدفع بعضهم إلى الانتحار ، وهذا المعلم والشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الذي (ولد في نابلس بفلسطين في 1905م وتوفي في الثاني من مايو سنة 1941م). وإذا كانت هذه النظرة الطوقانية قديمة هكذا ، فما بالنا بنا اليوم؟! وفي الختام يتضح لنا أن هناك تغييراً جذرياً في منظومة القيم ، ساهمت فيه مادية العصر وعولمة القيم وتعدد الوسائط ، مما غير في نظرة الناس لعدد من الثوابت ، ومن ضمنها نظرتهم للمعلم الذي لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، بل يبدو للناس أن ما يقدمه المعلم في عالمنا العربي متجاوزاً وبطرق عتيقة ووسائل متهالكة جعلوه موضوع النكتة ورمزاً للقيم البالية المتجاوزة ، وأثر ذلك على نفسية المعلم ووظيفته بعد أن سحبوا منه رسالة التربية وقصروا عمله في التلقين والتعليم ، وبعدما كان يشكل القدوة ، ويشعر بقداسة الرسالة التربوية أصبحت مهنة التعليم تشعره بتفاهته).هـ. ويقول الأستاذ أسامة أمين تحت عنوان: (المعلم وظيفة الأبطال والفاشلين في أوروبا) ما نصه: (تحظى وظيفة المعلم في أوروبا الغربية بمكانة مرموقة ، تضمن احترام المجتمع ، وراتبًا مرتفعًا نسبيًا. وتدل الإحصائيات على أن أكثر من 70 في المئة من المعلمين الأوروبيين يشعرون بالسعادة في عملهم ، لكن نصفهم يرون أن هذه المهنة قد أصبحت أكثر صعوبة في السنوات العشر الماضية ، خاصة في التعامل مع الطلاب ومع أولياء الأمور ، وأن ما درسوه في الجامعة ، بعيد عن الواقع ، سواء تعلق الأمر بالمناهج التعليمية ، أو بالواقع العملي في المدارس. وتشير الدراسات إلى أن 20 في المئة من المعلمين فاشلون في عملهم ، وأن استمرارهم في العمل يتسبب في الكثير من الخسائر المادية والمعنوية. تكتب المعلمة قصيدة عن الخريف لأحد كبار الشعراء ، وتطلب من الطالبات قراءتها**

، ثم تطلب منهن أن ينطلقن بإبداعهن ، وأن تكتب كل واحدة منهن قصيدة عن الخريف ، لا تركز على الوزن والقافية ، تريد منهن أن يشعرن بالخريف ، ويصفنه بكلماتهن ، الممزوجة بخيالهن ، وكلما قرأتْ إحداهن ما كتبته ، صفقتْ لها الأخريات ، وأثنت المعلمة على ما تراه مميزًا في قصيدة الطالبة. تؤكد المعلمة أنه لا توجد مادة دراسية أخرى ، يقترب المعلم فيها من طلابه ، مثل حصة اللغة الأم ، لأن ما يتعلمه الطلاب هناك يفوق بكثير المنهاج الدراسي ، لأنه يتناول القضايا الكبرى في هذه الحياة ، مثل المثاليات والقيم ، وكيف يستطيع الطالب أن يعبر عن أفكاره ، بكلمات نابعة من داخله ، وأن يقف أمام زملائه ويقرأ عليهم ما كتب ، ويتناقش معهم عندها تنتهي الحصة بسرعة ، دون أن يتسرب الملل إلى قلوبهم. قبل أن تغادر المعلمة الصف ، تنادي على إحدى طالباتها ، وتطلب منها أن تمر عليها في غرفة المعلمات في الاستراحة الفاصلة بين الحصص ، وأن تحضر معها أقرب الصديقات إلى قلبها ، لأنها تريد أن تتحدث معها ، بعد أن لاحظت جروحًا في يدها ، وتريد أن تعرف مصدرها ، وتقدم لها يد العون. تقول المعلمة إنها تهتم بإقامة علاقة شخصية مع كل طالبة من طالباتها ، تكتسب ثقة كل واحدة منهن ، وتطلب منهن دومًا أن يخبرنها ، بأي عيوب في شرحها أو في طريقتها في التدريس ، وتقول لهن: «أريد أن أصبح أفضل ، فلا تترددن في إخباري بأي رأي ، وتقديم النصيحة لي». وترى أن المعلم مثل الطالب ، لا بد أن يكون مستعدًا للاستمرار في التعلم مدى الحياة. ولقد حصل هانس أوتو كار ميسين على لقب المعلم المثالي في العلوم الطبيعية في ألمانيا ، ولم تكن تقارير مدير المدرسة أو المشرف هي السبب في حصوله على هذا اللقب ، بل كانت نتائج طلابه وآراؤهم فيه ، هي المعيار الذي دفع جامعة أولدنبورج ، لمنحه هذه الجائزة. يصفه الطلاب بأنه مثل مدرب السيرك ، لكنه لا يحمل الكرباج الذي يلوح به المدربون ، هو دائم التنقل بينهم ، فإذا تناول في درسه موضوع المخاطر التي تتسبب فيها المصابيح الكهربائية الموفرة للطاقة ، كان حديثه شيقًاً طريفاً ، قريبًا من واقعهم اليومي ، يقوم الطالب تلو الآخر من مقعده ، ويرسم على اللوح مكونات المصباح ، والضوء المنبعث منه ، وفي كل مرة يصفق المعلم لطالبه ، ويصفق الطلاب لزميلهم ، بعدها يقسمهم المعلم إلى مجموعات لتتناقش كل مجموعة حول الموضوع ، ثم يقف متحدث باسم كل مجموعة ، ليشرح ما توصلوا إليه من نتائج ، ويجمع المعلم من كل فريق هذه النتائج ، ويصل إلى محصلة مفادها أن حصة الضوء الأزرق في هذه المصابيح لا ينبغي أن تكون عالية ، حتى لا تضر بالبصر ، ثم ينتقل معهم إلى معمل العلوم حيث يشاهد الطلاب التجربة على المصابيح بأنفسهم ، ويعرض عليهم فيلمًا عمليًا يتناول هذا الموضوع ، وبعد نهاية الدوام يرسل إليهم على بريدهم الإلكتروني نتائج التجارب العلمية العملية. يوضح المعلم أنه يحرص على استخدام خليط من الطرق التعليمية المختلفة ، بحيث يستطيع كل طالب أن يجد الطريقة المناسبة له في التعلم ، ويشعر الجميع بنفس القدر من الحماس للمعرفة ، ويشارك كل واحد منهم ، إما من خلال مجموعات العمل ، وإما بالخروج إلى السبورة ، أو بالقيام بالتجارب المعملية ، ويساعد القيام من المكان ، والحديث المشترك بينهم ، على بقائهم في حالة نشاط مستمر طوال الحصة. ويشير الخبير كارميسين إلى أن المدارس الثانوية اليوم ، تستقبل كلها طلابًا متفاوتين من مختلف البيئات الاجتماعية ، ذات الخلفيات الثقافية والدينية والمعرفية المتباينة ، وأن المعلم مطالب بمراعاة ذلك ، وألا ينحصر اهتمامه على مجرد وجود الطلاب في الصف ، حتى ولو كانت عقولهم في مكان آخر. يقول أيضًا إن هناك تحولًا ضخمًا لم يدركه البعض بعد ، ففي الماضي كان المفروض على الطالب أن يتكيف

مع المدرسة ، وكانت إدارة المدرسة تضع التصور الذي يجب أن يسري على الجميع بدون استثناء ، أما مدرسة اليوم فهي مطالبة بأن تتكيف مع طلابها ، وهو الأمر الذي يربط نجاح المعلم ، بمدى قدرته على تطوير طريقته في التدريس يوميًا وفي كل صف يدخله ، بما يتناسب مع ميول الطلاب ، أما المعلم الفاشل فهو الذي يحتفظ بدفتر التحضير الذي كتبه قبل سنوات ، ويكرر نفس الشرح عامًا بعد عام. ولقد توصلت دراسة أمريكية حديثة إلى أن الفرق في مستوى طلاب المعلم الجيد والمعلم الفاشل ، يصل إلى عام دراسي كامل ، أي أن طلاب الصف السادس لدى المعلم الفاشل ، لا يزيد مستواهم عن طلاب الصف الخامس ، كما توصلت الدراسة إلى أن المعلم الجيد يستطيع أن يرتفع بمستوى طلابه من أبناء الطبقة المنخفضة اجتماعيًا ، إلى نفس مستوى أبناء الطبقة الراقية ، رغم أن الطبقة الفقيرة ، لا تهتم في العادة بتعليم أطفالها ، ولا تستطيع توفير الكثير مما يحصل عليه أبناء الوالدين الأكاديميين الأغنياء من قصص وألعاب تعليمية ورياض أطفال راقية. وإذن فالمعلم الفاشل هو الذي يقتل الحماس في طلابه ، ويعجز على التواصل معهم ، يقوم بعمله بأقل قدر ممكن من الجهد ، ولا يعرف روح الفريق ، فيعمل بمفرده ، ويتهم زملاءه بعدم التعاون معه ، ولا يقبل النصح من الآخرين ولا الاستفادة من خبراتهم ومواهبهم. وقد توصلت دراسة ألمانية إلى أن المعلم الذي فقد القدرة على العطاء ، وأصابته أعراض (الاحتراق النفسي) ، يكلف الدولة 370 ألف يورو ، أي أن التخلص من ثلاثة معلمين من المصابين بهذه الأعراض الخطيرة ، يوفر على خزانة الدولة مليون يورو ناهيك عن الأضرار التي تصيب الطلاب ، الذين يقوم بتدريسهم ، أو على الأصح الذين لا يقوم بتدريسهم ، رغم وجوده في الصف. كل ذلك دفع الكثير من كليات التربية لأن تشترط إجراء اختبار شخصي ، للتعرف على مدى صلاحية الشخص لهذا العمل ، وتستمر هذا الاختبارات لمدة يوم كامل ، يقوم فيه الطالب بشرح موضوع ، قام بالتحضير له من قبل ، ثم يشترك مع طلاب آخرين متقدمين للدراسة في العمل كفريق لعرض قضية ما ، بحيث تظهر قدرته على التعاون مع الآخرين ، ومدى إسهامه في عمل الفريق ، وأخيرًا يقوم المتقدمون بتبادل الأدوار ، مرة كمعلم ومرة أخرى كطالب ، لإظهار قدراتهم العملية على فهم الطرف الآخر ويراقبهم طوال الوقت فريق من ثلاثة معلمين ، وطبيب نفسي ، يقومون بعد ذلك بطرح أسئلة عن دوافع الطالب للالتحاق بكلية التربية ، وما الذي يجتذبه لوظيفة معلم. هناك جامعات تتعاون مع مدارس ، وتضع في الصف التجريبي أربع كاميرات ، ويقوم كل طالب بتدريب عملي أسبوعي في هذا الصف ، لمدة فصل دراسي كامل أثناء دراسته ، ويشاهده طوال الوقت ثلاثون طالبًا وطالبة ، علاوة على أساتذته في الجامعة ، وبعد انتهاء الحصة ، يتناقش الجميع فيما شاهدوه ، ومدى قدرة هذا الطالب على التحكم في الصف ، وشرح المادة بطريقة مفهومة للجميع ، واستخدامه للوسائل التعليمية ، كما يقومون بإبداء الملاحظات حول استخدامه لصوته في الصف ، وقدرته على فرض مناخ من الاحترام المتبادل بينه وبين الطلاب. وقد تسببت هذه الاختبارات الشخصية في استبعاد الكثيرين من الطلاب ، بعد أن ثبت عدم قدرتهم على تحمل الجهد ، أو عدم امتلاك الشخصية القيادية ، أو عدم القدرة على التعاون مع الآخرين ، أو النفور من الأطفال أو أن يكون الدافع الوحيد للعمل كمعلم ، هو البحث عن وظيفة تضمن دخلًا ثابتًا ، حتى بلوغ سن المعاش. ولكن هناك من ينتقد هذه الاختبارات ، ويرى أنها تجري في ظروف استثنائية ، يكون الطالب فيها متوترًا للغاية ، علاوة على أن الدراسة الجامعية في كليات التربية ، يمكن أن تسهم في صقل شخصية الطالب ، وتجعلها أكثر نضجًا. ويشير رافضو

هذه الاختبارات ، إلى أنها السبب وراء العجز في بعض التخصصات مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية. والسؤال الذي يدور حوله الجدل بين الفريقين المؤيد لاختبارات القبول والرافض لها ، هو: هل وجود معلم فاشل أفضل من عدم وجود أي معلم ، أم أن ما يتسبب فيه المعلم الفاشل ، أكثر فداحة من عدم وجوده؟ وهناك في ولاية بافاريا الألمانية ، والمعروفة بارتفاع المستوى التعليمي في مدارسها ، اختارت في العام الماضي 302 خريج فقط من بين 936 تخرجوا في كليات التربية بجامعاتها ، ورفضت تعيين البقية في مدارسها ، وقررت أن تعوض النقص في مدارسها من خلال اجتذاب المعلمين المتفوقين من بقية الولايات الألمانية ، بتقديم رواتب ومميزات أفضل ، وهو الأمر الذي أغضب وزارات التعليم في بقية الولايات ، لكنه أسهم في حصول طلابها على أفضل مستوى تعليمي. فما هو المطلوب من المعلم؟ يرى الخبراء أن المطلوب من المعلم في الوقت الحالي ، يفوق طاقة الإنسان العادي ، وأن من يفشل في هذه المهمة أحد شخصين ، إما أن يكون شخصًا لا يملك المؤهلات الشخصية والعلمية لهذه الوظيفة الصعبة ، أو يكون شخصًا فقد طاقته شيئًا فشيئًا أثناء سنوات هذا العمل. لم تعد مهمة المعلم تقتصر على نقل المعلومات ، بل أصبح المطلوب منه أن يكون متابعًا جيدًا للطالب أثناء التعلم ، قادرًا على تقديم المشورة في الأمور الحياتية ، وعلى التعرف على نقاط القوة والضعف عند كل طالب ، وأن يكون مؤمنًا بدوره الإصلاحي في هذا العالم ، وبتقديم الرعاية الاجتماعية والنفسية لطلابه ، ومحفزًا للطلاب على التفكير ، وشريكًا في التربية مع الوالدين ، وأن يملك الكثير من المعارف عن الكمبيوتر ، الذي يقضي الطلاب الكثير من الوقت أمامه. لا يكتفي معلم اليوم بالمعلومات التي درسها قبل سنوات في الجامعة ، بل هو في عملية اطلاع وتعلم مستمرين ، يعرف أحدث ما وصل إليه العلم في تخصصه ، ولا ينتظر أن تصل هذه الاكتشافات الحديثة المعاصرة إلى الكتاب المدرسي ، حتى يشرحها لطلابه ، ويملك من المهارات التربوية ما يجعله قادرًا على أن يخاطب كل طالب بالأسلوب المناسب له. توصلت الدراسات الحديثة أيضًا إلى أن المعلم المتمكن علميًا من مادته ، الواسع الاطلاع على كل ما يستجد فيها وما يبتكر ، يكون أقدر على توصيل المعلومات لطلابه ، من المعلم الذي يتقن المهارات التربوية ، دون أن يمتلك المعرفة اللازمة إذ لا يستطيع أكثر التربويين مهارة أن ينقلوا لطلابهم ، ما لا يملكونه من العلم والمعرفة. كما توصلت الدراسات إلى أن المعلم المتمكن يكون له القدرة على الإقناع ، وتشجيع طلابه ، ويلمس الطلاب حماسه للمادة ، وما يبذله من جهد فيها ، فيكون مثلاً أعلى لهم. معلم اليوم لا يضيع وقت الحصة في التركيز على جلوس الطلاب دون حركة ، وعلى عدم تحدثهم أبداً مع زملائهم ، ولا أن يضحكوا ، ولا يرفع صوته بالصراخ عليهم ، لأن الحجة القوية لا تحتاج إلى الصوت العالي ، والمعلم الناجح هو الذي يقدم للطلاب العلم بصورة شيقة ومتنوعة ، ولا يجلس في الحصة على طاولة المعلم ، بل يظل متنقلًا بينهم ، متحدثًا مع كل واحد منهم ، مشجعًا ومثنيًا على كل جهد يقوم به الطالب ، بحيث يجعل من الصف خلية نحل نشطة ، وليس قفصًا للقرود ، بينهم حارس لا يملك سوى الصياح. يقول مدير إحدى المدارس ذات السمعة الممتازة إنه توصل إلى قناعة بأن المدرسة مثل أي مؤسسة تقدم خدمات ، والطلاب هم الزبائن ، الذين نسعى لإرضائهم، بتوفير أفضل الخدمات لهم ، وعلى المعلم أن يقدم الخدمة في أفضل صورة ، بما يتناسب مع احتياجات العملاء ، ويسعى لأن تكون كل حصة إضافة جديدة للطلاب ، تتوافق مع ميولهم ، وتراعي رغباتهم ، ولا يكون هم المعلم هو تشخيص قدرات كل طالب ، وتحديد الدرجة التي يستحقها في الاختبار فحسب ، بل أن يعرف

كيف يحقق أفضل النتائج ، انطلاقاً من إمكانيات كل طالب. يرى بعض المعلمين الصادقين أن أسباب الفشل لا ترتبط بضعف قدراتهم أو تكاسلهم عن العمل فحسب ، بل يشتكون من الصفوف الكبيرة ، ومن انتهاج وزارات التعليم لسياسيات فاشلة ، ففي حين جرى توحيد دراسة التربية لمعلمي مختلف المراحل الدراسية في كثير من الدول الأوروبية ، إذ يحصل معلم المرحلة الابتدائية على نفس مؤهل معلم المرحلة الثانوية ، فإن معلم المرحلة الابتدائية يبدأ وظيفته في درجة وظيفية معينة ، ترافقه حتى يخرج إلى المعاش ، في حين يحصل معلم الثانوي على ترقية كل ثماني سنوات ، مما يصيب معلمي المرحلة الابتدائية بالإحباط. مثال آخر يوضح سبب فتور بعض المعلمين عن العمل ، فالمعلم الذي يجتهد ويبدع ، ويتخلى عن إجازاته لكي يواظب على حضور دورات تكميلية تنفعه في تخصصه ، ويحصل على تقدير (ممتاز) عامًا وراء عام ، لا يحصل على أية علاوات إضافية ، ويتساوى مع المعلم الذي لا يفعل أي شيء من ذلك ، بل ويكون معروفاً بإهماله ، ولا يحصل إلا على تقدير (مقبول). كما يشتكي المعلمون من أن المعلم الذي يشرف على طالب كلية التربية في فترة التدريب العملي ، التي تستمر فصلًا دراسيًا كاملًا ، ويرافقه في الصف ، ويجلس معه بعد الحصة ليشرح له ما وقع فيه من أخطاء ، ثم يساعده في تحضير الدروس ، وتجهيز المعمل أو توفير المواد التعليمية المساعدة ، يحصل بعد كل هذه الجهد على 100 يورو فقط. والمعلمون الأبطال أو المثاليون يقولون: إن وظيفتهم ليست مناسبة لمن يريد أن يحقق المكاسب المادية ، أو من يسعى إلى الحصول على الترقيات والبدلات ، فمكافأة المعلم أن يرى طالبه وقد كتب قصيدة جميلة ، أو توصل إلى حل مسألة رياضيات معقدة ، أو قام بعمل تجربة معملية صعبة ، وتوصل إلى النتائج بنفسه ، المعلم هو الشخص الوحيد غير الأهل المسموح له أن يقوم بتشكيل عقلية الطالب وشخصيته ، أليست هذه أكبر مكافأة للمعلم الذي استحق صفة (البطل)؟ إن المعايير القاسية التي يضعها الغرب في المعلم ، والمهام والمتطلبات التي لا حصر لها ، هي التي أدت إلى اعتبار 20 في المئة من المعلمين هناك فاشلين! فكم يا ترى نسبة الفاشلين في مدارسنا العربية ، إذا طبقنا نفس هذه المعايير؟).هـ. يقول الأستاذ أحمد أبو زيد ما نصه: (يقول صني فاركي ، مؤسس ورئيس أمناء مؤسسة جواهر فاركي البريطانية غير الربحية: «يحق لي أن أفخر أن والداي كانا معلمين ، وقد تحدثت مؤخرًا مع أمي وسألتها ما الذي حققتماه من عملكما كمعلمين؟ فحدثتني بإعجاب قائلة: «إن من يدرّسون الطلاب يحْظون باحترام بالغ باعتبارهم أكثر الناس ثقافة في المجتمع ، ومن ثم ، يلجأ إليهم الآخرون باعتبارهم مصدرًا للنصح والإرشاد ، والأكثر أهمية في هذا الأمر أنهم يطلقون شرارة الخيال لدى الأطفال الذين يمضون نحو تحقيق وإنجاز أشياء عظيمة لأنفسهم وللمجتمع». الزمن تغير للأسف ، ولم يعد المعلمون يحظون في كثير من البلدان بتلك المكانة الرفيعة التي اعتادوا التمتع بها ، ومن ثم كان لهذا الأمر آثار بالغة الضرر على الفرص الحياتية للأجيال القادمة. فإذا لم ينعم المعلمون بالاحترام في المجتمع ، فلن ينصت الطلاب لهم في الفصل ، ولن يدعم الآباء الرسائل القادمة من المدرسة ، وسيستمر الخريجون الموهوبون في هجر العمل في وظيفة التدريس. وبمرور الوقت ، سيؤدي هذا التراجع في احترام التعليم المعلمين إلى إضعاف التعليم والتدريس ، والإضرار بالفرص التعليمية للملايين ، وفي النهاية ستضعف المجتمعات في جميع أنحاء العالم).هـ. ويقول الأستاذ سليم مصطفى بو دبوس تحت عنوان: (المعلم من جديد) ما نصه: (لماذا المعلم من جديد؟ أمن قلة المواضيع في التربية والتعليم؟ ألم يأخذ حظه بمناسبة اليوم العالمي للمعلم؟ أم أنت اليوم قادح في فضله؟ متقصّ

بعض أخطائه؟ كما يفعل من لا شغل له سوى الانتقاص من مجهود المعلم؟ لا عفواً ، ولكن أذكر فيما قلت من مقالات أن المعلم لا يكفيه يوماً ليُحتفَى به بل كلّ يوم هو عيد للمعلم ففيه يرفع عنا حجاب الجهل ويبسط فينا نور العلم. واخترت اليوم أن أستقيل نسبياً من موقع الكاتب لأحيل القلم إلى الشعراء فحسبك أن تقرأ بعض الشعر عن المعلّم لتسترد وعيك بدوره أو لأشحنك أيّها المعلم وأرفع من معنوياتك في زمن استهان بفضلك ، وحسبي أيها القارئ أن أريحك من جديّة قلمي وهمومه التربوية التي لا تنتهي وأمتعك بالشعر الجميل فإليك هذه الباقة الشعرية التي موضوعها «المعلم» ، فاستمتع بأريجها علّك يوما تنصفه مما ينعته به بعض المنتقصين من شأنه طلاباً وحتى عامة الناس وخاصتهم. (ويذكر هنا أبيات لشوقي وغيره!). ولمّا كان خير الكلام بعد القرآن حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فإننا نستهل بقوله هذه المائدة الفاخرة حيث يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير». كما يكون المعلم ملاذ التلميذ يلجأ ، إليه يستودعه أسراره ويحكي له همومه فيستمع إليه ويحنو عليه).هـ. وقال الأستاذ بدر بن جزاع بن نايف النماصي واصفاً المعلم صاحب رسالة وليس المعلم المرتزق وتحت العنوان ذاته ما نصه: (المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ، ويؤمن بأهميتها ، ولا يضن على أدائها بغال ولا رخيص ، ويستصغر كل عقبة دون بلوغ غايته من أداء رسالته. وقد كان بذل الجهد في تعليم التلاميذ واحترامهم وتوقيرهم وإجلالهم منهجًا ثابتًا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ: وقال عمرو بن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة ، فلما قضى طوافه جلس إليهم ، وقد نحَّوُا الفتيان عن مجلسهم ، فقال: لا تفعلوا ؛ أوسعوا لهم ، وأدنوهم ، وألهموهم ؛ فإنهم اليوم صِغار قوم يوشك أن يكونوا كبارَ قوم آخرين ، قد كنا صِغار قوم فأصبحنا كبارَ آخرين. ثم أيد ابن مفلح هذا المنهج الأصيل في التربية الإسلامية ، ذلك المنهج الذي يقوم على بذل الجهد للمتعلم وتوقيره وإجلاله ، فقال بعد قصة عمرو بن العاص: وهذا صحيح لا شك فيه ، ثم ذكر السبب في هذا البذل والعطاء والتوقير للمتعلم فقال: والعلم في الصغر أثبتُ ، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة ، لا سيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم ، فلا ينبغي أن يُجعَل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعًا من مراعاتهم ، والاعتناء بهم).هـ. والحقيقة أنني قد أكثرت من النقول والاستشهادات والأدلة من هنا وهناك ، في محاولة مني لأجعل قضية العلم والتعليم، وواجبات المعلم وما ينبغي أن يكون للمعلم ، أكثر وضوحاً في أذهان من يطالعون هذه المعارضة الطويلة لشوقي! وحاولت جاهداً عقد المقارنات بين الماضي والحاضر ، وبين علماء السلف الكرام وعلماء زماني المعاصرين! وكنت قد استبعدت الآراء الغثة التي تصيب القراء بالملالة والسآمة ، وتجعلهم ينهزمون أمام هذا الواقع المزري للقيم والأخلاق في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! والله المستعان عليه وعلى أهله! وكوني معلما تجاوز العقدين في سلك التدريس ، جعل للقصيدة شيئاً من الواقعية والمصداقية ولا شك. وإن كنت قد تبنيت الرؤية الشوقية ، إلا أنني آثرت إيراد بعض الشعراء المعارضين لشوقي إن على وجه الموافقة أو الرفض. وذلك لأجعل القراء يدركون الفرق بين الفهوم والعقول والرؤى. كما أنني أوردت في التقديم تجارب الأمم عبر العصور في منظومة العلم والتعليم. كما أوردت الآيات والأحاديث التي تحض على طلب العلم وتجعل العلم والتعليم من أرقى المهام وأعظمها. ولا يزال الشعراء يبدعون في تقدير معلميهم. وأراهم أولى الناس بالاعتراف بفضل معلميهم عليهم. إذ

كان الواحد منهم قد تعلم على يد معلم رباه ووضع يديه على أسرار العلم الذي تخصص فيه. كما أنه أزال عنه المبهمات وعلمه ما لم يكن يعلم. كما أوردت الحكم والأمثال التي تحبذ العلم والتعليم وتمتدح القائمين عليهما. وأحب أن أورد هنا في التقديم أن قصائد الشعراء الذين عارضوا شوقي كثيرة جداً ، ولكن هذا الذي طالته يدي. وأظن أنه قد آن الأوان لكل شاعر محترم ذي رسالة يعيش بالقيم وللقيم وعلى القيم وفي القيم أن يحتوي ديوانه قصيدة أو أكثر يرد فيها الجميل لمعلميه! كما وأشكر من قلبي الأديبة الإماراتية الجليلة الأستاذة أمينة آل علي ، إذ كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في إنشادي من شعري معارضاً شوقي في قصيدة المعلم! وما كنتُ أدرك من ذلك الشيءَ الكبيرَ حتى طالعت مقالًا كتبته أمينة صالح آل علي ، في مجلة المعلم (الإماراتية) العدد 88 والصادر في ديسمبر لعام 1998م. فأدركت ما للقصيدة من صدى في أوساط الشعراء. فأخذتني الغيرة من اتجاهين: الأول: أنني أنظم الشعر مثلهم فليكن لي ما لهم ، وليسعني ما يسعهم. والاتجاه الثاني: كوني معلمًا للغة الإنجليزية على مدى عقدين كاملين من العمر ويزيد. فقررت أن أدلي بدلوي عسى أن أحظى بالسبق أو على الأقل يكون لي شرف المحاولة إن أنا لم أبلغ بقصيدتي المستوى العملاق الذي عليه قصيدة شوقي. وأذكر هنا للقارئ محورين أساسيين هما بمثابة المدخل لهذه المعارضة السليمانية لشوقي.

- **المحور الأول:** هو أنني سوف أصدر في هذه المقدمة محاولات الشعراء المعارضين أو الموافقين

لشوقي. وهذا من خلال الاقتباس من مقال الأخت أمينة من مجلة المعلم مهما طالت المقدمة. فإن هذا ضروري جدًّا ، إذ إنه بمثابة التوثيق للمحاولات الشعرية في معارضة شوقي ولبيان الفرق بينهما. والحق أن مقالة الأستاذة أمينة آل علي فيلسوفة الإمارات كانت المحفز الأول لي على تأليف هذه المعارضة!

- **المحور الثاني:** هو أنني لم أشأ أن أستهل قصيدتي بقول: (قم للمعلم) كما فعل غيري من الشعراء. ذلك أن الرسول الكريم ﷺ يقول فيما رواه أحمد: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يتمثلَ الناسُ له قيامًا فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدُه مِنَ النَّارِ»! وإذن فلفظ (قم) استبدلته بلفظ (حيِّ) ، وهو أليق بالمعلم وأبعد عن مخالفة السنة. وقد جاوزت بها المائة في عدد الأبيات. فإن أحسنت فمن الله وحده. وإن أسأت فمن نفسي. وهذه مقتطفات من مقالة الأخت أمينة صالح آل علي - تقول: لم يزعم أحد من النقاد - يومًا - أن قصيدة أحمد شوقي قم للمعلم هي من عيون الشعر العربي. أو حتى من عيون الشعر الشوقي ، لكن هذه القصيدة حظيت بانتشار جماهيري ، فاق كثيرًا من عيون الشعر والآذان المستمعة له ، متجاوزة المدار الفني إلى المدار الموضوعي في حقل الجاذبية الشعرية. جاء انتشار هذه القصيدة ليؤكد طغيان الهم التعليمي في هموم الناس الحياتية - شعروا أم لم يشعروا. وكذا النفوذ الاجتماعي (الكمّي) للمعلمين وسط شرائح المجتمع ، سواء كانت صورة هذا النفوذ إيجابية أم سلبية. من منا الذي يسمع أحدهم يقول:(قم للمعلم وفّه التبجيلا). فلا يجاوبه فورًا- دون حكِّ الذاكرة الشعرية:(كاد المعلم أن يكون رسولا). أما حكاية هذا الكتاب - الديوان - فهي أن مجلة المعرفة والتي تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية - لم تجد بُدًّا - وهي المجلة التربوية - من أن تنشر قصيدة أحمد شوقي في المعلم ، زعمًا منها أن هذه القصيدة هي وثيقة شرف فينبغي أن يعتز بها كل معلم فخور بمهنته. حتى وقعت أعيننا على قصيدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الجريحة ، والتي عارض بها

قصيدة شوقي ، وحشدها بآلام ومعاناة شاعر مارس التعليم بنفسه ، ولم يسمع عنه من بعيد فحسب! كان ظننا أن قصيدة قم للمعلم جاءت من أمير الشعراء باقة من الشكر ، وإكليلًا من العرفان ، لمهنة التعليم وللمعلمين. لكن الشاعر المعلم إبراهيم طوقان ـ الذي ضاق ذرعًا بمهنة التعليم ـ لم تَرُقْ له مرافعة شوقي عن تلك المهنة العويصة! استل طوقان لسانه في وجه التعليم ، وراح يطعنه في القلب والخاصرة. ويحرق منه الأخضر واليابس! لم يكتف طوقان بذلك ، بل صوّب سبابته نحو شوقي قائلاً:

لَـوْ جَـرَّبَ التَّعْلِـيمَ (شَـوْقِي) سَـاعَةً لَقَضَـى الحَيــاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـوْلا

أما شوقي فكان كأنه يشعر بهذا الضجر عند طوقان وبعض المعلمين (الطوقانيين) فقال في قصيدته- من قبل وقد أحس نسبيا بعبء المعلم وجهده وثقل رسالته ، رغم أنه لم يعمل معلماً يوماً:

إِنِّـــي لأَعْـــذرُكُم وَأَحْسَـــب عِبْـــئكُم مِـــنْ بَـــينِ أَعْبَـــاءِ الرِّجَـــالِ ثَقِـــيلا

وكان ظننا أن طوقان حالة خاصة من التذمر والإحباط ، حتى وقعت أعيننا ـ مرة أخرى ـ على قصيدة للشاعر السعودي محمد الثبتي (معلم سابق). لا تقل ألمًا وتذمرًا عن جريمة طوقان. والعجيب ، بل وعجب العجاب ، وإن شئت قلت على حد تعبير القرآن الكريم: (وإن تعجبْ فعجب قولهم!) ، وإن شئت قلت: (وشر البلية ما يُضحِك!) ، أن بعض الكتب وبعض المواقع الإليكترونية تعزو قصيدة طوقان الركيكة لحافظ إبراهيم! وكأن حافظ كان ركيك الشعر إلى هذا الحد! وكأنه كان يبغض وظيفة المعلم ورسالته إلى حد الإسفاف هذا الذي وجدناه ولمسناه في قصيدة طوقان!

الرؤية الشوقية

عندها رأت مجلة المعرفة أن تعيد النظر فيما ارتأته من قبل في قصيدة شوقي ، وأن تفتح صفحاتها على مصراعيها لكل معلم يرغب أن ينثر مشاعره شعرًا ضمن الرؤية الشوقية أو الطوقانية لمهنة التعليم ، فكانت هذه القصائد من المعلمين حول هذه المرافعة. سواء منها ما كان مع ، أو ضد ، أو معضدًا. أما لماذا جمعت هذه القصائد في كتاب؟! فهو احتفالية بسيطة تقدمها مجلة المعرفة هدية منها للمعلمين والمعلمات كافة في ذكرى اليوم العالمي للمعلم. وعليه فلن يغيب عن فطنة القارئ الناقد أن يراوح عند قراءته هذه القصائد في المدار الموضوعي ـ لا الفني ـ لصقل الجاذبية الشعرية ، حتى لا يمنح هذه القصائد من النقد الفني أكثر مما تحتمل.

سر نهضة الأمة

فمهما يكن من اختلاف في هذه القصائد بين متفائل ويائس. وفخور ومحبط ، فإن الذي يجب الاتفاق عليه هو أنه ينبغي للأمة حقًّا أن تقوم للمعلم بكل إمكاناتها وأحاسيسها ؛ لأنَّ المعلم هو سر نهضة الأمة إذا أريد لها أن تسير. وهو سر قعودها إذا أريد لها أن تبقى كما هي عليه الآن ، كما أن المعلم مطالب بأن يجعل من نفسه جديرًا بهذا القيام. يقول أحمد شوقي في مستهل قصيدة «قم للمعلم» مقدراً جهود المعلم الجمة ، وشاكراً له معروفه الجزيل ، ومعترفاً بجميله العظيم:

قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفَّـــهِ التَّبْجِـــيلا ... كَـــادَ المُعَلِّـــمُ أَنْ يكُـــوْنَ رَسُـــوْلا!

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ ، أَو أَجَلَّ مَنَ الّذِي ... يبْنِـــي وَينْشِـــئُ أَنْفُسًـــا وَعُقُـــوْلا؟

سُـــبْحَانَكَ اللهـــمَّ خَيـــرَ مُعَلِّـــمٍ ... عَلّمْـــتَ بِـــالقَلَمِ القُـــرُوْنَ الأُوْلَـــى

أَخْرَجْـتَ هَـذَا العَقْـلَ مِـنْ ظُلُمَاتِـهِ ... وَهَدَيتَـــهُ النّـــوْرَ المُبِـــينَ مَصْـــقُوْلا

أَرْسَـلْتَ بِـالتَّوْرَاةِ مُوْسَـى مُرْشِـدًا ... وَابْـــنَ البَتُـــوْلِ فَعَلّـــمَ الإِنْجِـــيلا

وَفَجَّـــرْتَ ينْبُـــوْعَ البَيـــانِ مُحَمَّـــدًا ... فَسَـقَى الحَـدِيثَ ، وَنَـاوَلَ التَّنْـزِيلا

ثم يستطرد قائلاً:

يـا أَرْضُ ، مُـذْ فَقَـدَ المُعَلِّـمُ نَفْسَـهُ ... - بَينَ الشُّمُوْسِ - وَبَينَ شَرْقِكِ حِيلا

ذَهَـبَ الّـذِينَ حَمَـوا حَقِيقَـةَ عِلْمِهِـمْ ... وَاسْـتَعْذَبُوا فِيهَـا العَـذَابَ وَبِـيلا

فِـي عَـالَمٍ صَـحِبَ الحَيـاةَ مُقَيـدًا ... بِـالفَرْدِ ، مفتخـراً بِـهِ ، مَـذْلُولا

صَرَعَتْهُ دُنْيـا المُسْتَبِدِّ ، كَمَـا هَوَتْ ... مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرُّءُوسُ ذُهُوْلا

ويتابع ذكر محاسن المعلم وخلاله التي يتميز بها عن سائر المهن والحرف فيقول:

فَهْـوَ الّـذِي يبْنِـي الطبِّـاعَ قَوِيمَـةً ... وَهْـوَ الّـذِي يبْنِـي النّفُـوسَ عُـدُولا

وَيُقِـيمُ مَنْطِـقَ كُـلِّ أَعْـوَجِ مَنْطِـقٍ ... وَيُرِيـهِ رَأْيـاً فِـي الأُمُـوْرِ أَصِـيلا

وَإِذَا المُعَلِّـمُ لَـمْ يكُـنْ عَـدْلاً ، مَشَـى ... رُوْحُ العَدَالَـةِ فِـي الشَّـبَابِ ضَـئِيلا

وَإِذَا المُعَلِّـمُ شَـاءَ لَحْـظَ بَصِـيرَةٍ ... جَـاءَتْ عَلَـى يـدِهِ البَصَـائِرُ حُـوْلا

ويعارض إبراهيم طوقان قصيدة شوقي مغتاظًا متذمراً رافضاً رؤيته وتصوره ، فيقول:

(شَـوْقِي) يقُـوْلُ وَمَـا دَرَى بِمُصِـيبَتِي ... قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفَّـــهِ التَّبْجِـــيلا

أَقْعُـدْ ، فَـدَيتُكَ ، هَـلْ يكُـوْنَ مُـبَجَّلاً ... مَنْ كَانَ لِلنَشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلا؟!

وَيكـــادُ (يُفْلِقُنِـــي) الأَمِيـــرُ بِقَوْلِـــهِ ... كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا!

لَـوْ جَـرَّبَ التَّعْلِـيمَ (شَـوْقِي) سَـاعَةً ... لَقضَـى الحَيـاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـوْلا

حَسْـــبُ المُعَلِّـــم غَمَّـــةً وَكَـــآ ... بَةَ مَرْأَى (الدَّفَاتِرِ) بُكْرَةً وَأَصِيلا

ويختم قصيدته بالنصح لمريد أن يكون معلماً بأن لا يكون! ليعيش هانئاً ، فيقول:

يـا مَـنْ يرِيـدُ الانْتِحَـار وَجَدْتُـهُ ... إِنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيش طَـوِيلا!

أما محمد الثبتي ، فيثني على المعلم ، ويثمّن رسالته ، ويعظم وظيفته ، فيقول:

هَلْ كُنْتَ يوْمًا فِي الحَياةِ رَسُوْلا؟ أَمْ عَـامِلاً فِـي ظِلِّهَـا مَجْهُـوْلا؟!
تَسْـخُو بِرُوْحِـكَ للخُلُـوْدِ مَطِيـة وَحُبِيـتَ خَطّـا فِـي الخُلُـوْدِ ضَـئِيلا
وَوَقَفْتَ مِنْ خَلْفِ المَسِيرَةِ مُعْرِضًا عَنْ أَنْ تَكُوْنَ مَعَ الصُّفُوفِ الأَوْلى
قَـالُوا بِأَنّـكَ فِـي الحَيـاةِ مُجَاهِـدٌ تَبْنِـي وتُنْشِـئُ أَنْفُسًـا وَعُقُـوْلا
ضَحِكُوا لِشَوْقِي حِينَ قَالَ مُفَلْسِفًا قُـمْ للمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا

وفي هذا المجال يردد سلمان بن زيد الجربوع مقالة شوقي ويرى بعينيه فيقول:

قُـلْ للمُعَلِّـمِ إِنْ أَرَدْتَ قَبُـوْلا قُـمْ لِلأَمَانَـةِ! وَفِّهَـاالتَّبْجِيلا
كُـنْ لِلصِّـغَارِ طَرِيـة أَغْصـانَهُم كَنَسَـائِمِ الحَبْـلِ الجَمِيـلِ أَصِـيلا
وَاسْكُب عَلَى أَسْمَاعِهِم فِي صَفْوِهَا اقْـرَأ ، وَرَتِّلْهَـا لَهُـم تَـرْتِيلا

وتعددت أشعار الشعراء ما بين مؤيد لشوقي ومعارض له ، فهذا هو الدكتور حمد الزايدي ، الشاعر العملاق ، فقد تبنى نظرية شوقي الإصلاحية ، وراح يثني على شوقي شاعراً ، ويثني على قصيدته معتبرا إياها بحق من عيون شعر العرب المعاصر ، فقال:

أَكْـرِمْ بِشَـوْقِي شَـاعِرًا وَنَبِـيلاً حَـازَ الثَّنَـاءَ وَحَصَّـلَ التَّبْجِـيلا
قَـالَ الأَمِيـرُ قَصِـيدَةً فَكَسَـا بِهَـا رَأسَ المُعَلِّـمِ فِـي الـوَرَى إِكْلِـيلا
يكْفِيـهِ مِنْهَـا فِـي المُعَلِّـمِ قَوْلُـهُ: كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
كَـانَ المُعَلِّـمُ فِكْـرَةً وَضَّـاءة فِـي ذِهْـنِ شَـوْقِي دُوْنَـكَ التَّفْصِـيلا

وعارض أحمد بن نجا الرحيلي شوقيًا ، معترفا أن هذه الرؤية الشوقية مضى زمنها ، فقال:

قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا صَـدَقَ الأَمِيـرُ ، فَقُـمْ وَحَـيِّ جَلِـيلا
وَافْـرِشْ بِسَـاطَ الزَّهْـرِ فِـي طُرُقَاتِـهِ أَكْـرِمْ بِـهِ وَارْفَـعْ لَـهُ القِنْـدِيلا
فَاسْـأَلْ مُعَلِّمَنَـا: يقُـوْلُ أَمِيرُنَـا كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
قَـالَ المُعَلِّـمُ ذَاكَ فِـي زَمَـنٍ مَضَـى أَمَّـا الأَوَانُ فَقَـدْ تَـرَاهُ قَتِـيلا
وَلَـوْ اَنَّ (شَـوْقِي) عَـاشَ فِينَـا لَحْظَـةً لَغَـدَا يؤَلِّـفُ فِـي القَصِـيدَ طَـوِيلا
وَلَقَـالَ فِـي وَصْـفِ الزَّمَـانِ مَقَالَـةً تُشْـفِي العَلِيـلَ وَتـروِي فِيـهِ غَلِـيلا
كَتَـبَ اليـرَاعُ عَلِـى الزَّمَـانِ بِخَطِّـهِ قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّنْكِـيلا!

الشاعر أحمد سليمان اللهيب فيؤيد شوقي ويرى المعلم بعيون قصيدته فيبدأ كلامه بـ:

قُـمْ فِـي الجمُـوعِ وَعَـاوِدِ التَّـرْتِيلا وَاسْـمِعْ لِصَـوْتِ مَشَـاعِرِي تَبْجِـيلا
حَـيِّ المُعَلِّـمَ فِـي الوُجُـوْدِ وَقُـلْ لَـهُ كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا

إنَّ المُعَلِّـمَ فِـي الوُجُـوْدِ كَنَخْلَـةٍ تُـوْتِي مَـعَ الثَّمَـرِ الرَّطِيـبِ ظَلِـيلا
لَكِـنْ زَمَانُـكَ لِلعَجائِـبِ مَـنْجَمٌ مَـا عَـادَ يفَـرِقُ أَنْفُسًـا وعُقُـوْلا
إنْ كَـانَ شَـوْقِي قَـدْ أَصَـابَ بِقَوْلِـهِ فَلَعَلَّـهُ يغْنِـي القُـرُوْنَ الأُوْلَـى!
أَمَّـا زَمَـانِي مَـا أَرَاهُ كَمَـا رَأى لِلعِلْـمِ إلاّ نَـادِرًا وَقَلِـيلا

ويبدأ الشاعر عبد الله العيسى قصيدته مهاجمًا ومقللا من نبرة شوقي ومكفكفا من غلوائه:

قُـلْ لِلمُعَلِّـمِ نَفِّـذِ المَرْسُـوْلا وَدَعِ التَّـذَمُّرَ إنْ أَرَدْتَ وُصُـوْلا
وَاسْـلُكْ سَـبِيلَ الرُّشْـدِ أو لا فَانْتَبِـذْ بَـينَ المَعَـالِمِ معلمـاً مَبْـذُوْلا
إنَّ المُعَلِّـمَ لا يـزَالُ مُنَكَّـدًا حَتَّـى يـوَارَى نَـاحِلاً مَغْلُـوْلا
هَـذَا أَمَـرَّ الصَّـبْرِ مَـنْ يظْفَـرْ بِـهِ يلْـقَ المُنَـى مِـنْ صَـبْرِهِ وَالسُّـوْلا

أما محمد عصام علوش فيوافق إبراهيم طوقان فيما جاء به ، ويضيف لقصيدته روح الفكاهة ببعض المواقف التي تحصل للمعلم من التلاميذ ، ويتذمر من كثرة أعباء التدريس في الوقت الحالي ، فهو يرى أنه في زمن طوقان لم تكن توجد الحافلات المدرسية ، ولم يكن التدريس بطريقة الأهداف السلوكية ، ولم يكن التكليف بالأنشطة المدرسية قائمًا على عهده.

ولكنه يختم قصيدته بحسرة ، قائلاً:

لا تَعْجَبُـوا إنْ صـحْتُ يوْمًـا صَـيحَةً ووَقَعْـتُ مَـا بَـين الفُصُـوْلِ قَتِـيلا
يـا مَـنْ يرِيـدُ الانْتِحـارَ وَجَدْتَـهُ إنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيش طَـوِيلا

وأما الشاعر سعد بن حمد أبو حمد فيوافق شوقياً ولكن على استحياء ، فيقول في قصيدته:

أَنَـا لا أُرِيـدُ – صَـرَاحَةً - تَبْجِـيلا وَكَفَـى أَكُـون مُكَرَّمًـا مَقْبُـوْلا
لَـوْ أَنَّ شَـوْقِي وَاقِـفٌ فِـي فَصْـلِهِ لَنَعَـى الشَّـبِيبَةَ وَالزَّمَـانَ فَصُـوْلا
لَـكَ فِـي المُعَلِّـم أُسْـوَة فَتَحَرَّهَـا لا يـذْهَبَنَّ بِـكَ الجَفَـاء طَـوِيلا
كُنّـا نُقَبِّـلُ رَأسَ كُـلِّ مُعَلِّـمٍ وَلَقَـدْ نَـرَاهُ مُرَبِّيًـا مَسْـئوْلا
وَانْظُـرْ إِلَـى شَـوْقِي وَحُسْـن مَقَالِـهِ (قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا)

وأما الشاعر عيسى محمد الحكمي ، فيهاجم شوقياً برثاء حال المعلم ، فيبتدئ قصيدته بقوله:

(قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا) شَـوْقِي يقُـوْلُ وَمَـا دَرَى التَّبْـدِيلا
يـا لَيـتَ شَـوْقِي شَـاهِدٌ فِـي عَصْـرِنَا لِيـرَى المُعَلِّـمَ كَيـفَ صَـارَ ذَلِـيلا
وَيـرَى المُعَلِّـمَ كَيـفَ أَمْسَـى حَالُـهُ يُرْثَـى؟ وَيشْـكُو بُكْـرَةً وأَصِـيلا

أَمْسَى المُعَلِّمُ مُجْرِمًا فِي عُرْفِهِمْ فَكَأَنَّهُ قَدْ خَالَفَ التَّنْزِيلا

وأما قصيدة الشاعر رزق بن محمد بن جبريل فقد تتممت ما بدأ به إخوانه الشعراء ، فيقول:

يا ابْنَ النّجَا قد قَالَ شَوْقِي مِنْ عَلِ قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا

أَمَّا ابْنُ طَوْقَان المُعَلِّمُ خَاصَهَا بَذْلاً فَعَانَى ثُمَّ مَاتَ عَلِيلا

إِنَّ الرَّسُوْلَ لَخَيرُ مَنْ يهْدَى بِهِ أَمَلٌ ، وَكَانَ مُعَلِّمًا مَسْئولا

فَكُّوا القُيوْدَ عَنِ المُعَلِّمِ لَنْ تَرَوا فِي أُمَّتِي جَهْلاً ولا تَضْلِيلا

ويقول الشاعر الكبير سعد جبر في قصيدة جديدة فيلقي باللائمة على المجتمع لا على المعلم:

يا مَنْ يكَادُ بَأَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا قُمْ لِلرِّسَالَةِ وَفِّهَا التَّبْجِيلا

مَا كَانَ شَوْقِي مُخْطِئًا فِي قَوْلِهِ (قُمْ وَفِّهِ) ، بَلْ مَنْ أَسَاءَ سَبِيلا

أَيْنَ المُعَلِّمُ مُسْتَحِقّا وِقْفَةً ثُمَّ السَّلامُ عَلَيهِ والتَّقْبِيلا؟

أَيْنَ المُعَلِّمُ فِي زَمَانِ مَفَاتِنٍ قَدْ زَلْزَلَتْ بَعْدَ النّفُوْسِ عُقُوْلا؟

وأما الشاعر محمد باقر الشرفا فيتحول في قصيدته للمعلم للمنى الشوقي مطرياً ومثنياً فيقول:

قَدْ سَلَّ سَيفَ العِلْمِ يفْنِي حَدُّه سَهَامَ الجَهَالَةِ صَارِمًا مَسْلُوْلا

إِنَّ المُعَلِّمَ إِنْ تَفَانَى مُخْلِصًا وَأَرَادَ وَجْهًا لِلإِلَهِ جَلِيلا

فَهْوَ الجَدِيرُ المُسْتَحِقُّ بِقَوْلِنَا (قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا)

وَهُوَ المُنِيرُ إِلَى الدُّرُوْبِ فَحَسْبُهُ (كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا)

وأما الشاعر علي بن يحيى الفيفي فيُعَقب على شوقي مفاخراً بشوقي ورؤياه في المعلم فيقول:

قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا

قَوْلٌ وَرَبِّي صَائِبٌ أَعْظِمْ بِهِ وَبِشَاعِرٍ قَدْ صَاغَهُ تَبْجِيلا

شَتَّانَ بَينَ مُعَلِّمٍ مِمَّنْ مَضَوا وَمُعَلِّمِي ذَا العَصْرِ لا تَمْثِيلا!

شَتَّانَ بَينَ مُعَلِّمٍ فِي عِلْمِهِ تُلْفِيهِ بَحْرًا إِنْ غَدَا مَسْئولا!

وأما الشعر طه بخيت فينعى حظًّا عاثرًا أصاب المعلم في زماننا وطغت عليه روح الانهزام فردد:

مَنْ مُبْلِغٌ شَوْقِي رِسَالَةَ شَاعِرٍ نَثْرَ اليَرَاعَ مَنَاحَةً وَعَدِيلا؟

وَنَعَى لَنَا التَّدْرِيسَ حظًّا عَاثِرًا وَرَمَى عَلَيهِ البُؤسَ والتَّنْكِيلا

وَمَضَى يعَارِضُ لَيتَ شَوْقِي سَاعَةً أَفْنَــى الحَيــاةَ مُدَرِّسًــا وَوَكِــيلا

إِنِّــي رَأَيــتُ وَهَـلْ أَجَـلُّ مَـنِ الّـذِي يبْنِــي وينْشــئ أَنْفُسًــا وَعُقُــوْلا؟

وأما الشاعر جلوى يحيى حكمي فيبكي الحال المزري الذي لحق بالمعلم فيقول في قصيدته:

قُــمْ لِلمُعَلِّــمِ وَفِّــهِ التَّبْجِــيلا قَــوْلٌ مَضَــى يــا لَيتَــهُ مَــا قِــيلا

مَـنْ ذَا يقُـوْلُ وَفِـي الأَوَامِـرِ لا تَقُـم أَبَــدًا فَلَــمْ تَــكُ يــا بُنَــي ذَلِــيلا

فَقَــدَ المُعَلِّــمُ نَفْسَــهُ فِــي عَــالَمٍ يحْتَــاجُ فِيــهِ السَّــائِرُوْنَ دَلِــيلا

وأما الشاعر عبد العزيز بن سعد آل جناح فيضيف للقصائد الفائتة التصديق لشوقي فيقول:

صَـدَقَ الّـذِي قَـالَ فِـي وَقْـتٍ مَضَـى كَــادَ المُعَلِّــمُ أَنْ يكُــوْنَ رَسُــوْلا

أَكْــرِمْ بِهَــا مِــنْ حِكْمَــةٍ وَفَضِــيلَةٍ سَــادَتْ لَــدَى الأَخْيــارِ جِــيلاً جِــيلا

قَــدْ قَالَهَــا شَــوْقِي بِكُــلِّ أَمَانَــةٍ لا تَقْبَــلُ الإِيضَــاحَ وَالتَــأوِيلا

إِنَّ المُعَلِّــمَ لِلأَنَــامِ مَنَــارَةٌ لا بَــلْ دَلِــيلاً صَــادِقًا مَسْــئُولا

وأما الشاعر ناصر بن نايض الصراح يقول في معارضته مثنيا على الرؤية الشوقية ومنافحا عنها:

شَــوْقِي يقُــوْلُ مُؤَكِّــدًا وَمُــدَلِّلاً قُــمْ لِلمُعَلِّــمِ وَفِّــهِ التَّبْجِــيلا

صَــدَقَ الأَمِيــرُ بِوَصْــفِهِ وَبِقَوْلِــهِ كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُــوْنَ رَسُــوْلا!

مَنْ يُنْكِرِ الفَضْــلَ الذِي يَحْظَى بِهِ إِلاّ الّـذِي جَحَـدَ الأُصُـولَ جَهُـولا؟

ونختم بقصيدة الشاعر أحمد مجرشي التي حاول فيها التوفيق بين شوقي ومن خالفوه فيقول فيها:

شَــوْقِي يَقُــولُ مُضْــخِمًا ومُعَظِّمًــا كَــادَ المُعَلِّــمُ أَنْ يَكُــونَ رَسَــولا

وَأَرَى بِطَوْقَــانَ الشِّــكَايةَ قَــدْ بَــدَتْ إِنَّ المُعَلِّــمَ لا يعِــيشُ طَــوِيلا

والنّــاسُ بَــينَ مُؤَيِــدٍ وَمُعَــارِضٍ كُــلٌّ يقُــوْلُ وَيكْثِــرُ التَّــذْلِيلا

هَــذَا المُعَلِّــمُ وَارِثٌ لِرَسُــوْلِهِ حَقّــا ، وَذَا يسْــتَأهِلُ التَّقْبِــيلا

والحقيقة أنني منذ زمن بعيد وأنا أنتوي أن أعارض شوقياً في قصيدته التي هي من عيون شعر العرب في العصر الحديث لما حوت من الجزالة والقوة وحسن السبك والدلالة اللغوية والمعنوية! ولكن لم يشأ الله حتى طالعتُ مقالة الكاتبة الأديبة المحترمة أمينة آل علي! فبعد مطالعتي للمقالة مرات عديدة وجدتني أتغنى بالمطلع ذاته وأخذت أعارض شوقياً ، فمن الله عليّ بما يقارب الأبيات المئة وزادت عشراً! والآن لنتابع قراءتنا لمعارضتنا السليمانية

الصعيدية الانتصارية لشوقي وأعتذر عن الإطالة ، وأجزم أنها لم تكن متعمدة.)

حَـــيِّ المُعَلَّـــمَ ، جَـــازِهِ التَّبْجِـــيلا ... إِنِّـــي أَرَاهُ مِـــنَ العُلُـــوْمِ رَسُـــوْلا

وَانْثُـــر عَلَـــى مَجْهُـــودِهِ وَرْدَ الهَـــوَى ... وَانْصُـــبْ عَلَـــى آلائِـــهِ الإِكْلِـــيلا

وَاشْـــكُرْ جَمِـــيلاً ، بـــات شـــكرُكَ دُوْنَـــهُ ... فَالشَّـــهْمُ مَـــنْ يجْـــزِي الجَمِيـــلِ جَمِـــيلا

وَاحْمِـــدْ إِلَـــى اللهِ الكَـــرِيمِ عَطَـــاءَه ... فَعَطَـــاؤهُ الفَيَـــاضُ أَنْشَـــأَ جِـــيلا

وَاعْـــرِفْ لِأُسْـــتَاذٍ أَقَامَـــكَ شَـــأنَهُ ... مُـــذْ كُنْـــتَ ـ مَـــنْ بَـــينِ الـــوَرَى ـ مَشْـــلُوْلا

وَاقْـــدُرْ لِأُسْـــتَاذٍ أَعَـــزَّكَ قَـــدْرَهُ ... مُـــذْ كُنْـــتَ قَبْـــلَ عَطَائِـــهِ مَـــذْلُوْلا

وَاخْفِـــضْ لَدَيـــهِ الصَّـــوْت ، كُـــنْ مُتَأَدِّبـــاً ... فَـــالجُعْرُ أَقْـــبَحُ مَـــا اكْتَسَـــبْتَ مُيـــوْلا

وَارْحَـــمْ إِذَا زَلَّ المُعَلَّـــمُ زَلَّـــةً! ... وَاعْتِـــبْ عِتَابًـــا طَيِبًـــا مَقْبُـــوْلا

لا تَـــنْسَ أَنَّـــكَ مِـــنْ صِـــنَاعَةِ عِلْمِـــهِ ... وَعَلَيـــكَ فَضْـــلٌ مِنْـــهُ كَـــانَ جَـــزِيلا

لَمَّـــا يكُـــنْ يوْمًـــاً عَلَيـــكَ مُسَـــلّطاً ... بَـــلْ كَـــانَ أَقْـــوَمَ فِـــي المَلامَـــةِ قِـــيلا

وَاعْطِـــفْ عَلَـــى شَـــيبٍ غَـــزَاهُ مُبَكِّـــرًا ... وَكَأَنَّـــهُ جَـــدُّ القُـــرُوْنِ الأَوْلَـــى!

وَأَدِمْ نَوَالَـــكَ لِلمُعَلَّـــمِ حِسْـــبَةً ... فَيمِينـــهُ كَانَـــتْ عَلَيـــكَ الطَّـــوْلَى

وَاحْـــذَرْ سِـــبَابَ مُعَلِّـــمٍ مُتَفَضِّـــلٍ ... إِنَّ السِّـــبَابَ يُحَطِّـــمُ التَّفْضِـــيلا

وَاعْـــذَرْهُ إِنْ شَـــغَلَتْهُ عَنْـــكَ شُـــؤونُهُ! ... إِنـــي أرى عِبئـــاً عليـــه وَبِـــيلا

وَأَطِـــلْ دُعَـــاءَكَ لِلمُعَلَّـــمِ ، طَالَمَـــا ... لَـــكَ كَـــانَ يـــدْعُو لاهِثًـــا وَمُجِـــيلا

وَأَظِلّـــهُ بِتَقَـــرُّبٍ يعْلُـــو بِـــهِ ... شَـــأْنًا ، وَيشْـــتَرِعُ الرَّشَـــادَ سَـــبِيلا

إِنَّ المُعَلَّـــمَ ذَا الرِّسَـــالَةِ جَنَّـــةٌ ... تُهْـــدِي العُلُـــوْمَ ، وَتَمْـــنَحُ التَّحْصِـــيلا

أَرَأَيـــتَ كَيـــفَ أَلانَ كُـــلَّ عَوِيصَـــةٍ ... وَشَـــفَى بِشَـــرْحِ المُعْضِـــلاتِ غَلِـــيلا؟

وَأَبَـــانَ أَلْغَـــازَ العُلُـــوْمِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عَـــنْ فَهْـــمِ أَعْتَـــى مَـــا يُثَـــارُ عُـــدُوْلا

وَأَقَـــامَ مُعْـــوَجَّ الفَنُـــوْنِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عِوَجًـــا وَلا أَمَتًـــا ، وَلا مَتْبُـــوْلا

وَأَشَـــادَ بِـــالأَوْلادِ ، رَبَّـــاهُمْ عَلَـــى ... قِـــيمٍ تُعِـــزُّ الـــدِّينَ وَالتَّنْـــزِيلا

وَأَعَـــدَّهُمْ لِرَحَـــى الوَقَـــائِعِ وَالـــوَغَى ... وَأَعَـــارَ أَسْـــيافًا لَهُـــم وَخُيـــوْلا

وَأَمَـــدَّهُمْ بِـــالعِلْمِ وَهَّـــاجِ السَّـــنَا ... حَتَّـــى غَـــدَوْا فِـــي التَّقْنِيـــاتِ فُحُـــوْلا

وَأَبَـــادَ أَجْبَـــالَ الجَهَالَـــةِ عَامِـــدًا ... إِذْ كَيـــفَ يَحْتَـــرِمُ التَّقَـــاةُ جَهُـــوْلا؟

وَعَلَى الفِرَاسَةِ كَانَ يفْتَحُ أَعْيُنًا ... وَبَصَائِرًا مِمَّا تُقَارِفُ حُوْلَى

لَوْلا المُعَلِّمُ بَعْدَ رَبِّي لَمْ نَجِدْ ... أَحَدًا بِأَعْبَاءِ العُلُوْمِ كَفِيلا

مِنْ عِنْدِهِ طَلَعَ الإِمَامُ بِفِقْهِهِ ... فَغَدَا يُفَقِّهُ أَنْفُسًا وَعُقُوْلا

وَلَدَيهِ قَدْ دَرَسَ الطَبِيبُ عُلُوْمَهُ ... فَمَضَى يُعَالِجُ فِي الوَرَى المَعْلُوْلا

وَلَدَيهِ قَدْ حَذَقَ المُهَنْدِسُ فَنَّهُ ... حَتَّى غَدَا مَا يبْتَنِيهِ دَلِيلا

وَلَدَيهِ قَدْ خَبَرَ الفَضَائِيّ الفَضَا ... حَتَّى اسْتَطَاعَ إِلَى النّجُوْمِ وُصُوْلا

وَلَدَيهِ قَارِئُ ذِكْرِنَا علمَ الهُدَى ... فَتَرَاهُ رَتَّلَ ـ خَاشِعًا ـ تَرْتِيلا

وَلَدَيهِ قَدْ نَهَلَ المُرَبِّي عِلْمَهُ ... حَتَّى يُبَصِّرَ جِيلَنَا الضِّلّيلا

وَلَدَيهِ قَدْ دَرَسَ القُضَاةُ سَنَا الهُدَى ... كَي لا نَرَى (القانون) عَنْهُ بَدِيلا

بَلْ يَحْكُمُوْنَ النّاسَ بِالشَّرْعِ الّذِي ... هو دينَنَا ، وَكَفَى الوَرَى تَعْطِيلا

وَلَدَيهِ قَدْ صَارَ المُحَاسِبُ نَابِغًا ... يزِنُ الحسابَ ، وَيدْرِكُ المَعْقُوْلا

فَلَهُ عَلَى كُلِّ الأَنَامِ فَضَائِلٌ ... وَالله فَضَّلَهُ إِذَنْ تَفْضِيلا

وَالله مَيّزَهُ بِأَنْفَعِ مِيزَةٍ ... وَالله خَيرٌ مُنْعِمًا وَوَكِيلا

وَالله مَتَّعَهُ بِخِدْمَةِ غَيرِهِ ... يا رَبِّ بَارِكْ سَعْيهُ المَبْذُوْلا

لَمْ يدَّخِرْ جَهْدًا ، وَلَمْ يكُ قَاسِيًا ... فَتَرَاهُ ذَلّلَ مَا التَوَى تَذْلِيلا

لَمْ يحْتَقِرْ مَنْ كَانَ ينْشُدُ عِلْمَهُ ... وَتَرَاهُ يُسْعِفُ بِالرَّشَادِ السُّؤْلا

تَخِذَ العُلُوْمَ أَمَانَةً وَرِسَالَةً ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدْرَكَ المَأْمُوْلا

فَإِذَا بِطَلّابٍ لَهُ بَلَغُوا الذُرَى ... كُلٌّ غَدَا فِي أَهْلِهِ قِنْدِيلا

إِنَّ المُعَلِّمَ عَبْقَرِيٌّ جَهْبَذٌ ... وَالجُهْدُ لَيسَ مُضَيّعًا مَجْهُوْلا

لمّا يراقب رُتْبَةً أَوْ رَاتِبًا ... بَلْ كَانَ سِتْرُ رِضَائِهِ مَسْدُوْلا

وَسِوَاهُ أَعْطِيَ رَاتِبًا وَمَكَانَةً ... وَمَزَارِعًا فِيهَا الجَنَى وَسُهُوْلا

وَتَرَاهُ لَمْ يتَمَنَّ مَا المولى بِهِ ... مِنَحَ الأنام بجهدهم تَفْضِيلا

لَكِنّمَا احْتَسَبَ اللبِيب عَطَاءَهُ! ... أَمْسَى بطَاعَةِ رَبِّهِ مَشْغُوْلا

وَالنّاسُ أَغْلَبهُمْ بِدُنْياهُ التَهَى ... وَرَأَيتُ مَنْ يرْجُو النّجَاةَ قَلِيلا

وَالقَوْمُ أَصْحَابٌ لِمَنْ لَفَظَ الهُدَى ... وَمُعَلِّمُ الأَجْيالِ ليس خَلِيلا

إِنَّ المُعَلِّمَ فِي البَرَايا سِدْرَةٌ ... تُعْطِي الوَرَى سِدْرًا أَرَاهُ أَسِيلا

وَتَمُـــدُّ رَحْمَتَهَـــا عَلَـــى مَـــنْ تَحْتَهَـــا ... ظِـــلاّ بِأَوْقَـــاتِ الهَجِيـــرِ ظَلِـــيلا

حَتَّـــى إِذَا حَانَـــتْ دَقَـــائِقُ حَتْفِهَـــا ... سَـــقَطَتْ عَرِيشًـــا جُلِّمُـــدًا مَفْتُـــوْلا

وَكَـــذَا المُعَلِّـــمُ عَيشُـــهُ نَفْـــعُ الـــوَرَى ... وَمَمَاتُـــهُ خُسْـــرٌ يجـــرُّ عَـــوِيلا

إِنَّ الـــدِّيارَ يزِينُهَـــا تَعْلِيمُهَـــا ... وَيزِيـــدُهَا فِـــي ذِي الـــدُّنَا تَبْجِـــيلا

وَيُقِيـــل عَثْرَتَهَـــا ، وَيحْمِـــي أَهْلَهَـــا ... وَيخُـــطّ لِلخَلَـــلِ الفَظِيـــعِ حُلُـــوْلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ مِحْـــوَرُ التَّعْلِـــيمِ إِنْ ... أَعْطَـــى وَجَاهَـــدَ بُكْـــرَةً وَأَصِـــيلا

لَـــوْلا المُعَلِّـــمُ بَعْـــدَ رَبِّـــكَ لَـــمْ يقُـــم ... صَـــرْحُ الحَضَـــارَةِ شَـــامِخًا مَـــأهُوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ - مِـــنَ الأَنَـــامِ - جَهَابِـــذًا ... تَبْنِـــي وَتُنْشِـــئ مَجْـــدَنَا المَثْلُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مِـــنَ الأُسُـــوْدِ كَتَائِبـــاً ... تَتْلُـــو رَعِيـــلَ الفَـــاتِحِينَ رَعِـــيلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُنَافِحًـــا مُتَفَقِهًـــا ... يَهْـــدِي الأَنَـــامَ ، وَيُـــتْقِنُ التَّـــأوِيلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ لِضَـــادِنَا مِـــنْ شَـــارِحٍ ... يُقْـــرِي العَـــرُوْضَ ، وَيَنْصِـــبُ المَفْعُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُفَنِّـــدًا شُـــبْهَ الـــوَرَى ... فَيُبِيـــدُ مِـــنْ سَـــاحِ القُلُـــوْبِ ذُحُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُقِيـــلَ عَثْـــرَةَ أُمَّـــةٍ ... أَمْسَـــى عِمَـــادُ رَشَـــادِهَا مَطْلُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُبَيِّنًـــا سُـــبُلَ الهُـــدَى ... مِـــنْ بَعْـــدِ أَنْ أَضْـــحَى الحِجَـــا مَخْبُـــوْلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ - فِـــي الـــدِّيارِ- مَنَـــارَةٌ ... قَـــدْ بَـــدَّدَتْ - رغْـــمَ العَنَـــا - التَّضْـــلِيلا

وَالنّـــاسُ تَعْلَـــمُ فَضْـــلَه وَجُهُـــوْده ... وَالعِلْـــمُ صَـــيَّرَهُ فَتًـــى بُهْلُـــوْلا

مَهْمَـــا تَغَافَـــلَ عَـــنْ جَمَائِلِـــهِ الـــوَرَى ... فَالفَضْـــلُ لَـــيسَ عَلَـــى المَـــدَى مَغْفُـــوْلا

فَلَعَـــلَّ جِـــيلاً يغْتَـــذِي بِعُلُوْمِـــهِ ... فَيـــرُدَّ فَضْـــلاً غَـــابَ عَنْـــهُ طَـــوِيلا

فَيُـــرَى المُعَلِّـــمُ فِـــي رَفِيـــعِ مَكَانَـــةٍ ... يرْتَـــاعُ مِنْهَـــا الشَّـــامِتُوْنَ ذُهُـــوْلا

وَيبَـــالِغُ الأَقْـــوَام فِـــي تَقْـــدِيرِهِ ... إِنِّـــي أَوُمِـــلُ - مَـــا أَرَى - تَـــأمِيلا

وَتُـــزَالُ مِـــنْ قَلْـــبِ المُعَلِّـــمِ لَوْعَـــةً ... ظَنّـــوْهُ عَـــنْ غَصَّـــاتِهَا مَسْـــؤوْلا

وَلَـــئِنْ سَـــعَى غَيـــرُ المُعَلِّـــمِ خُطْـــوَةً ... لَسَـــعَى المُعَلِّـــمُ بِالسَّـــعَادَةِ مِـــيلا

وَالعِلْـــمُ إِنْ رُفِعَـــتْ دَعَـــائِمُ شَـــأنِهِ ... وَغَـــدَا إِلَـــى نَشْـــرِ السَّـــلامِ سَـــبِيلا

لَرَأَيـــتَ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُتَبَـــتِّلاً ... وَجِـــلاً- إِلَـــى رَبِّ السَّـــمَا - تَبْتِـــيلا

وَتَعُـــوْدُ كُـــلُّ حُقُوْقِـــهِ وَشُـــؤوْنِهِ ... إِذْ لَـــيسَ يظْلِمُـــهُ البُغَـــاةُ فَتِـــيلا

أَنَـــا إِنْ دَعَـــوْتُ إِلَـــى إِعَـــادَةِ حَقِّـــهِ ... وَأَخُـــصُّ شُـــبَّانًا طَغَـــوْا وَكُهُـــوْلا

فَلأَنّنِـــي- فِـــي ذِي الحَيـــاةِ - مُعَلِّـــمٌ ... وَلَقَـــدْ أَقَمْـــتُ - عَلَـــى الهَـــوَانِ - دَلِـــيلا

وَعَـــذَرْتُ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُـــتَمَكِّنٍ ... لَمَّـــا يُـــرِدْ – بِعُلُوْمِـــهِ - تَنْـــوِيلا

لَـــمْ يرْتَـــزِقْ بِـــالعِلْمِ ، بِـــئْسَ طَبِيعَـــةَ! ... فَـــاللهُ خَوَّلَـــهُ الهُـــدَى تَخْـــوِيلا

حَتَّـــى يُعَلِّـــمَ ، لا لِيحْصُـــدَ دِرْهَمًـــا ... أَمْسَـــى الـــدَّعِي - عَلَـــى العُلُـــوْمِ - دَخِـــيلا

العِلْـــمُ لَـــيسَ وَظِيفَـــةً مَرْذُوْلَـــةٍ ... حَتَّـــى يكُـــوْنَ مُرِيـــدُهَا مَـــرْذُوْلا

العِلْـــمُ - إِنْ فُقِـــهَ الأَنَـــامُ - رِسَـــالَةٌ ... وَاللهُ أَوْسَـــعَهُ الثَّنَـــاءَ مَكِـــيلا

(اقْـــرَأ) أَلَيسَـــتْ – صَـــاحِ - أَوَّلَ آيـــةٍ؟ ... تُـــرْدِي الضَّـــلالَ ، وَتَـــدْحَرُ التَّجْهِـــيلا

وَعَـــنِ المُعَلِّـــمِ فَـــالْتَمِسْ دِيـــنَ الهُـــدَى ... تَلْقَـــاهُ شَمْسًـــا ، لا تَـــوَدُّ أُفُـــوْلا

شَـــتَّانَ بَـــينَ مُعَلِّـــمٍ يَهْـــدِي الـــوَرَى ... وَمُعَلِّـــمٍ يُهْـــدِي الأَنَـــامَ وُحُـــوْلا!

إِنَّ المُعَلِّـــمَ إِنْ يكُـــنْ ذَا مَبْـــدَإٍ ... فَلَسَـــوْفَ يمْـــنَحُ غَيـــرَهُ التَّحْصِـــيلا

وَإِذَا اسْـــتَكَانَ لِـــدِرْهَمٍ أَوْ رُتْبَـــةٍ ... فَالدَّارِسُـــوْنَ سَيرْضَـــعُوْنَ خُمُـــوْلا

وَالعِلْـــمُ لَـــيسَ يُقَـــاسُ قَـــطُّ بِـــدِرْهَمٍ ... قَـــدْ نَشْـــتَرِي بِالـــدِّرْهَمِ المَـــأْكُوْلا

وَكَرَامَـــةُ الإِنْسَـــانِ لَيسَـــت تُشْـــتَرَى ... وَالعِلْـــمُ خَيـــرٌ مَـــوْئِلاً وَمَقِـــيلا

وَعِبَـــادَةُ الـــدِّينَارِ تُـــرْدِي مَـــنْ سَـــمَا ... فَيعِـــيش نَـــذْلاً سَـــاقِطًا وَعَمِـــيلا

تَعِـــسَ الَّـــذِي هُـــوَ لِلـــدَّرَاهِمِ عَابِـــدٌ! ... يمْسِـــي وَيصْـــبِحُ لِلسَّـــرَابِ قَتِـــيلا

عِـــشْ يـــا مُعَلِّـــم لِلرِسَـــالَةِ ، إِنّهـــا ... شَـــرَفٌ ، فَجَمِّـــلْ بَـــذْلَهَا تَجْمِـــيلا

هِـــي مَغْـــنَمٌ دُنْيـــا وَأُخْـــرَى ، فَـــالْتَمِسْ ... مَـــا تَشْـــتَهِيهِ ، وَحَصِّـــل التَّنْفِـــيلا

وَاتْـــرك لِمُرْتَـــزِقٍ مَكَاسِـــبَ سُـــخرَتْ! ... فِـــي نَيلِهَـــا قَـــرَعَ السَّـــفِيهُ طَبُـــوْلا

هَانَـــتْ عَلَيـــهِ كَرَامَـــةٌ وَشَـــهَامَةٌ ... فَمَضَـــى يُكَمِّـــلُ دَوْرَهُ تَكْمِـــيلا

وَيُلْفِـــقُ الحِيـــلَ الرَّخِيصَـــةَ هَـــازِلاً ... وَمَشَـــى يُـــدَجِّلُ عَابِثًـــا تَـــدْجِيلا

يسْـــطَو عَلَـــى هَـــذَا ، وَيخْـــدَعُ هَـــذِهِ! ... وَغَـــدَا يُمَثِّـــلُ زيفَـــهُ تَمْثِـــيلا

فِـــي وَجْـــهِ (زَيـــدٍ) بَسْـــمَةٌ مَصْـــنُوْعَةٌ ... وَعُمَيـــرُ قَبَّـــلَ مَكْرهَـــا تَقْبِـــيلا

أَمَّـــا (شُـــحَيْطُ) لَـــهُ الهَدِيـــةَ جُهِّـــزَتْ ... وَ(مُحَـــيْطُ) خُـــوِّلَ مَـــا يشَـــا تَخْـــوِيلا

أَنَـــا مَـــا كَتَبْـــتُ لِمِثْـــلِ هَـــذَا مَادِحًـــا ... بَـــلْ كُنْـــتُ أَمْـــدَحُ جَهْبَـــذًا بُهْلُـــوْلا

وَكَـــذَاكَ (شَـــوْقِيْ) لَـــمْ يُـــرِدْ بِقَصِـــيدِهِ ... جِـــيلاً يتَـــاجِرُ فِـــي العُلُـــوْمِ رَذِيـــلا

وَأَنَـــا بَرِئْـــتُ مِـــنَ الهُـــرَاءِ وَأَهْلِـــهِ ... وَمِـــنِ ارْتِـــزَاقٍ يسْـــتَبِيحُ عُقُـــوْلا

أَنَـــا لَسْـــتُ مِـــنْ هَـــذَا الفَرِيـــقِ ، وَلا أَرَى يوْمًـــا لِمِثْلِـــي لِلحَضِـــيضِ نُـــزُوْلا

مَهْمَـــا طَـــوَى الإِمْـــلاقُ قَسْـــرًا هِمَّتِـــي فَـــأَرَانِيْ عَـــنْ نَشْـــرِ الهُـــدَى مَسْـــئُوْلا

لَسْـــتُ الّـــذِي بِخِلالِـــهِ مُتَفَـــاخِرًا أَمْسَـــى المُفَـــاخِرُ شَـــائِنًا مَـــرْذُوْلا

لَكِنّـــهُ فَضْـــلُ القَـــدِيرِ حَبَـــاهُ لِـــي وَعَلَـــى كَثِيـــرٍ زَادَنِـــي تَفْضِـــيلا

فَالحَمْـــدُ للهِ الّـــذِي خَلَـــقَ الـــوَرَى وَاللهُ خَيـــرٌ رَازِقًـــا وَوَكِـــيلا

واللهِ قـــال: بنعمتـــي فتحـــدثوا وَاللهُ خـــوّلني التقـــى تخـــويلا

واللهِ قـــد وعـــد التقـــاة جنانـــه! مَـــنْ مِنـــه فـــي ذا الكـــون أصـــدقُ قِـــيلا؟

وَصَـــلاةُ رَبِّـــيْ عَلَـــى النّبِـــي المُصْـــطَفَى مَـــنْ كَـــانَ مِـــنْ رَبِّ السَّـــمَاءِ رَسُـــوْلا

في رثاء المعلم

(الفرقُ كبير جداً بين المعلم القدوة صاحب الرسالة ذلك المربى ، وبين المعلم المرتزق بالعلم. وإن كان العلم هو السمة المميزة أو القاسم المشترك بينهما ، إلا أن فرق ما بينهما كما بين السماء والأرض. إنني أكتب هذه القصيدة في رثاء الأول (صاحب الرسالة المربى القدوة). لأنه في زماننا يكاد ينعدم. أما المرتزقة بالعلم فما أكثرهم. لا كثرهم الله! وكان ذلك بالطبع بعد أن أصبحت مهنة التدريس مهنة من لا يمتهن مهنة يقتات منها! والتعليم مرهونٌ – في المقام الأول – بمعلم صاحب رسالة وضمير ليقوم به قياما مميزا! وتقاس الأمم بحال التعليم ، ويقاس التعليم بحال المعلم! فإذا كان التعليم بحال جيدة في إقليم ما ، فثق أن باقي الأحوال سيكون بحالة جيدة! والعكس بالعكس! وليت الأمر وقف عند تدني الراتب الذي يجعل أقل صنعة في المجتمع أوفر حظاً من المعلم مالاً وجاهاً! بل يضاف إلى ذلك جرأة الطلاب وتهاون ذويهم في تربيتهم! الأمر الذي جعل كثيراً من المعلمين يقضون أغلب حصصهم في السيطرة على صفوفهم ، ولا يحققون منها الكثير! ومن أراد الزيادة حول التعليم والعلم وواجبات المعلم فليراجع قصيدة مطولة أعارض فيها (شوقي) وعنوانها: (قم للمعلم جازه التبجيلا) في ديوان (نهاية الطريق). وأما هنا فأنا أرثي لحال المعلم السيئة! وأوصيه بالصبر والاحتساب ، ريثما يتحسن الحال ، وتعود له مكانته وهيبته وعزه!)

أبكـــي المُعلـــم والتعلـــيم مـــن قلبـــي ... غـــدا يعيشـــان فـــي بـــؤس ، وفـــي كـــرْبِ

أرثيهمـــا - بـــالقريض العـــذب - محتســـباً ... وأســـتجيش الـــذي فـــي القلـــب مِـــن حُـــب

أُزجـــي الـــدموع دمـــاً لمَـــا أصـــابهما ... واللهُ رب الـــورى - فـــي محنتـــي - حســـبي

هـــذي البكائيـــة العصـــماء شـــاهدة ... علـــى الـــذي يعتـــري التعلـــيم مـــن حَـــوب

مرثيتـــي تُـــودِعُ الأســـتاذ مـــا حفلـــتْ ... بـــه العواطـــفُ مِـــن مغبّـــة الخطـــب

فـــالحزنُ يُـــذهب مـــا فـــي الـــنفس مِـــن مـــرح ... حتـــى يُضـــاعف مـــا فيهـــا مـــن الحـــرب

يســـتهجن الظلـــم قلبـــي ، لا يُهادنـــه ... والظلـــمُ يطعـــنُ محبـــوراً سَـــنا القلـــب

أمســـى المعلـــم فـــي غـــل يعذبـــه ... والعلـــم يبكـــي علـــى عطائـــه العـــذب

والارتـــزاق لـــه - فـــي الســـاح - كوكبـــةً ... تُعبـــئ العلـــم مثـــل المـــال فـــي الجيـــب

تُعْلـــم العلـــمُ للـــدينار ، فانحـــدرتْ ... شـــهامةَ العلـــم فـــوق الســـاح والـــدرب

وعُمـــتِ الـــدارَ فوضـــى لا حـــدودَ لهـــا ... لأن عالمهـــا فـــي أســـفل الرَّكْـــب

معـــالمُ الحـــق تاهـــتْ عـــن مرابعهـــا ... والفتنـــة اشـــتعلتْ فـــي العُجْـــم والعُـــرب

والمُوبقـــاتُ لهـــا الأســـواقُ مُشـــهِرة ... ســـيف الحمايـــة عـــن بُعـــدٍ وعـــن قَـــرب

مِـــن يـــوم أن فقـــد التعلـــيمُ هيبتـــه ... عـــانى المعلـــمُ قهـــرَ الغَـــبن والسَّـــلب

تُعلـــي العلـــومُ شـــعوباً مِـــن ترهُلهـــا ... والعلـــم يحمـــي الـــدنا مِـــن وطـــأة النهـــب

وإن قلـــتْ أمـــة علمـــاً يُحضّـــرها ... ضـــاعت مهابتُهـــا فـــي عـــالم الغيـــب

شـــتان بـــين مُحِـــب العلـــم يبذلـــه ... وآخـــر مـــا لـــه زادٌ ســـوى الكِـــذب!

إن المعلـــــم لا مخلـــــوق يَخلفـــــه ... فـــي ذي الرســـالة مِـــن فـــردٍ ولا حِـــزب

جهـــدٌ جهيـــدُ المضـــا ، لا بـــذل يعدلـــه ... يَقـــود ســـالكه لهُـــوة الشَّـــيب

والعلـمُ أفضـلُ مـا فـي النـاس مـن سِـمةٍ ... ومـــا علـــى العـــالِم التقـــيّ مِـــن عيـــب

هـــو الضـــياءُ إذا عـــمّ الـــدجى وطغـــى ... وصـــاحب العلـــم نَجـــمٌ فـــي ســـما الشُّـــهب

أخـــو الجهالـــة ـ فـــي العصـــيان ـ مُنجـــدلٌ ... وصـــاحبُ العلـــم يُبـــدي دمعـــة التَّـــوب

وعابـــد المـــال ـ فـــي الـــدينار ـ مـــرتكسٌ ... أمـــا المعلـــم فاســـتغنى بـــذي الكُتـــب

إنـــي لأبكـــي علـــى التعلـــيم ، حطمـــهُ ... أهـــلُ الفســـاد ، فهـــل يعـــود بالنـــدب؟

وأذرفُ الـــــدمعَ ملتاعـــــاً يعـــــذبني ... علـــى المعلـــم مَـــن يبكـــي لـــه قلبـــي

النـــاسُ تـــنعمُ بالـــدنيا وبهجتهـــا ... إلا المُعلـــمَ فـــي ضـــنكٍ وفـــي كَـــرب

يـــا رَبّ خفـــفْ عـــن التعلـــيم محنتـــهُ ... وارفـــقْ بأهـــل التقـــى فـــي سَـــيئ الكـــرب

فليُكرمْ ضيفه

(لم أشأ أن أنشد هذه القصيدة في مبتدأ أمرها! حيث إن موضوعها غريب بعض الشيء. وما أكثر ما مدح الشعراء به ذوي الكرم والمروءة عبر التاريخ! لكن أبا كريم الأستاذ (محمود عبد المنعم السيد قنديل) كان قد غلبني بذوقه ومعروفه ونجدته! فرُحتُ أشيد بهذا الخلق العجيب النادر في زماننا. فلقد طلب إليّ الرجل أن أعلم ابنه اللغة الإنجليزية. واعتاد أن يضع أجر كل حصة إلى جوار الشاي والحلوى ومعمول التمر ، على صينية واحدة! وكأنه يريد أن يقول: هذا أجرك لا قبل أن يجف عرقك ، بل قبل أن تعرق ابتداءً! واستعرضتُ آخرين معهم مئات الآلاف ، وثرواتهم تقدّر بأضعاف ما عند أبي كريم ، ولقد يتجولُ المرءُ في بيت أحدهم بسيارته ، وقد فتح الله عليهم من زهرة الحياة الدنيا ، فأغناهمُ من فضله سبحانه وتعالى بالقدر الذي يجعلهم لا ينتظرون نوال أحد ولا فضله ، ولكنهم يؤخرون ويماطلون ويسوفون! وبعضهم يأكل أجر المعلم للأسف ، راضياً بما يصنع ، قانعاً بما يقترف! وكأنما بات المعلم حلال الدم! وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: (ليس الغِنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغِنى غِنى النفس!) ، فأنشدتُ أدعو لأبي كريم بالبركة والنماء والإخلاف ، وأهمس في آذان الآخرين أن يصنعوا صنيعه ، ويتعلموا منه! فلقد آثر الإيفاء بأجر المعلم على طعمة أهل بيته بل وكل متعلقاته وحقوقه المالية الأخرى! إنه الإيثار بكل ما تعنيه الكلمة من معان! وإنه التفضيل بكل ما تحمله الكلمة من مدلولات! وعن الإيثار كتبت الأستاذة صفات سلامة ، وهي كاتبة وباحثة في الشؤون العلمية ، تقول تحت عنوان: (الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين هل افتقدناه؟) ما نصه بتصرف يسير: (ما أجمل أن يتصف المرء بالإيثار والعطاء وحب الخير للآخرين ، وما أقبح أن يتصف بالأثرة والأنانية وحب النفس. والإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين من أسمى المراتب والأخلاق الكريمة التي رغبت وحثت عليها مختلف الثقافات ، حرصا على العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية بين الأفراد ، ولضمان تماسك المجتمعات وسعادة البشرية. والإيثار هو تقديم الغير على النفس أي يقدم المرء حاجة غيره على حاجته ، على الرغم من احتياجه لها ، ومساعدة وعمل الخير للآخرين من دون مقابل ، وهو عكس الأثرة والأنانية ، أي حب الذات أو النفس وتفضيلها على الآخرين ، وتقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة. وقد أكد ديننا الإسلامي ورغب وحث على ممارسة وإحياء فضائل الإيثار والعطاء والتفضل والإحساس بالآخرين ، بمختلف الوسائل ، سواء بالمال أو الوقت أو قضاء حوائج الناس ، وأمر بتعميقها في نفوس وقلوب الأفراد ، للحصول على الثواب الدنيوي والأخروي ، ولضمان تماسك المجتمع وتقدمه. كما أجريت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية عن طبيعة الإيثار وأهم منبئاته وارتباطاته ، وأكدت نتائجها على الفوائد الصحية الجسمية والنفسية والاجتماعية الكثيرة التي يجنيها الفرد والمجتمع من ممارسة سلوك الإيثار والعطاء وحب مساعدة الآخرين ، سواء بالمال أو بالكلمات الطيبة المشجعة ، واكتشف العلماء أن هناك منطقة في المخ مسؤولة عن سلوك الإيثار وترتبط زيادة وشدة نشاطها مباشرة بدرجة الإيثارية لدى كل فرد. ولكن السؤال المهم المطروح هو: هل افتقد مجتمعنا فضائل الإيثار والفضل والعطاء والإحساس بالآخرين؟ وكيف يمكن إحيائها من أجل نهضة وتماسك أمتنا وحماية بيوتنا وأسرنا ومجتمعاتنا؟ والحقيقة أن الإيثار والعطاء وتعدي الخير للغير ، نزعة وشعور داخلي موجود في نفس كل فرد منا ، ولكن يحتاج لمن يثيره ويخرجه ويحوله إلى سلوك واقعي عملي ، بالكثير من الأساليب والطرق المبتكرة ، وتتسم الشخصية العربية

والإسلامية بسمة الإيثار والعطاء وحب مساعدة الآخرين مستمدة ذلك من ديننا الإسلامي الحنيف وحضارتنا الإسلامية العريقة. فقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بالكثير من الآيات والأحاديث ، وكذلك الصحابة والسلف الصالح على خلق الإيثار والعطاء ، فقال تعالي: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» ، والخصاصة شدة الحاجة ، وجاء في سبب نزول هذه الآية: أن رجلاً جائعاً جاء إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في المسجد ، وطلب منه طعاما ، فأرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبحث عن طعام في أبياته ، فلم يجد إلا الماء ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من يضيّف هذا الليلة؟) ، فقال رجل من الأنصار (أبو طلحة الأنصاري) ، أنا يا رسول الله ، وأخذ الضيف إلى بيته ، ثم قال لامرأته (أم سُلَيْم): هل عندك شيء؟ فقالت: لا ، إلا قوت صبياني ، فلم يكن عندها إلا طعامٌ يكفي أولادها الصغار ، فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتنوّمهم ، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج (المصباح) وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف ، ووضع الأنصاري الطعام للضيف ، وجلس معه في الظلام ، حتى يشعر بأنه يأكل معه ، وأكل الضيف حتى شبع وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين ، وفي الصباح ذهب الرجل وضيفه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم ـ للرجل: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة!) (رواه مسلم). "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة". وهذا خاتم النبيين وإمام المرسلين الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاءته امرأة ، وأعطته بردة هدية فلبسها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان محتاجاً إليها ، ورآه أحد الصحابة ، فطلبها منه وقال: ما أحسن هذه ، اكسُنيها ، فخلعها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعطاها إياه فقال الصحابة للرجل: ما أحسنت ، لبسها الرسول ـ صلوات الله عليه وتسليماته ـ محتاجاً إليها ، ثم سألته إياها ، وقد علمت أنه لا يرد أحداً ، فقال الرجل: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. (رواه البخاري). واحتفظ الرجل بثوب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان كفنه. (أهداها له النبي مع كونها هدية! نقول ذلك لمن يتشدقون بأن الهدية لا تهدى ولا تباع!) وصورة أخرى من صور الإيثار ، أنه ورد في "شعب الإيمان" أن الصحابي الجليل أبو جهم بن حذيفة العدوي ، انطلق يوم معركة اليرموك ، يبحث عن ابن عم له ومعه شربة ماء ، وبعد أن وجده جريحاً قال له: أسقيك؟ فأشار إليه بالموافقة ، وقبل أن يسقيه سمعا رجلاً يقول: آه ، فأشار ابن عم حذيفة إليه ليذهب بشربة الماء إلى الرجل الذي يتألم ، فذهب إليه حذيفة فوجده هشام بن العاص ، ولما أراد أن يسقيه سمعا رجلاً آخر يقول: آه ، فأشار هشام لينطلق إليه حذيفة بالماء ، فذهب إليه حذيفة فوجده قد مات ، فرجع بالماء إلى هشام فوجده قد مات ، فرجع إلى ابن عمه فوجده قد مات ، لقد فضل كل واحد منهم أخاه وآثره على نفسه بشربة ماء. وقد قسم الإمام ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، خلق الإيثار إلى منزلتين: الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما يرضي الله ورسوله ، وهذه درجات المؤمنين من الخلق والمحبين من خلصاء الله عز وجل ، والثانية: إيثار رضاء الله على رضاء غيره ، وإن عظمت فيه المحن ولو أغضب الخلق ، وهي درجة الأنبياء وأعلاها للرسل ، عليهم صلوات الله وسلامه. هذه الصور والنماذج المشرقة للإيثار والعطاء تجعلنا ولدينا الكثير من الأثرياء ورجال الأعمال الناجحين ، أن نتساءل عن كيفية إحياء وتشجيع أخلاق وفضائل الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين وقضاء حوائج المحتاجين ، والوعي بقيمة المال والعمل والتنافس المشروع على كسبه بين أفراد مجتمعنا ، للتخفيف من معاناة وآلام المحتاجين

والمحرومين ، وقد تسببت الأثرة والأنانية في عداوات وخلافات بين كثير من الأفراد ، وفي هدم كثير من البيوت وتشريد الكثير من الأسر والمجتمعات ، وأن نفكر في كيفية تنشئة أبنائنا على هذه الفضائل والأخلاق ، لتصبح سلوكاً فعلياً ونمطاً للحياة بين أفرادنا وداخل مجتمعاتنا ، والتفكير في أساليب وطرق مبتكرة أفضل للعطاء ولاستثمار وصرف وتوظيف أموال أثريائنا وأصحاب رؤوس الأموال العرب والمسلمين ، وأهمية غرس ثقافة تبرع الأثرياء ومسؤوليتهم الاجتماعية تجاه مجتمعهم ، للعمل على نهضة وتقدم أمتنا ، وليكن لنا في ديننا وتراثنا الإسلامي دروس ونماذج وعبر للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة. لقد أصبحت هناك أهمية لتنمية وتربية أبنائنا على مفاهيم وقواعد وسلوكيات الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين ، وغيرها من الأخلاقيات والقيم الإنسانية والمجتمعية النبيلة ، ومنذ مراحل النمو الأولى ، وذلك من خلال مفردات الخطاب الديني ، وأساليب التنشئة الاجتماعية ، وبخاصة في الأسرة والمدرسة ، التي يمكن أن تساهم جميعها في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية ، وتماسك وترابط الأفراد والمجتمعات).هـ. وفي صحيح البخاري – رحمه الله ـ عن مُجَاهِدٍ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه ـ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي ، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ ، فَدَخَلَ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلَ ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي ، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا ، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ". أي ما تبقى عن أهل الصّفّة ، فأي إيثار أعظم من هذا؟ روى مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ نَخْلاً ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ: (لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ. ومن ساحة الصحابة الكرام إلى ساحة بعض الغربيين النصارى المنصفين المحللين! وذلك على المذهب الذي قررناه غير مرة من أن الأخلاق والمعايير الإنسانية لا دين لها! فقد تصْدُر من المسلم لأن دينه أمره بها وحضه عليها! وقد تصْدر من غير المسلم لأن نفسه وجبلته وفطرته السوية دعته إليها. فهذا عالم نفس أميركي يدرس طبيعة الإيثار وخصائص الأشخاص الذين يتصفون به ، وغلاف الكتاب الذي ألفه كان عنوانه: «الإيثار عند البشر» لمؤلفه: دانيال باتسون. واهتم بشأن الكتاب وعرض أفكاره بإيجاز الأستاذة صفات سلامة فقالت بتصرف يسير منا ما نصه: (وجد العلماء أن الإيثار يرتبط بالسعادة والصحة الجسمية والنفسية للفرد ، حيث يقلل الضغوط النفسية والتوتر ، ويزيد إفراز مسكنات الألم الطبيعية (الإندورفينات). ومن بين الكتب المهمة الصادرة حديثا حول موضوع الإيثار ، كتاب «الإيثار عند البشر» ، من تأليف عالم النفس الأميركي دانيال باتسون أستاذ علم النفس الاجتماعي التجريبي في جامعة كانساس الأميركية ، وأحد أبرز المتخصصين في مجال الإيثار ، فقد ركزت أبحاثه على مدى30 عاما على دافعية الإيثار ، ونشر أكثر من100 بحث وفصل حول هذا الموضوع ، وله نظرية «التعاطف يؤدي إلى الإيثار» ، والتي أسهمت بشكل كبير في فهم طبيعة الإيثار والدوافع المحيطة به. ويعد كتاب باتسون مراجعة شاملة للكثير من الدراسات والنظريات والتجارب المعملية المتعلقة بالإيثار والتي أجريت على مدى الـ35 عاما الماضية ، كما يعرض بالتفصيل لنظرية الدافع للإيثار والبحوث ذات الصلة بعلم الأعصاب. وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ، حيث يتناول في الجزء الأول نظرية الدافع للإيثار ، والجزء الثاني للأدلة التجريبية ، أما الجزء الثالث فيتناول فوائد الإيثار ومسؤولياته في المجتمع البشري. وتتلخص فروض نظرية باتسون «التعاطف يؤدي إلى الإيثار» في أن البشر قادرون على إبداء التعاطف الذي يمكن تعريفه على أنه ملاحظة أن هناك شخصا ما في حاجة والاهتمام به ورعايته ، أو القدرة على قراءة مشاعر الأشخاص الآخرين ، أو أن تضع نفسك مكان شخص آخر ، وهذا التعاطف يؤدي إلى الإيثار، الذي يمكن تعريفه على أنه حالة دافعية هدفها الأساسي زيادة سعادة ورفاهية الأشخاص الآخرين. يقول عالم النفس «دانيال ستيرن» ، إن التعاطف يبنى على أساس الوعي بالذات ، فبقدر ما نكون قادرين على تقبل وإدراك مشاعرنا ، نكون قادرين على قراءة والتعرف على مشاعر الآخرين. فجذور الرعاية والاهتمام بالآخرين تنبع من القدرة على التعاطف ، وانعدام أو النقص في مشاعر التعاطف مع الآخرين يؤدي للكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكيات والانحرافات الاجتماعية غير المقبولة. ومن خلال دراسات علماء علم نفس النمو على التعاطف وجدوا أن جذور التعاطف يمكن غرسها في الإنسان منذ مرحلة الطفولة ، فالأطفال منذ اليوم الأول لولادتهم يشعرون بالاضطراب والتوتر عند سماع طفل آخر يبكي ، ومثال ذلك ما جاء في دراسة عالم النفس مارتن هوفمان ، المختص في التعاطف بأن طفلاً عمره عام قام بجذب أمه نحو صديقه الطفل الذي يبكي لتواسيه وتخفف عنه متجاهلاً أم صديقه الطفل الموجودة بالحجرة. وطفلة أخرى عمرها عام تضع إصبعها في فمها إذا جرحت إصبع طفلة أخرى ، لتتبين هي أيضاً إن كانت ستشعر بالألم والأسى أم لا. ويرى

هوفمان أن جذور الفضيلة أو الأخلاق موجودة في القدرة على إبداء مشاعر التعاطف ، بمعنى أن تتصور نفسك في مكان الآخرين ، وهذه القدرة هي التي تدفع الأفراد لمشاركة الآخرين في محنتهم والتحرك لفعل أي أشياء لمساعدتهم. ويرى هوفمان أن التعاطف مع الآخرين ينمو بشكل طبيعي منذ السنوات الأولى لمرحلة الطفولة ويستمر مع امتداد العمر. وقد بينت دراسات ماريان راديك يارو وكارولين زان وإكسلر من المعهد القومي الأميركي للصحة النفسية ، أن جزءاً كبيراً من اختلاف الأطفال في درجة التعاطف مع الآخرين يرجع إلى كيفية تدريب الآباء لأطفالهم ، فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعاطفاً مع الآخرين هم من تضمن تدريبهم لفت انتباهم بشدة لما يسببه تصرفهم من آلام لشخص آخر ، مثال أن يقال لهم «انظر كيف جعلتها تشعر بالحزن» بدلاً من «كان سلوكك سيئاً وفيه شقاوة» ، كما تبين أيضاً أن تعاطف الأطفال مع الآخرين يتشكل مع رؤيتهم لردود فعل الآخرين مع شخص يشعر بالألم والأسى ، فمع محاكاتهم لما يرونه ، ينمو معهم مخزون من استجابات التعاطف. ويبدي باتسون في كتابه اهتماماً كثيراً بما إذا كان التعاطف يؤدي فعلاً إلى سلوك الإيثار لدى البشر أم لا ، كما يؤكد على أهمية وجود قاعدة عاطفية قوية لدينا لتحقيق سلوك الإيثار ، فهذه القاعدة هي التي تحثنا على رعاية وتحقيق السعادة للآخرين ، ويشير إلى أن مشاعر التعاطف ومساعدة الآخرين تؤدي على ما يبدو إلى مزيد من المشاعر الإيجابية في أنفسنا. ويرى أن جذور السلوك الإيثاري تكمن في كيفية رعاية واهتمام الوالدين بتنشئة أطفالهما عليه والذي سيؤدي لميل وانخراط أطفالهم في أعمال الإيثار. وخلاصة القول ، أن الإيثار من الأخلاق والسلوكيات الحميدة التي أكدت عليها مختلف الأديان والثقافات. وحتى لا تصبح حياتنا صحراء قاحلة من المشاعر والأحاسيس وحتى لا نفقد إنسانيتنا ولا نعيش لأنفسنا فقط ، ومن أجل دوام علاقات الألفة والمحبة بين البشر ، علينا إحياء الإيثار من خلال مفردات الخطاب الديني ، كما يمكن من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية وبخاصة في الأسرة والمدرسة ، ومنذ المراحل الأولى لنمو الطفل ، أن ننمي لدى أجيالنا الناشئة سلوك الإيثار والتعاطف وغيرهما من مشاعر وسمات إنسانية إيجابية يمكن أن تساعدنا على فهم أنفسنا وإدراك مشاعرنا ومشاعر الآخرين ، وأن نضع أنفسنا مكانهم ونتبنى مشاعرهم وأحاسيسهم وآلامهم ، ومساعدتهم والتعاون معهم على وقف شعورهم بالألم ، بهدف تحسين العلاقات الاجتماعية وحل الصراعات بين البشر والإسهام في اعتدال موازين المجتمعات).هـ. ونعود لأبي كريم فننشد على الكامل والقافية البائية:)

أعطـــاكَ ربـــك مـــا تريـــدُ وترغـــبُ ... وحبـــاك - مِـــن خيراتـــه - مـــا تطلـــبُ

ورُزقـــتَ حِكمـــةَ مَـــن يعـــيشُ لغيـــره ... وبكـــل مُلتجـــئ إليـــهِ يُرحّـــب

ووقـــاكَ ربـــك شُـــحّ نفســـك والهـــوى ... وســـما بـــك الجُـــودُ الأصـــيلُ الطيـــب

إن العطـــاءَ يَـــزينُ مَـــن يحيـــا بـــه ... ويَبيـــتُ - فـــي أرج الرضـــا - يتقلـــب

وصـــنائعُ المعـــروف تـــزدردُ الـــبلا ... وعـــن اللظـــى ذو العُـــرف قطعـــاً يُحجـــب

ولكَـــم عجبـــتُ مـــن اللطيفـــة جئتهـــا ... متفـــرداً ، وســـوايَ قـــد يتعجـــب

تضـــع النقـــود - علـــى الخِـــوان - تفضـــلاً ... وشـــــروقها - للعـــين - بـــــرقٌ خلـــب!

وتُقـــــدّر المجهـــــودَ جـــــاء لبذلـــــه ... أســـتاذ شِـــبلك ، والجميـــلُ المَكســـب

وتـــــثمّنُ الإتيـــــانَ يُمـــــنحُ حِســـــبة ... إن احتســـــاب المـــــرء طبـــعٌ يُحْســـب

هـــذي النقـــودُ غـــداً ســـتربحُ أجرهـــا ... والـــــربحُ عنـــد الله ، نعـــمَ المـــأرب!

لـــم يبـــق إلا العطـــر يمنحُهـــا الشـــذى ... لتجفـــفَ العـــرقَ الـــذي يتصـــبب

عَـــــرقُ المجيـــــئ لحَـــــيّكم ولـــــداركم ... مَـــن ذا رأيـــت إذا ســـعى لا يتعـــب؟

ومَـــن الـــذي يُزْجـــي العلـــومَ مُبِينـــة ... وتـــــراه مِـــــن تبيينهـــا لا ينصـــب؟

أكرمـــتَ ضـــيفك ، والـــدليلُ قصـــيدتي ... لـــك يـــا جـــوادُ بنـــبض قلبـــي تُكتَـــب!

ويلفهـــــا ســـــيفُ الحيـــــاء تكلفـــــاً ... والمـــدحُ - بـــالخلق المُشَـــرّف - يـــذهب

وأنـــا لشخصـــك - بالوفـــاء - نظمتهـــا ... لتصـــير عِرفانـــاً - إليـــك - يُقـــرّب

ووهبتهـــا لـــك حِســـبة ، تزْكـــي الإخـــا ... والـــودُ أزكـــى مـــا يُعـــارُ ويوهَـــب

أأبـــا كـــريم حُـــزتَ – بـــالجُود - العُـــلا ... وبلغـــتَ منزلـــة تُـــرامُ وتُرغـــب

ذكّرتنـــي بـــأبي وعَـــذب خِلالـــه! ... واليـــومَ ولـــى ، ثـــم ولـــى المَـــذهب!

كـــم عـــاش يشـــملُ – بالعطـــاء - مُعلمـــي ... وكأنـــه - فينـــا - الغمـــامُ الصـــيّب!

يُعطيـــه مـــا اتفقـــا عليـــه مُســـبقاً ... ولـــذا يُعلـــم طفلـــه ، ويـــؤدب

ويـــوقر الأســـتاذ ، يرفـــعُ شـــأنه ... وإذا رأى منـــه احترامـــاً يَطـــرب

أأبـــا كـــريم قـــل لمـــن بخلـــوا بمـــا ... آتـــاهُمُ المـــولى ، لـــذاك تهرّبـــوا

منعـــوا المعلـــم حقـــه ، وتعللـــوا ... وإذا اشـــتكى افتعلـــوا الأمـــورَ ، وقلبـــوا

ولقـــد يُســـوّفُ بعضـــهم فـــي وعـــده ... والـــبعضُ يختـــرعُ الزيـــوفَ ، ويكـــذب

والـــبعضُ يختصـــرُ الحقـــوقَ جهالـــة ... ويَعُـــد مـــا يُعطـــي ، ودومـــاً يَحســـب

والـــبعضُ يأكـــلُ حِصـــة مِـــن حقـــه ... عجبـــاً ، وهـــل عَـــرَقُ المعلـــم يُنهـــب؟!

والـــبعضُ يَحقِـــرُ مـــا يُقـــدّم ســـاخراً ... إن المعلـــــم - فـــــي حقيقتـــــه - أب

أأبـــا كـــريم قـــل لهـــم فـــي عِـــزةٍ: ... حـــق المعلـــم عنـــدكم لا يـــذهب

أأبـــا كـــريم لـــو ســـردتُ تجـــاربي ... ضـــاق المقـــامُ ، لـــذا ترانـــي أكتـــب

كـــم ضـــقتُ ذرعـــاً بالمقالـــب ، لـــم تكـــن ... ليُقرّهـــا شـــرعٌ – هنـــا – أو مَـــذهب!

وكـــم اشـــتكيتُ مِـــن المعاملـــة التـــي ... يزهـــو بهـــا خِـــبٌ يغـــشّ ويَنصُـــب!

وكـــم اكتويـــتُ بأكـــل حقـــيَ جهـــرة ... وغـــدا فـــؤادي لاعجـــاً يتلهـــب!

أنـــا لســـت أعبـــأ بالـــدراهم ، إنمـــا ... آســـى علـــى نـــذل غـــدا – بـــيَ - يلعـــب

أنـــا أعـــذرُ الفقـــراءَ ، إن لـــم يـــدفعوا ... وببـــرّهم كـــفّ العطـــاء أخضّـــب

وأجيـــرُهم - مـــن فقـــرهم - بتعففـــي! ... والزهـــدَ فيمـــا يـــدفعون أغلـــب

أنـــا كنـــتُ يومـــاً مِـــثلهم ، وأقولهـــا ... فخـــراً ، ولســـتُ مِـــن الحقيقـــة أهـــرب

أأبـــا كـــريم كنـــت (قنـــديلَ) الســـخا ... أنـــا لا أزكّـــي ، بـــل أرانـــي أحسَـــب

والله حســـبُك مِـــن ثنـــائي ، إننـــي ... عـــن فـــرطِ إعجـــابي وحُبـــي أعـــرب

والله يشـــــهدُ أن شِـــــعري مُنصِـــــفٌ ... وأنـــا - بهـــذا الشـــعر - لا أتكســـب

إنْ كنـــتُ قـــد وُفقـــتُ هـــذا مِـــن عطـــا ... ربـــي ، وإنْ أخطـــأتُ إنـــي المُـــذنب

وبـــرئٌ الـــرحمنُ مِـــن خطئـــي الـــذي ... أخطـــأتُ ، إنـــي عفـــوَ ربـــي أطلـــب

في ذمة الله

(قال الخولي في قصصه صـ 678: حدثتني أختي أن أحد المعلمين كان يشرح المادة لطلابه الصغار ، وكان مستدبراً لهم ووجهه للسبورة ، فرماه أحد الطلبة المشاغبين بالطبشور فصرخ المعلم قائلاً: من فعل هذا؟ ولم يجبْه أحد. فأشار الطالب الفاعل على زميله الذي يجلس أمامه (وهو لا يراه) ، فأمره الأستاذ بالنهوض ، وقال: لماذا رميت الطبشورة؟ والطالب يقول له: لم أفعل يا أستاذ ، فأخذه وذهب إلى المدير. فقال له المدير: هيا اعترف ، لماذا فعلت ذلك مع الأستاذ يا بُني؟! والطالب يحلف أنه لم يرم الطبشور ، وهنا أمره المدير أن (يفتح يده) ليضربه ، فأبى الطالب وقال له: لا تستطيع أن تضربني ، فصعق المدير ، كيف يقول ذلك؟! فقال المدير: بل أستطيع. فقال الطالب: لا تستطيع ضربي ، أولاً لأنني مظلوم ، وثانياً لأنني اليوم صليتُ الفجر في المسجد ، والرسول ﷺ قال: "من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله" ، فبكى المعلم والمدير معاً. وكانت عظة فذة! روى مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن صَلَّى الصُّبحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ). قال النووي في "شرح مسلم": "الذِّمَّة هنا: الضمان ، وقيل: الأمان" انتهى. قال الطيبي رحمه الله: "وإنما خصّ صلاة الصبح بالذكر ؛ لما فيها من الكلفة والمشقة ، وأداؤها مظنة خلوص الرجل ، ومنه إيمانه ؛ ومن كان مؤمناً خالصاً فهو في ذمة الله تعالى وعهده. "شرح مشكاة المصابيح للطيبي". وأورد الأستاذ محمد المنجد أن في المراد بالحديث قولين للعلماء: * الأول: أن يكون في الحديث نهي عن التعرض بالأذى لكل مسلم صلى صلاة الصبح ، فإن من صلى صلاة الصبح فهو في أمان الله وضمانه ، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لِمَن أمَّنَه الله ، ومن تعرّض له ، فقد أخفر ذمة الله وأمانه أي أبطلها وأزالها ، فيستحق عقاب الله له على إخفار ذمته والعدوان على من في جواره. انظر: فيض القدير للمناوي. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله "شرح رياض الصالحين": "في هذا دليل على أنه يجب احترام المسلمين الذين صدَّقوا إسلامهم بصلاة الفجر ؛ لأن صلاة الفجر لا يُصليها إلا مؤمن ، وأنه لا يجوز لأحد أن يعتدي عليهم" انتهى. ويدل لهذا المعنى ما رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" بسنده ، وقال الألباني عنه في "صحيح الترغيب": صحيح لغيره: عن الأعمش قال: كان سالم بن عبد الله بن عمر قاعداً عند الحجاج ، فقال له الحجاج: قم فاضرب عنق هذا ، فأخذ سالم السيف ، وأخذ الرجل ، وتوجّه باب القصر ، فنظر إليه أبوه وهو يتوجه بالرجل ، فقال: أتراه فاعلاً؟! فردَّه مرتين أو ثلاثاً ، فلما خرج به قال له سالم: صليتُ الغداة؟ قال: نعم. قال: فخذ أي الطريق شئت ، ثم جاء فطرح السيف ، فقال له الحجاج: أضربت عنقه؟ قال: لا ، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: إني سمعت أبي هذا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن صَلَّى الغَدَاةَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ حَتَّى يُمسِيَ)! * القول الثاني: أن يكون المقصود من الحديث التحذير من ترك صلاة الصبح والتهاون بها ، فإن في تركها نقضاً للعهد الذي بين العبد وربه ، وهذا العهد هو الصلاة والمحافظة عليها. قال البيضاوي: "ويحتمل أن المراد بالذمة الصلاة المقتضية للأمان ، فالمعنى: لا تتركوا صلاة الصبح ولا تتهاونوا في شأنها ، فينتقض العهد الذي بينكم وبين ربكم ، فيطلبكم الله به ، ومن طلبه الله للمؤاخذة بما فرط في حقه أدركه ، ومن أدركه كبّه على وجهه في النار ، وذلك لأن صلاة الصبح فيها كلفة وتثاقل ، فأداؤها مظنة إخلاص المصلي ، والمخلص في أمان الله" انتهى. نقلا عن "فيض القدير").هـ.)

لقـــــد فاقـــــتْ إجابتـــــك الخيـــــالا وأنـــــت تســـــوق زبـــــدتها ارتجـــــالا

وتلقـــــي القـــــولَ فصـــــلاً دون خـــــوفٍ فيغلـــــبُ مـــــا أجبـــــت بـــــه الســـــؤالا

فلســـت تخـــاف - مِـــن أحـــدٍ - بتاتـــاً ... ســـوى مِـــن ربـــك المـــولى تعـــالى

فـــلا التهديـــدُ يُجـــدي الآن شـــيئاً ... ولا الضـــربُ الـــذي هـــو للكســـالى

ومـــا نفـــعُ العصـــا مـــع عبقـــري ... علـــى الـــرحمن يتكـــل اتكـــالا؟

يســـوق لنـــا المـــواعظ مُشـــرقاتٍ ... كضـــوء الشـــمس - فـــي الـــدنيا - تـــلالا

ويُتحفنـــا بـــأقوال تســـامت ... إلـــى أن فـــاق معناهـــا الخيـــالا

ويطـــرحُ - مِـــن هُـــدى العـــدنان - قِســـطاً ... يصـــدّ بـــه التوعـــد والوبـــالا

فأفحمنـــا بمـــا أمـــلاه رداً ... وفـــاق الـــردُ نقمتنـــا جـــلالا

وأخرســـنا فلـــم نهمـــسْ بحـــرفٍ ... وكيـــف يصـــوغ مَـــن خـــرس المقـــالا؟

وألزمنـــا الوجـــومَ فلـــم نعلّـــق ... ســـوى بالـــدمع - فـــوق العـــين - ســـالا

وأيقـــظ غـــافلين مِـــن التـــردي ... ولـــم يتـــركْ - لتعقيـــب - مَجـــالا

فتبنـــا عـــن معاصـــينا وعُـــدنا ... وأحســـنا المقاصـــدَ والفِعـــالا

وراجعنـــا ضـــميرْنا بصـــدق ... فزايلنـــا الرذائـــلَ والضـــلالا

فـــنحن اليـــوم أقـــربُ للمعـــالي ... لأن الطفـــل - فـــي التـــوبيخ - غـــالى

تحـــدّانا ، وبـــالغ فـــي التحـــدي ... وصـــعّد - فـــي المواجهـــة - الجـــدالا

ألا يـــا رب تـــبْ ، واغفـــرْ ، وســـامحْ ... فإنـــا اليـــومَ نبتهـــلُ ابتهـــالا

كلمة صغيرة (أرجوزة)

(لم يُهَن المعلمُ صاحبُ العلم والرسالة في زمان مضى مثلما أهين في زماننا. وما علا شأنُ المعلم المرتزق مثلما عَلا في زماننا. وإنني لأعتذر كل الاعتذار ـ للمعلم صاحب العلم والرسالة الذي أصبح حاله كحال من يبيع الحليب للناس في الطرقات صباحَ مساء. فهو يمر على البيوت فمن أراد اشترى ـ ومن لم يُرد ترك. إنها الإهانة للعلم والتعليم والمعلم ، أن يكون صاحب العلم هكذا. على حين ارتاح صاحبُ الارتزاق بالعلم وأمن في ماله وقوته. وإذا بأحد الهازلين كان قد التمس من يعلم بُنيته عِلماً ، فدُل على الذي يصلح لذلك ، وبعد أيام أخذ يزدريه لا لشئ إلا لأخلاقه وقيَمِه ، ولم يُصرحْ بعدُ عن مكنون صدره ، والذي يغلب على الظن أن هذه النوعية إنما هي من النوعيات التي قد تعلمنتْ تصوراتها ، فأضحتْ ترى المعلم في قالب معين ، وله ذوق معين ، وله كلام معين ، وله هندام معين! وتطل على المعلم من مشربية صنعتها الأهواء! وهذا الذوق وهذا القالب وهذا التصور وتلك المشربية وهذه الإطلالة وهذا الفهم وتلك الشروط وهذه المضامين مصنوعة جميعاً على عين الجاهلية ومعجونة بعفن العلمانية ، ومن هنا اعتذر الأبُ اعتذاراً جاهلياً عِلمانياً ، تهضم معه الحقوق ، ويَحتقر كل خير تراه العين ، فكتبتْ هذه الأرجوزة الشعرية أعزي المعلم صاحب الرسالة! ورحتُ أبين له أن له عزاءً كبيراً في الأنبياء والمرسلين. ورحتُ أهمس في آذان المربين والآباء أنهم إن قصدوا معلماً لأبنائهم أو لبناتهم طبعاً بضوابط شرعية مرعية فليبحثوا عن صاحب الرسالة القوي الأمين! المعلم (الكاريزمي) الذي جمع بين العقيدة والعلم!)

مـــات الحيـــاءُ ، وزال العُـــرفُ والخلـــقُ ... وربقـــة الشـــرع فـــي الأحشـــاء تحتـــرقُ

ضـــاع الضـــميرُ ، فـــلا تقـــوى تهذبُـــهُ ... ووازعُ الـــدين قـــد جفـــتْ ســـحائبُهُ

وهمّـــة الـــنفس قـــد بـــاءتْ بخيبتهـــا ... ونخـــوة القلـــب قـــد غصـــتْ بصـــدمتها

وعزمـــة الـــروح عانـــت هـــزلَ مُـــرتكسِ ... يعـــيش مُنحـــدراً فـــي غيّـــه الـــدنسِ

فلـــيس يَعـــرف شـــرعاً كـــي يُطبقـــهُ ... لكـــنْ هُـــراء لـــه جهـــراً يُنمقـــهُ

وعقلـــه فـــي بريـــق المـــال مُـــرتبط ... وقلبُـــه بهشـــيم الفِســـق مُغتـــبط

ونفســـه قـــد رأت فـــي الـــدعر مـــا عشـــقتْ ... بضـــاعة مِـــن ديـــار العُهـــر قـــد وفـــدتْ

وثـــورة للخنـــا تكـــوي جوانحَـــهُ ... وتلهـــب الحســـرة الشـــجوا جوارحَـــهُ

مشـــاعرٌ خبُثـــتْ ، مـــا عظمـــتْ حُرُمـــاً ... وأعـــينٌ مـــا رأت فـــي دارهـــا قيَمـــا

وألحـــمٌ مِـــن حـــرام المـــال منشـــأها ... وأعبُـــدٌ فـــي حضـــيض التيـــه مخبأهـــا

تهجـــو الحـــلالَ إذا لاحـــت بـــوادرُهُ ... وتشـــربُ الـــدعر إن غنـــتْ عـــواهرُهُ

طعامُهـــا الفـــنُ ، والتمثيـــلُ ملبسُـــها ... وزادُهـــا المـــالُ ، والتـــدجيلُ مُفلســـها

ليســـت تتـــوقُ إلـــى علـــم يُزينهـــا ... لكـــنْ تتـــوق إلـــى مـــال يُطينهـــا

والعِـــرضُ قـــد رخصـــتْ بـــالطبع قيمتـــهُ ... مِـــن بعـــد أن وهنـــتْ جـــداً حقيقتـــه

إذ تهجـــر الأمَـــة الرعنـــاءُ منزلهـــا ... حتـــى تزخـــرف بـــالإغراء مَعلمهـــا

تحتـــال للمـــال ، فالـــدولارُ ســـيّدُها ... عميـــاءُ بـــين الـــورى ، والفلـــسُ قائـــدُها

وقـــد تعـــرتْ تظـــن الفلـــس يَسْـــترُها ... ثـــم اســـتكانت لـــه ، ولـــيس يُكْبرُهـــا

بـــالقول قـــد خضـــعتْ مِـــن غيـــر مـــا خجـــلِ ... ولـــيس فـــي قلبهـــا ظـــلٌ مِـــن الوجـــلِ

وبنتهـــا خرجـــتْ ، وخلفهـــا حُمَـــمُ ... وكشـــفها لخفـــاء الحُســـن يَضـــطرمُ

والوالـــدُ النـــذلُ قـــد ماتـــت رجولتـــهُ ... هـــو الفخـــورُ بمـــا تـــأتي بُنيتـــهُ

وبـــالفحول أتـــى لدرسِـــها فرحـــاً ... وكلمـــا انحـــدروا تلقـــاه مُنشـــرحاً

وكلمـــا لعبـــوا بالبنـــت أكـــرمهم ... وكلمـــا عبثـــوا بالهَـــدي جـــاملهم

وكلمـــا هزلـــوا فعنـــده رُفعُـــوا ... يـــا شـــؤم والـــدها! وبـــئس مـــا فعلـــوا!

حتـــى أتـــاك غضـــيضُ الطـــرف مُحتســـبا ... وفـــي جوانحـــه التوحيـــد قـــد سُـــكبا

فـــوق الجبـــين حيـــاءٌ لســـتَ تعلمُـــهُ ... وفـــي الفـــؤاد إبـــاءٌ لســـتَ تهزمُـــهُ

وفـــي الشـــعور ضـــميرٌ لـــيس يُدركُـــهُ ... عبـــدُ الـــدراهم ، فالـــدينارُ مُهلكُـــهُ

وفـــي العواطـــف عـــزٌ مـــا لـــه شَـــبَهُ ... وفـــي العقيـــدة نـــورٌ مـــا بـــه شُـــبَهُ

وفـــي الـــدغاول بـــأسٌ عـــز مانحُـــهُ ... بـــابُ الهدايـــة خيـــرٌ جـــل فاتحُـــهُ

ذي نعمـــة ربُنـــا عليـــهِ أنعمَهَـــا ... ونفسُـــه ربُنـــا فـــي النـــاس أكرمَهَـــا

هـــو الحـــديثُ بهـــا مِـــن غيـــر تزكيـــةِ ... كـــيلا يكـــونَ لكـــم لـــو بعـــضُ تخطيـــةِ

حتـــى أتـــاكَ الـــذي زكـــاه شـــاعرُنا ... ومَـــن ســـنا جـــوده فـــي الخلـــق آســـرُنا

وقـــال: هـــذا الـــذي علمتـــه رجُـــلا ... وفـــي اللغـــات ضـــليعٌ ، فـــالحقوا الـــبطلا

وعنـــدما زارهـــم - يـــا ســـيدي - مَكـــروا ... ومِـــن طريقتِـــه وســـمتِه سَـــخِروا

لا تنـــدمنّ علـــى مـــا قلـــتَ يـــا ســـندي ... بعـــد المليـــك ، وفـــي الأشـــعار أنـــت يـــدي

فهـــؤلاء علـــى التضـــليل قـــد مَـــردوا ... وفـــي النفـــاق لهـــم مـــوجٌ بـــه زبَـــدُ

قـــومٌ علـــى ســـاحة التهويـــد كـــم لعبـــوا! ... وأظهـــروا كيـــدهم فينـــا ومـــا احتجبـــوا

إنـــي أراهـــم علـــى أشـــلائنا برجـــوا ... ونحـــن أضـــعفنا التخـــذيلُ والهـــرجُ

يقـــول قـــائلهم والعُجـــب يمـــلأهُ: ... لســـنا نريـــد الـــذي الإيمـــانُ يكـــلأهُ

إنـــا نريـــد الـــذي الموضـــاتُ ديدنـــهُ ... وإن يُكلفنـــا مـــا كـــان أحســـنهُ

فـــي الجيـــد عِقـــدُ الهـــوى ، والقـــرط فـــي أذنِ ... وفـــي اليمـــين جثـــتْ (ســـيجارة) الفطِـــنِ

وفـــي الشـــمال بـــدتْ نـــافورة القلـــمِ ... حليـــقُ ديـــن وصَـــدغ ســـادنُ الصـــنمِ

فقـــال صـــاحبنا يبـــدي تعـــززَهُ ... ومِـــن عبيـــد الخنـــا يُزجـــي تقـــززَهُ

يـــا عابثـــاً ســـمِجاً فـــي جهلـــه أسِـــرا ... أراك للشـــرعة الســـمحاء مُفتقـــرا

أراكَ فـــي ربقـــة الأوثـــان مُحترقـــا ... طمـــئنْ فتاتـــك أنـــي لســـت مرتزقـــا

فلـــن أبيـــعَ لكـــم دينـــي وعـــاطفتي ... هـــل مِـــثلكم يـــا غَثـــا يَـــدري بعـــارفتي؟

ابن باز قلعة العلم! – مساجلة عشماوية

(رثى الدكتور العشماوي الشيخ عبد العزيز بن باز لقصيدة عنون لها بـ: (قلعة العلم)! وكانت هذه المساجلة الشعرية لقصيدة الدكتور عبد الرحمن العشماوي: (ابن باز قلعة العلم!) على ذات بحره ورويه وقافيته! حباً لابن باز – رحمة الله عليه - وحباً للدكتور العشماوي ، وإعجاباً بقصيدته الجميلة التي بينت مكانة ابن باز بين العلماء ودوره في نشر العلم وتوضيح التوحيد والعقيدة! يقول مطلعها:

خفقـــانُ قلـــب الشـــعر أم خفقـــاني؟ أم أنـــه لهـــبٌ مـــن الأحـــزان؟

مـــاذا يقـــول محـــدثي؟ أحقيقـــة مـــا قـــال؟ أم ضـــربٌ مـــن الهـــذيان؟

وينطلق الدكتور العشماوي متناولاً مآثر ابن باز إلى أن يختم قصيدته بوداع الشيخ والدعاء له فيقول:

يـــا رب قـــد أصـــغتْ إليـــك قلوبنـــا وتعلقـــتْ بـــك يـــا عظـــيم الشـــان

الشـــيخ مـــات عليـــه أنـــدى رحمـــةٍ وأجـــل مغفـــرةٍ مـــن الـــرحمن

فقلتُ مساجلاً للقصيدة ، ومعزياً الأمة في مجموعها ، وطلبة العلم الشرعي على وجه الخصوص!)

خبـــرٌ تعـــدى طاقـــة الســـلوانِ ودهـــى فـــؤادي ثـــم غـــال جنـــاني

طـــارتْ بـــه الآفـــاقُ ، حتـــى جـــاءني والقلـــبُ غـــصّ بدمعـــه الهتـــان

كـــم قِيـــلَ مـــات الشـــيخ مـــن عهـــدٍ مضـــى فـــإذا بهـــا فـــي النـــاس كذبـــة شـــاني!

بـــئس الإشـــاعة لا يكـــف أوارهـــا بالكيـــد إذ تحتـــاجُ للبرهـــان!

لكـــنّ خُبْـــرَ اليـــوم خُبْـــرٌ صـــادقٌ كلماتُـــه نســـجتْ مـــن الأحـــزان

وعليـــه مـــن ألـــم الفجيعـــة معلـــمٌ كرســـالةٍ قرئـــتْ مـــن العنـــوان

المـــوت حـــقٌ ، والجميـــعُ إلـــى الفنـــا والملـــك يـــوم البعـــث للـــديان

لكنـــه ألـــمُ الفـــراق ووقعـــه والـــنفس تكـــره أن تعـــيش تُعـــاني

ولـــئن رضـــينا بالمقـــادر والقضـــا لكنـــه خطـــبٌ عظـــيمُ الشـــان

أنـــا يـــا (ابـــنَ بـــاز) قـــد فجعـــتُ بمـــوتكم وأتـــى الـــذي مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

مـــا كنـــتُ أحسِـــبُ أن مـــوتكمُ لظـــى يكـــوي الفـــؤاد كجـــذوة مـــن نـــار

إنـــي احتســـبتُك عنـــد ربـــي شـــيخنا ومـــن الـــذي يرضـــيك كـــالرحمن؟

وأرى شـــريط الـــذكريات مُرجّعـــاً مـــن ذكرياتـــك والمَعـــين الـــداني

ومحاضـــرات قـــل أن تلقـــى لهـــا ولمُجتبيهـــا مـــن نظيـــر ثـــاني

حبّرتهـــــا ، ونفحتهـــــا ، ونشـــــرتها ... فـــــي العـــــالمين بدقـــــةً وتفـــــاني!

ومنـــــاظرات فـــــاح عطـــــر أريجهـــــا ... وبهـــــا عِظـــــاتٌ غضـــــة وحـــــواني

لـــم تنهـــر الخصـــم الـــذي هـــو كـــارهٌ ... بـــل فـــي اللقـــاء تقابـــل الخصـــمان

وإن اســـــتطال الخصـــــم لمـــــا تســـــتطل ... وكـــذاك لـــم تجـــنحْ إلـــى العُـــدوان

بـــل كنـــت ترجمـــه بحجـــة واثـــق ... خبـــرَ الجـــدالَ بمنطـــق القـــرآن

ووعـــى حـــديث المصـــطفى ورجالـــه ... ووعـــى كـــذلك سُـــنة العـــدنان

ولـــه علـــى الإســـلام أصـــدق غيـــرةٍ ... مشـــفوعة بنصـــاعة العرفـــان

ولـــه علـــى الفتـــوى رصـــينُ أمانـــة ... إن (ابـــن بـــاز) عـــالمٌ ربـــاني

وتميّـــزتْ حلقاتـــه بوضـــوحها ... وإجابـــة الفتـــوى بـــدون تـــواني

مـــتحملاً مـــا قـــد يجـــر صـــراحة ... مـــن كـــل مجهـــال ومـــن دُهقـــان

كـــم صـــد بدعـــة مفتـــر متخـــرص ... دنـــس الســـريرة مقـــرفٍ فتـــان

كـــم عطـــر الـــدنيا بطيـــب علمـــه! ... كـــم ذر نـــور العلـــم فـــي البُلـــدان!

وأعـــاد للـــدنيا (ابـــن حنبـــلَ) رافعـــاً ... علـــم الشـــريعة فـــي ربـــا الأوطـــان

حتـــى إذا رحـــل افتقـــدنا عالمـــاً ... عـــف الطويـــة صـــادق الإيمـــان

إنـــا لنحســـبه ، وربـــي حسْـــبُه ... ووكيلـــه المتعـــال ذو الســـبحان

ربـــاه فـــاغفرْ لابـــن بـــاز ذنبـــه ... وامـــحُ الـــذي قـــد كـــان مـــن عصـــيان

ربـــاه واشـــمله بـــوافر رحمـــةٍ ... وأجُـــره يـــا ربـــي مـــن النيـــران

ربـــاه أكـــرمْ يـــا مهـــيمن نزلـــه ... ومـــن الـــذي يُقـــري قِـــرى الـــديان

ربـــاه أخلـــفْ للخلائـــق غيـــره ... وارزقـــه بـــذل العلـــم والإحســـان

وأحطـــه بـــالطلاب يرجـــون الهُـــدى ... واجعلهـــمُ مـــن صـــفوة الأعـــوان

واجمـــعْ علـــى الخيـــر الجميـــع إذا اهتـــدوا ... واجعـــلْ لهـــم شـــيئاً مـــن الفرقـــان

التربية بين الجامع والجامعة

(عندما تؤسْلمُ نظمُ الحياة ، وتُسْلمُ الجامعة لا تتعارض قط أركان التربية ومواردها بين الجامع والجامعة ، وعندما يكون ذلك كذلك فهاك التربية الحقيقية. وعندما يكون ذلك غير ذلك نرى فِصاماً رهيباً لا حدود له ، ليس ذلك فقط بل واستساغة مريرة لكل أنواع الباطل! وإذن فالإسلام كلٌ لا يتجزأ! ولا يمكن أن تكون للإسلام جزءٌ من الهيمنة على بعض أنظمة المجتمع ، وتكون للعلمانية الهيمنة على باقي الأجزاء ، ثم نقول إن هذا إسلام! إن هذا الدين شرعه الله تعالى ليُخرج الناس كلهم في الأرض كلها من الجاهلية والظلام إلى الهداية والنور!)

هـــو الـــدينُ لا يعـــرفُ الرهبنـــة ... ولـــيس يُقـــرّ دُجـــى العلمنـــة

فقـــد جـــاء نـــوراً لكـــل الـــورى ... وحِصـــناً يقـــيهم مِـــن الشـــيطنة

وجـــاء بشـــيراً لمـــن آمنـــوا ... ومَـــن جاهـــدوا الكفـــرَ والفرعنـــة

وجـــاء نـــذيراً لأهـــل الهـــوى ... يُقـــيمُ - علـــى الطغمـــة - البينـــة

وينشـــرُ - فـــي العـــالمين - الهُـــدى ... وحتـــى تكـــون لـــه الهيمنـــة

وجامعُـــه مَحضـــنٌ طيـــبٌ ... تُربّـــى بـــه الأنفـــسُ الديّنـــة

صـــلاةٌ ودرسٌ وترويحـــةٌ ... لتســـتويَ الفرقـــة المؤمنـــة

وجامعـــةُ الخيـــر إن آمنـــتْ ... تُـــؤدّب مُخلصـــةً مُوقنـــة

وتُهـــدي العلـــوم لمـــن رامهـــا ... بكـــل ســـبيل غـــدتْ مُمكنـــة

وترشـــدُ طلابهـــا دائمـــاً ... وخيراتهـــا فـــي الـــورى مُعلنـــة

وأمـــا إذا لـــم تكـــنْ آمنـــتْ ... تصـــير إذن أســـوأ الأمكنـــة

وتُخـــرجُ – لـــلأرض - شـــرّ الغُثـــا ... دهاقنـــة أتقنـــوا القرصـــنة

وجـــيلاً يُبـــاهي بإفلاســـهِ ... ومـــا قـــد رأينـــا ســـوى عَينـــة

وهـــذا الفصـــامُ ســـيُودِي بهـــا ... ويومـــاً تحِيـــقُ بهـــا الملعنـــة

أستاذي قال لي

(جلستُ وصحبي إلى أستاذٍ كان يُحفظنا القرآن صغاراً. وبينما نحن كذلك خرجتْ إحدى بُنياته من غرفة إلى أخرى في البيت. وكانت شابة رائعة الجمال. فأعجب أحد الطلاب بها فأطال النظرة ، ولاحظ الشيخ متابعته لها ، فلقد كان سريع الفهم ثاقب النظرة حاضر البديهة متوقد الحس صريح النصيحة. فعذره الأستاذ نسبياً ، إذ الافتتان بالنساء اليوم لا تكاد تخلو منه بُقعة في الأرض! واستجمع الأستاذ قوة تفكيره وسكت هنيهة وقال لابنته: أغلقي الستار واذهبي إلى أمك يا بُنية! ثم قال للكل: يا بني إذا أعجبك حُسن امرأة شابة أو غير شابة فتذكر مناتنها: هذا الفم المشقوق المرسوم لو غاب عنه الطعام سويعات أتطيق رائحته؟ وهذا الأنف العمودي الطويل الجميل إذا أصيب بالزكام وازداد إفرازه للمخاط أتطيق رائحته؟ وهذه الأذن الرائعة الحسن أتطيق الصماخ الذي تفرزه؟ وهاتان العينان أتطيق العماص الذي تفرزانه أو الدموع التي تهطل منهما؟ وهذا الجسم الميّاس القد والنحيل القوام إذا نامت صاحبته وعرقت أتطيق عرقها؟ أليست تحيض؟ فإن حاضت أتطيق رائحة حَيضها؟ إن ولدت أليس لها نفاس؟ أتطيق رائحة دم نفاسها؟ أليست تبول؟ أتطيق رائحة بولها؟ أليست تُخرِج؟ أتطيق رائحة إخراجها؟ ألا تستحيي من نفسك أن تستهويك مَن تُنتنُها حيضة أو بولة أو إخراج أو بخر أو صماخ أو مخاط أو عرق أو عمصة أو بصاق؟ وأخذ الأستاذ يرغبنا في عرائس الجنان الحور المقصورات في الخيام اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان ، وراح يقارن بين الحور العين والحور الطين ، وأوضح أن الكلمات تعجز عن وصف الحور العين ، وأن الفرق بينهن وبين الحور الطين كالفرق بين السماء والأرض! فأخذتُ أحلل نصيحة المعلم لطلابه فألفيتها غالية وعزيزة للحدّ الذي يجب معه أن تصاغ شعراً يَقرعُ سمع الزمان ويُخالج مشاعرَ الشباب في كل مكان من هذه الدنيا. في زمان أصبحتْ فيه المرأة مادة إعلانية أو إعلامية رائجة وسلعة رخيصة لكسب ما تيسر من الأموال على حساب الفضيلة. المرأة التي لمّا غوتْ كانت سبباً رئيساً في تضليل كثير من المجتمعات ، وهوت بها إلى قيعان الفسوق والرذيلة ودرك البهيمية والعجماوية والانحطاط والسفول والضياع والتشريد والتهتك والإباحية. المرأة التي كانت سبباً رئيساً في فتنة بني إسرائيل ، وتعيد الكَرّة في هذه الأمة ، ونسأل الله العفو والعافية والسلامة. يا بني: إذا أعجبك حسن امرأة فتذكّر مناتنها ووسخها وأذاها. ما أجملها من وصية تزهّد من وعاها في أي امرأة كائناً ما كان جمالها وبالغاً ما بلغ حُسنها! وعنونتُ للقصيدة بـ (أستاذي قال لي) وكل الذي قمتُ به هو تحويل نصيحة الأستاذ من نثر عامي ، إلى شعر عربي أصيل موزون مقفى!)

تلميـــــذيَ المحبـــــوبَ خـــــلّ المُنكـــــرا ... إذ إنـــــه يُـــــزْري بـــــأخلاق الـــــورى

صـــــورُ المعاصـــــي جمّـــــة ، وأخسّـــــها ... أن تفـــــتنَ المتبرجـــــاتُ الخيَّـــــرا

والأصـــلُ غـــضّ الطـــرف عمـــن أظهـــرتْ ... حُســـــناً يشـــــعّ تغنجـــــاً وتكسّـــــرا

لـــم تلتـــزمْ شـــرعاً ، وليســـت تســـتحي ... وتســـيرُ - فـــي وســـط الطريـــق - تبختـــرا

لـــم تحتـــرمْ ديـــنَ المليـــك توقحـــاً ... لكنهـــا هـــوتِ الســـفورَ كمـــا تـــرى

وترنحتْ - بين الرجال - بلا حيا ... بلباس فاجرةٍ يُعافُ ويُزدرى

أضحى يشفّ عن المحاسن للألى ... كالوا الثناءَ على السفور مُحَبّرا

جسمٌ توشّح بالتعرّي والخنا ... وسعى الهوينى مَائساً مُستعطرا

والوجهُ تغشاه المساحيقُ التي ... جعلته أبهى للمُغازل مَنظرا

ورموشُها نمِصتْ لتسبيَ ناظراً ... والشعرُ - فوق الرأس - ها هو كوِّرا

وتفلجتْ للحسن ، بئسَ جريئة! ... تدري الحرامَ ، فتلك شبّتْ مُعصرا

وتزيّنتْ – للمعجبين - بقدّها ... وتمايلت – للناظرين - تندرا

وخضوعُها بالقول يأسِرُ سامعاً ... في قلبه مرضٌ ، ويهوى المنكرا

وكلامُها هزلٌ تخللَه الهوى ... مثل العزيف إذا تجلبب بالهرا

ولها لحاظ بالعيون ، سهامُها ... تغتالُ - إن غمزتْ بهن - غضنفرا

يا أيها التلميذ زايلْ فتنة ... هي - عند مَن فقه العقيدة - تُزدرى

واذكرْ مَناتنَ مَن فتنتَ بحُسنها ... حتى تُطامن مِن دفاعِك والمِرا

هذا الفم المشقوقُ يَسحَرُ عاشقاً ... ورِضابُه شَهدٌ عليكَ تحدّرا

وله احمرارٌ زاد مِن قسماته ... وغدا - مِن الزهر المزركش - أزهرا

ما حالهُ إنْ طعمة غابت وآلـ ... ـمه الطوى ، وغدا كريهاً أبخرا؟

والأنف إن وطئ الزكامُ رياضه ... وأذلّه ، وطغى المُخاط وعسكرا

ما شأنُ أنفاس غدت مهتاجة؟ ... أفلا تراه بما يَعُلّ تغيرا؟

وإذا ترى أذنا تدلى قرطها ... والأذنُ فاقت - في البريق - الجوهرا

أإذا استبد بها الصماخ وأزهما ... أتُطيق رائحة الصِماخ إذا انبرى؟

والعينُ ترسلُ سِحرها لمُتيم ... منذ ارتآها لم يذقْ طعمَ الكَرى

ماذا تساوي إن تعقبها القذى ... وبياضُها – بالدمع - أصبح أحمرا؟

أتحِبُ رؤيتها ، إذا ما استعبرتْ؟ ... أيسُرّ عينك وقتها أن تنظرا؟

والجسم ذو قدٍ يَميسُ تدللاً ... سبحان مَن خلق الجمالَ ، وصورا!

أوَليس مِن عَرَق يفوحُ زهامة ... تُبدي الذي لمّا يكنْ مُتصورا؟

أتطيقُ حَيضتها إذا ما أكبَرتْ ... حتى تفيئ مِن المحيض وتطهُرا؟

أتُطيقها نُفساء يلفحُها الأذى ... هذا الذي كتبَ المليك ، وقدّرا؟

أتُطيقُ بَوْلاً أخرجتْ أو غائطاً؟ ... أم منه ترجعُ ما استطعت القهقرى؟

عذراً إذا صرّحتُ إني ناصحٌ! ... والنصحُ أقبحُ ما يكون مُزورا

فاحذر من النظرات تُزري بالفتى ... وتعود - بالقلب السليم - إلى الورى

وأراك تنشدُ - في الصلاح - تقدّماً ... فإذا غضضت الطرفَ لن تتأخرا

والحُورُ ترجو - في الجنان - مُوحّداً ... حَسِن السريرة مُخلصاً ومُشمّرا

نعْمَ العرائسُ - في الجنان - ازّينتْ ... ونفحن مِسْكاً – للعشير - وعنبرا!

هذي العواتقُ - في الخيام - تشوقتْ ... لمُوحّدٍ وُعد الجنانَ ، وبُشّرا

ليست لهن مناتنٌ يا صاحبي ... واقرأ كتابَ الله ، كي تتبصّرا

لم يطمثِ الحَوراءَ إنسٌ لحظة ... كلا ، ولا جن رأى ، أو أشغرا

أبُنيَّ: حُورُ العِين أعظمُ رُتبة ... مِن حُور طِين ، لم يُشَرّفن القُرى

شتان بين الحُورِ تُهديك الهنا ... وتشد أزرك كي تقلدك الذرى

والحُورِ تُفقِدُك التمسكَ بالهُدى ... كيلا تعيش مُكرّماً مُستبصرا!

عندما تكون التربية رسالة

(قام المربيان المعلمان اللذان كانا يشرفان على تربية (محمد الفاتح) ابن السلطان مراد الثاني العثماني ، الشيخان / محمد بن حمزة المشهور بـ (آق شمس الدين) وأحمد الكوراني ، قاما بدور كبير في تنشئة الفاتح ، وكان الأول أشد تأثيراً عليه ، وكان الفاتح يعتز به ويقول وهو سلطان على المسلمين: لا تجعلوا شيخي وأستاذي يقف بالباب طويلاً ، بل أدخلوه عليّ مباشرة. قام المربى بضرب محمد الفاتح وعمره سبع سنوات ضرباً شديداً وذلك دونما سبب. وظل محمد الفاتح يذكر ذلك إلى أن تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه ، وكان شاباً في مقتبل العمر. فنادى على مُربيه ، وقال: لماذا ضربتني ضرباً شديداً أيام كان عمري لا يتجاوز السنوات السبع يا سيدي؟ فقال: لتذوق معنى الظلم فلا تظلم أيام تكون سلطاناً يوماً ، إن عندي شعوراً أنك ستكون سلطاناً يوماً ما. كما كانت عادة ذلك المربي أيضاً أنه كان يركب جواداً ويحمل محمد الفاتح وهو طفل معه ويخوض الجواد في البحر إلى أن يشرف على الغرق ثم يرجع به. وأثناء هذه الرحلة البحرية يشير المربي إلى أسوار القسطنطينية في الساحل الآخر ويخاطب محمداً قائلاً: هذه هي الأسوار التي تحيط بالمدينة التي ستفتحها يوماً إن شاء الله. وإذن فهي التربية عندما تكون رسالة حقيقية ذات أهداف محددة المعالم. لا التربية الارتزاقية نظير دراهم معدودة. إن المربي الناجح هو الذي يترك أثراً لكل معنى من معاني الدروس التربوية التي يغرسها في نفس من يربيه. وهنا تثمر العملية التربوية بجميع أهدافها الوجدانية والمعرفية والأخلاقية والسلوكية. ولازلنا نذكر الدروس التربوية والمواعظ الوجدانية والنصائح التي جاد بها علينا أساتذتنا الكرام ونحن صغار. وفي سفره العظيم: (رِسَالةُ المُعَلّمِ وآدابُ العالم وَالمُتعلّمِ) يقول الدكتور عبد المجيد البيانوني يفرق بين التدريس كمهنة وكوظيفة فيقول ما نصه: (يجمع بين المعلّم والموظّف أن كلاً منهما مسلم يحمل في عقله وقلبه ، وسلوكه وأخلاقه رسالة الإسلام ، ويدعو إليها بحسب استطاعته. ولكنّنا من خلال طبيعة عمل كلّ من المعلّم والموظف ومهمّتهما في الحياة نستطيع أن نعرّف المعلّم والموظّف على النحو التالي: ـ فالمعلّم هو الذي يأتمنه الناس على تربية أولادهم ، وتأديبهم وتعليمهم ، ويتحقق بمستوى مناسب من الأهليّة لذلك. ـ وأمّا الموظّف فهو الذي يكلّف بعمل ما ، وتتحقق به الأهليّة العلميّة ، أو الفنيّة ، أو الخبرة المناسبة لهذا العمل. ونستخلص من التعريفين الحقائق التالية: * أنّ كلاً من المعلّم والموظّف يتحقّق فيهما قدر مشترك من المؤهّلات العلميّة والأخلاقيّة ، والمهارات الفنيّة المناسبة لمهمّة كلّ منهما ، وطبيعة عمله واختصاصه. * أن الجانب الأساسيّ في المعلّم هو المستوى العلميّ والسلوك الأخلاقيّ المناسب ، والقدرة على التعليم والعطاء ، بما ينسجم مع طبيعة المهمّة المُلقاة على عاتقه ، ولا يُفترض في الموظّف أن يكون كذلك كما هو واضح. * أن علاقة المعلّم علاقة إنسانيّة تربويّة ، فميدان عمله: النفس البشريّة ، ومهمته صقل العقول وإيقاظ القلوب ، وتهذيب النفوس ، وغرس الفضائل ، واجتثاث الرذائل ، وتنشئة الطفال تنشئة قويمة سويّة. إنّ مهمّة المعلّم تتعلق بسيّد المخلوقات في هذا الوجود. بالإنسان الذي خلقه الله بيديه ، وأسجد له ملائكته ، وجعله في أحسن تقويم ، وحمّله ما ناءت السموات والأرض والجبال بحمله ، فشرّفه بالأمانة ، وخصّه بالتكليف ، ليكون في أرفع المنازل عند الله ، إنْ هو وفّى بعهد الله وأمانته. إنّنا نلقي إلى المعلّم بفلذات أكبادنا ، معادنَ وخاماتٍ ليجعل منها أدواتٍ نفيسة القدر ، عالية الهمّة ، شريفة المهمّة ، وينقش عليها نقوش الحقّ ، التي تؤهلها لجليل

المهام ، ولا تمحوها الليالي والأيّام. وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى: "إن الصبيّ أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كلّ نقش وصورة ، وهو قابل لكلّ ما ينقش فيه ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه ، نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكلّ معلّم له ومؤدّب ، وإن عُوّد الشرّ ، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة مُربّيه والقيّم عليه". ـ أمّا الموظّف ؛ فقد يكون تعامله مع آلة صمّاء فحسب ، لا صلة له بالناس مطلقاً ، وقد يكون بعيداً عن الناس يتعامل مع أوراق تصله ، ومعاملات للناس يتلقاها من موظف آخر ، فتنحصر علاقته مع الناس بعلاقته مع زملائه ورئيسه ، وقد يكون تعامله مع الناس محدّداً بلحظة عابرة ، أو كلمة محدودة ، فلا يربطه مع الناس سوى نظام وشروط وقيود! ولا تصله بهم إلاّ الأوراق المطلوبة والشروط المستوفاة. ولا يخفى أنّ ذلك في كثير من الأحيان إن لم يصحبه حسن الخلق ، والصبر الجميل ، والأسلوب الحكيم في العلاقة ، والطيب في التعامل ، فإنّه يورث الجفاء في العلاقة بينه وبين الناس ، لأن النفوس جُبلت على النفرة من القيود والنظام ، وإباء الانقياد والانتظام. ولئن كانت طبيعة عمله لا تقلّل من أهميّة أخلاقه وسلوكه ، وضرورة صبره وتحمّله وحسن علاقته بالناس ولطفه ، وما لذلك كلّه من أثر ، وما يتركه في نفوس المتعاملين معه من انطباع حميد ، وثناء عطر ، وتأثير طيب ، ولكنه لا يقف في ذلك كلّه موقف المعلّم للناس ، والمربّي الموجّه. ونخلص من ذلك: إلى أنّ الفرق الذي نريد الحديث عنه بين المعلّم والموظّف يتجلى في طبيعة علاقة كلّ منهما بالناس ، ففي الوقت الذي تكون علاقة المعلّم مع تلاميذه علاقة أبويّة تقوم على التربية والتعليم ، والإرشاد والتوجيه ، تنحصر علاقة الموظّف بالناس في نطاق محدود ، من طبيعة العمل الذي يقوم به ، والمسئولية التي يؤدّيها ، ولا يطلب منه ما فوق ذلك ، ولا يسأل عنه! ومن هنا تتجلى علاقة الناس بالمعلّم والموظّف ، ولعلّ هذه النقطة تعدّ مكمّلة للنقطة السابقة ، ويتجلّى خلالها مزيد من الفروق بين المعلّم والموظّف! ـ أمّا علاقة التلاميذ بمعلّمهم ؛ فهي علاقة أبويّة حانية ، ممتدّة طويلة ، يقف فيها المعلّم موقف المربّي الموجّه ، ويقف فيها التلميذ موقف المتلقّي المتعلّم ، المستجيب المتأدّب ، إذ يرى معلّمه أكبر منه سنّاً وجسماً في أكثر الأحيان ، وأكثر منه علماً ، وأجلّ قدراً ، وينظر إليه نظرة الأسوة والاقتداء. وتبعاً لذلك ؛ فإنّه يُكِنّ له الاحترام والتقدير ، على حسب ما تكون هذه الصفات في المعلّم أتمّ وأكمل! وعلى حسب ما يكون المعلّم بعيداً عن الصفات السلبية ، التي تنزع احترام تلاميذه له ، فلا ينظرون إليه نظرة التأسي والاقتداء. وعلى قدر ما يخلص المعلّم في عمله ، ويكون قدوة حسنة لتلاميذه ، ينظر إليه تلاميذه نظرة التقدير والاحترام ، والتأسي والاقتداء ، ويعظم انتفاعهم به واستفادتهم منه. ولا ننسى أن من إخلاص المعلّم في عمله أن يحرص على نصح تلاميذه وتوجيههم وإرشادهم في كل مناسبة ، وأن ينتهز كل فرصة مواتية لبثّ الفضائل في نفوسهم ، والتنفير من الرذائل ، والحثّ على معالي الأمور ، والنهي عن سفسافها. وتتبع علاقة التلاميذ بالمعلّم علاقة آبائهم وإخوانهم وأولياء أمورهم ، وهم الذين يمثّلون روابط التلميذ الأسريّة والاجتماعيّة ، وتنعكس سلبيّاتها وإيجابيّاتها على تكوين التلميذ وسلوكه وأخلاقه. ويلاحظ في هذا المقام أن كثيراً من أولياء الأمور ، على اختلاف دوافعهم ، يقفون من المعلّم كوقفة التلاميذ من معلّمهم. مسترشدين مستنصحين ، يتقبّلون بصدر رحب ما يوجّه إليهم من انتقادات ، تعود إليها أسباب تقصير الطالب في دراسته ، أو إهماله في واجباته ، أو عدم تهييئ الظروف المناسبة لجدّه واجتهاده. وإذ كان كثير من المعلّمين لا يجاملون أولياء

الأمور ولا يدارونهم ، بل يصارحونهم ، ويتناولون تقصير الوالدين في مسئوليتهم ، ويقفونهم على نقائص التربية في بيوتهم وأدوائها ، وسلبيات تصرفاتهم على سلوك أبنائهم ، مما يحرج بعض الآباء ، وهم في كثير من الأحوال قد خرجت الأمور من أيديهم ، ولم يعودوا يستطيعون تلافي التقصير ، أو تدارك الخلل ، أو لا يريدون ذلك. ولا يخفى أنّ من طبع الإنسان الهروب من المواقف المحرجة مما يدفعهم إلى قطيعة المدرسة والهرب من مراجعتها ، وتجنّب التعرف على معلمي أولادهم ، والسؤال عنهم ، فيتخلّون بذلك عن مسئوليّتهم في التربية والتقويم ، وتكميل دور المعلّم والتعاون معه. وهذا ما تكثر الشكوى منه في مختلف مراحل التعليم بصورة عامّة).هـ. واليوم نحاول أن نغرس أمثالها في أبنائنا وطلابنا والله المستعان. أنشدتُ مثنياً على نصائح معلم الفاتح وذلك لفرط إعجابي بها!)

نصـــــائحُ أصـــــبحتْ دَربـــــاً وزادا ... وعلمـــــاً وانطلاقـــــاً واجتهـــــاداً

وتربيـــــة تُبصِّـــــرُ بالمعـــــالي ... وتُحيـــي - رغـــم قســـوتها - الجهـــادا

وتـــزرعُ فـــي الضـــمير هـــدىً وتقـــوى ... لتـــــزدادَ المجاهـــــدة ازديـــــادا

وتغـــرسَ فـــي الفـــؤاد ســـنا التســـامي ... عـــــن الـــــدنيا لتغمـــــرَه رشـــــادا

وتعلـــــيمٌ لـــــه أســـــسٌ وفحـــــوى ... (محمـــــدُ) مـــــن معالمهـــــا اســـــتفادا

ورجّـــــع ذكرَهـــــا سِـــــراً وجهـــــراً ... لـــــذاك انقـــــادَ – للعمـــــل - انقيـــــادا

معلمـــــه أجـــــادَ ، ولـــــم يُقصّـــــرُ ... وبـــــالخبرات والأخـــــلاق جـــــادا

وحـــــذره الركـــــونُ إلـــــى الأعـــــادي ... وجنبـــــه الرذيلـــــة والفســـــادا

وأدبّـــــه ، ولقنـــــه الوصـــــايا ... بأمتـــــه التـــــي أمســـــت تُعـــــادى

وعلمـــــه الفضـــــائلَ والتحـــــدّي ... وفـــــي العزمـــــات أشـــــربَه العِنـــــادا

وفهّمـــــه كتـــــابَ الله حتـــــى ... يكـــــون لـــــه مـــــدى الأيـــــام زادا

ودرســـــه الحـــــديث بكـــــل صـــــبر ... لـــــذا اتـــــأدتْ جوارحُـــــه اتئـــــادا

وفـــــي الإســـــلام فقهـــــه احتســـــاباً ... لـــــذا اعتـــــاد المُنـــــاظرة اعتيـــــادا

وثقفـــــه ليغـــــدوَ عبقريـــــاً ... ويُـــــزري بالخصـــــوم كمـــــا أرادا

ودرّبـــــه علـــــى الفتيـــــا مِـــــراراً ... لينفـــــع ذلـــــك المُفتـــــي العِبـــــادا

وعلمـــــه ركـــــوبَ الخيـــــل حتـــــى ... يُغْيـــــرَ ضـــــحىً فيمتطـــــيَ الجـــــوادا

وعلمـــــه الســـــباحة فـــــي خِضَـــــمٍ ... وأكبـــــرَ جُهـــــده لمّـــــا أجـــــادا

فـــــأخرج للـــــورى ســـــلطان دار ... كـــــم ارتعـــــد العِـــــدا منـــــه ارتعـــــادا!

تـــــولى الحكـــــمَ بعـــــد أبيـــــه حُبـــــاً ... وتوصـــــية فلـــــم يـــــذق الرّقـــــادا

وعبّـــــأ جنـــــده للحـــــرب حتـــــى ... يـــــؤمّنَ مـــــا بـــــه يحمـــــي الـــــبلادا

ويظفـــــرَ بالعِـــــدا بـــــراً وبحـــــراً ... ويصـــــطادَ القياصـــــرة اصـــــطيادا

ويفـــــتحَ - باســـــم رب النـــــاس - دُوراً ... تُعـــــاني الاحـــــتلالَ والاضـــــطهادا

فلـــــم يقتـــــلْ صـــــبياً أو فتـــــاة ... أو الجُنـــــد الألـــــى فـــــرّوا فـــــرادى

أو الرجـــــل المســـــن يريـــــد سِـــــلماً ... علـــــى العُكّـــــاز يعتمـــــدُ اعتمـــــادا

ولـــــم يهلـــــكْ زروعـــــاً أو ثمـــــاراً ... وإنْ أصـــــحابُها ارتـــــدّوا ارتـــــدادا

ولا دَكّـــــتْ مدافعُـــــه بيوتـــــاً ... ولا هـــــو - فـــــي معاركـــــه - تمـــــادى

ولـــــم يُـــــرق الـــــدماءَ بـــــدون حـــــق ... كمـــــن - فـــــي ســـــاحة الهيجـــــا - تهـــــادى

هـــــي الأخـــــلاق تحكمُـــــه ، وتُضـــــفي ... عليـــــه سَـــــنا البطولـــــة والـــــودادا

فرحمـــــة ربنـــــا المـــــولى عليـــــه ... فكـــــم بالعـــــدل والتوحيـــــد نـــــادى!

فلـــــم يـــــكُ ظالمـــــاً فـــــي أي حـــــرب ... يـــــرى أجنـــــادَ جحفلـــــه جَـــــرادا

يـــــزجّ بهـــــم ليقـــــتلهم جميعـــــاً ... وكـــــان - بوســـــعه - لـــــو أن تفـــــادى

فجُـــــد يـــــا رب بالمـــــأوى عليـــــه ... وخـــــص بـــــدعوتي هـــــذي (مُـــــرادا)

وســـــامحْ مِـــــن (بنـــــي عثمـــــان) قومـــــاً ... قبلـــــتَهُمُ ، فكـــــم رحمـــــوا العِبـــــادا!

دمعة على العِلم ، لا على الذهب!

(كانت تسير هذه المؤمنة في طريقها إلى المسجد ، لتحفظ بعض البُنيات من كتاب الله ، وكانت تحمل مصحفها وعلى هامشه التفسير ، ومعه كتيبات أدعية. وإلى جوار المصحف وضعتْ في حقيبة يدها بعض الحلي. فإذا هي بسارق دنئ النفس والسريرة يسرق حقيبتها عنوة ويمضي. فدمعتْ عيناها على مصحفها لا على ذهبها ، وراحت تتمنى فعلاً لو عاد المصحف إليها. واستجاب الله حيث وجدته والكتيبات بالفعل عند مقلب للقمامة! لأن السارق أراد الذهب لا القرآن! فكتبت أعزي صاحبة المصحف خالتي وداد سماحة!)

دمعـــة ســـالت فـــي عظـــيم الـــبلاءِ ... هيّجتهـــــا مَرثيـــــة البأســـــاءِ

ذرفتهـــا عـــينٌ - مـــن الأمـــر - خجلـــى ... فـــــي مُصـــــاب مُتـــــوّج بالشـــــقاء

والبلايـــــا تجتـــــاحُ كـــــل سُـــــرور ... والحيـــــاة بـــــين الأســـــى والهنـــــاء

لـــــيس شـــــيئٌ نـــــراه يبقـــــى طـــــويلاً ... وحـــــــده اللهُ مُفـــــــرَدٌ بالبقـــــــاء

لســـتُ أدري مِـــن أيـــن أبـــدأ ســـردي ... لحكايـــــــا مكروبـــــــة الأصـــــــداء

حيـــث كانـــت تســـير فضـــلى حَصـــانٌ ... فـــــي طريـــــق الشـــــموخ والعليـــــاء

تبـــذلُ العِلـــمَ والســـجايا احتســـاباً ... سُـــــلمٌ - بَـــــذلُ العلـــــم - للجـــــوزاء

إن حِفـــــظ القـــــرآن أعظـــــمُ زادٍ! ... ودواءٌ مـــــن كـــــل سُـــــقم وداء

تتقـــي - بـــالقرآن - مـــا يعتريهـــا ... مِـــن عـــذاب ، أو شِـــدةٍ ، أو بـــلاء

لا تبـــالي إن ســـربلتها خطـــوبٌ ... كـــم ولايـــا يُصْـــقلن بـــالأرزاء!

فـــإذا بـــالمَعتوه يســـعى إليهـــا ... مُســـتغلاً مـــا عنـــده مِـــن دَهـــاء

غاصـــباً مـــا فـــي كفهـــا مِـــن مصـــاغ ... غصـــبَ طـــاغ مِـــن أشـــرس الأعـــداء

ثـــم ولـــى فـــي التـــو دون اكتـــراثٍ ... حـــائزاً - بـــين النـــاس - لغـــز الخفـــاء

وتمنـــتْ أختُ الهـــدى أن تـــوافى ... بالكتـــاب ، فاعجـــبْ لهـــذا الوفـــاء!

واشـــتكتْ - للجبّـــار - ظلـــم البرايـــا ... واســـتجاب الـــرحمن أنـــدى دعـــاء

حيـــث ردّ الســـفيهُ كـــل كتـــاب ... ثـــم سُـــرّت جـــوانحُ العصـــماء

سلطان العلماء ، لا عالم السلاطين

(أورد السبكي في (الطبقات) صـــ84 ما نصه: (كان لمماليك الأتراك نفوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين ، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم نجم الدين أيوب في مصر ، وكان الشيخ العز بن عبد السلام قاضياً للقضاة فيها ، وقام – رحمة الله عليه – مُصلحاً لأمر القضاء منفذاً بحزم أحكام الشرع ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، فنظر في حقيقة قضية أولئك الأمراء التي أثارها هو ثم أصدر قضاءه الآتي: قال السبكي: ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك وهم جماعة ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك ، فعظم الخطبُ فيه واحتدم الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً ، وتعطلت مصالحهم بذلك ، وكان من جملتهم نائب السلطنة فاشتاط غضباً ، واجتمعوا ، وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلساً ، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي ، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه ، فلم يرجع فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة ، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله هذا الأمر ، وأنه لا يتعلق به. فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار ، وأركب عائلته على حمير أخرى ، ومشى خلفهم من القاهرة قاصداً الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبى ولا رجل لا يؤبه له يتخلف ، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم فبلغ السلطان الخبر ، وقيل له متى راح ذهب ملكك قبله ، فرجع واتفقوا معه على أن ينادي على الأمراء فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب. فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعة ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب ، فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه ، وشرح له الحال ، فما اكترثت لذلك ولا تغير. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب ، وسقط السيف منها وارتعدت مفاصله ، فبكى وسأله أن يدعو له. وقال: يا سيدي ، خيراً ، أي شيء تريد أن تعمل؟ قال: أنادي عليكم ، وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا. قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. فتم له على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير. وهذا لم يسمع لأحد قبله رحمه الله. وفي هذا ما يدل على أن العز بن عبد السلام كان فعلاً سلطان العلماء ولم يكُ يوماً عالم السلاطين).هـ. إن الفرق كبير جداً بين أن يكون العالم سلطاناً للعلماء وأن يكون عالماً للسلاطين! إن علماء السلاطين كثيرون اليوم وأمس وغداً ، من الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ، ومن الذين يرتزقون بدين الله عز وجل وبكتابه وبسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - ، من الذين يطوّعون الدين ويلوون نصوصه من أجل عرض من الدنيا زهيد قليل حقير يرميه لهم الطواغيت كما نرمي العظم للكلاب ، من الذين - بعمالتهم وتخريفهم الذي لا حدود له وتحريفهم للنصوص وخوضهم في دين الله - يُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت في الأرض ، من الذين إن تكلموا فالكلام الذي يريده أسيادهم وإن يسكتوا فالسكوت الذي يريده أسيادهم ، من الذين لا يُمثلون أبداً اتجاهاً للكِتاب ولا للسنة ، من الذين هم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أشد فتكاً من قلوب الذئاب ، من الذين يذكّروننا في حركاتهم وسكناتهم بمسرح العرائس التي تشد بالخيوط لتتحرك يمنة ويسرة فهم العرائس والعطاءات الخيوط ، وأما الذين يشدون الخيوط حسب أهوائهم فالطواغيت والظالمون ، من

الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ليصدوا عن سبيل الله ، من الذين هم أتباع كل ناعق فهم إمعات ومقلدون ، من الجوقة المرتزقة حارقي البخور وقارعي الطبول وضاربي الودع وقارئي الكف من الذين يفسدون في الأرض بتقرير الجاهلية والجاهليين ، ولا يصلحون بعدم انتصارهم للحق ولا الدعوة إليه ولا الجهاد في سبيله ، من الذين قدوتهم وأسوتهم بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل الذي انسلخ من نصوص التوراة والإنجيل الصحيحة وكان من الغاوين! ولكن العلماء الربانيين يختلفون كل الاختلاف ، فهؤلاء لا يخافون في الله لومة لائم ، يبلغون عن الله رسالته ويدعون الناس إلى الحق المبين مهما كلفهم ذلك من ثمن ، من الذين هم الغصص في حلوق الطواغيت ، من الذين لا تؤثر فيهم الإغراءات ولا التهديدات ، من الذين إن تكلموا فبمنطق الحق المبين في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، وإن سكتوا فلدرء فتنة أو لاتقاء شبهة أو لتحقيق مصلحة راجحة لا بأمر أحد بل بفقه وعلم واقتناع وحجة ، من الذين يُصلحون في الأرض ببيان الحق للناس ولا يُفسدون بتطويع الدين للطواغيت ، من الذين يجاهدون في سبيل الله بكل أنواع الجهاد ، من الذين قدوتهم وأسوتهم مؤمن آل يسن عندما قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين) ومؤمن آل فرعون عندما قام فيهم داعياً وناصحاً ومحذراً. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يكونُ أمراءُ تَغْشاهُم غَوَاشٍ أوْ حَوَاشٍ من النَّاسِ ، يَكذِبُونَ ويَظلِمُونَ ، فمَنْ دخل عليهِم فصَدَّقَهم بِكذِبِهم ، أعَانَهم على ظُلمِهم ؛ فلَيسَ مِنِّي ، ولَسْتُ مِنْهُ ، ومَنْ لَم يَدخُلْ عليهِم ، ولَمْ يُصَدِّقْهُم بِكذِبِهم ، ولمْ يُعِنْهم على ظُلمِهم ؛ فَهُو مِنِّي ، وأنا مِنْهُ) صححه الهيثمي وابن حبان وابن حجر وقال عنه الألباني حسن لغيره. وعن رجل من بني سُليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم وأبوابُ السلطانِ ، فإنه قد أَصبَحَ صَعباً هبوطاً) قال الألباني صحيح ومعناه: أن من لازم السلطان صار مذلولاً له لا يسلم من النفاق. وعن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيكونُ أمراءٌ تعرِفونَ وتُنكِرونَ ، فمَنْ نابَذَهمْ نَجَا ، ومَنْ اعتزَلَهم سلَّمَ ، ومَنْ خالَطَهم هَلَكَ) صححه الألباني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من بدا جفا ، ومن تبِع الصيدَ غفَل ، ومن أتى أبوابَ السلطانِ افتُتِنَ ، وما ازداد عبدٌ من السلطانِ قُربًا ؛ إلا ازداد من اللهِ بُعدًا) قال الألباني حسن صحيح. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سكن البادية جَفا ، ومن اتَّبعَ الصَّيدَ غفَل ، ومن أتى السلطانَ افتُتِنَ). أخرجه ابن داود والترمذي والبيهقي وصححه الألباني. وروى كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنه سيكون بعدي أمراءُ فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبِهم وأعانهم على ظُلمهم فليس مني ولستُ منه وليس بواردٍ عليَّ الحوضَ ومن لم يدخلْ عليهم ولم يعنْهم على ظلمِهم ولم يصدِّقْهم بكذبهم فهو مني وأنا منه ، وهو واردٌ عليَّ الحوضَ) صححه الترمذي وابن حجر وابن حبان. ومن هنا كان الفرق بينهم وبين العملاء الخونة المرتزقة المتاجرين بالدين كالفرق بين السماء والأرض. والعز بن عبد السلام أحد هؤلاء العلماء الربانيين الموحدين ، ولا نزكيه على الله.)

سلطانُ مَن ملكوا دُوراً وأوطانا	تُبقي وتَخلعُ ، ترجو الحُر سلطانا
وتجعلُ العِتق شرطاً في ولايتهم	وتعلنُ الأمرَ - بين الناس - إعلانا
وتستهينُ بما حازوا وما جمعوا	بل زادَك الزجرُ والتهديدُ إيمانا

وتصْـدِرُ الحكـمَ فتـوى فـي الـبلاد سـرتْ ... ونـاوأتْ - فـي القصـور - الشـمّ عُبـدانا

وللمماليـك - فـي الأمصـار - سـلطنة ... وإن مِـن خلفهـم جنـداً وأعوانـا

وهـم أسـاطينُ - فـي الهيجـاء - تحسـبُهم ... إن أثخنـوا - فـي القنـا - أسْـداً وعُقبانـا

خاضـوا الحـروب ، وفـي آفاقهـا ركضـوا ... والنصـرُ كـان لهـم - فـي البـأس - برهانـا

وتشـهدُ الـدارُ والتـاريخ أن لهـم ... رُشـداً ورأيـاً وتفكيـراً ورُجْحانـا

ولكـنِ (العِـز) لـم يعبـأ بصَـولتهم ... فقيـل: يـا عِـز سـاد الحـالُ أزمانـا

وأصـبحتْ - للعبيـد - اليـوم شـوكتهم ... فانصِـبْ لقولـك قسطاسـاً وميزانـا

نخشـى عليـك قـراراً ظالمـاً عَجِـلاً ... بـه تفـارقُ أحبابـاً وأوطانـا

نخشـى عليـك سـيوفَ القـوم مُشـهرة ... تقطـرُ الثـأرَ أحقـاداً وأضـغانا

نخشـى عليـك عيونـاً لسـت تبصـرُهم ... يُخـاتلون الـورى ظلمـاً وعـدوانا

نخشـى عليـك سِـهاماً خـاب حاملهـا ... وإن رُمِيـت بهـا أشـمَتّ مَـن خانـا

نخشـى عليـك عمـيلاً عـاش مرتزقـاً ... يُوشـي ليغـريْ بأهـل الخيـر طغيانـا

و(العـز) لـم ينتصـتْ حِينـاً لمَـا ذكَـروا ... لأنـه جعـل الإصـرارَ فرقانـا

وجـاءتِ الجُنـد والظلمـاء تسـترُهم ... وأمعنـوا - فـي الأذى والمكـر - إمعانـا

وأضـمروا قتلـه بسـيف قائـدهم ... ومـا اسـتطاعوا لمَـا أمـلاه عِصـيانا

والكـل جـاء لـدار (العـز) مُمْتشـقاً ... سـيفاً يُجامـل أهـواءً وبُهتانـا

وأوسـعوا البـاب قرعـاً ، بعضُـه فـزعٌ ... حتـى أصـمّوا - لهـول القـرع - آذانـا

فقـام (الابـنُ) لهـم بغيـر مَجبنـةٍ ... فقـد غـدا وأبـوه (العِـز) صِـنوانا

حتـى إذا وجـد الأسـيافَ لامعـة ... والمـوتَ ينسـجُ للمِغـوار أكفانـا

تقـدّم (العـز) مُعتـزاً بخالقـه ... وقـال: مرحـى بأهـل الحُكـم ضِـيفانا

وقـال الابـن: أبـي دعنـي لهـم ثمنـاً ... واذهـبْ وخـل الفتـى - للـبطش - قربانـا

هـم قـاتِلوك ، فكـن مـنهم علـى حـذر ... إنـي أراهـم - ورب النـاس - ذؤبانـا

فقـــاطعَ (العـــز) فـــي عِـــز وفـــي رَشَـــدٍ حتـــى يزيـــدَ مَنـــاط الحكـــم تِبيانـــا

أبـــوك أهـــونُ عنـــد الله يـــا ولـــدي مِـــن أن يكـــون شـــهيداً حتفـــه حانـــا

فـــإذ (بأيبـــكَ) يُلقـــي ســـيفه جزعـــاً ويســـألُ الشـــيخ - وســـط الجنـــدِ - غفرانـــا

فـــأطرقوا ، ودمـــوع العـــين ســـاجمة حتـــى نســـوْا مـــا انتـــوَوْا فـــي التـــو نســـيانا

وأقبلـــوا يســـألون (العـــز) أســـئلة عـــن بـــيعهم والـــذي يحـــوز أثمانـــا

فأوضـــح (العـــز) مـــا ســـاقوه مِـــن شُـــبَهٍ وراح يتلـــو - علـــى الأضـــياف - قرآنـــا

وســـاق مِـــن سُـــنة العـــدنان حُجتـــه فـــأيقن الجمـــعُ - بالأحكـــام - إيقانـــا

وبـــاعهم فـــي مـــزادٍ بيـــعَ مـــالكِهم بـــأنفس المـــال ، لـــيس الأمـــرُ مَجّانـــا

إذ لا يبيـــعُ عبيـــداً هـــانَ ســـؤدَدُهم بـــل كـــل عبـــدٌ بنـــى - فـــي الـــدار - ديوانـــا

ومـــا ارتضـــى الـــنقص فـــي أســـعارهم أبـــداً وكيـــف يرضـــى - لبيـــت المـــال - خســـرانا؟

حتـــى إذا بـــاعهم ، صـــحّتْ وَلايـــتهم وأصـــبحوا ســـادة فيهـــا وأعيانـــا

وجاهـــدوا - فـــي ســـبيل الله - مَـــن كفـــروا وأحســـنوا - لعبـــاد الله - إحســـانا

وبالحـــديث وآي الـــذكر قـــد علمـــوا ولـــم يخـــرّوا - علـــى الآيـــات - عُميانـــا

(والعـــز) آزرهـــم فـــي خيـــر مـــا قصـــدوا وعـــاش كـــلٌ - علـــى الإســـلام - معوانـــا

ســـلطانُ قـــادتِهم ، ولـــيس مرتزقـــاً يرجـــو - علـــى العِلـــم - أمـــوالاً وأطيانـــا

ترويحة على طريق العِلم

(طالب العلم لا بد له من أن يُروح عن نفسه بين فترات العلم وحلقاته. ولكن بماذا؟ يا ترى بالغناء والأفلام؟! يا ترى بقرناء السوء؟ يا ترى بالعبث والإفساد في الأرض؟ بالطبع لا. ولكن بكل مباح. فيكون الأمر ساعة وساعة. لقي أبو بكر رضي الله عنه حنظلة فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة ، فقال أبو بكر: سبحان الله! ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيَ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فاشتكيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حالهما: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) ثلاث مرات. قال ابن القيم رحمه الله: "وعمارة الوقت الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله ، أو يعين على ذلك ، من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة ، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله ، وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت ، وإن كان له فيها أتم لذة ، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات". وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مزاح مع بعضهم ، وخصوصاً في الأسفار ، وكانوا يتبادحون بالبطيخ ، والتبادح الترامي بشيء رخو ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال ، وهكذا طلب عمر رضي الله عنه من ابن عباس رضي الله عنهما في طريق السفر لما مر على عين ماء قال: "تعال أباقيك أينا أطول نفساً". أي: يغطسان في الماء معاً لينظر كل واحد منهما من الأطول نفساً من الآخر ، ومن يستطيع أن يلبث مدة أطول تحت الماء ، وكان عمر شيخاً ، وكان ابن عباس شاباً حدثاً. وكان ابن سيرين يداعب أصحابه ، وكذلك كان الأعمش يمازحهم. وتحت عنوان: (قواعد وضوابط في الترفيه واللعب) يقول المنجد ما نصه: (أما بالنسبة للضوابط الشرعية: فإن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على تحريمه ، ولذلك فإنه لا يمكن أن نحصر المباحات في الألعاب ، وأن نكرر أو نسرد سرداً طويلاً جداً هذه المباحات ، ولكن طريقة الشريعة في مثل هذا أن تبين المحظورات وتقول للناس: والباقي مباح ، فتزوج من شئت من النساء ما عدا الأمهات والبنات والخالات والعمات والأخوات وهكذا ، وكل ما شئت من الأطعمة ما عدا الخنزير والميتة وما أهل لغير الله به والدم المسفوح! واشرب ما شئت من الأشربة إلا ما أسكر فإنه محرم ، وما ضر كالسموم! هذه طريقة الشريعة تفصل في المحرمات ، وتجمل في المباحات ؛ لأن هذا قابل للتعديد ، وهذا غير قابل للتعديد من كثرته. فمما جاء من المحرمات في الشريعة من الألعاب: * ما اشتمل على النرد وهو حجر الزهر المكعب المعروف ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه). * حرمت الشريعة ضرب الوجه ، ففي الألعاب التي تمارس من ألعاب القوى وغيرها يجتنب الإنسان وجه أخيه المسلم ؛ لأن الشرع كرّم الوجه ، فلا يجوز ضربه لا في الملاكمة ولا في غيرها. * الألعاب المشتملة على صور ذوات الأرواح أو المصحوبة بالموسيقى أو التي تؤدي إلى الشجار والنزاع والأحقاد وإثارة الضغائن محرمة أيضاً. * القمار محرم ، فلا تجوز المراهنة بين اللاعبين ، أو أن يجعل الجُعل للمتسابقين ، إلا ما ورد الدليل فيه من نصل ، أو خف ، أو حافر. * ألا يكون اللعب صاداً عن ذكر الله ، وعن الصلاة ومضيعاً للفرائض. * ألا يستغرق الوقت ، أو أكثر الوقت ؛ لأن الكفار

هم الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ، وهذا ضابط مهم ؛ لأن كثيراً من الذين يلعبون اليوم من الكبار يستغرق لعبهم في كثير من الأحيان أغلب الوقت ، بل منهم من يسهر في لعب الورق ، ويذهب متأخراً إلى عمله الذي منه كسبه ، ورزق أهله وأولاده. * ألا يكون في اللعب شيء من السحر ، وبعض الألعاب اليوم فيها هذا. * ألا يكون فيها صلبان ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكسر الصليب ويزيله ، وكان ينقض التصاليب. * ألا يكون فيه إشغال عن واجب شرعي ؛ كَبرّ الوالدين ، وكم من الأولاد اليوم يشتغلون بالألعاب عن سماع أوامر الوالدين ، وحق الوالدين. * ألا يكون فيها أضرار على النفس أو الغير ، كما يكون في بعض الألعاب النارية ، وكما يحدث في الركوب الجنوني لهذه الآلات ذات الإطارات على الرمال ، وقد زالت فقرة من العمود الفقري لشخص كان يركبها ، وما أكثر الذين انقلبوا بما يسمى بهذه الدبابات على الشواطئ ، وبجانب الطرقات ، وكانت وسيلة للإجرام ومثاراً للفساد وملاحقة الفتيات ، ونحو ذلك مما هو معلوم مشاهد! فإن بعض الناس قلبوا الألعاب البريئة إلى وسائل أخرى ، وكم فر بعضهم بها سرقة لهذه الآلات من أصحابها. * ألا يتعلق القلب بها بحيث تصبح هي الشغل الشاغل ، فكأنه صار منشغلاً بها تمام الانشغال ، فبدلاً من أن يتعلق القلب بالله ؛ تعلق باللعبة. * أنه لا بد من الانتباه لبعض الأفكار الخطيرة التي تقف وراء بعض الألعاب ، وخصوصاً الألعاب الالكترونية فإن فيها أو في بعضها ما يغرز حب الكفار ، بل ومحاربة المسلمين ، وقتال الأعداء بالأسماء ، فهذا واضح أنها موجهة ضد المسلمين في بعضها ، وبعضها تقوم على أفكار كفرية ؛ كالمواجهة بين أهل السماء وأهل الأرض ، وأن أهل السماء الأشرار ، وأهل الأرض الأخيار ، ونحو ذلك ، وبعضها يقوم على تقديس الصليب ، وأنه يعيد الروح ، ويعطي الصحة ، والقوة ، وبعضها تقوم على العقائد الباطلة مثل تناسخ الأرواح ، أو عودة الناس بعد الموت مرة أخرى ، فيموت ويحيا ، ويموت ويحيا ، وبعضها تفسد عقائد الأطفال في هذا ، فتغرز في نفوسهم أن بمقدور بُوتر ، أو غيره أن يعيد شخصاً إلى الحياة بعد الموت ، وبعضها فيه تقرير للسحر ، وتمجيد للسحرة ، وبعضها مشتمل على عورات مكشوفة ، وتكون جائزة الفائز صورة عارية ، وهذا كثير قد سمعنا عنه ، بل وتواتر في عدد من هذه الألعاب. * يشترط أيضاً ألا يكون فيها إضرار بالجسد ؛ كالعينين والأعصاب والإدمان وما أكثر هذا. *ألا يكون فيها تربية على الإجرام والقتل كما في عدد من هذه الألعاب وقد ثبتت خطورتها على الأطفال من هذه الجهة. * ألا تخالف الشرع في قضية التستر وعدم التعري. * ألا تغرس حب تقليد الكفار في نفوس الأولاد. * ألا يكون فيها اعتداء على شيء من خصائص الله تعالى من إحياء الموتى ، وإنزال المطر ، وإبراء المرضى ، ونحو ذلك ، وهذا كثير في الأفلام ، بل وفيها غرس حب الصليب وأنه يفعل ذلك كله وبركة الصليب. * ألا تصل إلى حد الإسراف ، وتجاوز الحد الوسط في الإنفاق فيها ، فإن بعضها تذهب فيه أموال عظيمة. * ألا يكون فيها سخرية ، ولا تنابز بالألقاب ، ولا إضرار بالبهائم ؛ كألعاب التحريش بين الديكة ، وصراع الأكباش ، ومصارعة الثيران ، فكل ذلك تعذيب للحيوان. * ألا يكون في اللعب ببعضها إيذاء للجيران ، كما يفعله بعض اللاعبين بالحمام من الإشراف على عورات الجيران بسبب صعودهم للأسطحة. * ألا يكون فيها إيذاء لبدن الشخص ، أو خطورة على نفسه ، كما يفعله بعضهم من القفز من الارتفاعات العالية ، بدون ضوابط كافية ، أو يتحدى في البقاء مع الأفاعي ، والعقارب ونحو ذلك. وهذه الألعاب الخطيرة الألعاب التي يمكن أن يحصل لصاحبها شلل كامل في لحظة وطرفة عين ، ويكون مكسبه منها شد أنظار الناس ونفوسهم لهذه الحركات الخطيرة

التي يؤديها. وحدثنا بعض الشباب الثقات عن منظر شاهدوه على شاطئ البحر ، أن سيارة سوبر فيها خمسة من الشباب يمارسون التفحيط ، والحركات الطائشة التي أرعبت من كانوا في المكان ، في طيش وتهور ، وما هي إلا لحظات حتى تقلبت في الهواء ، وتطاير الأشخاص من السيارة ، لكي تستقر بعد ذلك على ظهرها مضغوطة قد وصل سقفها إلى حد الزجاج الأسفل ، وكان منظراً رهيباً في هؤلاء المتناثرين بين الحياة والموت ، فهذا مرفقه خارج عن اليد ، وهذا عظمه بائن ، وهذا ينزف من أذنيه ومعنى ذلك نزيف دماغي ، وهذا..... ، فيا لله كم جعلوا في أجسادهم من الجراحات ، والعاهات المستديمة).هـ. والأصل إذن أن نروّح عن أنفسنا ونسليها بالمباح فقط!)

روِّحْ ، ولكنْ دونما إسفافِ ... كيلا تصاب بطائف استخفافِ

إني أرى الترويح أطيبَ حيلةٍ ... ليظل عِلمك كالمَعين الصافي

طالعتُ قبلك كل ما طالتْ يدي ... مستعففَ الغايات والأهداف

ونهلتُ من علم الذين تفرّدوا ... في الدين والأخلاق والأعراف

من ذا يباري علمهم وعطاءهم؟ ... من ذا يرد جميلهم ويُكافي؟

أسلافنا قد ورّثونا علمهم ... ماذا يعادل تركة الأسلاف؟

ملأوا طِباقَ الأرض علماً نافعاً ... هم علموا الطلاب بالآلاف

لكنهم أوصَوْا وقالوا: روِّحوا ... كيلا تصاب عقولكم بجفاف

طلبُ العلوم فضيلة ومزية ... وهواته مِن خيرة الأشراف

والعِلمُ - في الأسفار - غضٌ يانعٌ ... كاللؤلؤ المكنون في الأصداف

يرنو إلى اللآل يدأب جاهداً ... ويمَل من مجهوده ، فيجافي

وكذاك من يرجو العلوم نقية ... لا بد من ترويحة استظراف

ترقى بهمة طالبٍ لعلومه ... ومِن السآمة والمَلال تُشافي

مُكرهٌ أستاذكِ لا بطلٌ!

(تقول ابنتنا (ريم البحيري): كان أستاذي يُدَرسني في المرحلة الإعدادية ، وهو مرب فاضل ومحبوب ومحترم من الجميع. وبينما كنت راجعة من الجامعة إلى بيتي ، أشرت إلى (تكتك) لأتبلغ به. فإذا بي أفاجأ بأن سائق (التكتك) هو ذات المعلم الذي كان يدرسني! وقلت لعلني تشابه عليّ معلمي بإنسان يماثله! فإذا بي بعد التحدث إليه أكتشف أنه هو! وراح يشكو لي ثقل أعباء الحياة وكثرة ضغوطها! وكان فيما قال أنه يتقاضى راتباً مقداره 2500 جنيه بعد عمله في التربية والتعليم ربع قرن: 25 سنة! فانهمرت الدموع من عينيّ على وجنتيّ ، وزادت عندما قدّمتُ له الأجرة فردّها عليّ وشاح بوجهه! فحزنت الحزن كله على حال المعلم المربي! وإلى هنا انتهى كلام ريم ملخصاً! وأما أنا بوصفي معلمٌ شاعر فرُحت أقول لريم: إن المؤامرة على المعلم مؤامرة عالمية! وليتها كانت على المعلم فقط لهان الخطب. إن المؤامرة على العلم والتعليم والمعلم! ولكن هذا لا يعني أن نستكين وننصاع ونقبل بالدون ، ونرضخ لما يريده أعداء العلم والتعليم والمعلم. بل ينبغي أن نستمر ونكشف مؤامرتهم ونؤازر المعلم ونثابر في هذا الطريق ريثما تنكشف الغمة ويندحر الجهل والجاهلون! وكنتُ قد وعدتُ ريم بكتابة قصيدة أنتصر فيها للمعلم! وفي منتدى العائلة العربية كانت هذه الزفرات عن واجبنا نحو المعلم: (احترام المعلم والمعلمة أمرٌ ينشأ مع التربية في الصغر لذا يجب على الأهالي أن يعودوا أبنائهم على عدم السخرية من المعلمين واحترامهم ، ونرى أحياناً بعض الطلبة وهم يسخرون من المعلم ويقلدونه ويقوموا بتقليد شخصيته بموقف ما أو عند نيله لعقاب منه ويقوم أحياناً بهذا أمام أمه وأبوه وهم لا يبالون وأحياناً يضحكون. ولهذا يجب على الأهل تعليم الأولاد وتعويدهم على حب المعلمين لأنهم يقومون بدور التربية والمعلم له أسلوبه الخاص في التعامل مع طلابه ، لهذا لا يجب اعتبار المعلم أو المعلمة وسيلة للتدريس فقط فلهم دور كبير في التربية كالأهل بالضبط. وهناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة على رفعة منزلة المعلمين لدورهم العظيم في إخراج جيل متعلم وقادر على تحمل مشقات الحياة وعلى التعامل مع جميع المواقف بحكمة وعلم ومنها: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)! فهذا دليل على رفعة الله لأهل العلم والتعليم. وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) رواه الترمذي. وحديث الرسول صل الله عليه وسلم: (تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه). فالأمم التي تهتم بالدراسة وتربي الأولاد بالشكل الأمثل هي الأمم التي تصل إلى أعلى الدرجات بين بلاد العالم أجمع وهناك أدلة كثيرة على ذلك في حياتنا ، فمعظم البلاد ذات الدخل العالي مثل قارة أوروبا واليابان تحسن اقتصادها القومي بسبب اهتمامها بالعلم والمعرفة وقوة التدريس من مرحلة مبكّرة من عمر أطفالها وليس بسبب أموالها فقط ، فبنظرهم أن أي طالب يحاول السخرية من اخطاء المعلم يعتبر ذلك رجعياً ومتخلفاً. وإذا تم الاهتمام بهذا الجانب عند تنشئة أولادنا فسنحظى بجيل جدي وصاحب هدف وبالتالي يكون لهم مستقبل زاهر ممكن من خلاله أن يقودوا رفعة بلادهم. في بعض المجتمعات وخاصة العربية منها تكثر العبارات والسلوكيات الغريبة والتافهة من الطلاب والطالبات! وهذا أمر يؤثر على المعلمين والكثير منهم يشتكي من ذلك ، ولم نكن نلاحظ تلك السلوكيات بهذه الكثرة من قبل ، فلماذا نعود للوراء بسلوكياتنا وتصرفاتنا وتربية أبنائنا؟ ولم يهتم الأولاد بالتفاهات والأمور السخيفة ويتهربون من تعلم وتوظيف الوقت فيما يفيد؟ فيا ترى أين تكمن المشكلة في الأولاد أم في الأهل؟ أم أن الواقع

الذي نعيشه حالياً أخرج لنا جيلاً سخيفاً؟ جيل لا يميز المعلم والمثقف من غيره. المعلم يمنح وقته لغيره أكثر من أي شخص آخر فهو يمضي وقته يدرس ويعطي المعرفة لكل الفئات ويتلقى الكثير من الصد والأذى لأنه قدوة للصغار والكبار. فكما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي بك: (قم للمعلم وفهِ التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا). التحليل الأغلب هو أن التربية لها دور كبير في ذلك فلو عود الأهل أولادهم وبناتهم على احترام المعلم والأكبر منه سناً ، وهذا أيضاً يدل على ضعف التربية الدينية ، لأن الإسلام يحث الناس على الاحترام بشكل عام ، فكيف من كان يقدم العلم للناس! ففي القدم أذكر أن الناس كانوا ينصتون بكل احترام لكل ما يقوله المعلم وأنهم كانوا يشعروا بهيبة المعلم ويصابون بالخوف الشديد إن رأوه في الأماكن العامة ، لحد أنهم يمكن أن يسلكوا طريقاً آخر إن رأوه في الطريق احتراماً له وتقديراً. وكان للمعلم في الماضي احترام بكل معنى الكلمة ، فلم نكن نرفع أصواتنا أو نتجادل معه ، وكنا نعتبر كل ما يفعله هو بمثابة مثال لنقتدي به ، وكنا نرجف خوفاً إن نسينا حل واجب ما).هـ. يقول الأستاذ مراد الشوابكة عن المعلم وفضله ما نصه: (التأثير الإيجابي يمتلك المعلم القدرة على إحداث التأثير الإيجابي على طلابه ، حيث إن تحفيز الطالب ودفعه للنجاح في الأمور يجعله متحمساً لإنجاز المهام والنجاح بها ، بالإضافة لسعيه لأن يكون متميزاً ، يساعد المعلم طلابه أيضاً على أن يحققوا أعلى إمكانيات لديهم في الدراسة ، ولهم دور كبير في المجتمع حيث يسهمون في إعداد الأجيال لتحقيق مساعيهم في العالم ، والكثير من المعلمين كانوا قدوة لطلابهم لذا من الضروري أن يتحلى المعلم بالطيبة والاحترام والتواضع يكون تأثيره إيجابياً على طلابه. ونقل المعرفة للطلاب يعتبر الدور الرئيسي للمعلم ، ويكون ذلك بعد أن يتم إعطاؤه منهجاً دراسياً معيناً لاتباعه في العملية التدريسية ، يقوم المعلم باتباع التعليمات الخاصة بهذا المنهج وتوزيع المادة لِتُشرح في فترة زمنية محددة ؛ طوال العام الدراسي مثلاً ، ويستطيع كل معلم أن يتَّبِع أسلوبه الخاص والمحاضرات والأنشطة التي يعتقد أنها تناسب الطلبة والمنهج التعليمي. خلق بيئة تعليمية مناسبة واحدة من مهام المعلم والأمور التي تجعل وجوده مهماً هي أنه يخلق بيئة دراسية مناسبة للطلاب ، حيث يلعب المعلم الدور الأساسي في الفصل الدراسي لإعداد بيئة سعيدة ودافئة ؛ ومن المرجّح أن يكون الطلاب أكثر إنجازاً وسعادة في هذه الحالة ، وللمعلم القدرة على جعل البيئة التعليمية إيجابية أو سلبية على الطلاب ، فإذا شعر الطالب أن المعلم غاضب قد يتفاعل معه بطريقة سلبية ؛ مما يضعف العملية التعليمية ، والعكس صحيح. والتعرف على الموهوبين لسير العملية التعليمية بطريقة متطورة ومثالية يجب أن يتوفر لكل مدرسة أو منطقة محددة خبير في التعليم الموهوب ؛ ليقوم هذا الخبير بتقديم الخدمات والنصائح للمعلمين! وللقيام بتحويل الطلاب الموهوبين إلى برامج وخدمات تعليمية خاصة بهم حتى لا ينتهي بهم المطاف في الفصل الدراسي العادي كباقي الطلبة).هـ. وأشكر للطالبة ريم البحيري التي رثتْ معي لحال المعلم الذي جعل منه سائق تكتك أو بائع خضر وغيره!)

يـا (ريـمُ) هيّجـتِ مـا فـي القلـب مـن سَـقم وخمّـش القـولُ مـا فـي الـروح مـن ألـم

وحِكْـتِ مَرثيـة - فـي الـنفس - داميـة بقصـةٍ وَقعُهـا مُستشـرفُ العِظـم

ويـح المعلـم أمسـى اليـوم فـي شـغل! وحالـه اصـطبغتْ بـالهم والوصَـم!

وغربلتْـــه - مـــدى الأيـــام - أجهـــزة وخلفتْـــه بهـــذا الموئـــل الـــوَخِم

يُمْســـي ويُصْـــبحُ مُلتاعـــاً بصـــدمته وفـــي الـــبلاء يُعـــاني شِـــدة الغمـــم

بـــالأمس كانـــت لـــه - فـــي النـــاس – هيبتـــه! ومَـــن يهبْـــه الـــورى يُكْـــرَمْ ويُحتـــرم

وكـــان يرفـــلُ فـــي عِـــز وتكرمـــةٍ بهـــا يُشـــارك فـــي منظومـــة القـــيم

والأمـــرُ مـــا أمـــر الأســـتاذ فـــي مـــلأ والنهـــي ممتثـــلٌ فـــي القـــوم عـــن رغـــم

يعـــيشُ فـــيهم عزيـــزاً لا يُهـــدّده قـــوتٌ ولا عـــوَز فـــي الصـــبح والغســـم

يســـير - بـــين جُمـــوع النـــاس - مُبتشـــراً مُعَظـــمَ القـــدْر مِـــن كهـــل ومُحـــتلم

يقـــول فصـــلاً ، ولا تُـــردّ كِلمتـــه ويُصـــدِرُ اللفـــظ عـــن علـــم وعـــن حِكَـــم

لا يُســـتهانُ بـــه - فـــي مجلـــس – أبـــداً! ومَـــن يُهـــن شخصـــه يُهجَـــرْ وينهـــزم

ومَـــن ينـــلْ عِرضـــه بالســـوء مُجترئـــاً عليـــه يُزجـــرْ ، وبـــالإجرام يُـــتهم

كـــان المعلـــمُ معتـــزاً بســـيرته بـــين الأناســـيّ فـــي نبـــل ، وفـــي شـــمم

لـــم يـــرضَ فـــي عيشـــه دنيـــة ســـفلتْ بـــل مـــاس فـــي مظهـــر مستشـــرفٍ سَـــنِم

لـــم يقبـــل الـــدون مجبـــوراً ومنكســـراً بـــل عـــاش مســـتمياً فـــي كـــل مصـــطدم

لـــم تُغـــره متـــعُ الـــدنيا ، فيعبـــدها بـــل كـــان مؤتســـياً بالمصـــطفى الهشـــم

رمـــى بهـــا خلفـــه بـــلا مواربـــةٍ فخصّـــه ربـــه بالفضـــل والـــنعم

غـــدا (الأفنـــديّ) و(الباشـــا) لـــه لقبـــاً ناهيـــك عـــن طيّـــب الألقـــاب والســـيم

وحـــاز مـــن طيـــب الأمـــوال فـــي زمـــن مـــا حـــازه بعـــضُ أهـــل العـــز والحشـــم

وعـــاش يُقـــرضُ مـــن يرجـــو مُداينـــة ومـــا اشـــتكى جيبـــه شـــيئاً مـــن الإزم

وعـــاش يُعطـــي بـــلا مَـــنّ مَـــنِ افتقـــروا كـــانوا الأباعـــدَ ، أو كـــانوا أولـــي رحـــم!

وعـــاش يُكـــرم ضـــيفاً حـــلّ منزلـــه حتـــى ليشـــهد هـــذا الضـــيفُ بـــالكرم

وعـــاش يَعـــذرُ طلابـــاً إذا اجتهـــدوا فأخطـــأوا القصـــد فـــي بُحبوحـــة العشـــم!

معلـــم الأمـــس فـــي هـــذي الـــدنا ملـــكٌ ســـما عـــن الشـــبَه الرعنـــاء والـــتهم

بـــين الأماجـــد يُكْبـــره الألـــى رشـــدوا ... فـــي عـــالم العُـــرب ، أو فـــي عـــالم العجـــم

واليـــوم أهـــل الهـــوى قلبـــوا المجـــنّ لـــه ... فعـــاش فـــي حالـــةٍ أدنـــى مـــن العـــدم!

تعمّـــــدوا جعلـــــه لكيـــــدهم هـــــدفاً ... وأرســـلوا - فوقـــه - ســـيلاً مـــن العـــرم

لـــم يرحمـــوا ضـــعفه فيمـــا ألـــمّ بـــه ... حتـــى اعترتْـــه عـــذاباتٌ مـــن الســـقم

وجرّعـــــوه كـــــؤوس الـــــذل مترعـــــة ... حتـــى يســـربل بـــالتيئييس والســـأم

وأســـــقطوا هيبـــــة كانـــــت تُجللـــــه ... فلـــم يعـــد شـــامخاً بـــالعِلم كـــالعَلم

ونـــاولوه - مـــن الفقـــر الرهيـــب - مـــدىً ... بكـــفّ محتقـــر ، وغـــل منـــتقم!

وجـــرّدوه - مـــن الألقـــاب - تشـــفية ... وأغرقـــوه بآبـــار مِـــن القحَـــم

فسـلْ عـن القهـر فـي سـر وفـي علـن ... ولـيس يقـوى - علـى تصـويره - قلمـي

وسـل عـن الـدَيْن مِـن زيـدٍ ومِـن عُمَـر ... كيـف السـدادُ لـدَين شـط فـي الـرقم؟!

معلـــم اليـــوم أحنـــى رأســـه خجـــلاً ... وســاءلَ النــاسَ مــا ذنبــي؟ ومــا جُرُمــي؟

أنـــا الـــذي أبـــذلُ العلـــوم واضـــحة ... لكـــل نشـــأ بلفـــظٍ غيـــر منـــبهم

ومـــا بخلـــتُ بأفكـــاري وتجربتـــي ... حتـــى أرى خِيـــرة الطـــلاب كـــالنجم

علمـــــتهم دون إهمـــــال ولا ملـــــل ... ولـــم أخـــنْ عُهـــدتي كخـــائني الـــذمم

رسّـــختُ فـــيهم خِصـــالَ الخيـــر محتســـباً ... علـــى المليـــك الـــذي رسّـــختُ فـــي نهـــم

لـــم آلُ جهـــداً ، ومـــا فرّطـــتُ فـــي عمـــل ... حتـــى أراهـــم جميعـــاً شـــامخي الهمـــم

معلـــم اليـــوم فـــي بلـــواه منجـــدلٌ ... يشـــكو مصـــائبه للواحـــد الحكـــم

وإن يُقـــارَن بمـــا أخـــوه عايشـــه ... بـــالأمس ، شـــتان بـــين النـــور والظلـــم!

فعنـــه يـــا رب فـــرّجْ كُربـــة عظمـــتْ ... قلبـــي يـــؤمنُ ، والـــدعا يجـــوب فمـــي

إنـــي جعلـــتُ دُعـــائي بعـــض واجبـــه ... إن الـــدعاء - لـــه - مـــن أعظـــم الســـبب!

فـــداهُ نفســـي وأمـــوالي ومـــا ملكـــتْ ... يـــدي يقينـــاً ، وأفـــدي عِرضـــه بـــدمي!

هذا من فضل ربي

(شيءٌ جميلٌ أن ينقلب التلميذ إلى أستاذ معلم. وأن يعود الأستاذ تلميذاً شيء أجمل وأفكه وأغرب. ومن قبيل هذا كان أحد التلاميذ قد درسته معلمته مادة (العلوم والصحة) في صفه السادس الابتدائي. ثم شق الفتى طريقه إلى الجامعة! بينما كانت معلمته تدرس فصولاً من كتاب في الأدب المقارن. حيث إنها كانت تكمل تعليمها بعد (دبلوم المعلمين) ، فارتأت أن تكمل تعليمها الجامعي بدءاً بكلية التربية – قسم اللغة العربية. وكان الكتاب ذاته في الأدب المقارن مقرراً على تلميذها في الجامعة كاملاً هناك في كلية الآداب. فالتقت هذه المعلمة الفاضلة مع تلميذها ليدرسه لها ، وهو لا يزال طالباً جامعياً. وبعد تدريسها العلوم والصحة لهذا الطالب بحوالي عشر سنين! حيث إنها درسّته مادة العلوم عام 1975م ، وعاد فدرسّها الأدب المقارن عام 1985م ، في العام الدراسي الجامعي الثالث والرابع إلى أن ختمت أبواب الكتاب على يدي تلميذها. ولله الفضل والمنة ، وكان الطالب يتوقف أثناء الشرح فتقول معلمته في توقير واحترام بالغين: (أكمل يا دكتور). فيستحيي منها جداً ، وترى له دمعات. ثم يقول لها: بل تلميذك يا معلمة الأجيال. فترد قائلة: مادمت تشرح هنا لطالبة جامعية فأنت دكتور. وتردف قائلة: إن الذي يشرح كتاب الدكتور حلمي بدير لا بد من أن يأخذ لقبه ، كما شرح كتبه! فتبسّم هذا الطالب من هذا القول ، وتذكّر موقف النبي العظيم سليمان عليه السلام مع النملة عندما حذرت رفيقاتها قائلة: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) ، فإذا بسليمان النبي الرسول يتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين). ومن باب الشكر والتقدير والعرفان بالجميل أشكر للأستاذة الكبيرة زينب الهوال معلمة العلوم والصحة مجهودها العظيم في تعليمي في المرحلة الابتدائية في مدرسة كفر سعد الابتدائية عام 1975م! وعن شكر الناس يقول الدكتور خالد النجار ما نصه: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: (مَن لا يَشكُر الناس ، لا يَشكُر الله). قال القاضي: "وهذا إمَّا لأنَّ شكْره تعالى ، إنَّما يَتمُّ بمطاوعته وامتثال أمره ، وأنَّ ممَّا أمَر به شُكْر الناس الذين هم وسائط في إيصال نِعَم الله إليه ، فمن لم يُطاوعْه فيه ، لم يكن مُؤدِّيًا شكْر نِعَمه ، أو لأنَّ مَن أخَلَّ بشكْر من أَسدى نِعمة من الناس مع ما يرى من حرْصه على حبِّ الثناء والشكر على النَّعماء ، وتأذِّيه بالإعراض والكُفران - كان أوْلَى بأنْ يَتهاون في شكْر من يَستوي عنده الشكْر والكفران". وفي رواية لهذا الحديث: (أَشْكَرُ الناس لله ، أَشكَرُهم للناس). قال المناوي: "أشكرُ الناس لله تعالى أي: مِن أكثرهم شكرًا له ، (أشكرهم للناس) ؛ لأنَّه - سبحانه - جعَل للنِّعم وسائطَ منهم ، وأوجَب شكْرَ من جعَله سببًا لإفاضتها كالأنبياء والصحابة والعلماء ، فزيادة العبد في شكرهم ، زيادة في شكْر ربِّه ؛ إذ هو المُنعِم بالحقيقة ، فشكْرهم شكْره ، ونِعَم الله منها بغير واسِطة كأصلِ خِلقته ، ومنها بواسطة ، وهي ما على أيدي الناس ، فتَتقيَّد بشكْرِهم ومكافأتِهم ؛ ففي الحقيقة قد شَكَر المُنعِم بإيجاد أصل النعمة ، ثم بتسخير الوسائط. قال بعض العارفين: "لو علِم الشيطان أن طريقًا تُوصِّل إلى الله أفضلُ من الشكر ، لوقَف فيها ، ألا تراه قال: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، ولم يَقل: ولا تَجدُ أكثرهم صابرين ، أو نحوه. وقال ذو النون المصري - أبو الفيض -: "الشكر لِمن فَوقَكَ بالطاعة ، ولِنظيرك بالمُكافأة ، ولمن دونَك بالإحسان والإفضال". وقال أبو حاتم: "الواجب على من أُسدِيَ إليه معروفٌ ، أنْ يَشكُره بأفضلَ منه أو مِثله ؛ لأنَّ الإفضال

الجزيلِ على المعروف في الشكر ، لا يقوم مقام ابتدائه وإنْ قَلَّ ، فمَن لم يَجِد ، فليُثنِ عليه ؛ فإنَّ الثَّناء عند العدم ، يقوم مقامَ الشكر للمعروف ، وما استغنى أحدٌ عن شكْر الناس" ، وقال أيضًا: "الحرُّ لا يَكفر النعمة ، ولا يَتسخَّط المصيبة ، بل عند النِّعم يَشكُر ، وعند المصائب يَصبِر ومن لَم يكن لقليل المعروف عنده وقْعٌ ، أَوشكَ ألا يَشكُر الكثير منه ، والنِّعم لا تُستجَلب زيادتُها ، ولا تُدفَع الآفات عنها ، إلا بالشكر لله - جل وعلا - ولمن أَسْداها إليه").هـ. فجعلتُ استهلال النبي العظيم سليمان الثناء على الله تعالى عنواناً لهذه القصيدة (هذا من فضل ربي) ، وأنشدتُ هذه القصيدة من الوافر كاملاً لتكون عِرفاناً وافراً لمعلمتي زينب الهوال – حفظها الله وبارك فيها ورفع قدرها بما علمتْ وربتْ وبذلتْ ونصحتْ وأعطتْ ووفتْ.)

مـــديحُكِ - فـــي شـــراييني - دمٌ يجـــري ... فبـــاركْ يـــا إلـــهَ النـــاس مَـــن تطـــري

وجـــودُكِ - بالثنـــاء العـــذب - أطربنـــي ... وهـــيَّج مـــا أداريـــه مـــن الفخـــر

وفخـــركِ - بـــي - يواقيـــتٌ تَجمّلنـــي ... وتـــدفعني لبـــذل الجهـــد والخيـــر

وحثـــكِ - لـــي علـــى المعـــروف - يجعلنـــي ... أجـــودُ بمـــا حبـــاني الله مـــن بـــر

ولطفـــكِ - فـــي معـــاملتي - يُشـــجعني ... علـــى نشـــر الـــذي قـــد حـــاك فـــي صـــدري

وظرفـــكِ - فـــي انتقـــاء اللفـــظِ - يأســـرني ... بإيحـــاء جميـــل الوقـــع كالشـــعر

ونبرتـــكِ التـــي فاقـــت عـــذوبتها ... عذوبـــة مـــاء مـــا فـــي الأرض مـــن نهـــر!

وصـــدقكِ فـــي مَـــودة مَـــن غـــدا علمـــاً ... يرفـــرف فـــي ســـماء العلـــم والفِكْـــر

ونبلـــك فـــي تحيـــة مَـــن أتـــاكِ ضـــحىً ... وفـــي يُمنـــاه مـــا تبغـــين مـــن أمـــر

يـــؤدي دَيـــن مَـــن بـــذلتْ شـــبيبتها ... ومَـــن نصَـــبتْ ، تؤمّـــل طيِّـــب الأجـــر

ومَـــن شـــقيتْ ليرتـــاح الألـــي درســـوا ... ولـــم تحصـــدْ ، ولـــو شـــيئاً مـــن الشـــكر

ومَـــن جـــادت بعلـــم لا يطاولـــه ... صـــناديدٌ بـــلا عـــدٍ ولا حصـــر

ومـــن أعطـــت بـــلا مـــنٍّ ، تعلمنـــا ... وتـــدفعنا إلـــى التمكـــين والنصـــر

وتُتحفنـــا بمـــا تزجيـــه مـــن مُثـــل ... تقينـــا مـــن خِصـــال الســـوء والشـــر

وترشـــدُنا - إلـــى الخيـــرات - شـــارحة ... مراميَهـــا لمـــن يرجـــو ، ولا يـــدري

وتكلأنـــا بعطـــفٍ مـــا لـــه شَـــبهٌ ... وتغمرنـــا ببســـط الوجـــه والبشـــر

وتبـــذر طيِّـــبَ الآمـــال موقنـــة ... فتثمـــر مثـــل زاهـــي الـــورد والزهـــر

حنانيـــكِ ، افتخـــاركِ بـــي مجاملـــة ... يعطرهـــا رطيـــب القـــول والطهـــر

وحســـبي منـــكِ فخـــرٌ يـــا معلمتـــي ... أنـــا التلميـــذ ، هـــذا منتهـــى قـــدْري

أنـــا التلميـــذ ، لـــي حجـــمٌ يُناســـبني ... ومـــا لـــي فـــي العلـــو عليـــكِ مـــن نـــذر

ومهمـــا كـــان لـــي فـــي النـــاس مـــن صِـــيتٍ ... فـــإني - فـــي جـــوارِكِ - خامـــلُ الـــذكر

ومهمـــا كـــان لـــي فـــي الأرض مـــن شـــأن ... فلســـتُ أميـــل - يـــا فضـــلى - إلـــى الكِبْـــر

أنـــا التلميـــذ ، قـــد أضـــنتك تلمـــذتي ... وعانيـــتِ الـــذي عانيـــتِ مـــن عُســـر

وقاســـيتِ الـــذي قاســـيتِ راضـــية ... بـــأجر لا يفـــي بـــالواقع المُـــزري

ولـــم يمنعْـــك بـــؤسُ الحـــال مـــن نصَـــب ... لأن الجـــود والتقـــوى دمٌ يجـــري

فأعطينـــــاكِ آذانـــــاً وأفئـــــدة ... وكـــان النـــور - فـــي ألبابنـــا - يســـري

وأحببنـــــاكِ أمّـــــاً بـــــالعلوم ســـــمتْ ... وفـــاح العلـــمُ - فـــي الأجـــواءِ - كـــالعطر

وبـــين الصـــحب كنـــتُ أتيـــه مغتبطـــاً ... ومفتخـــراً مـــن الإصـــباح للظهـــر

أنـــا التلميـــذ ، قوليهـــا بـــلا حَـــرَج ... وأنـــتِ العلـــمُ يـــا أعجوبـــة الـــدهر

فكـــم بـــددتِ بـــالتعليم مـــن حَلـــكٍ ... كمـــا تـــرَدي الـــدجي إطلالـــة البـــدر!

خصصـــتِ الكـــل فـــي إيضـــاح غامضـــةٍ ... ويزكـــو العلـــم بالإيضـــاح والفســـر

ولقنـــــتِ الجميـــــع رؤىً منـــــورة ... تـــدكّ هـــوىً بـــنفس المـــرء يستشـــري

فجـــازاكِ المليـــكُ الخيـــرَ أجمعَـــه ... وبـــارك فيـــكِ حتـــى آخـــر العمـــر

وصية معلم لطلابه

(أنشدت هذه القصيدة على بحر الرمل وقافية الميم ، في شتاء عام 1993مـ ، بمناسبة أسبوع اللغة العربية ، في مدرسة أم القرى بأم القيوين في دار غربتي ، حيث أدرس فيها اللغة الإنجليزية. يتساءل الأستاذ محمد المنجد فيقول: ماذا تقولون بدايةً عن مهنة التدريس؟ ويجيب: (التدريس رسالة. وشخصية المعلم الحقيقي تنظر إلى دورها في التدريس على أنه رسالة تؤدّى ، وليست وظيفة مقابل أجر. وشخصية تضع نصب عينيها أن هذه المهنة ، هي مهنة الأنبياء والرسل وأصحابها هم ورثة الأنبياء وهم الذين يرفعون عن الناس الجهل فينقلونهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والإيمان والمعرفة. وحسْب المعلم شرفاً أنه دال على الله تعالى ، يرشد الناس إلى الطريق الموصلة إلى خالقهم وباريهم ، ويدلهم على معبودهم ومربوبهم والغاية التي من أجلها خلقوا ، علاوة على تعليمهم الخلق القويم والسبل التي تكفل لهم حياة طيبة.)هـ. ونشكر المُنجد على هذا. ونحاول جاهدين أن نحقق عملياً ونظرياً هذه الشخصية الحقيقية للمعلم! ولقد كتبتُ عن المعلم كثيراً!)

لكـــمُ الضـــادُ مَـــلاذ وحِمـــى ... فافتـــدوها يـــا صـــغاري بالـــدِّما

وعلـــى النطـــق بهـــا فلتحرصـــوا ... تبلغـــوا بالمجـــد آفـــاقَ الســـما

أشـــعروها أنهـــا نبراسُـــكم ... تجـــدوا فـــي فرقـــديْها القيَمـــا

وحـــروفُ الضـــادِ عِيـــدٌ وضـــيا ... وحـــروفُ الغيْـــر ظِـــلٌ ودُمـــى

وكـــذا النحـــو شـــبابٌ يـــانعٌ ... وأرى الصـــرفَ يُســـلي الهِممـــا

ولضـــادِ العُـــرب شِـــعرٌ خيّـــرٌ ... مـــا ابتغـــى مَـــن أنشـــدوهُ الـــدرهما

إنمـــا لله كـــانوا أنشـــدوا ... فـــاعتلى الشـــعرُ الـــذرى والقِممـــا

أيهـــا الطـــلاب ، صـــونوا ضـــادكم ... واجعلـــوا الرجعـــى إليهـــا مغنمـــا

ثـــم أدَّوا واجبـــاتٍ طلبـــتْ ... كـــي تكونـــوا ـ فـــي الحيـــاة ـ العُظمـــا

إن آمـــالاً علـــيكم عُقـــدتْ ... ومـــع الآبـــاء عقـــدٌ أبرمـــا

فـــاجعلوا العلـــم ســـبيلاً للعُـــلا ... وســـلاحاً قـــل أن ينهزمـــا

ولســـان الضـــاد مفتـــاحُ المَضـــا ... وســـراجٌ بـــات يمحـــو الظلمـــا

لغـــة القـــرآن والتقـــوى معـــاً ... بهمـــا نغـــزو الـــدنا والأممـــا

هـــذه (أم القـــرى) تغـــبطكم ... فـــانهلوا العلـــم ، وكونـــوا عُلمـــا

والكفـــــاءاتُ بهـــا كـــم بـــذلتْ! ولـــــذا رُدُّوا الجميـــــلَ العَممـــــا

هيئـــة التـــدريس كـــم قـــد علمـــتْ! لتـــــراكم فـــــي الســـــماء النجُمـــا

فاخـــدموا العلـــم ، وكونـــوا أهلـــه نحـــــن – للتعلـــيم - كنـــا خـــدما

واقـــرأوا فـــي كـــل فـــن ، واكتبـــوا واجعلـــوا الحِلـــم لهـــذا سُـــلما

وادرســـوا ، واحترمـــوا أســـتاذكم حُـــــق للأســـــتاذ أن يُحترمـــــا

ثـــم للعلـــم اعملـــوا كـــي تســـعدوا واصـــحبوا القرطـــاسَ ثـــم المِرقمـــا

قـــدّموا الأســـوة فـــي أنفســـكم ولـــداء الجهـــل كونـــوا البلســـما

حوربـــتْ - بـــين البرايـــا - ضـــادُكم فانصـــروها ، إنهـــا نعـــم الحِمـــى!

ودَعـــوا كـــل دخيـــل مُقـــرفٍ فـــاز مَـــن كـــلَّ دخيـــل قـــد رمـــى

نحـــن فـــي (أم القـــرى) نرجـــو لكـــم كـــل خيـــر كـــي تصـــونوا الـــدعَما

وأردناهـــــا منـــــاراً شـــــامخاً أهلـــــه للعلـــــم ســـــاروا قـــــدُما

كـــــم نقاشـــــاتٍ أثيـــــرتْ ورؤىً كانـــــت الضـــــاد بهـــــن الحكَمـــــا!

أيهـــا الطـــلاب ، أجزلنـــا العطـــا فاشـــكروا الجُهـــد ، وكونـــوا كُرمـــا

شـــكرُنا أن تفهمـــوا ، أن تعلمـــوا هـــل أخـــو الحمـــق كمـــن قـــد فهمـــا؟

مـــا بجهـــل قـــد تســـامت أمـــة فبـــدون العلـــم نغـــدو غنمـــا!

نحـــن يـــا أبطـــال جمـــعٌ راحـــلٌ عـــن قريـــب ، ثـــم نمســـي عـــدَما

فاذكرونـــا بجميـــل تـــؤجروا أنـــتمُ - فـــي النـــاس - خيـــرٌ سِـــيَما

فاســـألوا الـــرحمنَ أن يُكرمنـــا واطلبـــوا التقـــوى لنـــا والرحُمـــا

ربنـــا الله ، عليـــهِ أجرُنـــا فـــاز مَـــن يـــدعو المليـــك الحَكَمـــا

نور

(عاشت نور مع أبويها طفلة نابغة نابهة. تلتقط المعلومة التقاطاً من معلماتها ، حتى تفوقت نور في دراستها. واعتادت على أن تحوز المركز الأول على زميلاتها في الصفين الأول والثاني من المرحلة التأسيسية. ثم ما لبثت أن انخفض مستواها التحصيلي والدراسي نسبياً. فأرسلتْ رائدة صفها رسالة إلى المنزل لتستفسر عن سر هذا. فجاءت الرسالة من المنزل تخبرها بأن أم نور أصيبت في ساقها بالسرطان! الأمر الذي شغلها عن متابعة نور! وفي يوم تحتفل فيه المدرسة بالمعلمات جاءت كل طالبة بهدية تعبر عن الحب والاحترام والتقدير للمعلمات. أما نور فقد وضعت عقداً لؤلؤياً قد انفرطت حبّاته ومعه قِنينة عطر قد استخدم نصفها ، ووضعت هذا كله في كيس بلاستيكي عادي ، ومع الكيس كتبت وريقة صغيرة تقول: (هذا أغلى ما أملك: عقد أمي الذي انفرط وقِنينة عطرها التي بقي نصفها). أما المعلمة فاحتفظت بكيس نور لترفع من معنوياتها فقط. ومرّت الأيام. وإذ بالمستوى الدراسي لنور ينزل أكثر من 30% ، الأمر الذي هال رائدة الصف ، فأرسلت برسالة أخرى إلى البيت لتستفسر ، ولكن كانت هذه الرسالة شديدة اللهجة عن سابقتها لأن المستوى قد هبط كثيراً. فإذا برسالة تأتي من البيت أشدّ وقعاً وتأثيراً ونصها: (لقد ماتت أم نور)! فدمعت عينا المعلمة والتزمتها طويلاً ، وعاهدتها أن تكون لها أماً بعد أم. وراحت تتعهدها بالرعاية والعطف والحنان حتى تجاوزت أزمتها ، ونهضتْ وتفوقت من جديد. ووضعت من عطر أمها ولبست عقدها. ومرت السنون. وانتهت نور من المرحلة الجامعية ، وحان وقت حفل خِطبتها. واعتادت المعلمة المربية أن تتابع أخبار نور بالسؤال والاتصال والرسائل فقط. وفي هذا اليوم أحضرتِ المعلمة كيساً متواضعاً ، وضعت فيه عقد الأم وقِنينة العطر مُبقية فيها شيئاً من العطر ، ولبست العقد ووضعت بقية القنينة في الكيس ، والتمست العروس في الحفل حتى ظفرت بها. وهناك سألتها: من أنا؟ فتعرفتْ عليها بشِق الأنفس نظراً لتغير الملامح وبُعد العهد. وما هي إلا أن رأتِ العِقد وشمّتِ العطر فقالت: أمي ، عقد أمي وعطر أمي وبكتْ ، فخلعت المعلمة العِقد ووضعته في الكيس مع قِنينة العطر ووريقة كتبت عليها: (هذا أغلى ما أهدي إليك). فسعدت بهذا الجميل. وإنه لشعور طيب أن تكون المعلمة هكذا مع تلميذتها! وليت كل المعلمات المؤمنات يكن كذلك لتلميذاتهن! وشيشرون يقول: (المعرفة فن ، و لكن التعليم فن قائم بذاته). وجبران خليل جبران يقول: (تقوم الأوطان على كاهل ثلاثة: فلاح يغذيه ، جندي يحميه ، ومعلم يربيه). والإسكندر المقدوني يقول: (أنا مدين لوالدي لأنه أمّن لي الحياة ومدين لمعلمي لأنه أمّن لي الحياة الجديدة). وكامل درويش يقول: (ما أشرقت في الكون أي حضارة إلا وكانت من ضياء معلم). وتوماس كاروترس يقول: (المعلم هو الشخص الذي يجعلك لا تحتاج إليه تدريجياً). وفيلوكسين يقول: (إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة). وعبد الله بن عبد الكريم السعدون يقول: (المعلم الناجح هو أهم أعمدة بناء التعليم الناجح). وليوناردو دافنشي يقول: (من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً تافهاً). ولقد تأثرت كثيراً وأنا أتابع سماع أحداث هذه القصة من راويها! وكانت هذه القصيدة ترجمة حية لذلك الشعور وهذا الإحساس! ومن هنا أنشدت في هذا الموقف هذه القصيدة والتي عنونتُ لها باسم الفتاة: نور. وذلك أنني تخيلت نوراً ترد على معلمتها مجاملتها الرقيقة تلك التي كانت قد أهدتها إياها منذ عقدين من الزمان!)

ذكـــراكِ أغنـــتْ عـــن الأســـماء والسِـــيَمِ ... يـــا ربّـــة الجـــودِ والإحســـانِ والكَـــرمِ

فـــي القلـــب أنـــتِ ، وللـــذكرى حَفاوتهـــا ... والـــنفسُ تـــذكرُ مـــا أســـديتِ مِـــن خِـــدم

وفـــي المشـــاعر مِـــن خيـــر الجميـــل صـــدىً ... وفـــي الأحاســـيس جَـــرْسٌ حـــالمُ الـــنغم

وفـــــي الفـــــؤاد تـــــرانيمٌ مُســـــلية ... بمثلهـــا لـــم تجُـــدْ حنـــاجرُ الـــرّنُم

يـــا مَـــن فراقـــي لهـــا فاضـــت مرارتـــه ... ومنـــه صـــرتُ أعـــاني وطـــاة الســـقم

والعـــينُ تبكـــي ، إذا مـــا الطيـــفُ راودنـــي ... بـــدمع شـــوق - إلـــى لقيـــاكِ - مُنســـجم

أجـــلّ قـــدرَكِ فـــي سِـــر وفـــي علـــن ... وســـائلي أسَـــرَ الأهلـــين كلهـــم

هـــم أكبـــروكِ بمـــا أحكيـــه مِـــن نبُـــل ... وبجّحـــوكِ لمَـــا أرويـــه مِـــن شِـــيَم

يـــا مـــن مســـحتِ دموعـــاً أحرقـــتْ كبـــدي ... لـــولا يمينـــكِ ســـالت مِـــن عزيـــز دمـــي

يـــا مـــن بـــذلتِ جهـــوداً غـــاب باذلهـــا ... فأنـــتِ أهـــلُ العطـــا والخيـــر والقِـــيم

زينـــتِ لـــيْ العلـــمَ ، حتـــى بـــتّ أعشـــقه ... والعلـــمُ خيـــرٌ مِـــن الأنســـاب واللحـــم

والعلـــمُ نـــورٌ ، وأهـــلُ العلـــم شُـــعلته ... شـــتان - والله - بـــين النـــور والظلـــم!

وكـــم تحملـــتِ مِـــن أجلـــي مُكابـــدة! ... وكـــم شـــرقتِ بمـــا تُلقـــين مِـــن غَمَـــم!

وكـــم قضـــيتِ مـــن الأوقـــات أعـــذبَها ... مـــع اللطيمـــة إذ جـــافى ذوو رحمـــي!

وكنـــتِ لـــي - فـــي الـــورى - أنـــدى مربيـــةٍ ... فلـــم أحِـــسِّ بمـــا - فـــي اليُـــتم - مـــن ســـأم!

وكـــم حنـــوتِ بعطـــفٍ لا مثيـــل لـــه ... حنـــانَ أم علـــى أطفالهـــا الفَطَـــم!

وكـــم زرعـــتِ بقلبـــي الغصـــنَ مِـــن أســـس ... تهـــدي لشـــرع قـــويم طيـــب لقِـــم!

وكـــم صـــبرتِ - علـــى البـــذور - أنبتهـــا ... ربـــي تعـــالى اســـمُه مـــن واحـــدٍ حَكَـــم!

وكـــم غرســـتِ مفاهيمـــاً تُجمّلنـــي ... فـــي قالـــب لـــم يكـــن يومـــاً بمنـــبهم!

وكـــم تلـــوتِ كتـــابَ الله خاشـــعة! ... وكـــم أبنـــتِ حـــديث المصـــطفى الهشـــم!

وكـــم أمـــرتِ بمعـــروفٍ بـــلا مَلـــل! ... وكـــم نهيـــتِ عـــن الفحشـــاء واللمـــم!

فكنـــتِ بعـــد - رحيـــل الأم - والـــدة ... وصُـــنتِ قلبـــاً - بســـهم العائـــدات - رُمـــي

حتـــى إذا احتفـــل الأقـــوام فـــي مـــلأ ... وللهـــدايا بريـــقٌ ســـاطعُ الحَـــدم

وقـــد نحلتـــكِ عطـــرَ الأم باكيـــة ... فـــي جُؤنـــةٍ صُـــبغتْ بـــالورد والعَـــنم

وجُـــدتُ طائعـــة أرضِـــي معلمتـــي ... بعِقـــد أم - مـــن الأحـــزان - منفصـــم

وبعـدُ سَـطرتُ مـا فـي القلـب مِـن شـجن ... ومِـــن شـــقاءٍ بنفســـي خطـــه قلمـــي

هـــذان أثمـــنُ مـــا قـــد كنـــتُ أملكـــه ... هديـــة شـــأنها مستشـــرفُ العِظـــم

تقبليهـــا بـــلا لـــوم ولا عتـــب ... لأن قصـــدي - وربـــي - غيـــرُ مُـــتهم

لـــو شـــئتُ أهـــديتُكِ الريـــاشَ فـــاخرة ... مِـــن كـــل ثـــوب قشـــيب الشـــكل مُحتشـــم

أو شـــئتُ جئتـــكِ بـــالحُلي مـــا نظـــرتْ ... عـــينٌ لهـــا أبـــداً فـــي عـــالم النســـم

أو شـــئتُ جئتـــكِ بـــالأموال طائلـــة ... عـــن طِيـــب نفـــس ، وهـــذا غيـــرُ مغتـــنم

وبيننـــا دارتِ الأيـــامُ دَورتهـــا ... وإنّ ذكـــرك يُقـــري خـــاطري وفمـــي

أحكيـــه للنـــاس ، والـــدموعُ ســـاجمة ... بأعـــذب السِـــيَر الشـــمّاء والكَلِـــم

فمـــا نأيـــتِ عـــن الفـــؤاد يـــا أملـــي ... ولا انتحيـــتُ هنـــا مـــن أي مصـــطدم

وعشـــتُ أحلـــم بالعصـــماء تنصـــحني ... بـــواعظٍ - بلطيـــف القـــول - متســـم

ويـــوم عُرســـي أتيـــتِ اليـــوم حاملـــة ... خيـــر الهـــدايا التـــي صِـــينتْ مـــن القِـــدم

العقـــدُ والعطـــرُ قـــد أتيتِنـــي بهمـــا ... بوجـــه والـــدةٍ فـــي العُـــرس مُبتســـم

جـــزاكِ ربـــكِ خيـــراً لا حُـــدودَ لـــه ... ولا أذاقـــكِ طعـــمَ البـــؤس والوَضَـــم

يـــا خيـــرَ أم لمـــن - فـــي أمّهـــا - فجعـــتْ ... يـــا مـــن - بـــكِ - اللهُ أنجـــاني مـــن القحَـــم

لا شـــيء عنـــدى ســـوى الـــدعاء أبذلـــه ... لله ضـــارعة - بالـــدمع - فـــي الغســـم

أن يحفـــظ الله مِـــن سُـــوءٍ مربيتـــي ... وأن يُجَنبهـــا مَطـــارقَ الـــنقم

وأن يبـــدّلها - مِـــن ضِـــيقها - فرَجـــاً ... ويـــوم لقيـــاه تُعطـــى خيـــرَ مختـــتم!

أمة اقرأ أولى بهذا

(دُعِي الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو إلى حفل على مستوى راق من طبقات الشعب الفرنسي. فصافح الحضور جميعاً ورحب بهم بعبارات ظريفة. وفجأة يلتزم أحدهم ويقبل رأسه ويده اليمنى ويده اليسرى ويعانقه طويلاً. فسألوه في ذلك قائلين: صافحت الوزير والمهندس والصيدلي والفلكي والجيولوجي والبيولوجي والمدير والضابط والكيميائي والفيزيائي وغيرهم مصافحة عادية ، حتى إذا صافحت هذا خصصته بما رأينا فلم؟ فأجاب: لأن هذا معلم ، ومن تحت يديه تخرّج هؤلاء جميعاً). إن مكانة المعلم اليوم قد نيل منها ، للحد الذي امتهن فيه المعلم امتهاناً لم يعرف التاريخ مثله. وبوصفي معلماً أمارس مهنة التربية والتعليم قرابة العقدين ونصف العقد ، رحت أتساءل: لماذا وصل الحال بالمعلم إلى هذا الحد المُزري المضحك المبكي؟ هل هي فقط المؤامرة العالمية على التعليم في ديارنا؟ وإن كنت لا أنكر ذلك ولكنني أقول: هل هي المؤامرة وحدها السبب؟ إن المؤامرة على ضرب التعليم خطيرة ولا شك ، وقد ساهمت بنصيب الأسد في ازدراء المعلم والنيل منه. ولكنني أقطع بأننا إن قلنا بأنها المؤامرة وحدها فقد جعلناها شماعة نعلق عليها الممارسات السيئة المسيئة للمعلم في ديارنا. إن هناك عوامل وأسبابا أخرى أورثت المعلم هذا الازدراء والاحتقار في المجتمع. إن دور بعض الإدارات الفاشلة في بعض المدارس - خاصة المدارس الخاصة حيث يغيب دور الرقابة والمساءلة – قد أودى بالمعلم كذلك (حيث تقوم هذه الإدارات الفاشلة بجعل المدارس أشبه ما تكون بحلبات الصراع بينها وبين معلميها. فلا يكون هناك أمن وظيفي للمعلم ، بل قلق واضطراب ، حيث يشعر المعلم أن دوره فقط تنفيذ أوامر المدراء الفاشلين المتسلطين ، وليس إثراء العملية التعليمية وتطوير الطلاب والنهوض بمستواهم العلمي والمعرفي والأخلاقي والسلوكي. يضاف إلى ذلك عملية تدني الرواتب المتعمدة مما يجعل الكثير من المعلمين يزهدون في هذه الوظيفة التي لا تقيم شأنهم بين الناس. وانعدام من ترفع إليه الشكوى للنظر فيها لإنصاف المعلم. إن فيكتور هوجو عنى بقوله هذا المعلم ذا الرسالة لا الوظيفة ، وفرق ما بينهما كالفرق بين الثرى وبين الثريا. إن المعلم صاحب الرسالة يمكن أن يضحّي بالكثير من أجل تحقيق رسالته. وأعود فأقول: ولكن لهذا المعلم بيت وأسرة وأولاد لهم مطالب واحتياجات ، فإذا كانت وظيفته أو رسالته على حد سواء لا تفي باحتياجاته هو وأسرته فعلى الرسالة السلام! نعم يا فكتور هوجو: من تحت يد المعلم تخرّج الكل ، وربما لأنكم تحترمون التعليم قلت في أبناء جلدتك ما قلت ورأيت ما رأيت. وأنا أقولها بصدق: إن أمة (اقرأ) أولى منك بهذا. إن آيتكم التي تفاخرون بها وهي ثابتة في كتبكم: (أطفئ سراج عقلك واتبعني!). وآيتنا التي نفاخر بها: (اقرأ باسم ربك الذي خلق). ومن هنا فنحن أولى باحترام المعلم ، وتذليل الصعاب أمامه ، والإغداق عليه ، والتدخل العادل لحمايته من مافيا الإدارات الفاشلة الجاهلة المتغطرسة ، التي هضمته حقه ، ونالت من كرامته ، وأغرت به السفهاء ، حيث إنها تعتبر المدارس التي تتولى إدارتها أشبه ما تكون بالمزارع التي ورثوها عن آبائهم ، والمعلمين عبيداً اشتراهم آباء هؤلاء المدراء ليعملوا في هذه المدارس!)

خبـــرٌ بـــه الكتـــبُ الصِـــحاحُ تبـــوحُ مُتـــواترٌ - بـــين الـــورى - وصـــحيحُ

مترفـــــعٌ عمـــــا يشـــــوّه صِـــــدقه أنـــــى لـــــه التشـــــويهُ والتجـــــريح!

مِــن أن (فِيكتُــر) قــد أطــال ســلامَه ... وتــــلا العنـــاقَ تحيـــة ومـــديح

ومُضـــــمِخاً إطـــــراءه بحفـــــاوةٍ ... منهـــا احتـــرامُ ذوي العلـــوم يَفـــوح

ومُنقحـــاً زبـــدَ الكـــلام ومُعْظِمـــاً ... شـــأنَ المعلـــم ، هالـــه التنقـــيح

ومُفاجئـــاً كـــلَ الحضـــور بفعلـــه ... فتســـاءلوا: مَـــن ذلـــك الممـــدوح؟

ومُقـــبّلاً يـــده ، وأيضـــاً رأســـه ... ويهـــز كفـــاً علّمـــتْ ويلـــوح

مـــا ســـرّ ذيّـــاك التكلـــفِ يـــا تـــرى؟! ... أيُـــذيعُ (هوجـــو) سِـــرّه ، ويبـــوح؟

والحفـــلُ ممتلـــئٌ بـــأرفع مَعشـــر ... والشـــعبُ يغـــدو نحـــوَهم ، ويـــروح

فـــإذا بـــ (هوجـــو) يســـتثيرُ جمـــوعَهم ... وعـــن الســـفاهة ينتحـــي ، ويُشـــيح

ويقـــول: هـــذا – يـــا فئـــامُ - مُعلـــمٌ ... هـــل بعـــد هـــذا يـــا رفـــاقُ شـــروح؟

هـــذا الـــذي للنـــاس جـــاد بروحـــه ... حتـــى غـــدا جســـداً قلتْـــه الـــروح

هـــو علّـــم الأجيـــالَ ، أرشـــدَها إلـــى ... عَليائهـــا ، فعطاؤهـــا ممنـــوح

لـــم يـــدّخرْ جُهـــداً ، ولـــم يـــنِ همّـــة ... ولـــه أمـــانٍ - فـــي الـــورى - وطمـــوح

وجهـــودُه ليســـت تُقـــاسُ بغيرهـــا ... إذ جهـــدُه - بشـــقائه - مَجـــدوح

إن المعلـــم لـــيس ينكـــرُ فضـــله ... إلا جهـــولٌ مُفلـــس مَفضـــوح

(هوجـــو) أصـــبت مِـــن الحقيقـــة قلبَهـــا ... بمقالـــةٍ فيهـــا ذكـــا وفتـــوح

ولـــنحنُ أولـــى بالـــذي أوردْتـــه ... والأمـــرُ - فـــي قرآننـــا - مشـــروح

إذ إن أول آيـــةٍ قـــد أنزلـــتْ ... (اقـــرأ) ، وخـــصّ بهـــا البشـــيرَ الـــروح

لمّـــا تكـــن يومـــاً بإنجيـــل لكـــم ... أو جـــاءكم بمثيـــل تلـــك (مســـيح)

فـــالعلمُ أصـــلٌ فـــي شَـــريعة (أحمـــدٍ) ... مِـــن بعـــده الصـــلواتُ والتســـبيح

استعلاءٌ في دنيا البهتان

(ذهب ليدرس التربية الإسلامية ، فابتلي بالنساء ، وكان يأمل أن تتحقق أمنيته ، فيدعو ويربي وينشئ ويعلم ، وخاصة أن هؤلاء النسوة أغلبهن أمهات أولاد. فكانت الكارثة التي هي قاصمة الظهر ، عندما وجد الشرط الذي أخذ عليهن قد بدأ في التغير شيئاً فشيئاً. ذلك أنه اشترط الحجاب الكامل ، واشترط أن لا تكون هناك عطور ولا ميوعة ولا خضوع بالقول بالمرة! لكن سرعان ما انتفضت هذه الشروط ، فوجد نفسه الأستاذ أمام مفاتن وحرمات وروائح وزينات. وزاد حبات الطين بلة طلبُ البعض بأن يحكي الأستاذ بعض الحكايات (والسوالف) فأبى ، فكانت منهن التعليقات السخيفة والاستهزاء به وبلحيته وبأسلوبيته وحزمه وتمسكه. مما حدا به - في النهاية وبعد أيام عدة من استلام الوظيفة - أن يصر على الاستقالة رغم حاجته للمال. فساومته المديرة سائلة إياه الصبر والاحتساب ، وأفهمته أن وجوده أفضل من وجود غيره من الذين يسيل لعابهم لمثل هذا المكان. فاستعصم استعصام الصديق يوسف بن يعقوب - عليه وعلى أبيه وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه – وعقب بقوله: وماذا أكسب إن خسرت آخرتي وعمّرت دنياي هذه؟ فقبلت المديرة استقالته آسفة. وخرج كأنه ولد في هذه اللحظة فقط على حد تعبيره لي. خرج من هذا المأزق لأنه يخشى على نفسه الفتنة والميل إلى الجاهلية والركون إلى ساقطات قد تؤدي التساهلات معهن إلى السقوط في أتون الرذيلة! وبخاصة أنه لا زاجر من دين أو عقيدة ، ولا رادع من أهل وعشيرة ، ولا وازع ديني قوي يحول دون ذلك! بل السمت العام هو الانحطاط والتردي والسقوط! وكان ذلك الترفع من هذا المعلم شيئاً تستهجنه الفطر الغوية والهمم الحقيرة والنوايا الخبيثة بالطبع! والحقيقة أن المعلم كان واهماً في تشخيصه للحالة: حيث إنه كان يزعم أن المرأة عندما تكون أم أولاد تكون أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه في العموم والغالب. فإذا به يكتشف أن الفتاة في مقتبل العمر في الغالب الأعم أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه. فكانت مفاجأة عجيبة ، أربكت المشهد ، وسربلت الحسابات! فكتبت أحيي المعلم الشيخ عبد المنعم عبد المبدي عام 1996م على اعتصامه بالله سبحانه وتعالى ، وعلى ترفعه عن الرضوخ للإغواء وتأبّيه عن الركون إلى الإغراء هذه القصيدة ، فلقد حكى لي قصته هذه بنفسه.)

يـــا ســـراجاً أردى غمـــوم الطريـــقِ ... يـــا وفيّـــاً وفـــي بعهـــدٍ وثيـــقِ

إنـــه الاســـتعلاءُ يرفـــع قومـــاً ... عـــن حضـــيض البُهتـــان رغـــم الضـــيق

كـــم يـــذرّ الأنـــاتِ كـــل عفيـــفٍ! ... ويُقاســـي - فـــي العـــيش - كـــل شـــفيق

كـــم يلـــوكُ الـــويلاتِ كـــل تقـــي! ... ويُعـــاني مـــن عاديـــات الطريـــق

ويُقاســـي - فـــي الجاهليـــة - عبـــدٌ ... قـــد رأى - فـــي القـــرآن - خيـــر صـــديق

هكـــذا الـــدنيا بالنقيضـــين عجّـــتْ ... لتّهـــا حـــالُ النـــاس لـــتّ الســـويق

جـــاهليٌ يحيـــا بكـــل انحـــلال ... وعلـــى التقـــوى عـــاش كـــل صـــدوق

هـــــازلاتٌ يـــــبعْن دينـــــا وتقـــــوى ... كـــل أنثـــى تهـــوى اصـــطحاب الرفيـــق

وتقيّـــــــاتٌ سَـــــــمتُهن التســـــــامي ... عـــن دنايـــا تجـــري دمـــاً فـــي العـــروق

أيهـــــا الخـــــل المســـــتبين طريقـــــاً ... شمسُـــــه لاحـــتْ بعـــد عـــذب الشـــروق

مـــــا يُـــــردن الغـــــاداتُ غيـــــرَ التـــــدني ... ولهـــــن فـــــي الأســـــر بعـــــضُ بريـــــق

قـــد جعلـــن الإســـلام خلـــف ظهـــور ... وجـــــريْنَ خلـــــف الســـــراب العميـــــق

لـــم تـــذق إحـــداهن طعـــمَ التـــزام ... ولهـــــذا ذاقـــــتْ لهيـــــب الحريـــــق

جـــــرّهن نحـــــو الضـــــياع رقيـــــعٌ ... بغنـــــــاءٍ عـــــــذب الأداء رقيـــــــق

ورياضـــــــيٍّ بـــــــالفجور تحـــــــدى ... باعتـــــدادٍ - يَســـبي العيـــون - رشـــيق

وكـــــذا للفنـــــان أخـــــذ وجـــــذبٌ ... فحـــــلا للســـــاقطات طيـــــفُ المُـــــروق

فانـــــدفعَ - نحـــــو الهـــــوان - ســـــبايا ... وانحـــــدرنَ إلـــــى الضـــــلال الســـــحيق

وســـــخرنَ مِـــــن الرشـــــاد طـــــويلاً ... وفـــــررنَ مـــــن الصـــــلاح الوريـــــق

والتمســـــنَ فـــــي التيـــــه كـــــل كمـــــال ... فـــــانجررنَ إلـــــى الســـــقوط الأنيـــــق

فـــاقمَعنْ شـــوقَ المفلســـاتِ ، وجاهـــدْ ... واجعـــل الـــذكر العـــذب خيـــر شـــقيق

واذبـــح الـــدينار الـــذي لا يســـاوي ... ذرة ثكلـــى مـــن هـــواء الشـــهيق

إن عبـــداً يعبـــدُ الهـــوى لـــذليلٌ! ... بـــئس هـــذا مـــن مســـتريب غريـــق!

أردتُ زيداً ، وأراد الله عَمْراً

(تعاقدت هذه المعلمة مع مَدرسة حتى تدرس فيها تخصصها (الرياضيات) ، فإذا بالمديرة ترْغمها على تدريس (مادة التربية الإسلامية) أو تلغي عقدها. فقبلت على مضض. فكانت حصتها الأولى عن الحجاب ، بينما هي متبرجة تبرجاً يُزري بها كإنسانة مَرة ، ويُزري بها كمعلمةٍ مربيةٍ للتربية الإسلامية ألف مرة. وقامت بالتدريس بكل روتينية من عرض ومناقشة للأفكار وأسئلة وتقويم ونحوه. وكان أن توجهت تعليقات فريق من الطالبات لها مباشرة مجملة في فكرة واحدة مضمونها: (أين أنت يا معلمتنا من الحجاب والحشمة والوقار؟) وفريق آخر من الطالبات يسأل: (وهل الحجاب مطلوب منا نحن بوصفنا طالبات مسلمات وليس مطلوباً منك بوصفك معلمة مسلمة؟) مما كان سبباً في إحراج المعلمة جداً ، وجعلها تشعر بالفصام النكد الذي عاشته عقدين ونصفاً من عمرها وهي لا تشعر به. فكانت نقلة بعيدة لها يومَ قررتْ إدناء جلبابها واتباع سُنة نبيها في الحجاب ابتداء. وبعد ذلك راحت تبحث عن الحق ، وتلتمس الطريق إلى الهداية ، وتعمِل فكرها في النصوص ، وتطالع الكتب ، وتعترف لنفسها أنها كانت تعيش في جاهلية ، المسافة بينها وبين الإسلام تزيد كثيراً عن المسافة بين المشرق والمغرب. وراحت تقول: صدقتِ العرب: (رب ضارة نافعة!) وعلمت علم اليقين أن الذي يختاره الله لنا أفضل من الذي نختاره نحن لأنفسنا. وأيقنتْ كذلك أنها أرادت زيداً ، وأراد الله عَمْراً على حد تعبير العرب في مَثلهمُ المأثور. فلقد قصدتْ إلى هذه المدرسة لتدرّس الرياضيات ، تلك المادة التي تجيدها بحكم التخصص والدراسة ، فإذا بالمديرة ترْغمها إرغاماً على تدريس التربية الإسلامية ، ليتم مُراد الله من انتفاع هذه المعلمة بعلم الشريعة الذي كان الباب إليه (الحجاب). وذلك لتنطلق منه فيما بعد لجميع القضايا. فلله الفضل والمِنة ، وله الحمد والشكر والثناء الجميل الحسن. إن خير ما انتفعت به هذه المعلمة هو الإنابة إلى الله والهداية إلى الصراط المستقيم! قال الله – تعالى -: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). والعبد يقول: لو أن الله هداني ويكتفي بهذا ، بل يجب أن يأخذ بالأسباب الجالبة للهداية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): (وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العُجم ، فإن الحمار والجمل يميّز بين الشعير والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده...ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنّة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبيّن لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فَمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم – ثم ذَكَرَ حديث أبي موسى في قوله صلى الله عليه وسلم: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم – فقال: فالحمد لله الذى أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين وقال أهل الجنة: (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ).هـ. وقال ابن القيم: (إن لم يَصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له ، فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه

بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه ، ومعلوم أن وساوس العبد وخواطرَه وشهواتِ الغيّ في قلبه كل منها مانعٌ وصول أثر الهداية إليه ، فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تامّاً ، فحاجاته إلى هداية الله له مقرونة بأنفاسه وهي أعظم حاجة للعبد).هـ. وانفتحت هذه المعلمة فيما بعد على علوم الشريعة المختلفة ، للحدّ الذي تناظر فيه وتدعو وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ودرَستْ إسلامها واتبعت ما فيه ، وبكت وخشعت ، وأنابت إلى ربها ، وانتحبت وحزنت على ما فرطتْ في جَنب الله ، فكانت فاتحة خير. فرُحتُ أتخيلها تولد من جديد ، وهي تحكي لنا قصتها مع الإسلام ، فأنشدتُ حكاية على لسانها أقول:)

لمّـــا دَرَسْـــتُ ســـباني الشـــرعُ والأدبُ ... والشـــرعُ أثمـــنُ مـــا يُرجـــى ويُطلـــبُ

قـــــرأتُ مُشـــــتاقة لمَـــــا أطالعُـــــه ... فنـــاولتني هُـــدَىً مـــا تحتـــوي الكتـــب

قـــرأتُ أرجـــو - مِـــن المـــولى - هدايتـــه ... حتـــى تـــزولَ بهـــا الشـــكوكُ والرّيَـــب

قـــرأتُ أبحـــث عمـــا كنـــتُ أنشـــدُه ... وصـــدّني عنـــه مـــا قـــد عِشـــتُ أرتكـــب

قـــرأتُ أطلـــبُ فـــي الظلمـــاء دربَ هـــدى ... يهـــدي إلـــى الرُشْـــد مَـــن أودى بهـــا التبـــب

قـــرأتُ ألـــتمسُ الأنـــوارَ فـــي شـــغفٍ ... ولـــي فـــؤادٌ حـــريصٌ مُشـــفقٌ حَـــدِب

قـــرأتُ أســـعى - إلـــى الخيـــرات - عازمـــة ... علـــى القيـــام بتنفيـــذ الـــذي يجـــب

قـــرأتُ يُســـعفني اشـــتياقُ ذاكرتـــي ... لمَـــا أعـــاينُ ، نعـــم العلـــم والأدب!

كـــأنني لـــم أطـــالعْ آيـــة أبـــداً ... أو أننـــي لـــم - أكـــن للسِـــلم - أنتســـب

أســـيرة كنـــتُ - للأهـــواء - أعشـــقها ... وعشـــتُ دهـــراً - إلـــى التغريـــب - أنجـــذب

وعشـــتُ أســـعى وراء الـــوهم طائعـــة ... حتـــى كـــواني الأســـى وعَضـــني النصـــب

وكـــم بحثـــتُ عـــن الأوزار دون حيـــا ... حتـــى احتـــواني الضـــنا وهزنـــي الـــوَدَب!

وكـــم بـــذلتُ - إلـــى الآثـــام - مـــن سَـــبب ... ولـــم يخنّـــي إلـــى مـــا أشـــتهي سَـــبب!

وكـــم مَـــددتُ يـــدي لكـــل فاحشـــةٍ ... وللشـــياطين كـــان النصـــرُ والغلـــب!

وكـــم صـــحِبتُ إلـــى - الـــذنوب - شـــرذمة ... مِـــن الصـــعاليك بـــئسَ الرّبـــعُ والعُصُـــب!

وكـــم ســـلكتُ - إلـــى الضـــياع - مِـــن سُـــبل ... حتـــى اعترانـــي الـــبلاءُ المُـــرّ والنـــوَب!

ومـــا احترمـــتُ قرابـــاتي وعـــائلتي ... والأم ماتـــت ، وعنـــي غـــاب – قبـــلُ - أب

ومـــا ارتـــدعتُ بعُـــرفٍ مِـــن قبيلتنـــا ... ولـــم يكـــنْ زاجـــراً ديـــنٌ ولا أدب

شـــريدة كنـــت فـــي بيـــداء كـــارثتي ... ولـــم يَـــزرْ خـــاطري خـــوفٌ ولا رَهـــب

حتـــى قـــرأتُ كتـــابَ الله ، فانقشـــعتْ ... ســـحائبُ القهـــر ، والتضـــليلُ والتعـــب

أحسســـتُ أنـــي - عـــن التقـــوى - مُغيّبـــة ... لـــذا أغـــصّ بـــآلامي ، وأضـــطرب

أردتُ (زيـــداً) بتخطيطـــي وتجربتـــي ... وكـــان (عَمْـــروٌ) نصـــيبي ، حبـــذا القُـــرَب!

وانصـــعتُ للأمـــر فـــي ذل وفـــي كـــدر ... كـــأن أحرفـــه الأســـيافُ واليَلـــب

ورغـــم أنـــي أطعـــتُ النـــاس مُذعنـــة ... وجـــدتُني - بـــدموع العـــين - أختضـــب

وهـــز قلبـــي - مِـــن الأعمـــاق - موعظـــة ... قـــد خطهـــا جهبـــذ - فـــي الله - مُحتســـب

ونـــوّر الـــوحيُّ إحساســـي وعـــاطفتي ... مِـــن بعـــد أن كنـــتُ - عـــن ضـــياه - أحتجـــب

وبـــيّضَ الوجـــهَ ترتيـــلٌ صـــدحتُ بـــه ... أنـــا التـــي كنـــتُ هـــذا الـــذكرَ أجتنـــب!

واســـتعذبتْ عزمتـــي آيـــاتِ خالقِهـــا ... وسُـــرّ عقلـــي بهـــا ، والعِـــرْقُ والعَصَـــب

واســـتقرأتْ همتـــي مـــا كـــان ينقصُـــها ... وفـــي البصـــيرة دبّ النـــورُ واللبـــب

والصـــدقُ جمّـــلَ مـــا أحيـــاه مِـــن مِـــنح ... مِـــن بعـــد أن رحـــل التـــدليسُ والكـــذب

واستبشـــرتْ بـــالتقى لتوّهـــا أمَـــة ... منهـــا تعجبـــتُ حتـــى لامنـــي العَجَـــب

واســـتقبلتْ أمرَهـــا نفـــسٌ مُعذبـــة ... تبكـــي علـــى حالهـــا دومـــاً ، وتحتسِـــب

واســـتكثرتْ مِـــن فِعـــال الخيـــر مُوقنـــة ... أن المليـــك ســـيجزي مَـــن لـــه قَـــرُب

وأعلنـــتْ مِـــن جميـــع الإثـــم توبتهـــا ... إن المثوبـــة نعـــم القصـــدُ والطلـــب!

تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!

(جاءنا مختاراً أو مكرهاً من محافظة السويس الباسلة أرض البطولات والتضحيات ، إحدى مدن القناة الثلاث: بورسعيد – الإسماعيلية – السويس! وفد علينا الأستاذ الفاضل المحترم / مهدي سعد زغلول ليُدَرسّنا اللغة العربية وآدابها في مدرسة تفتيش كفر سعد الإعدادية الثانوية في الفترة ما بين 1978م وحتى 1980م! فألفيتُه معلماً جليلاً وأستاذاً نبيلاً ، عف السريرة ونافذ البصيرة! يُذكرنا بمعلمي الخمسينات في أناقته ولباقته! وكنتُ أخاف منه للوهلة الأولى لجديته وصرامته – كغيري من الطالب ـ في صفنا الثالث من المرحلة الإعدادية! ثم ما لبثتُ أن تأقلمتُ معه وأحببته ، واستفدتُ من علمه الجم وأخلاقياته العظيمة! أما لماذا اهتمامي باللغة العربية ومعلميها أكثر من غيرهم؟! فيرجع هذا إلى أهمية اللغة العربية ، فهناك نقاط جلية تبرز مدى أهمية اللغة العربية في حياتنا على مختلف العصور والأزمنة: فمن هذه الاعتبارات اعتبار اللغة العربية لغة القرآن الكريم والأحاديث والدين الإسلامي ككل ، وبمقدار قصور المرء في اللغة العربية بمقدار قصوره في فهم القرآن والسنة ، والعكس بالعكس!. وأيضا التنوع الهائل الرهيب والكم الكبير من المفردات والمعاني التي احتوتها معاجمها القديمة والحديثة. وكذلك التأثير الكبير للغة العربية على غيرها من اللغات نظراً لتاريخها الممتد منذ حقب زمنية طويلة ، فلقد أدركتُ بحكم تخصصي في اللغة الإنجليزية كيف تأثرت اللغة اللاتينية بالعربية! وكذلك اعتبار اللغة العربية واجهة للثقافة والعالم العربي وهي أول ما يتوجه لتعلمه الشخص الأجنبي. وكذلك إعلاء قيمة كل من يتعلم اللغة العربية لما فيها مصاعب كثيرة في تعلمها. والسر في ذلك كله أصل اللغة العربية حيث تعتبر اللغة العربية أم اللغات السامية التي شغلت مناطق شبه الجزيرة! وسبب هذه التسمية يعود لحفاظها على مقوماتها الأساسية من عوامل الاختلاط باللغات الثانية ، لكون اقتصر استخدامها على العرب فقط ، فكانت اللغات السامية المنبثقة منها منتشرة على مستوى قارتي آسيا وأفريقيا لتكون لغات رسمية لعدة حضارات سامية أبرزها كان اللغة الأكادية والكنعانية والأرامية والسيهدية والأمهرية وغيرها من اللغات السامية الأخرى ، وعلى صعيد آخر فقد حازت اللغة العربية على ألقاب عديدة أهمها ما كان مرتبطاً بالقرآن فسميت بـ "لغة القرآن" وذلك لنزول القرآن الكريم باللغة العربية بالإضافة إلى لقب "لغة الضاد" لتفردها بحرف الضاد عن دون باقي لغات العالم. وأكبر دليل على أن اللغة العربية تملك في ذاتها مقومات بقائها أن اللغة اللاتينية قد اندثرت اليوم لأنها لم تملك يوماً مقومات بقائها! وتحت عنوان: (الأعباء الجسام الملقاة على عاتق معلم اللغة العربية!) يقول أستاذنا الدكتور محمود أبو فنه الباحث والكاتب وعضو مجمع اللغة العربيّة في الناصرة – فلسطين ما نصه: (كثيرًا ما كُتِب عن مهنة التعليم ، وكم هي مضنية للمعلّمين في جميع التخصّصات والمواضيع الدراسيّة ، تتطلّب منهم تيقّظ الحواس ، وقوّة الأعصاب ، والصبر والأناة ، والتجدّد الدائم في المواد الدراسيّة وفي أساليب التدريس والتقويم! لكن ، من تجربتي في حقل التربية والتعليم توصّلتُ إلى قناعة مفادها: أنّ معلّم اللغة العربيّة المخلص ، بالذات ، مثقلٌ بالأعباء ، مُنهكٌ بالمهامّ الجمّة الملقاة على عاتقه! فتدريس اللغة العربيّة لا يقتصر على إكساب الطالب مهارات: القراءة الواعية المعبّرة ، وعلى فهم المقروء والمسموع بمستويات الفهم المختلفة ، وعلى التعبير الجيّد بنوعيه: الشفهيّ والكتابيّ ، بل يشمل كذلك صقل شخصيّة الطالب وبلورتها ، وتعزيز الانتماء للهويّة ، وتقدير التراث ، واكتساب القيم بأبعادها ومجالاتها المختلفة: الشخصيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة. ولنتذكّر:

أنّ التمكّن من مهارات اللغة وسيلة لتحقيق التقدّم والنجاح في جميع مواضيع التعليم في المدرسة. ولذلك ، فإن معلّم اللغة العربيّة مُطالب بالتجدّد على الدوام لأنّه يتعامل مع موضوع اللغة العربيّة بنحوها وصرفها وآدابها ، الأمر الذي يستدعي سعة الأفق والمعرفة ، وذائقة أدبيّة راقية ، واطّلاعا دائمًا على ما يصدر من روائع الأعمال الأدبيّة ، ومن الدراسات النقديّة والبحوث في اللغة. والأصعب: أنّه مُطالب بتصحيح/تقويم المئات من كتابات طلابه كلّ شهر/أسبوع ضمن حصّة التعبير الكتابيّ! وكذلك ، يعتبر معلّم اللغة العربيّة المسؤول المباشر والرئيسيّ عن غرس عادة المطالعة الذاتيّة وتذويتها لدى طلابه – رغم اعتقادي بضرورة تعاون جميع معلّمي المدرسة على ذلك – وهذا يتطلّب منه اتّباع أساليب وطرائق متنوّعة في تحبيب المطالعة للطّلاب وتشويقها بعيدًا عن الإكراه والإلزام! ثمَّ ، المفروض أن يكون معلّم اللغة العربيّة واعيًا لدوره في اكتشاف مواهب طلابه الإبداعيّة ، وأن يعمل جاهدًا على تشجيع الإبداع لديهم في شتّى الفنون الكتابيّة! وأضيف: إنّ اعتماد معلّم اللغة العربيّة في تدريسه على الكتب وليس على المنهاج الذي يُفترَض أن يكون المرجعَ ونقطة الانطلاق في تدريس الموضوع – اعتماده على الكتب - وخاصّة في المرحلة الابتدائيّة - التي قد تفتقد المعايير التربويّة في إعدادها، يضاعف معاناة معلّم اللغة العربيّة. ثمّ هناك مسألة إعداد معلّم اللغة العربيّة وتأهيله قبل الالتحاق بالمهنة ، فبحسب اعتقادي ، وعلى ضوء تجربتي ، يمكنني القول إنّ ذلك الإعداد – خاصّة في الجامعات – غير كافٍ لإكساب المعلّم المهارات والمعارف في الأساليب وطرائق التدريس والتقويم التي من شأنها تنجيع عمله ونجاحه! وممّا يُضاعف من معاناة معلّم اللغة العربيّة في إكساب مهارات اللغة العربيّة والنهوض بها عدم مساهمة معلّمي المواضيع الأخرى في ذلك ، فغالبيتهم يدرّسون باللغة المَحكيّة ، وأحيانًا كثيرة – خاصّة في المدارس الثانويّة والخاصّة – قد يكون التدريس بلغة أجنبيّة! وهناك معضلة أخرى يواجهها معلّم اللغة العربيّة وهي: ضعف الحافز والدافعيّة لدى الطلاب لتعلّم الموضوع ، فهم ، وبتأثير الأهل والثقافة السائدة ، يعتبرون دراسة الموضوع غير مُجدية ، ولا تفتح أمامهم مجالات التقدّم في المستقبل ، وجني الدخل العالي الوفير ، ناهيك عن استهتارهم بالموضوع! وأخيرًا ، إنّ غلبة اللغة المَحكيّة الدارجة ، وتغلغلها في جميع مجالات الحياة اليوميّة ، وفي وسائل الإعلام المقروءة والمرئيّة والمسموعة ، وفي المسرح والسينما ، يُعيق مهمّة معلّم اللغة العربيّة الشاقة في إكساب اللغة العربيّة المعياريّة الفصيحة ، وفي تحبيب الطلاب بها وبالأعمال الأدبيّة التي يتعلّمونها. لكلّ ذلك ، أسمح لنفسي أن أقول بدون تحفّظ: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!).هـ. وأنا مع الدكتور محمود أبو فنه: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!) ومرة ثالثة (المخلص) المعلم المخلص الذي يبكي على مجد العرب والعربية! وليس المعلم المأجور المرتزق الذي ليس من العربية في شيء! ولقد كنتُ أحس ذلك في الأستاذ مهدي أنه يختلف كثيراً عن المعلم المرتزق! فلقد تمتع بصفات ومواهب وقدرات في تدريس اللغة العربية ، لم نكن نحسها في سواه! ربما ساعده على ذلك – بعد فضل الله عليه – كونه تخرج في كلية دار العلوم! فلندرس صفات معلم اللغة العربية الناصح الناجح الرابح لنقيس عليه الأستاذ مهدي العبقري الجهبذ! ولا نزكي على الله ربنا أحداً بل هذا ظننا به لأماراتٍ وجدناها فيه! وتحت عنوان: (صفات معلم اللغة العربية) تقول إسلام غنيمات ما نصه بتصرفٍ زهيد: (هناك جملة من الصفات والمهارات التي يفضل أن تتوافر في معلم اللغة العربية حتّى يكون فعالاً في مسيرته التدريسية ، ومن أبرز تلك المهارات والصفات نذكر ما

يلي: أولاً: امتلاك مهارات عالية في قواعد النحو والصرف. وثانياً: أن يكون نموذجاً للطلاب من ناحية التمكن اللغوي. وثالثاً: التحدث باللغة العربية الفصحى المُبسطة. ورابعاً: حفظ ما يكفي من الشعر العربي. وخامساً: أن يكون مثقفاً في الأمور العامة. وسادساً: إثراء مواضيع الدروس بمعلومات إضافية. وسابعاً: إدارة الصف بفعالية واقتدار. وثامناً: إيصال المعلومات بطريقة مبسطة. وتاسعاً: الإعداد المُسبق للدروس بشكل جيد. وعاشراً: توظيف استراتيجيات التعلم الحديثة مثل: (العصف الذهني ، والتعلم التعاوني ، ولعب الأدوار ، والتعلم التبادلي). وحاديَ عشرَ: تطوير أسلوب التدريس لمواكبة الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة وتعليمها. وثانيَ عشرَ: إتاحة الفرصة للطلبة بممارسة اللغة العربية في مواقف حياتية هادفة. وثالثَ عشرَ: تكليف الطلبة بأعمال وواجبات بيتية بشكل مستمر. ورابعَ عشرَ: بث حب اللغة العربية في نفوس الطلبة. وخامسَ عشرَ: الجدية والحماسية في العمل. وسادس عشر: عدم التشدد مع الطلبة والمرونة في التعامل معهم. وسابع عشر: الاهتمام بالأناقة والمظهر العام. وثامن عشر: أن يكون عادلاً في تعامله مع الطلبة. وتاسع عشر: القدرة على ضبط الانفعالات وهدوء النفس).هـ. وأشهد أن الأستاذ مهدي كان يملك جُل هذه المقومات مجتمعة ويزيد عليها! فكن له السمت التدريسي والتربوي والتعليمي والمنظر اللائق والنّظافة. وكانت له الشخصيّة القوية. واتصف بالأمانة والصدق في الأداء. وكانت لديه الدقة والانضباط في الوقت ، فلم يكن ليتأخر عن حصةٍ من حصصه إلا لظهر قاهر. وتمتع الأستاذ مهدي بالذكاء والفطنة والحيدة والموضوعيّة. ودرج على استخدام الوسائل التعليميّة المتنوعة المتاحة في ذلك الزمان بالطبع. وكان عنده التنوع في استخدام طرق التدريس المختلفة ، وكان يجمع في ذلك بين الأصالة والتجديد. وتمتع بالإلمام بالمادة التعليميّة وأهدافها وطرق تدريسها المتنوعة. وكان لديه امتلاك روح الدعابة والمرح داخل الصف بالإضافة إلى الهيبة والشموخ. فلقد عُرف الأستاذ مهدي الطرفة والنكتة في غير إسفافٍ أو ركاكة أو سخف! وكان لديه الالتزام بالحياد بعيداً عن العنصريّة. وكانت لديه مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب وقدراتهم. وتمتع بالمقدرة على ربط المادة الدراسيّة بالحياة الواقعيّة لتسهيل فهم الطالب وحفظه للمعلومة. وفوق ذلك كله كان الأستاذ مهدي مثقفاً ولديه معرفةً واسعةً بالمجالات المختلفة. وتمتع بالقراءة والاطلاع دائماً. وتمت بالتعاون مع الطلبة خاصة فيما يكلفهم به ، ثم يكتشف أنهم غير قادرين على إنجازه. وتمتع بالقدرة على مواجهة المواقف الطارئة والسريعة. وتمتع بالتمكن من مادته الدراسيّة على أحسن وجه. وتمتع بالأخلاق الحسنة. وتمتع بالخبرة في التدريس. وتمتع بضبط النفس خاصة في المواقف الاستفزازية. وتمتع بالتواضع. وتمتع بالقدرة على جذب انتباه الطلاب وتشويقهم لغة العربية. وكانت لديه روح التعاون والمحبة للطلاب. باختصار كان الأستاذ مهدي مدرسة متكاملة في تدريس اللغة العربية! وفي عام 1979م أمسكتُ بقلمي ، وكتبتُ له تحية شعرية لها شكل القالب الشعري ، والله أعلم بركاكتها وضحالتها ، ويشفع لها فقط أنها تحية طالب في سن مبكرة لمعلمه! ثم أرجعتُ فيها البصر لأدرك ما بها من فطور ، ثم أرجعتُ البصر كرتين فانقلب إليّ البصر خاسئاً وهو حسير! فدققت فيها النظر ، وارتأيت أن أعيد صياغتها ، معالجاً ركاكتها ، وجابراً كسورها ، ومصححاً أخطاءها النحوية والبلاغية والإعرابية والصرفية والاشتقاقية! وقمتُ بذلك كله محافظاً على الخواطر والمشاعر والأحاسيس التي حوتْها! وخشيتُ أن أنشرها في ديواني الشعري على ما هي عليه ، ولكنني خشيتُ أن يقول الناس: وأين علم الأستاذ مهدي وطالبه يكتب له تحية شعرية ركيكة ضحلة فيها من الأخطاء

اللغوية والشعرية ما الله به عليم؟! وجعلتُها جزءاً من ديوان (السليمانيات) ، عرفاناً بجميل الأستاذ مهدي سعد زغلول عليّ! وأعتقد اعتقاداً جازماً أن بها من الأخطاء – بعد تصحيحي لها – ما يدركه ويعلمه الأستاذ مهدي بحكم تخصصه في اللغة العربية! ولكنه شرف المحاولة يحدوني ويشفع لي عنده! فتقبلها مني يا أستاذ مهدي في نص جاوز الخمسين بيتاً!)

تحيـــة مِـــن صَـــميم القلـــب يـــا (مَهـــدي) فاحـــت شـــذىً كشـــذى الأزهـــار والـــوَردِ

مـــا الياســـمينُ ومـــا الرَيحـــانُ إن نفحـــا بجانـــب الشـــعر؟! ذا أزكـــى مِـــن الرُنـــد!

تحيـــــة سَـــــطعتْ كالشـــــمس مُشـــــرقة تُهـــدي الضـــياءَ بـــلا وَهْـــج ، ولا صَـــهد

تحيـــــة نفـــــحَ التلميـــــذ زبـــــدتها حتـــى يراهـــا الـــورى فـــي ذِروة المَجـــد

تحيـــــة تـــــألفُ العُيـــــونُ طلعتهـــــا ومـــا لهـــا – فـــي تحايـــا النـــاس – مِـــن نِـــد

تحيـــــة تشـــــتهي الألبـــــابُ أحرُفهـــــا فكـــم تُزيـــل الـــذي تحـــوي مِـــن السُـــهد!

تحيـــــة عذبـــــة الألفـــــاظ يانعـــــة فلـــيس تجمـــعُ بـــين الضـــد والضـــد

فيهـــــا التناســـــقُ لا يُـــــزري بفكرتهـــــا بـــذلتُ فـــي نظمهـــا شـــيئاً مِـــن الجهـــد

كعِقـــد مـــاس زهـــا فـــي صـــدر غانيـــة وقـــد تكـــون بـــذا أحلـــى مـــن العِقـــد

تحيـــــة حـــــوتِ الفخـــــارَ أجمعَـــــهُ وسَـــجّلتْ باقـــة مِـــن خـــالص الـــوُد

حييـــتُ فيهـــا الـــذي البيـــانَ علمنـــي فـــي قالـــب مَـــزجَ المِـــزاحَ بالجـــد!

وعلّـــمَ النحـــوَ كـــي يُقـــيمَ مَنطقنـــا وفـــي دراســـته مَعاقـــدُ الفيـــد

وعلّـــمَ الصـــرفَ للطـــلاب مُحتســـباً مُعطِـــراً درسَـــه بـــالفرح والســـعد

وبعـــدُ علّمنـــا النصـــوصَ زاخـــرة بطيّـــب القـــيم العصـــماء والرُشْـــد

ولـــم يكـــنْ - بلســـان الضـــاد - مرتزقـــاً لا يســـتوي الحُـــر - فـــي القيـــاس - بالعبـــد

لـــم يـــألُ جهـــداً ، ولـــم يبخـــلْ بخبرتـــه علـــى يديـــه بصُـــرتُ الضـــادَ كالشـــهد

يـــا ابـــنَ (الســـويس) حبـــاك الله مِكرُمـــة والضـــادُ بعـــد الهُـــدى مـــن أعظـــم الرفـــد

عاهـــدت ربـــك أن ترقـــى بمـــن درســـوا ثـــم انبريـــت تفـــي يـــا (مهـــدُ) بالعهـــد

وكنـــــت واعـــــدتنا ألا تُعنتنـــــا ولـــم تُخـــالفْ عـــن الوفـــاء بالوعـــد

عِشْـــت الغريـــبَ الـــذي تكفيـــه عزتـــه ... عـــن طِلبـــةٍ مـــن كِـــرام النـــاس باليـــد

عشـــت العفيـــف الـــذي اســـتغنى بعِفتـــه ... عـــن أن يُقِـــر – لغيـــر الله - بالحمـــد

وعشـــت تـــزرعُ فينـــا كـــل عارفـــةٍ ... وعشـــت تغـــرسُ فينـــا قيمـــة الزهـــد

خِفنـــاك لمّـــا اتخـــذت الحـــزمَ توطئـــة ... إذ لـــم يكـــنْ عنـــدنا فـــي الهـــزل مـــن جـــد

لكـــنْ وجـــدناك تُطرينـــا وتمـــدحُنا ... وكنـــتُ أســـألُ: دُلـــوني علـــى القصـــد

وبعـــدَ لأي عرفـــتُ القصـــدَ متضـــحاً ... ومـــا انتظـــرتُ - مـــن الرفـــاق - مِـــن رَد

أســـتاذنا عنـــده التـــدريس موهبـــة ... وعنـــد رب الـــورى الثـــوابُ والحَصـــد

وكـــان يُدركـــه رســـالة عظمـــتْ ... لهـــا مكانتُهـــا فـــي النـــاس والبُلـــد

و(كَفـــرُ ســـعدٍ) بـــه تختـــالُ مائســـة ... بـــين الـــبلاد كمثـــل الغـــادة الخَـــود

يـــا فخـــر (دِميـــاط) بالضـــيف الـــذي نـــدبتْ ... ولـــيس تحملـــه يومـــاً علـــى عَـــود

تـــراه فـــارسَ أحـــلام بـــه شـــرُفتْ ... فـــدَرسُ أبنائهـــا حصـــيلة الغـــد

أســـتاذنا كنـــت نبراســـاً يُضـــيء لنـــا ... حنـــادسَ الـــدرب تُـــردي عزمـــة الوُلـــد

ولا نزكّـــي علـــى رب الســـما أحـــداً ... وهـــل يُقـــارَنُ رب النـــاس بالعبـــد؟!

أســـتاذنا لـــم يكـــنْ فـــي درســـه شـــبحاً ... وقلبُـــهُ مـــا بـــه شـــيءٌ مِـــن الحقـــد

وكـــان شـــهماً كريمـــاً فـــي تعاملـــه ... شـــتان شـــتان بـــين الشـــهم والوغـــد!

هـــذي التحيـــة مثـــلُ الـــدَين فـــي عُنقـــي ... اليـــوم أسْـــطرُها سَـــمْحا بـــلا قيـــد

لـــه جميـــلٌ علـــى شِـــعري وتجربتـــي ... وذاك رَدّي ، وبـــي شـــيءٌ مِـــن الوجـــد

ألا أكـــون بهـــا وفيـــتُ حـــق أب ... فعنـــدهُ الـــنصُ مَعـــروضٌ علـــى النقـــد

فصـــحح الـــنصَ يـــا أســـتاذ دون هـــوى ... وجُـــدْ بتدقيقـــهِ بـــالجزم والحيـــد

آتـــاك ربـــك - فـــي التصـــريح - مدرســـة ... فـــأخرج الســـيفَ إنْ صـــرّحت مـــن غِمـــد

إن كنـــتُ أخطـــأتُ فيمـــا قلـــتُ مجتهـــداً ... أو كنـــتُ جـــاوزتُ فيمـــا صـــغتُه حَـــدي

فأنـــت أولـــى بعُـــذري أو مؤاخـــذتي ... وأنـــت أجـــدرُ بالتيســـير والتيـــد

والشـــعر يبقـــى دهـــوراً بعـــد شـــاعره ... ليحمـــل المِدحـــة الوضـــاءَ (للمَهـــدي)

وإن يكـــنْ - فـــي زمـــاني - غيـــرَ مشـــتهر ... يومـــاً ســـيَهزمُ مثـــلَ البَـــرق والرعـــد

كـــالبحر يَزخـــرُ بـــالخيرات مُطمَـــرة ... بـــرغم إنكـــار أهـــل المَكـــر والجَحـــد

وإن يكـــنْ هـــدّهُ جَـــزرٌ ، وجَندَلـــهُ ... طبيعـــة البحـــر بـــين الجَـــزْر والمَـــد

مهمـــا تنقصـــهُ الأغـــرارُ عـــن رَغـــم ... فـــالبحرُ قـــاهرُ أهـــل الجهـــل والعِنـــد

والبحـــر مُغـــرقُ مـــن عـــابوا سَـــجيته ... مِـــن الأصـــاغر أهـــل العَيـــب والكَيـــد

(مَهـــدي) مَـــدحتُك عِرفانـــاً بمـــا بـــذلتْ ... كـــفُ الكـــريم بـــلا حَصـــر ولا عَـــد

أبقـــاك ربـــي لنشـــر الضـــاد تكرمـــة ... وكنـــت يـــوم الجـــزا فـــي جنـــة الخلـــد!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (المعلم صانع الأجيال)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	المعلم الضحية	المتقارب	الشبابْ	2
2	المودع الكريم	مخلع البسيط	والتهاني	3
3	المتفوقون	الرجز	والفلاحْ	6
4	المدرسة الثكلى!	الخفيف	الأحجارا	8
5	المدرسة الوطنية	المتدارك	وحمية	13
6	حملٌ بين الذؤبان (الأستاذ عبد الكريم علي رجب)	الكامل	التطبيلا	14
7	حامل المِسك	البسيط	عنه خلا	19
8	حييِّ المعلم ، جازه التبجيلا! (معارضة لشوقي)	الكامل	رسولا	22
9	في رثاء المعلم	البسيط	وفي كرْبِ	144
10	فليُكرمْ ضيفه	الكامل	ما تطلبُ	146
11	في ذمة الله	الوافر	الخيالا	153
12	كلمة صغيرة (أرجوزة)	البسيط	تحترقُ	155
13	ابن باز قلعة العلم! – مساجلة عشماوية	الكامل	جناني	158
14	التربية بين الجامع والجامعة	المتقارب	العلمنة	160
15	أستاذي قال لي	الكامل	بأخلاق الورى	161
16	عندما تكون التربية رسالة	الوافر	واجتهادا	164
17	دمعة على العِلم ، لا على الذهب!	الخفيف	البأساءِ	168
18	سلطان العلماء ، لا عالم السلاطين	البسيط	سلطانا	169
19	ترويحة على طريق العِلم	الكامل	استخفافِ	173
20	مُكرهٌ أستاذكِ لا بطلٌ!	البسيط	من ألمي	176
21	هذا من فضل ربي	الوافر	من تُطري	180
22	وصية معلم لطلابه	الرمل	بالدما	183
23	نور	البسيط	والكرمِ	186
24	أمة اقرأ أولى بهذا	الكامل	وصحيحُ	188
25	استعلاءٌ في دنيا البهتان	الخفيف	بعهدٍ وثيقِ	190
26	أردتُ زيداً ، وأراد الله عَمْراً	البسيط	ويُطلبُ	192
27	تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!	البسيط	والوَرْدِ	195

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (المعلم صانع الأجيال)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

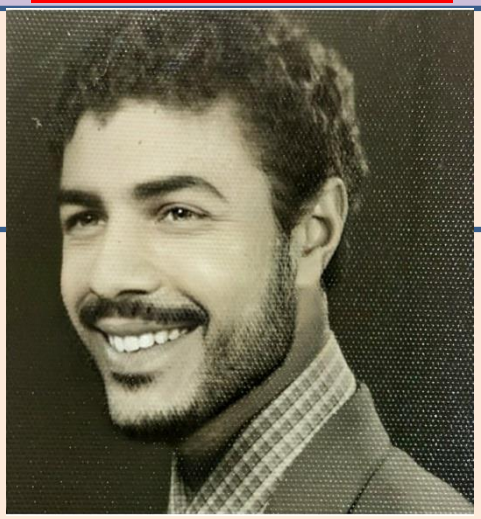

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه وتعالى ـ!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وخَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر)

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة

35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)

75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان

116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
123 - القصيدة الزينبية (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس)2
124 - شمس العرب تسطع على الغرب!
125 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
126 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
127 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
128 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
129 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
130 - زواجٌ بالإكراه!
131 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
132 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
133 - محاكاة لامية ابن الوردي!
134 - امرأة تزوجتْ رجلين!
135 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
136 – مروءة ولى زمانها! - 1
137 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
138 – زلزال تركيا المدمر!
139 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
140 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
141 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
142 – دمه وماله وعِرضه!
143 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
144 – رمضان أشرقْ!
145 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
146 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
147 - القطة وإمام المسجد – وليد مهساس
148 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
149 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
150 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond’s Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic.

	13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye , My Poetry!
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life